



شرح اعتقاد حرب الكرمانى

المجلس الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد:

فإنَّ المصنَّفات في الاعتقاد التي صنَّفها علماء الأُمَّة السَّابِقون على جانبٍ كبيرٍ جدًّا من الأهمية، لأنَّ تلك المصنَّفات صنفت في وقتٍ خيرٍ من وقتنا؛ وأهله خيرٌ من أهل هذا الوقت، وكان الإسلام ظاهرًا، والجهاد ماضيًا، والإسلام عزيزًا، وغربة الدين التي حصلت على نطاقٍ واسعٍ في الأزمنة الأخيرة لم تكن بالدرجة الموجودة في هذه الأزمنة.

المصنفون القدامى رحمة الله تعالى عليهم من أئمة السُّنة صنَّفوا هذه المصنَّفات في الاعتقاد حفظًا لاعتقاد هذه الأُمَّة وإبانةً للحق في مسائل الاعتقاد في وقتٍ كان أهل الاعتزال والتَّجهم والتشيع وعموم البدع والضلالات كانوا أقلَّ حالًا وأضعفَ مما هم عليه، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ الإسلام يعود غريبًا، كما قال صلى الله عليه وسلم: «بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ»^(١)، ومن أعظم وأشدَّ وأخطر ما يكون من غربة الدين أن يكون هناك غربة في العقيدة؛ حتى تنقلب المفاهيم، وتنقلب السُّنة بدعة والبدعة سُنَّة، ويكون الحقُّ باطلًا والباطل حقًّا في نظر الناس كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: "كيف بكم إذا لبستكم فتنة يشيب فيها الصغير ويهرم عليها الكبير؛ فإذا غيَّرت قيل غيَّرت السُّنة"^(٢)، وهذا حاصل في مثل هذه الأزمنة، فإنَّ الدُّعاة إلى التوحيد حين نَبهوا الأُمَّة إلى تحقيق التوحيد وضرورة ترك الشراكيات المنتشرة؛ سُنت عليهم حملة شعواء كبيرة جدًّا على نطاقٍ واسعٍ من أنواع المخرفين من المتصوِّفة والروافض وأهل التقليد الأعمى والجهلة، وصورٌ وضعهم على أنه وضعٌ من يُغير الدين ويبدل ما بعث الله به نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم.

(١) صحيح مسلم (١٤٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) رواه الدارمي (١٩١)، وصححه الشيخ حسين سليم أسد حفظه الله.



اختلطت المفاهيم جدًّا عند كثيرٍ من الناس، وكان الناس في هذا البلد إلى عهدٍ قريبٍ المفاهيم عندهم على جانبٍ كبيرٍ من الوضوح تميزوا بهذا عن بلدانٍ كثيرة؛ حتى اختلط الحابلُ بالنابل ولا سيما مع وسائل الاتصال الحديثة، وصرت تسمعُ الشُّبُهَةَ التي كانت تُردد في بلدانٍ يسود فيها الشرك والخرافة؛ صرت تسمعها من أبناء هذه البلاد، وصار التزهيد في التوحيد، وشنوا الغارة على دعائه وعلى دعاة السُّنَّةِ السليمة الحقيقية المحضَّة؛ صار أمرًا موجدًا داخل هذه البلاد.

ومن أهم ما يرفع هذا الإشكال ويزيل هذه الغربة أن تُعاد الأمة إلى مَنْ يُتفق عليهم من المتقدمين بدءًا من الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم والتابعين وأئمة الإسلام، وإذا أتينا إلى مجال الاعتقاد أيها الإخوة لا يكون هناك مذاهب، نحن نعلم أن المذاهب الفقهية موجودة؛ وأن الخلافَ الفقهيَّ قبل الأربعة رحمهم الله موجودٌ، لكن إذا أتينا إلى الاعتقاد؛ فالاعتقاد واحد، تارة يكون القول في المذهب الشافعي هو الصواب الراجح على المذهب الحنبلي، يتضح هذا بأدلته بجلاء، طالب العلم يتضح له ويرجح مذهب الشافعي بلا أدنى تردد في مسائل، ويتضح في مسائل أن الصواب في المذهب الحنبلي ويرجحه طالب العلم الشافعي، لأن هذه المسائل مسائلٌ أحكامٌ يُنظر فيها للدليل، إذا أتينا إلى الاعتقاد فالاعتقاد واحد، لا يمكن أن تكون فيه هذه الأقوال، ولهذا لما امتحن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله تعالى عليه وأراد الحاكم في وقته أن يُصلح ما بينه وبين خصومه وأن يقول: هذا الاعتقاد الذي عليه ابن تيمية هو اعتقاد أحمد يعني وأنتم على اعتقاد الأئمة الآخرين، أنت على اعتقاد الإمام مالك، وأنت على اعتقاد الشافعي، وأنت على اعتقاد أبي حنيفة؛ فقال رحمة الله تعالى عليه: مذهبُ السلف قبل أن يخلق الله أبا حنيفة ومالكًا والشافعي وأحمد! بل هذا قول الأئمة جميعًا، إذا أتينا إلى جانب الاعتقاد؛ هذا قول علماء الأمة رحمة الله تعالى عليهم، وليس هذا قول فلان! ولهذا قال شيخ الإسلام في الإمام أحمد: لم يأخذ أهل السُّنَّةِ عن الإمام أحمد حرفًا واحدًا في الاعتقاد! هل هذا صحيح؟ نعم والله هذا صحيح، الاعتقاد لا يُؤخذ من فلان ولا من فلان! إنما يُؤخذ من النصوص، وأحمد رحمه الله تعالى إنما نبَّلَ ورفعَ الله تعالى قدره بثبوتِه على اعتقاد الحق الذي كان قبله، أما أن يأتي أحدٌ ليعطي للناس اعتقادًا ويقول: هذا اعتقادي فاعتقدوه! فهذا غير واردٍ عند أهل السُّنَّةِ والجماعة، لأن الاعتقاد موجودٌ في الكتاب والسُّنَّةِ وفيما أجمع عليه سلف الأمة رحمة الله تعالى عليهم، فلماذا نقول إذن:



أحمدُ إمام أهل السُّنَّةِ؟ مالكُ إمام لأهل السُّنَّةِ، الشافعي إمام لأهل السُّنَّةِ، البخاري، سفيان، لماذا نقول هذا الكلام؟ يقول شيخ الإسلام: أئمة السُّنَّةِ تُنسب إليه السُّنَّةُ لأنهم مظاهر ظهرت فيهم السُّنَّةُ، أما أئمة البدعة فتنسب إليهم البدعة لأنهم مصادر صدرت عنهم البدعة، فرق كبير جدًا، أحمد صار إمامًا للسُّنَّةِ لأنه صار مظهرًا من مظاهر السُّنَّةِ، طبق السُّنَّةِ، ولزم السُّنَّةِ، وصار إمامًا فيها، أما أهل البدع فمصادر صدرت عنهم البدعة، فإذا قيل للمعتزلة: قولكم هذا من قال به من الصحابة من التابعين؟ يقولون: قال به واصل بن عطاء؛ قال به عمرو بن عبيد، والأئمة قبلهم ماذا كانت؟ ضالة ضائعة؟ قبل أن يوجد واصل بن عطاء أين كان هذا الاعتقاد؟ وهكذا الجهمية، من إمامكم قبل جهم بن صفوان وشيخه - شيخ الضلال - الجعد بن درهم؟ يقولون: هؤلاء هم أئمتنا، ولهذا قال الإمام مالك بن أنس رحمه الله لما بلغه أن رجلاً من أهل البدع عندما قُربَتْ وفاته قيل له: على دين من تموت؟ قال: أموت على دين أبي عمارة، أبو عمارة هذا هو زعيم هذه الفرقة الضالة، يقول: انظروا إلى هذا الشقي! يقول: أموت على دين أبي عمارة ولا أموت على دين أبي القاسم صلى الله عليه وسلم! فما قال: أنا انتسبُ إلى دين محمد صلى الله عليه وسلم وأموت على دينه! إنما أموت على دين أبي عمارة.

فالاعتقاد أيها الإخوة مأخوذ من الكتاب والسُّنَّةِ وما أجمع عليه سلف الأمة الصالح رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، وإذا قيل: هذا إمام من أئمة أهل السُّنَّةِ؛ فليس معناه أنه اخترع لأهل السُّنَّةِ اعتقادًا! وإنما معناه أنه ثبت وصار إمامًا في السُّنَّةِ كما قال تعالى: ﴿وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^(١)، فلما ثبت على الحق صار إمامًا لأهل السُّنَّةِ، لا أنه اخترع للناس عقيدة فسمي بناءً عليها إمامًا! لأنه لو فعل هذا لصار من أئمة البدع وليس من أئمة أهل السُّنَّةِ.

من هنا حرصنا على أن يُربط طلاب العلم في هذه الأزمنة بكتب السلف المتقدمين، وجاء اختيار هذه الرسالة للإمام الجليل حرب الكرماني رحمه الله تعالى عليه - ويأتي إن شاء الله بعد قليل التعريف به - ليعلم أن هذا الاعتقاد الذي عليه علماء السُّنَّةِ في هذه الأزمنة هو اعتقاد أئمة السُّنَّةِ المتقدمين، لا يختلف - والله الحمد - ولا يتفاوت، لأن الاعتقاد كما قلنا لا يختلف، ومن هنا قال أبو المظفر الصنعاني رحمه الله تعالى عليه:

(١) الفرقان: ٧٤.



مما يدلُّك على أن أهل السنة على الحق أنك لو طالعت كتب متقدميهم ومتأخريهم مع اختلاف بلدانهم واختلاف أزمانهم لوجدتهم في الاعتقاد على وتيرة واحدة كأنها كتبت الاعتقاد واحد منهم، فالاعتقاد واحد أيها الإخوة، ولهذا الطعن الحاصل الآن في العقيدة على أساس أنها منسوبة لابن تيمية أو لابن عبد الوهاب أو لفلان أو لفلان من أهم ما يكون ردًا عمليًا عليه أن ندرس كتب الاعتقاد قبل أن يوجد ابن تيمية وابن عبد الوهاب رحمهم الله؛ ثم نقول: هذا الاعتقاد الذي عليه أئمة السنة القدامى هو اعتقاد ابن تيمية وابن عبد الوهاب، وإنما نبئ ابن تيمية وارتفع قدره ونبئ ابن عبد الوهاب وارتفع قدره لأنه سلك على مسلك من قبلهما، ولو ابتدعا لكان سبيلهما سبيل أهل البدع ممن ضلّ وما أكثرهم، فمن هنا سنركز بإذن الله تعالى - وسبق الشرح في هذا الجامع لرسالة المزني رحمة الله تعالى عليه وغيره من أئمة السنة -، والمزني من أشهر تلاميذ الإمام الشافعي رحمهم الله تعالى، لأنه كما قلنا إذا جئنا إلى موضوع الاعتقاد فالأئمة فيه على وتيرة واحدة كما سيأتي ويتضح ويبيّن بإذن الله تعالى.

هذه الرسالة للإمام حرب بن اسماعيل بن خلف الكرمانى رحمة الله تعالى عليه، يُقال الكرمانى ويقال الكرمانى، وكرمان من البلاد السنية، وهي بين فارس وسجستان وخراسان، في تلك البلاد التي يسود فيها الآن بعد غربة الدين يسود فيها التشيع والضلال وإلا فهي بلاد سنة، كان خرج منه عدد كبير من علماء السنة وأئمة الإسلام، فتلك البلاد هي بلا شك بلاد على السنة حتى دخلها ما دخلها من مدّ الروافض.

مزية هذا الكتاب؛ هذا الكتاب له أكثر من مزية الحقيقة لكن نركز على شيء يسير من مزاياه حتى نبدأ على خير إن شاء الله، من أهم مزايا الكتاب ما نبه عليه الإمام حرب رحمة الله تعالى عليه من أن هذا الاعتقاد هو اعتقاد محل إجماع أهل العلم، وسمى عددًا منهم كما سيأتي إن شاء الله تعالى توضيحه، فليس الأمر راجعًا إلى اعتقاد ألفه فلان وفلان! وإنما هذا اعتقاد علماء السنة في أمصار الإسلام المشهورة في تلك الأزمنة كالعراق والشام والحجاز وغيرها كما سيأتي بيانه.

المزية الثانية لهذا الكتاب: أن الإمام حربًا رحمه الله تعالى عرف بعدد من الفرق الضالة في وقته مما عاصره ومما كان قبله، وهذا نادر في الحقيقة في كتب الاعتقاد، في العادة أن كتب الاعتقاد تركز في العموم الأغلب على بيان مسائل الاعتقاد، وإذا ذكرت فيها فرق الضلال؛ فإنها تُذكر للتحذير منها باسمها في العموم



الأغلب، حَرْبٌ رحمه الله تعالى في هذا الكتاب عَرَفَ بعددٍ مِنَ الْفِرَقِ، وهذا أمرٌ في غاية الأهمية الحقيقية في مثل وقتنا هذا، لأنَّ الحاجة للتعريف بِالْفِرَقِ الضالَّةِ اليوم مهم للغاية، وسنربط بعون الله تعالى وتيسيره الْفِرَقِ التي ذكرها الإمام حرب رحمه الله تعالى بِالْفِرَقِ الموجودة الآن، لأنَّ هناك مَنْ يقول: ما الحاجة مِنْ التدريس والتحذير مِنْ مقولات الْفِرَقِ الضالَّةِ؟ الْفِرَقُ الضالَّةُ اندثرت وزالت وانتهت! هذا مِنْ العجائب؟ هذه المقولات مِنْ العجائب! ما كَانَ الروافض لها دولة قائمة تنشرها في الأرض! ما كَانَ التخريف والتصوُّف ينتشر في الأرض! ما كَانَ مقالات الجهمية وفروعها موجودة في الأرض! هذه المقالة تدل على أنَّ القائل لا يدري بحقيقة الْفِرَقِ، ولا يدري بخطرهما، والأمر كما قال عمر رضي الله عنه: "إنما ينقض الإسلام عروة عروة؛ إذا نشأ في الإسلام مَنْ لم يعرف الجاهلية"^(١) الذي لا يعرف الضلال يقع فيه وهو لا يدري، ولهذا كان حذيفة رضي الله عنه يسأل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الشر يقول: "كنتُ أسألُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الشرِّ؛ وكان أصحابي يسألون رسولَ الله عليه وسلم عن الخير، وكنتُ أسأله عن الشرِّ مخافة أن يدركني"^(٢) يعني خشية أن أقع في الفتن والشرِّ وأنا لا أدري، ولذا قال الشاعر: "عرفتُ الشرَّ لا للشرِّ! لكن لتوقيه، ومَنْ لا يعرف الشرَّ من الخير يقع فيه"، وهذا واقع، ستجد الآن في كتب بعض طلبة العلم - وهم لا يشعرون، وهم مِنْ طلبة العلم مِنْ أهل السُّنَّة بلا شك - نُقِلَ مقالات هي للجهمية وهم لا يشعرون! لأنهم لا يعرفون مقالة الجهمية؛ فينقل قول الجهمية وهو لا يدري قول الجهمية! وهذا وجد في الحقيقة في عددٍ مِنَ الكتب، ووجد حتى في بعض رسائل الماجستير والدكتوراه لطلبة علمٍ متخصصين يأخذون في مثل المجالات الشرعية هذا اللقب المنتشر - الآن، وهو لا يدري أن هذه مقالة للجهمية! قد قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في الزمخشري: إنه يدخل اعتزالياته بما لا يشعر به القارئ، يعني يبث مقالاته في الاعتزال بطريقة لا يدري بها القارئ، ولهذا تجد مقالات الزمخشري تُنقل في بعض الأحيان وهو لا يدري - الناقل - أن هذه المقالة هي مقالة المعتزلة! ولهذا بإذن الله تعالى - وهذه مِنْ مزايا الرسالة كما قلنا - سنعرِّف ببعض الْفِرَقِ قطعاً تعريفاً إجمالياً، وسنضع بحول الله تعالى مقدمة - إذا أتينا إلى

(١) أورده ابن القيم رحمه الله في كتابه (الفوائد) (ص ١٠٩).

(٢) صحيح البخاري (٣٦٠٦).



الْفِرْقُ فِي آخِرِ الرِّسَالَةِ - عَنِ الْفِرْقِ وَأَسْبَابِ نَشْأَتِهَا وَأَهْمِ عِلْمَاتِهَا وَأَوَائِلِ ظُهُورِهَا وَكَيْفِ تَعَامُلِ السَّلَفِ مَعَهَا وَالْمَوْجُودِ مِنْهَا، لِأَنَّ الْآنَ يَقُولُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مِثْلًا: الْمُعْتَزَلَةُ انْدَثَرَتْ؛ وَبَعْدَ أَنْ أَتَى اللَّهَ بِالْخَلِيفَةِ الْمُتَوَكَّلِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَنَصَرَ السُّنَّةَ انْمَحَى الْإِعْتِرَالُ، هَذَا كَلَامٌ مَنْ لَا يَدْرِي بِحَقِيقَةِ الْمُعْتَزَلَةِ، الْمُعْتَزَلَةُ انْتَقَلَتْ مَقَالَاتُهُمُ الْبَاطِلَةَ إِلَى عِدَدٍ مِنَ الْفِرْقِ وَدَخَلَتْ فِيهَا، وَتَجَدُّ مَقَالَاتِ الْمُعْتَزَلَةِ الْآنَ فِي كِتَابِ الرَّافِضَةِ وَفِي كِتَابِ الْإِبَاضِيَّةِ وَفِي كِتَابِ الزَّيْدِيَّةِ وَفِي كِتَابِ عِدَدٍ مِمَّنْ يَنْصُرُونَ هَذِهِ الْمَقَالَاتِ مِنَ الْمُسَمَّيْنَ بِالتَّنْوِيرِيِّينَ أَوْ الْعُقْلَانِيِّينَ، بَلْ تَجَدُّهَا فِي كِتَابِ الْعُلَمَائِيِّينَ وَاللِّبْرَالِيِّينَ يَنْصُرُونَ مَقَالَاتِ الْمُعْتَزَلَةِ لِأَنَّ فِيهَا تَنْحِيَةً لِلنَّصِ الشَّرْعِيِّ وَتَقْدِيمًا لِلْهَوَى الَّذِي يَسْمُونَهُ الْعُقْلَ، فَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْقَائِلَ لَا يَدْرِي بِأَصْلِ مَقُولَةِ الْمُعْتَزَلَةِ وَيُظَنُّ أَنَّ الْمُعْتَزَلَةَ حَتَّى تَوْجِدَ لِأَبَدٍ مِنْ أَنْ يُوجَدَ كِيَانٌ يُسَمَّى بِكِيَانِ الْمُعْتَزَلَةِ، الْعِبْرَةُ بِالْمَقَالَةِ نَفْسِهَا، وَالْفِرْقُ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ - كَمَا سَيَأْتِي - تَتَدَاخَلُ، كَثِيرٌ مِنَ الْفِرْقِ تَتَدَاخَلُ، يَدْخُلُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ لِأَنَّهَا فِرْقٌ ضَالَّةٌ، فَيَنْتَقِلُ كَثِيرٌ مِنَ أَقْوَالِ الْفِرْقِ إِلَى فِرْقٍ أُخْرَى، إِمَّا أَنْ تَنْتَقِلَ الْمَقَالَةُ بِأَسْرَها أَوْ بَعْضٌ مِنَ هَذِهِ الْمَقَالَاتِ، وَتَوْجُدُ هَذِهِ الْمَقَالَاتِ فِي الْفِرْقِ وَإِنْ لَمْ تَسْمَعْ بِاسْمِ الْفِرْقَةِ الْقَدِيمَةِ، وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى التَّنْبِهِ وَالتَّفْطِنِ، وَلَا سِيَّما وَالنَّاسَ الْآنَ يَطَّلِعُونَ لِلْأَسْفِ الشَّدِيدِ عَلَى مَا هَبَّ وَدَبَّ مِنْ كُتُبٍ وَمَقَالَاتٍ، لَا يَكْتَرِثُونَ بِمُطَالَعَةِ مَنَازِرَاتٍ وَمَوَاقِعَ وَقَنَوَاتٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ لَهُمُ الْهُدَايَةُ وَلَزِمَ مِنْهَجَ السَّلَفِ فِي الْبَعْدِ عَنِ مِثْلِ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ الْخَطَرَةِ، وَلِهَذَا تَسَرَّبَتْ مَقَالَاتُ الْفِرْقِ لِكَثِيرٍ مِنَ عَوَامِ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ، مَقَالَاتِ الْمَرْجِيَّةِ، مَقَالَاتِ الْمُعْتَزَلَةِ، مَقَالَاتِ الرَّافِضَةِ، مَقَالَاتِ الْخَوَارِجِ تَجَدُّهَا فِي بَعْضِ عَامَةِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا يَدْرُونَ أَنَّ أَصْلَ الْمَقَالَةِ لِهَذِهِ الْفِرْقِ، وَهَذَا بِإِذْنِ اللَّهِ لَعَلَّهُ يَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى تَفَاصِيلِ الْكَلَامِ عَلَى الْفِرْقِ، لَكِنَّ الْمَقْصُودَ بَيَانُ أَنَّ الْإِعْتِقَادَ هُوَ أَعْظَمُ مَا يَمْلِكُهُ الْمُسْلِمُ، فَلَا يَجِلُّ لَهُ أَنْ يُعْرَضَ لِلشَّبهِ وَالضَّلَالَاتِ، وَلِهَذَا لَمَّا جَاءَ رَجُلٌ لِلْإِمَامِ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ اسْمِعْ مِنِّي - وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْبَدْعِ وَالضَّلَالِ - قَالَ: فَإِنْ غَلَبْتَنِي؟ قَالَ: تَتَّبِعْنِي، قَالَ: فَإِنْ جَاءَ ثَالِثٌ؛ فَغَلَبْنَا؟ قَالَ: تَتَّبِعْهُ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدِينٍ وَاحِدٍ وَأَرَاكَ تَتَّنَقَّلُ! عِنْدَكَ اسْتِعْدَادٌ كُلِّ مَرَّةٍ تَأْخُذُ بِمَقَالَةٍ! الْإِمَامُ مَالِكٌ مِنْ فَهْمِهِ مَا قَالَ: فَإِنْ غَلَبْتُكَ! قَالَ: فَإِنْ غَلَبْتَنِي - وَهُوَ يَعْلَمُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ السُّنَّةَ لَا يَغْلِبُهَا هَذَا الْمُبْتَدِعُ -، قَالَ: تَتَّبِعْنِي، قَالَ: فَإِنْ جَاءَ ثَالِثٌ فَغَلَبْنَا؟ قَالَ: تَتَّبِعْهُ، قَالَ: كَمْ جَاءَ



محمد صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم من دين؟ جاء بدين واحد وأنا أراك الآن تنتقل^(١)! ولهذا قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: "مَنْ جَعَلَ دِينَهُ عُرْضَةً لِلْخُصُومَاتِ أَكْثَرَ التَّنْقَلِ"^(٢)، كل يوم سيكون عنده رأي! ولما جاء رجلٌ للحسن البصري رحمه الله وقال: يا أبا سعيد ناظري - يعني: في أمور الاعتقاد -، قال: أما أنا فعلى بينة من ديني؛ وأما أنت فشاكٌ فاذهب إلى شاكٍ مثلك فناظره^(٣)، يقول: أنا أمرُ الاعتقاد عندي ثابت تلقيته عن أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم؛ أما أنت فرجل عندك شكٌ ابحت عن رجلٍ من أمثالك ممن عندهم شكٌ فناظره، أما الثابت فلا تأتِ إليه، ابحت عن شاكٍ من أمثالك.

الحاصل أن الاعتقادَ يجب أن يحرص المسلم على عدم تزعزعه؛ وأن لا يُعَرِّضَهُ للاضطراب ولا سبياً من الجهلة، وإلا فله الحمد لا يوجد شبه على وجه الأرض مضت ولا تأتي ولا موجودة الآن لا يكون لها حلٌّ! لها حلٌّ، وتُردُّ، شبه ملاحدة منصرين روافض معتزلة ليبرالية علمانية أيًّا كان، لا يقال: هذه الشُّبه لا يمكن أن تُردَّ! تُردُّ، لكنها تُردُّ من قِبَلِ متمكن راسخ في الاعتقاد قادر على أن يُردَّ الشُّبه، أما الحاصل الآن هو أن كثيراً من الناس غير مؤهلين في نفس الاعتقاد، يعني لم يؤسسوا في الاعتقاد التأسيس السليم ثم ينبري بعضهم للرد على الشُّبه والضلالات؛ فيكون الردُّ ضعيفاً! بل يتأثر الردُّ والداخل في هذه المناظرات والمناقشات، يتأثر بالشُّبه، مع أن الشُّبه - والله المنُّ والفضل - فاسدة بأصلها كما قال تعالى: ﴿حُجَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾^(٤) هي حججهم داحضة، لكن إذا أتى ليردَّ على هذه الشُّبه والضلالات من ليس بمؤهلٍ؛ فإنه بلا شك سيكون رده - مثلما ذكر أهل العلم - قالوا: إنَّ السلطان يلزمه إذا خرج أحد من الكفار للمبارزة وخرج رجلٌ من المسلمين ضعيفٌ؛ يلزمه أن يمنع الضعيف من مبارزة هذا الفارس القوي من الكفار، لأن الظاهر من حاله أنه سيُغلب وسينكسر وسيتأثر بذلك المسلمون! فلا يظهر له إلا قرنٌ من أمثاله، وهكذا الشُّبهات - والله الحمد - والضلالات الردُّ عليها يسير، وهي داحضة باطلة، لكن أن يتصدر للرد - كما هو حاصل الآن - من هبٍّ ودبٍّ هذا لا شك فيه باطل وخلاف منهج السلف؛ لا يجوز، لأنَّ

(١) يُنظر: "ترتيب المدارك" للقاضي عياض (٢/ ٣٨).

(٢) السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ١٣٨).

(٣) يُنظر: "الإبانة الكبرى" لابن بطة (٢/ ٥٤٣).

(٤) الشورى: ١٦.



ذلك يُعَرِّضُ الرَّادَّ وَيَعْرِضُ السَّامِعَ أَيضًا، يُعَرِّضُهُمْ جَمِيعًا لِلتَّزَعُّعِ وَالتَّزَلُّزِ، وَهَذَا لَا يَجُوزُ كَمَا فِي الْمَثَالِ أَنَّ الضَّعِيفَ لَا يَصِحُّ أَنْ يَبَارِزَ الْقَوِيَّ مِنْ فِرْسَانَ الْكُفَّارِ، وَإِنَّمَا يَبَارِزُهُ قِرْنُهُ، وَهَذَا هَذِهِ الشُّبْهَةُ - وَاللَّهُ الْفَضْلُ وَالْمَنْ تَرُدُّ وَتَدْحَضُ، وَهَلْ يُرَدُّ عَلَى كُلِّ شَبْهَةٍ؟ لَا شَكَّ أَنَّهُ لَا يُرَدُّ عَلَى كُلِّ شَبْهَةٍ! إِنَّمَا يُرَدُّ عَلَى الشُّبْهَةِ الَّتِي يُحْتَاجُ إِلَى دَحْضِهَا، أَمَا أَنْ نَبْحَثَ عَنِ الشُّبْهَةِ نَقُولُ: هُنَاكَ شُبْهَةٌ قِيلَتْ فِي الْبَلَدِ الْفُلَانِيِّ؛ وَهَذَا رَدُّهُ! لَا يَصِحُّ هَذَا، لِأَنَّ الشُّبْهَةَ إِذَا كَانَتْ مِيتَةً؛ فَإِنَّهَا لَا يَصِحُّ أَنْ تُجَيَّا حَتَّى يُرَدَّ عَلَيْهَا! لِأَنَّ أَعْظَمَ رَدٍّ عَلَى الْبَاطِلِ أَنْ يُتْرَكَ حَتَّى يَمُوتَ، لَكِنْ إِذَا اجْتَاكَ الْمُسْلِمِينَ فَلَا بُدَّ مِنَ الرَّدِّ عَلَيْهَا، وَإِلَّا مَثَلًا فَبَعْدَ الْحَرْبِ الْعَالِمِيَّةِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ هُنَاكَ مَنَاهِجٌ كَثِيرَةٌ جَدًّا فِي شَرْقِ أَوْرُوبَا وَغَرْبِهَا ظَهَرَتْ وَصَارَ لَهَا أَنْصَارٌ بِالْمِلايينِ ثُمَّ مَاتَتْ وَخَبَّتْ، فَهَذَا الْآنَ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ وَنَقُولُ: إِنَّهُ مِنْ نَحْوِ سَبْعِينَ سَنَةً هُنَاكَ مَنْ يَقُولُ: كَذَا وَكَانَ الرَّدُّ عَلَيْهِ كَذَا، هَذَا غَيْرٌ صَحِيحٌ، لِأَنَّهَا إِذَا مَاتَتْ، كَثِيرٌ مِنَ أَفْكَارِ الْيُونَانِ وَأَفْكَارِ مَنْ بَعْدَهُمْ، وَحَتَّى أَفْكَارِ الْمُعْتَزِلَةِ وَالضَّلَالِ مِنَ الْبَاطِنِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ مِمَّا مَاتَ مِنَ الشُّبْهِ لَا يَصِحُّ أَنْهُ يَجِيءُ حَتَّى يُرَدَّ عَلَيْهِ! يَعْنِي أَعْظَمُ طَرِيقَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَى الْبَاطِلِ الَّذِي مَاتَ أَنْ يُتْرَكَ وَأَنْ لَا يَبْعَثَ مِنْ جَدِيدٍ، وَإِنَّمَا يُرَدُّ عَلَى الْبَاطِلِ الَّذِي يُحْتَاجُ لِلرَّدِّ عَلَيْهِ، فَالْأَمْرُ فِي الْحَقِيقَةِ أَنَّهُ بِحَاجَةٍ إِلَى فِقْهِ وَعِلْمٍ وَإِلَى دِرَايَةِ وَإِلَى تَأْسِيسٍ لِلْإِعْتِقَادِ فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ، وَهُوَ مَا فَعَلَهُ حَرْبٌ رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا سَتَرَى، هُوَ أَسْسٌ لِلْإِعْتِقَادِ وَبَيِّنَ الْحَقِّ ثُمَّ ذَكَرَ الْفِرْقَ الضَّالَّةَ بَعْدَ ذَلِكَ.

طَرِيقَتُنَا فِي الشَّرْحِ بِإِذْنِ اللَّهِ سَتَكُونُ مَفْصَلَةً، لِأَنَّ مَدَّةَ الدَّرْسِ كَافِيَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى لِلتَّفْصِيلِ، فَسَنَأْخُذُ مَسَائِلَ الْإِعْتِقَادِ وَاحِدَةً وَاحِدَةً بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَنَأْخُذُ كَلَامَ حَرْبِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ، سَنَأْخُذُهُ بِالتَّفْصِيلِ وَنَبِيْنَهُ بَعُونَ اللَّهُ تَعَالَى بِشَيْءٍ مِنَ الْإِسْهَابِ وَالتَّطْوِيلِ وَبَيَانِ الْأَدْلَةِ وَتَوْضِيحِ مَا قَدْ يُحْتَاجُ إِلَى تَوْضِيحِهِ لِأَنَّ الرِّسَالَةَ تَحْتَمِلُ التَّفْصِيلَ هَذَا.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ؛ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِشَيْخِنَا وَلِلْحَاضِرِينَ وَالسَّامِعِينَ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

هذه مذاهبُ أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السُّنَّةِ المتمسكين بها؛ المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النَّبِيِّ إلى يومنا هذا، وأدرکتُ مَنْ أدرکتُ من علماء أهل العراق والحجاز والشام وغيرهم عليها.

.....

بدأ رحمه الله تعالى بقوله هنا: قال: "أبو القاسم" أبو القاسم هنا هو الراوي عن حرب رحمه الله تعالى عليه، لهذا قال: حدثنا أبو محمد؛ حرب بن اسماعيل، هل هو أبو القاسم الكرمانى أو الخرقى أو عيسى بن محمد بن سعيد؟ يحتمل هؤلاء جميعاً، يحتمل أنه من هؤلاء جميعاً لأنه قال: قال: أبو القاسم ولم يُبين! وهؤلاء جميعاً ممن تلقوا عن الإمام حرب رحمه الله تعالى.

نَبَّهَ هُنَا إِلَى أَنَّ مَا سَيَسُوقُهُ مِنْ إِعْتِقَادِ هُوَ قَوْلُ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ؛ لِأَنَّهُ قَوْلُ مَجْرَدِ الْمُصَنِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ! لِذَا ذَكَرَهُ مِنْ أَوَّلِ الْكِتَابِ أَنَّ هَذَا الْإِعْتِقَادُ أُمَّةُ السُّنَّةِ فِي أَمْصَارِ الْمُسْلِمِينَ، فِي الْعِرَاقِ فِي الشَّامِ فِي الْحِجَازِ وَغَيْرِهَا مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، وَسَيَعُودُ لِأَحْقَافٍ فِي آخِرِ الرِّسَالَةِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - لِيُنَبِّهَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى أَنَّ هَذَا قَوْلُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَاسْحَاقَ وَغَيْرِهِمَا مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ وَأَنَّ الْمَخَالَفَ فِي هَذَا حَكَمَهُ كَمَا سَيَأْتِي.

فَمَنْ خَالَفَ شَيْئاً مِنْ هَذِهِ الْمَذَاهِبِ أَوْ طَعَنَ فِيهَا أَوْ عَابَ قَائِلَهَا؛ فَهُوَ مُخَالَفٌ مُبْتَدِعٌ خَارِجٌ عَنِ الْجَمَاعَةِ؛
زَائِلٌ عَنِ مَنَهْجِ السُّنَّةِ وَسَبِيلِ الْحَقِّ.

.....

مَرَادُهُ هُنَا بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ أَنَّ هَذَا الْإِعْتِقَادَ الَّذِي سَيَسُوقُهُ هُوَ إِعْتِقَادُ أُمَّةِ السُّنَّةِ، أَرَادَ الْآنَ بَيَانَ ذِكْرِ حَالِ الْمَخَالَفِ، الْمَخَالَفِ لِلْإِعْتِقَادِ - الَّذِي هَذَا وَصَفَهُ مَقُولَ عَنِ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ - مَعْدُودٌ فِي أَهْلِ الْبِدْعِ، وَالْمُبْتَدِعَةِ عَلَى قِسْمَيْنِ، مِنْهُمْ مَنْ بَدَعْتَهُ مَكْفَرَةٌ - أَيْ تَخْرُجُهُ مِنَ الْمِلَّةِ -؛ وَمِنْهُمْ مَنْ بَدَعْتَهُ غَيْرُ مَكْفَرَةٍ - لَا تَخْرُجُهُ مِنْ



الملة - كما سيأتي تفصيل الكلام إن شاء الله تعالى على البدعة ومعناها وأقسامها بإذن الله تعالى في موضعه بالكتاب.

وهو مذهب أحمد واسحاق بن ابراهيم بن مخلد وعبد الله بن الزبير وسعيد بن منصور وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم.

هذا زيادة للتوضيح بذكر أسماء محددة لعلماء السنة، بدأهم بأحمد وهو الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله تعالى عليه، وهكذا اسحاق بن راهويه رحمه الله، وهكذا الحميدي، وسعيد بن منصور، كل هؤلاء من أوعية العلم ومن أئمة السنة رحمة الله تعالى عليهم، فهذا منه مزيد في التوضيح، لأنه ذكر أن هذا قول علماء الإسلام في العراق والشام وغيرها، ثم سمى بعضهم، وذكر أن هذا أيضا قول غيرهم ممن جالس وأخذ عنه وتلقى من أهل العلم.

وكان من قولهم: إنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ ونيةٌ وتمسكٌ بالسُّنَّةِ، والإيمانُ يزيد وينقص، ويستثنى من الإيمان؛ غير ألا يكون الاستثناء شكًا! إنما هي سنة ماضية عند العلماء.

بدأ رحمه الله تعالى بالكلام في موضوع الإيمان، وسنطيل الكلام فيه - إن شاء الله - بعض الشيء، نقول أولاً فيما يتعلق بالإيمان: المسائل الكبرى في الإيمان ثلاث:
المسألة الأولى: حقيقة الإيمان.
المسألة الثانية: أنه يزيد وينقص.
المسألة الثالثة: حكم الاستثناء في الإيمان.

هذه المسائل الكبرى في الإيمان، وهي التي يترتب عليها الكلام الطويل، وتفرقت فيها الفرق بين مرجئة وبين خوارج، والخوارج تأثرت بهم المعتزلة، والمرجئة كما سيأتي إن شاء الله تعالى ألوان وأنواع.



المسألة الأولى التي تضبط الإيمان هي حقيقته، مَنْ عَرَّفَ الإيمانَ التعريفَ الشرعي الصحيح انضبطت عنده بقية المسائل الثلاث، وَمَنْ صار عنده خلل في حقيقة الإيمان؛ فالغالب أنه يوجد عنده خللٌ في بقية المسائل.

قلنا: مسائل الإيمان الكبرى ثلاث، حقيقته وتعريفه - هذه التي عليها المعول والأساس وفيها الخلاف الكبير الجَمِّ بين أهل السُّنَّةِ وبين خصومهم -، المسألة التي تليها وهي مفرعة عنها وهي زيادة الإيمان ونقصانه، والمسألة الثالثة حكم الاستثناء في الإيمان.

بدأ رحمه الله بتعريف الإيمان فقال: الإيمان قول وعمل ونية وتمسك بالسُّنَّةِ، عبارات أهل العلم في تعريف الإيمان تارة تكون جملة كأن يقولوا: الإيمان قول وعمل، فيجملون هكذا، وتارة يفصلون فيقولون: قول باللسان واعتقاد في الجنان - يعني في القلب - وعمل بالأركان، وتارة يقولون - كما ذكر رحمه الله تعالى هنا - قول وعمل، والقول يقصد به هنا قول اللسان، والعمل هو عمل الجوارح وعمل القلب، ونية وهي متعلقة بالقلب، قال: وتمسك بالسُّنَّةِ، يعني حتى يكون على بصيرة، لأنه قد يأتي بالقول ويأتي بالعمل ويأتي بالاعتقاد؛ لكن يكون عنده جهل ضلَّ بسببه عن منهج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسلك على غير منهج السُّنَّةِ.

نأتي الآن بالكلام على حقيقة الإيمان، حقيقة الإيمان أنه قول وعمل، هذا بالإجمال، فإذا قلنا: قول؛ فنقصد أنه قول باللسان ونقصد قول القلب، هل القلب يقول؟ القلب يقول بالاعتقاد القلب، القلب لا يتلفظ بألفاظ كما يتلفظ اللسان، فإذا قالوا: الإيمان قول وعمل؛ فمرادهم بالقول نطق اللسان واعتقاد القلب، وعمل يراد به عمل الجوارح وعمل القلب، هذا عند الإجمال، إذا فصلوا ليتضح المقام قالوا: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، هذا التعريف للإيمان أجمع عليه أهل السُّنَّةِ قاطبة، وحكى الإجماع عليه الإمام أحمد والإمام الشافعي رحمهما الله وغيرهم من أهل العلم، وروى اللالكائي عن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى أنه قال: كان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم - هنا عبارة "من أدركناهم" الذي



أذكره أنه قال: "ومن أدركناه" يعني بعد التابعين - لأن الشافعي رحمه الله تعالى ما أدرك التابعين^(١)، الإجماع من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركناهم أن الإيمان قول وعمل ونية، ثم قال عبارة على جانب كبير من الأهمية "لا يُجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر" فمن اعتقد بقلبه ونطق بلسانه وترك العمل لا يُجزئه هذا^(٢)! لأن أهل السنة ينصون على أن الإيمان حقيقة مركبة من أمور ثلاثة، نطق باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح، بإجماع أهل السنة أن من نطق بلسانه وعمل بجوارحه ولكنه منافق في الداخل ليس عنده اعتقاد؛ بإجماع أهل السنة ومخالفهم أنه لا ينتفع من عمله؛ وأنه ليس من المؤمنين، يعني أنه منافق في الداخل، لكن يعامل في الظاهر بأحكام المسلمين، لكنه عند الله ليس بمؤمن قطعاً لأنه كافر لكنه ينافق المسلمين، فنطق بلسانه وأظهر العمل على جوارحه، ما الذي فقده هذا؟ فقد الاعتقاد، فإذا لو أنه زعم أنه يعتقد وترك نطق اللسان وأبى أن يتشهد شهادة التوحيد - وهو كافر - وزعم أنه من المسلمين وأبى أن يتشهد؟ بالإجماع - كما ذكر شيخ الإسلام - أنه لا ينتفع؛ لأن الإيمان قول واعتقاد وعمل، وإذا كان هذا في القول والاعتقاد؛ فإذا لو قال واعتقد وترك العمل بالكلية؟ عندك الإجماع هنا الذي يحكيه الشافعي رحمه الله عن الصحابة وعن التابعين ومن بعدهم ممن أدركهم أنه لا ينتفع في هذه الحال، لم؟ لأنه يقول: "إن الإيمان قول وعمل ونية" ثم قال رحمه الله: "لا يُجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر"، فكما أن الاعتقاد لو فقد لا ينفعه أن يقول ويعمل في الظاهر! فكذلك إذا ترك العمل نهائياً وأبى أن يعمل فإنه لا ينتفع، ولهذا أيضاً قال الآجري رحمه الله تعالى - صاحب كتاب الشريعة، وهو من أعظم الكتب وأهمها في الاعتقاد - قال: "باب القول بأن الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح، لا يكون مؤمناً إلا بأن تجتمع فيه هذه الخصال الثلاثة"^(٣)، وهكذا الإمام ابن بطة الحنبلي رحمه الله تعالى قال في الإبانة الكبرى: "باب

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في "تقريب التهذيب" (ص: ١٥): (التاسعة: الطبقة الصغرى من أتباع التابعين: كيزيد بن هارون، والشافعي، وأبي داود الطيالسي، وعبد الرزاق).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لللالكائي (١/ ٩٥٧).

(٣) الشريعة للآجري (٢/ ٦١١).



بيان الإيمان وفرضه؛ وأنه تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح والحركات، لا يكون العبد مؤمناً إلا بهذه الثلاث^(١).

وأهل السنة حين يقولون: إن الإيمان قول واعتقاد وعمل؛ فإنه لا يمكن أن يغفلوا العمل! وإلا لو قالوا: إنه قول واعتقاد وعمل؛ ولو ترك العمل نهائياً لكان من المؤمنين! لكان حقيقة قولهم أن الإيمان ماذا؟ قول واعتقاد؛ لأن العمل غير مؤثر، القول إذا ترك صار مؤثراً؛ الاعتقاد إذا ترك صار مؤثراً، العمل لا بد أن يؤثر إذا ترك، وليس المقصود الآن بقولنا: قول واعتقاد وعمل؛ أن يترك عملاً معيناً! كأن يترك على سبيل المثال أداء الزكاة! ليس هذا هو المقصود، لأنه إذا ترك الزكاة فالصحيح أنه من المسلمين، كما دل عليه حديث تعذيب من ترك الزكاة في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وفي آخره قال: «ثم يرى سبيله؛ إما إلى الجنة وإما إلى النار»^(٢) بعد أن يعذب؛ فدل أنه من المسلمين، لكن إذا أبى أن يعمل نهائياً - كما قال شيخ الإسلام رحمه الله - أنه لا يمكن أن يوجد أحد لا يسجد لله سجدة ولا يركع لله ركعة - يعني يمتنع بتاتا عن العمل - يقول: لا يمكن أن يكون هذا من المؤمنين!

فالحاصل أن الإيمان قول وعمل ونية، لا بد من هذه الأمور الثلاثة مجتمعة، وللعلم الإمام الشافعي رحمه الله تعالى ينعى ويعيب من يحكون الإجماع بلا تدقيق ولا تمحيص، فهو من أشد الناس تدقيقاً فيما يحكي من الاتفاق والإجماع، لأنه ثمة أناس يقولون: أجمع الناس على كذا! أجمع أهل العلم على كذا! والأمر بخلاف ذلك؛ ليس محل إجماع، فكان يعيب عليهم هذا، هو الآن يحكي إجماعاً قد علمه وضبطه رحمه الله تعالى من عهد الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم على أن الإيمان قول وعمل ونية؛ ولا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر، وحكى هذا الإجماع عن الشافعي أيضاً شيخ الإسلام في كتاب الإيمان وهو يحكي عن عدد من السلف أنه لا بد أن تكون هذه الثلاثة مجتمعة، فحقيقة الإيمان هي هذه أنه قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان.

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٧٦٠).

(٢) صحيح مسلم (٩٨٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.



المسألة الثانية في الإيمان هي التي قال حرب رحمه الله: "والإيمان يزيد وينقص"، إذا علمنا أن الإيمان قول واعتقاد وعمل؛ فمعنى ذلك أن الإيمان شُعبٌ متعددة كما قال عليه الصلاة والسلام: «فأعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شُعبة من الإيمان»^(١) فأعلاها قول ونطق؛ قول: لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى، وهذا عمل بالجوارح، والحياء شُعبة من الإيمان أمرٌ قلبي، وأصل الحديث أوله «الإيمان بضع وستون شُعبة»، فالإيمان عند أهل السنة شُعب، فالصلاة من شُعب الإيمان، والصيام من شُعب الإيمان، الحياء من شُعب الإيمان، ثم هذه الشُعب تتفاوت، منها شُعب إذا فقدت زال الإيمان بالكلية كشُعبة قول "لا إله إلا الله"، إذا لم يقل الكافر: لا إله إلا الله؛ فإنه لا يكون من المسلمين، وهناك شُعب واجبة وإذا فرط فيها أثم لكن لا يكفر، كشُعبة الزكاة وشُعبة الصيام، وهناك شُعب مستحبة كشُعبة إمطة الأذى عن الطريق، فالإيمان شُعب، المخالفون لأهل السنة في هذا الباب سواء من الخوارج والمعتزلة، والخوارج والمعتزلة يُسمون بالوعيدية، يركزون على نصوص الوعيد، يقصد بالوعيدية أنهم ركزوا على نصوص الوعيد كذكر تعذيب الله تعالى للعصاة ووعيده لهم بالنار والعذاب ونحو ذلك، فالوعيدية هم المعتزلة، وقبلهم الخوارج، ويأتي إن شاء الله ويَسَّرَ لاحقاً وقت نُبِّين لك أن المعتزلة في حقيقتهم خوارج، وكثير من العلمانيين والليبراليين يمدحون المعتزلة ويقولون: إنهم من أصحاب الفكر الحر! ولا يدرون أن المعتزلة خوارج.

يُقابل الوعيدية فرقة المرجئة، ركزوا على نصوص الوعيد^(٢) من كون الله غفوراً رحيمًا وما ورد من الفضائل لأهل الإيمان وسعة رحمة الله تعالى، فنشأت هاتان الفرقتان متقابلتان، فرقة المرجئة وفرقة الوعيدية، هؤلاء أخذوا بجانب من النصوص؛ وهؤلاء أخذوا بجانب من النصوص، منهج أهل السنة والجماعة في جميع مسائل الاعتقاد جمع النصوص كلها، وعدم التركيز على نصوص مع إغفال نصوص أخرى؛ فإن هذا من مناهج أهل الضلال، لأن النصوص كلّها حق، فلا يحل لأحد أن يتشهى ويأخذ من النصوص ما راق له

(١) صحيح البخاري (٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) قول الشارح - حفظه الله - : "نصوص الوعيد" يظهر أنه سبق لسان، ولعل مراده: "نصوص الرحمة والمغفرة" كما هو ظاهر من السياق لمن تأمله.



ويترك ما لا يروق له! هذه طريقة أهل البدع والضلال، ولا يزال هذا إلى الآن موجوداً في الناس، تجد هذا عند كثير من الناس عندنا يسوق مسائل - لعله يأتي إن شاء الله تعالى معنا بعض الأمثلة - عندما يسوق بعض المسائل يركز على نصوص أخرى؛ ويترك نصوصاً فيها بيان الحق! لكنه لا يريد أن يبين هذا الحق؛ وإنما يأخذ من الحق ما هو به ورغب فيه.

الوعيدية والمرجئة معاً قالوا: إنَّ الإيمان شيءٌ واحد، ما هو مرادهم بكونه شيئاً واحداً؟ أنه ليس بشعب، وبالتالي لا يزيد ولا ينقص، قالوا: إنَّ الإيمان شيءٌ واحد؛ إما أن يرتفع كله ولا يبقى عند الإنسان إيمان فيكفر؛ وإما أن يوجد كله؛ فيكون إيمانه كإيمان أهل السموات من الملائكة - جبريل وميكائيل وبقية الملائكة وكإيمان الأنبياء والمرسلين -، لأنَّ الشخص الذي يقول: إنَّ الإيمان شيءٌ واحد معناه عنده إما أن يكون كاملاً؛ حتى قالت المرجئة: إيماننا كإيمان جبريل وميكائيل! - نسأل الله العافية والسلامة -، لم؟ قالوا: لأنَّه شيءٌ واحد، فإيمان أشد الناس عصياناً - في زعمهم - مثل إيمان جبريل وميكائيل! ولهذا من لطيف المحاورات التي وقعت بين أهل السنة وبين المرجئة أن ميمون بن مهران رحمه الله كان يناقش أحدَ المرجئة، وكان يقول في قول المرجئة: "إنَّ إيماننا مثل إيمان جبريل وميكائيل؛ وإنه لا يتفاضل" فبينما هم كذلك إذ سمع ميمون رحمه الله تعالى صوت مغنية تغني، فقال للمرجئ: إيمان هذه مثل إيمان مريم بنت عمران؟ فقام المرجئ من محل المناظرة - كأنه استيقظ -، يقول: هذه الآن مغنية ورفعت صوتها ولم تستح حتى سمع الناس غنائها، أتقول: إنَّ هذه في إيمانها مثل إيمان مريم بنت عمران التي قال الله: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ (١)؟؟ فهذه المقولة بأنَّ الإيمان ليس بشعب! خطيرة للغاية، لماذا خطيرة؟ من جانبيين، أنها أسرع طريقة في تكفير المسلم؛ أن يُقال: إنَّ الإيمان شيءٌ واحد، يعني إنَّ لم يأت بالإيمان كاملاً؛ فإنه يكفر! ومن هنا انفتح أن التفريط في الواجبات - أي واجب من الواجبات أو الوقوع في المعاصي - أن صاحبه يكفر! لأنهم يقولون: إنَّ الإيمان هو فعل الفرائض وترك المحرمات - وهو شيء واحد -؛ فإذا فرط في شيء من الواجبات مثل أن يفرط في برِّ والديه؛ في صلة رحمه وصار عاقاً، يفتح إشكال أنه يكون كافراً! لأنَّ الإيمان في زعمهم واحد، إما أن يوجد كله ويكون كاملاً؛ وإما أن يرتفع، فإذا ارتفع يكفر المرء! المرجئة قالت بنفس المقالة، قالت: إنَّ



الإيمان شيء واحد! إما أن يرتفع كله، وإما أن يبقى؛ فيكون كاملاً كإيمان جبريل وميكائيل، لكنهم أخرجوا العمل - كما سيأتي - وزعموا أن الإيمان هو مجرد ما في القلب؛ وأن اعتقاد الناس واحد من حيث يقين الناس وقوة ورسوخ إيمانهم واحد، يعني يزعمون أن إيماننا كإيمان رسول الله صلى الله عليه وسلم في القوة والرسوخ، يعني يقولون: لو نقص يكفر! لماذا قالوا لا يزيد ولا ينقص؟ لأنه عندهم شيء واحد ليس بشعب متعددة؛ شعب من الأعمال والقول والاعتقاد وأعمال القلوب، بناءً على ذلك قالوا: إما أن يبقى كله وإما أن يرتفع كله، وبه تعرف أن هذه المقالة صارت هي السبب في تكفير الناس، وفي الوقت نفسه - وهذه من عجائب المقالات - وفي الوقت نفسه صارت السبب من جهة المرجئة في تسهيل أمر المعاصي، لأن المقالة باطلة، النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه قال: «الإيمان بضع وستون شعبة»^(١) الشعبة معناها القطعة والجزء؛ فدل على أن الصوم جزء، والصلاة جزء، وإمالة الأذى عن الطريق جزء، وهذه الشعب متفاوتة في أحكامها، فإذا قيل: إن الإيمان جزء واحد؛ فإنه إما أن يرتفع كله، وإما أن يبقى المرء فيه كاملاً.

المعتزلة - وهم من الوعيدية - رجع متأخرهم القاضي عبد الجبار مقولة أبي هاشم وأبي علي من المعتزلة أن الإيمان هو أداء الفرائض وترك النواهي وفعل المستحبات، وهذا إشكال كبير جداً على المعتزلة، لماذا؟ لأنه إذا أدخل فعل المستحبات في حد الإيمان وقال: إن الإيمان شيء واحد؛ معناه أن من ترك المستحب - في مثل هذه الحالة - عند من يقول: إن الإيمان شيء واحد أنه إذا ترك المستحب؛ فإنه يلزمهم أن يقولوا بكفره! وهم لا يقولون بهذا قطعاً، هل المستحبات عند أهل السنة من الإيمان؟ نعم، الإيمان قول واعتقاد وعمل يدخل فيه ترك المعصية لله، يدخل فيه فعل المستحب، يدخل فيه فعل الواجب، لأن الإيمان قول واعتقاد وعمل، لكن أهل السنة يقولون: الإيمان شعب، الذين يقولون الإيمان شيء واحد! يشكل عليهم هذا الأمر، إذا قالوا: إنه شيء واحد يرتفع كله فيكفر الإنسان؛ ويبقى كله فيكون إيمانه مثل إيمان جبريل وميكائيل، ولهذا قال أهل السنة: إنه يزيد وينقص، ولا شك أن الزيادة والنقصان أمر نصت النصوص عليه، والعجب

(١) سبق تخريجه.



من يقول: إنَّ الإيمان لا يزيد - مع قوله تعالى: ﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾^(١) -!! نصوص جلية صريحة في كتاب الله عز وجل بزيادة الإيمان، والنقصان ورد في غير ما أحاديث.

أولاً النقصان أيها الإخوة من أقر بالزيادة يلزمه أن يقرَّ بالنقصان، لأنَّه قبل الزيادة كان ناقصاً ثم زاد، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في النساء: «ما رأيتُ ناقصات عقل ودين أغلبُّ للرجل الحازم من أحداكن»^(٢)، فذكر أنَّه عندهن نقصاناً في الإيمان، وهكذا النصوص التي جاءت عنه عليه الصلاة والسلام في قوله «لا يؤمن أحدكم حتى يجب لأخيه ما يجب لنفسه»^(٣)، إذا جاءت هذه النصوص عند أهل السنة معناها جلي واضح، لا يتطرق منها أي إشكال، "لا يؤمن أحدكم" يعني الإيمان الكامل، لأنَّ الإيمان يزيد وينقص، تُشكل هذه النصوص عند من يقول: إنَّ الإيمان شيء واحد! ثم يأتي هذا الحديث «لا يؤمن أحدكم حتى يجب لأخيه ما يجب لنفسه»^(٤)، كم عدد الذين يجبون لإخوانهم ما يجبون لأنفسهم؟ لا شك أنَّه الأقل، بل أقل الأقل، الصفوة الخُلص من المؤمنين، كَمُلَّ الإيمان، من هو الذي يجب لأخيه نفس ما يجب لنفسه؟ لا شك أنَّهم قليل، ولهذا من رحمة الله تعالى أنَّ الإيمان هنا ينقص ولا يرتفع بالكلية ويزول، لأنه لو قيل بمثل هذا «لا يؤمن أحدكم حتى يجب لأخيه ما يجب لنفسه»^(٥)، من يبقى على وجه الأرض من المسلمين؟ قلة قليلة، فالمقصود هنا "لا يؤمن أحدكم" الإيمان الكامل لأنَّ الإيمان يزيد وينقص، على مقالة هؤلاء "لا يؤمن أحدكم" الإيمان نفي هنا! وهم لا يعلمون إلا أنَّه شيء واحد يرتفع كله أو يبقى كله! فتشكل هذه النصوص عليهم، ولهذا قالت الخوارج: إنَّ من لم يجب لأخيه ما يجب لنفسه؛ وهكذا قوله صلى الله عليه وسلم «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن»^(٦) عند أهل السنة المعنى واضح، يعني "لا يزني الزاني حين يزني" وهو مؤمن الإيمان الكامل؛ إذ لو كَمُلَّ إيمانه لما زنى؛ فإذا ضَعُفَ إيمانه زنى،

(١) المدثر: ٣١.

(٢) صحيح البخاري (٣٠٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً..

(٣) صحيح البخاري (١٣) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) البخاري (٢٤٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.



هذا المعنى، الخوارج قالوا: إذا زنى كفر، إذا سرق كفر، في هذا الحديث المشكل عليهم لا يستطيعون هم أن يطبقوه، فيقال للخوارج قوله صلى الله عليه وسلم «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»: أنتم معاشر الخوارج أصدقوا؛ من منكم يحب لأخيه الخارجي ما يحب لنفسه؟ لا شك أنهم الأقل، فعند ذلك ستكفرون أنفسكم من مذهبكم نفسه، هنا القول بأن الإيمان يزيد وينقص دللت عليه النصوص كما قلنا، وهو الذي يعلمه الإنسان من نفسه، فيعلم من نفسه أنه كان عنده شيء من الضعف أمام بعض المعاصي، تغلبه نفسه؛ ثم إن الله تعالى من عليه بالتقوى فصار لا يعصي، فصارت المعاصي هذه التي كان يلتذ بها صارت أبغض إليه من كل شيء لأجل الله تعالى، ما الذي حصل لهذا الشخص؟ زاد إيمانه قطعاً، وهكذا يحس المرء بزيادة إيمانه في تفاوت أحواله، فتجدك في رمضان في العشر الأخيرة منه على حال من الإقبال على الطاعة أكثر من حالك في معظم أيام السنة، هذا لأن الإيمان زاد عندك، يكون عندك بعض الأحيان شيء من الفتور الذي تسبب في شيء كأن تلفظت بشيء غير مناسب أو عملت عملاً غير مناسب؛ ثم ندمت عليه، تفكرت في نفسك: أنا لم أتلفظ بهذه الكلمة السيئة والقبیحة إلا لضعف إيماني؛ وإلا لو كان إيماني قوياً لما تلفظت مثلاً بهذه الكلمة، كأن تلفظ على والدك أو على أحد من ذوي رحمك أو على أحد من المسلمين بلفظة غير طيبة وغير جيدة؛ لضعف إيمانك صدرت منك هذه اللفظة، ثم لأنك ندمت على ما وقع منك فزاد إيمانك ورجعت ندمت على ما وقع منك واستغفرت ربك، هذا معنى الزيادة والنقصان، والمرء يحس به من نفسه؛ وأنه ليس على حال واحد دائماً، ولهذا تصلي صلاة تكون فيها خاشعاً؛ وتصلي نفس الصلاة في يوم آخر فلا تكاد تضبطها، الصلاة خاشعة كنت أكثر حضوراً وكان قلبك أكثر استحضاراً والإيمان عندك أزيد وأرفع؛ فلأجل ذلك صارت صلاتك خاشعة، فهذه مقامات كثيرة جداً يدركها المرء من نفسه أن إيمانه يزيد وينقص.

المسألة الثالثة: هي الاستثناء في الإيمان - ويأتي الكلام عليها إن شاء الله عز وجل في كلام حرب

الكرماني - .

موضوع الإيمان من حيث المصنفات - لعلنا نذكر بعض المصنفات لطالب العلم -، من أكثر من اعتنى

بموضوع الإيمان الإمام البخاري والإمام مسلم رحمهما الله تعالى، الإمام البخاري رحمه الله تعالى بدأ كتابه



الصحيح بكتاب بدء الوحي، ثم كتاب الإيمان وذكر فيه نحوًا من أربعين بابًا، ذكّر فيه رحمة الله تعالى عليه ما يدل على أن الإيمان قول وعمل، ذكّر فيه ما يدل على أن الإيمان يزيد وينقص، ذكّر فيه ما يدل على أن الزيادة تكون حتى في القلب، ذكّر فيه ما يتعلق بالردّ على مقولة الخوارج بتكفير من وقع منه المعصية؛ فاعتنى به كثيرًا جدًا رحمه الله تعالى وترجم له تراجم في غاية الأهمية.

الإمام مسلم رحمه الله تعالى في المقدمة في صحيحه بدأ بكتاب الإيمان واعتنى عناية بالغة جدًا جدًا بأحاديث الإيمان، فهو من أهم المراجع من جهة النصوص - هو والبخاري - في الدلالة على الإيمان وعلى شروط "لا إله إلا الله" وعلى الزيادة والنقصان وعلى الردّ على المرجئة وعلى الردّ على الخوارج، ومسلم رحمه الله تعالى لا يُيوب؛ يقول: كتاب الإيمان ويسوق النصوص دون تبويب، البخاري رحمه الله تعالى يُيوب؛ فيقول: باب زيادة الإيمان، ويذكر الأدلة من الكتاب والسنة على الزيادة والنقصان في الإيمان وهكذا. صنّف أهل العلم أيضًا مصنفات كثيرة جدًا كأبي عبيد رحمه الله تعالى؛ صنّف في الإيمان، وصنّف فيه عدد من أهل العلم.

أيضًا صنّفوا في كتب العقيدة المسندة، هناك كتبٌ تروي العقيدة تحديدًا، تروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين، وهي على جانب كبير من الأهمية - وسبق أن نوهنا عنها - ككتاب اللالكائي "شرح أصول اعتقاد أهل السنة"، وكتاب الآجري "الشرعية"، وكتاب ابن بطّة "الإبانة الكبرى"، وغيرها من الكتب العديدة التي أفردت لرواية أدلة ونصوص الاعتقاد، فاهتموا جدًا بموضوع الإيمان، واستغرق موضوع الإيمان في هذه الكتب صفحات كثيرة للغاية، ورووا فيه روايات بالمئات من الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة وعن التابعين وعن أئمة الإسلام في مسائل الإيمان عمومًا، في حقيقته - التي تحدثنا عنها - وفي كونه يزيد وينقص، ومسائل الاستثناء في الإيمان الآتي ذكّرها. صنّف شيخ الإسلام رحمه الله تعالى مصنفًا في الإيمان، توسّع فيه جدًا، وناقش فيه مقولات الخوارج ومقولات المرجئة بأنواعها، وهو من أنفع وأفضل ما صنّف في موضوع الإيمان.



فاهتم أهل العلم بموضوع الإيمان لأنَّ ضبطه مهم للغاية، المخالفة في موضوع الإيمان وحقيقته يترتب عليها في بعض الأحيان أن يقول القائل بمقولة المرجئة وهو لا يشعر، أو أن يقول بمقولة الخوارج وهو لا يشعر، فلهذا من المهم جدًا ضبط أمر الإيمان وبيان حقيقته وفق ما قرّر أهل السنة.

لولا التوسع في المسألة وأنَّ الوقت لا يُسعف لتكلمنا أيضًا عن الكفر، لأنَّ عندنا قاعدة عظيمة جدًا في العقيدة: اضبط معنى الإيمان؛ يضبط عندك معنى الكفر، اضبط معنى التوحيد يضبط عندك معنى الشرك " إنَّ أخللت بمعنى الإيمان؛ مباشرة فيختل عندك معنى الكفر، لأنَّ الكفر ضد الإيمان، إنَّ أخللت معنى الإيمان وحقيقته أخللت ولا بُدَّ بمعنى الشرك وحقيقته، فلهذا المرجئة لما خالفوا في أمر الإيمان خالفوا في أمر الكفر، الخوارج لما خالفوا في أمر الإيمان خالفوا في أمر الكفر، أهل السنة لهم منهج راسخ في الإيمان، وهذا المنهج الراسخ هو منهج راسخ في الكفر وحقيقته وبيانه، وهكذا فيما يتعلق بالتوحيد والشرك، لذا من المهم للغاية أن يضبط طالب العلم مثل هذه الغاية، ضبط هذه المسائل على النحو الآتي إن شاء الله عزَّ وجلَّ وتفصيله وتبيينه؛ مما يساعد طالب العلم أن يضبط هذه المسائل؛ وأن يكون على السنة فيها.

إذن قوله رحمه الله "الإيمان قول وعمل ونية وتمسك بالسنة" هذا فيه بيان حقيقة الإيمان، فقوله "وتمسك بالسنة" أي حتى لا يقول ويعمل ويوجد عنده الاعتقاد لكن يعمل على غير بصيرة! ويقع في البدع والضلالات وهو لا يشعر، يظن أنه على صواب! فلا بُدَّ أن يكون على سنة. ثم قال رحمه الله: "الإيمان يزيد وينقص" وفيه التفصيل الذي ذكرناه.

ويُستثنى من الإيمان غير ألا يكون الاستثناء شكًا، إنما هي سنة ماضية عند العلماء، فإذا سُئل الرجل: أمؤمن أنت؟ فإنه يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، أو مؤمن أرجو، ويقول: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله.

.....

هذه مسألة الاستثناء في الإيمان، مسألة الاستثناء في الإيمان هي من المسائل التي خالف فيها المرجئة، لأنَّ المرجئة تقول - كما قلنا -: إنَّ الإيمان شيء واحد، لا يزيد ولا ينقص، مكمل في القلب، إيماننا كإيمان جبريل



وميكائيل! قالوا: فما كان بهذه المثابة فإنه لا يُستثنى فيه، أما الاستثناء في الإيِّان عند أهل السُّنَّة فإنه على التفصيل الآتي:

أما الاستثناء في الإيِّان على سبيل الشكِّ في أصل الإيِّان فهذا لا يحل! لا يوجد عاقل يقول: أنا مؤمن إن شاء الله بمعنى أنا مؤمن في أصل إيماني، يعني أنا من أهل الإسلام إن شاء الله ويمكن أني لست من أهل الإسلام! إلا أن يكون موسوسًا، وهذا يقع لأهل الوسوسة، وهم أناس مساكين نسأل الله لهم أن يرفع عنهم ويشفي مرضانا ومرضى المسلمين، ليسوا من أهل الأقوال! لكن إذا قال المسلم: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى؛ فإنه لا يستثنى في أصل إيمانه، المرجئة تقول: لا يصح أن يستثنى؛ لأنَّ الإيِّان لما كان عندهم مكملًا؛ إيِّان كإيِّان جبريل وميكائيل؛ قالوا على أيِّ أساس أنت تستثنى في أمر هو شيء واحد؟ إما أن يوجد كله وإما أن يرتفع كله؟ أهل السُّنَّة قالوا: نحن نستثنى لاعتبارات، الاستثناء عند أهل السُّنَّة صحيح وحق بالاعتبارات الآتية، وقد تسمى بالمآخذ، يعني مآخذ أهل السُّنَّة في الاستثناء أو الاعتبار الذي نظر إليه أهل السُّنَّة في أمر الاستثناء، فأنت تستثنى؛ فإذا قيل: أنت مؤمن؟ تقول: إن شاء الله، هذا معنى الاستثناء، تقول: إن شاء الله تركًا للتزكية، يعني لا تزكي نفسك، لأنَّ كلمة "مؤمن" تطلق على من؟ تطلق على أبي بكر وعلى عمر وعلى عثمان وعلى المهاجرين وعلى الأنصار كما قال تعالى في المهاجرين والأنصار: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ (١)، فإذا قيل: أنت مؤمن؟ تقول: إن شاء الله - بهذا الاعتبار -، حتى لا تزكي نفسك؛ فتكون كأنك أحد أصحاب النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمن هذا الباب يصح الاستثناء، من باب ترك تزكية النفس هذا الأخذ الأول.

المآخذ الثاني: أن الإيِّان المطلق يشمل فعل جميع ما أمر الله به وترك كل ما نهى الله عنه، فمن ادعى ذلك لنفسه؛ فقد ادعى أمرًا عظيمًا! لذلك يستثنى؛ فيقول: أنا مؤمن إن شاء الله؛ بالنظر إلى أن الإيِّان مطلق وأن تأتي بجميع ما أمر الله تعالى به وأن تكفَّ عن كل ما نهاك الله عنه، فمن يستطيع أن يدعي هذا لنفسه؟ لا يدعي هذا لنفسه عاقل! لأنه من كان بهذه المثابة فهو من أهل الجنة، فالذي يأتي بالإيِّان المطلق يكون من أهل الجنة، فتستثنى بهذا الاعتبار، أنك لما علمت أن الإيِّان المطلق هو فعل جميع ما أمر الله به وترك كل ما

(١) الأنفال: ٧٤.



نهى الله عنه من صغير أو كبير؛ فهذا أمر لا تستطيع أن تدعيه هذا لنفسك، فتقول: أنا مؤمن إن شاء الله - بالنظر إلى أن الإيمان المطلق هو هذا - .

المأخذ الآخر: أن العبرة كما قال عليه الصلاة والسلام: «إنما العمال بالخواتيم»^(١)، فتستثني بالنظر إلى أنك لا تدري على أي شيء تموت وبِمِ يَحْتَمُّ لك؛ فتقول: أنا مؤمن إن شاء الله - بالنظر إلى الخاتمة -، فتسأل الله تعالى أن يُحسن لك الخاتمة، فتقول: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى، لأنَّ الإنسان إنما هو على ما لقي الله عليه، كما قال صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالخواتيم»^(٢)، فلو أنه كان على الإيمان مدة طويلة من حياته ثم - نسأل الله العافية - انتكس ومات على الضلالة؛ فإنه لا ينفعه ما سلف من عمله بعد أن كفر وترك الإيمان، فتستثني بالنظر إلى الخاتمة.

المأخذ الرابع: أنه يصح الاستثناء حتى في الأمر المتحقق منه كما قال تعالى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾^(٣) مع أن الله يعلم أنهم سيدخلونه، وكما في حديث زيارة المقابر في قوله صلى الله عليه وسلم «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»^(٤) وهذا معلوم أن جميع الناس يموتون ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(٥) ومع ذلك قال صلى الله عليه وسلم: «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»^(٦)، وهكذا الرجل في قبره - المؤمن والفاجر - كلاهما يقول له الملك: «وعليه تبعث إن شاء الله»^(٧)، الاستثناء هنا ليس شكًا ولكنه على سبيل التحقيق، فمن أكثر ما ينبغي أن يملك على الاستثناء في الإيمان هو ترك التزكية؛ وأن لا تزكي نفسك، فالمؤمنون حقًا هم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ

(١) صحيح البخاري (٦٦٠٧) عن سهل بن سعد رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) الفتح: ٢٧.

(٤) صحيح مسلم (٩٧٤) من حديث عائشة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٥) الزمر: ٣٠.

(٦) سبق تخريجه.

(٧) صحيح ابن ماجه (٤٢٦٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا. صحيح موارد الظمان (١/ ٣٤٣).



هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴿١﴾ هذه الآية نزلت في المهاجرين وفي الأنصار، مَنْ يدعي هذا لنفسه؛ ويزعم أنه بلغ الكمال؟ فلاجل ذلك يستثني.

قول حرب رحمه الله هنا: "هي سُنَّةٌ ماضية عن العلماء أو عند العلماء - كما في النسخة عندكم -" هذا هو الأمر المعلوم المعروف عند أهل العلم رحمهم الله هو الاستثناء في الإيـان للمأخذ التي ذكرنا.
ثم بيـن المراد بالاستثناء في الإيـان، ما معنى الاستثناء في الإيـان؟ في الفقرة التي بعدها "وإذا سُئِلَ الرَّجُلُ أمؤمن أنت؟ فإنه يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، أو أنا مؤمن أرجو - يعني أرجو إن أكون مؤمناً -، أو إذا قيل له: هل أنت مؤمن؟" كلمة مؤمن كما قلنا يمكن أن تنصرف إلى الإيـان الكامل، أن تقول للأمر الذي هو مؤمن به والذي أنت منه متأكد تقول: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله، هذه تسمى صيغ الاستثناء، هذا المراد بالاستثناء في الإيـان، الاستثناء في الإيـان إذا قيل لك: هل أنت مؤمن؟ تقول: إن شاء الله، هذا الاستثناء في الإيـان، أو تقول: أرجو أن أكون مؤمناً، أو بدلاً من أن تقول له: نعم أو لا؛ تقول له: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله، فهذه هي مسائل الإيـان الكبار التي عادة ما يدور الكلام عليها.

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْإِيْمَانَ قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ؛ فَهُوَ مَرْجِيٌّ.

انتبه الآن إلى العبارات التي سيقولها حرب رحمه الله تعالى، والأحسن أن ترقمها في فقرات؛ فتقول ألف: مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْإِيْمَانَ قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ تقول: ألف، أن الإيـان قول والأعمال شرائع: باء، لأن هذه مقولات المرجئة.

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْإِيْمَانَ قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ فَهُوَ مَرْجِيٌّ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْإِيْمَانَ هُوَ الْقَوْلُ؛ وَالْأَعْمَالُ شَرَائِعُ فَهُوَ مَرْجِيٌّ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْإِيْمَانَ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ فَهُوَ مَرْجِيٌّ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْإِيْمَانَ يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ فَقَدْ قَالَ بِقَوْلِ الْمَرْجِيَّةِ، وَمَنْ لَمْ يَرِ الْإِسْتِثْنَاءَ فِي الْإِيْمَانَ فَهُوَ مَرْجِيٌّ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ إِيْمَانَهُ كِإِيْمَانِ جِبْرِيلَ أَوْ الْمَلَائِكَةِ فَهُوَ

(١) الأنفال: ٧٤.



مرجئ وأحبُّ من المرجئ؛ فهو كاذب، ومَن زعم أنَّ الناس لا يتفاضلون في الإيمان فقد كذب، ومَن زعم أنَّ المعرفة تنفع في القلب وإن لم يتكلم بها فهو جهمي، ومَن زعم أنه مؤمنٌ عند الله مستكمل الإيمان فهذا من أشنع قول المرجئة وأقبحه.

.....

هذه مقولات المرجئة، سنذكر الكلام الآن عن المرجئة والتعريف بها إن شاء الله تعالى.

نحتاج لذكر الكلام عن المرجئة والتعريف بهم وهكذا الخوارج، سيأتي الكلام عليهم في آخر الرسالة إن شاء الله تعالى، سنذكر تعريفاً بالخوارج، لأنَّ الناس اليوم أيها الإخوة صاروا يتقاذفون بوصف من يخالفهم بأوصاف الفرق الضالة! فتسمع الآن بعض طلبة العلم يلقي على آخر أنه من المرجئة! وآخر يقول: هذا من الخوارج! والحقيقة أنَّ هذه من العظائم، الإرجاء بدعة شنيعة قبيحة، ومقولة الخوارج من مقولات الفرق الضالة والبدع الشنيعة، فلا تكن هذه المسألة من المسائل اليسيرة في الألسن؛ بحيث من غضب على أحد قال: أنت من المرجئة! ثم يقابله فيقول: بل أنت من الخوارج! هذا خطر من جهتين:

الجهة الأولى: أنك قد تقذف رجلاً من أهل السنة بهذه البدعة العظيمة من بدع المرجئة أو من بدع الخوارج؛ فمعنى ذلك أنك تخرجه من السنة، هذا الخطر الأول.

الخطر الثاني أيها الإخوة: الناس إذا صاروا يتقاذفون بمثل هذه التهم؛ تصعب هذه التهم أو تسهل؟ تسهل في أذهان الناس، الخطيب الفلاني مرجئ! الخطيب الثاني خارجي! والداعية هذا مرجئ! وذاك خارجي! سهلتم المسألة! فإذا جاء المرجئ ضاع في وسط هذه التهم، وإذا جاء الخارجي الحقيقي ضاع في وسط هذه التهم، فيجب أن يُكفَّ عن إطلاق وصف الإرجاء إلا على من هو بالفعل من المرجئة - كما سيأتي التوصيف الآن -، أما إذا أغضبك موقف من مواقفه فتقول: هذا مرجئ! أو إذا أغضبك موقف معاكس لموقف ذلك فتقول: هذا قول الخوارج! أتدري أن هذا شرعاً من أشد ما يكون في الجناية؟ فلو رُفِعَ لقاض أنك اتهمت أحداً بأنه من الخوارج؛ لأدبك القاضي على ما قلت إلا أن تُثبت أنه من الخوارج، أتدري لماذا؟ لأنَّ الخارجي شرعاً ما حكمه؟ القتل بنص حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «اقتلوهم أينما



لقيتموهم»^(١)، وقال صلى الله عليه وسلم للخوارج: «لَئِنْ أَدْرَكْتَهُمْ لِأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»^(٢)، فإذا قلت لأحد أنه من الخوارج فأنت الآن أشرت بدمه، تشييط بدمه، معناه أنه يستحق القتل! وإذا قال لك: بل أنت المرجى؛ فمعنى ذلك أن هذه المقولة الخطيرة التي سيأتي الآن توصيفها - وهي على درجات أيضًا - معناها أن رجلاً أُخرج من السنَّة إلى الإرجاء، فتضيع بمثل هذه التصرفات، والآن الحقيقة الإنسان يتعجب من هذه الإطلاقات! هذا يدل على أن الناس لا يدرون بخطورة هذه الإطلاقات.

ومثلها أيها الإخوة إطلاق كلمة "علماني"، يأتي شخص مثلاً يطالب بقيادة المرأة للسيارة والاختلاط في التعليم هل هو علماني؟ لا يا أخي، لا تقل: علماني، العلمانية خطيرة جداً، العلمانية في المعاجم الأجنبية تعني: اللاديني، لكن كونه يدعو إلى قول باطل؛ نعم قوله باطل، قيادة المرأة لا تحل، الاختلاط باطل وخطير، لكن لا تطلق أنه علماني! لأنك إذا قلت: إنه علماني؛ تقول: إنه كافر، ثم إن بعض من يقولون لهؤلاء: إنهم علمانيون؛ إذا قيل: هم كفار! قال: أنا لا أكفرهم، سبحان الله، ماذا فعلت؟ أنت الآن كفرته! لأن العلمانية تعني اللادينية، وليس معناها كما في معجم "أكسفورد" الدين والدنيا؛ بل معناها المضادة للدين، فالعلماني معناه اللاديني، فلا تستسهل إطلاق الكلمات هذه، واعرف قبل أن تطلق الكلمة اعرف معناها ومدلولها، قل: هذا قول باطل، هذا القول يؤدي للفتنة في المسلمين، هذه أقوال عفنة سيئة وخطرة وشرها على الأمة كبير، وعلماء الأمة الراسخون أفتوا ببطلان هذا والنصوص والأدلة واضحة في منع هذا، قل في هذا السبيل، وانقل كلام أهل العلم، لكن إطلاق هذه الكلمات على الناس بأنهم علمانيون مرجئة خوارج خطير جداً! إلا إذا وقعت موقعها، إذا وقعت موقعها فنعم، لأن هذا مستحق لهذا الوصف، أما أن يتقاذف الناس فيما بينهم هذه العبارات ويتساهلوا فيها؛ فلا شك أن هذا من الخلل الكبير، ومن دلائل كون من يطلق هذه الألفاظ لا يدري بفداحة وخطورة أن يُخرج رجلاً من السنَّة إلى البدعة؛ وأن يخرج رجلاً حتى لو فسق، فرق بين الكافر والفاسق، حتى لو فسق وطالب بأمر سيء أو حتى ظن وتوهم - ليس من الضرورة أن يكون فاسقاً! -، يعني قد يظن أن النصوص دالة على جواز الاختلاط، لأن ثمة نصوص تدل فعلاً على وجود اختلاط

(١) صحيح البخاري (٣٦١١) من حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) صحيح البخاري (٣٣٤٤) من حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً.



الصحابة والصحابيات، نعم قبل الحجاب، تأتي وتبين له، تقول: هذه النصوص قبل الحجاب، لما نزل الحجاب عام خمس انتهت مثل هذه الأمور، فهذه النصوص كانت في أول الإسلام، كما أنه في أول الإسلام كان الخمر مباحًا، وشرب الخمر من خيار الصحابة منهم المهاجرون والأنصار شربوه، لأن الله لم يجرمه، ولا يمكن أن يأتي أحد يدين الصحابة بأنهم شربوا الخمر قبل أن يجرم، لكن بعد أن حرّمه الله لا تأتي لتستدل بما كان قبل التحريم! يوضح، لأن من الناس من يجهل، فأما المبادرة بإطلاق هذه الكلمة فإنها تدل في الحقيقة على أن الإنسان عنده تهور في الإطلاق، وعنده تعجل، وأنه لا يدري بخطورة الكلمة التي يقول، ومن ذلك إطلاق كلمة الإرجاء.

انظر إلى التوصيف الذي ذكره رحمه الله تعالى عن المرجئة، أولاً قبل أن نذكر توصيفه للمرجئة، قد نطيل في الحقيقة بعض الشيء في موضوع الإيمان؛ لأن موضوع الإيمان هو الذي بدأ به حرب في غاية الأهمية، مهم للغاية، تترتب عليه مسائل، وتترتب عليه أحكام، فلأجل ذلك سنطيل في موضوع الإيمان ونربط هذا بواقع الناس وبيعض الملحوظات التي تكون في محيط المنسويين للسنة.

أولاً: لا بد أن نضبط معنى المرجئة، ما معنى الإرجاء؟ الإرجاء معناه التأخير، كأن تقول: أرجى الموعد من الأسبوع القادم إلى الذي يليه، يعني آخر الموعد من الأسبوع القادم إلى الأسبوع الذي يليه. المرجئة لم سموا بالمرجئة؟ لأنهم أرجأوا العمل عن الإيمان، أرجأوا العمل يعني أخرأوا العمل عن الإيمان، جميع فرق المرجئة تُخرج العمل عن الإيمان، فلأجل ذلك سموا بالمرجئة.

الإرجاء نوعان: هناك نوع مشهور - وهو الذي نتحدث عنه -، وهناك نوع قديم وهو إرجاء - قال به الحسن بن محمد بن الحنفية وندم عليه ندامة بالغة - بإرجاء أمر من وقع من الصحابة رضي الله عنهم وما وقع منهم؛ ما وقع في مسألة الفتنة، إرجاء أمرهم إلى الله، يعني تأخير أمرهم إلى الله تعالى، فقالوا: نتولى أبا بكر وعمر ونرجى يعني نؤخر أمر من بعدهم إلى الله، وهذا مذهب باطل بلا شك، لأنه يجب أن يتولى جميع الصحابة، وجميع الصحابة ممن وقع منهم ما وقع رضي الله عنهم وأرضاهم هم بين مجتهد أصاب وبين مجتهد أخطأ، وعلي وطلحة والزبير وعثمان كلهم مع أبي بكر وعمر في حديث واحد أنهم من أهل الجنة، كيف نرجى أمرهم؟؟ بل نجزم أنهم من أهل الجنة، فهذا الإرجاء غير مشهور، ليس بمشهور هذا الإرجاء، لكن



الإرجاء المشهور هو الذي ساد في الفرق وانتشر، وهو إرجاء العمل، يعني تأخير العمل عن أن يكون من ضمن حقيقة الإيمان، هذا هو الإرجاء المشهور.

الأمر الثاني: لماذا خرج الإرجاء؟ الإرجاء خرج ردة فعل لقول الخوارج، لما وجدت الخوارج - وعندهم هذا التشدد والزيادة والمبالغة - وصاروا على هذا الحد الشديد والطرف البالغ في الغلو؛ قابلتهم فرقة المرجئة، فلما شدد الخوارج في الذنوب سهلت المرجئة في الذنوب، ولما شدد الخوارج في الأعمال سهلت المرجئة في الأعمال، وهذه عندنا في الفرق وجد عدد من الفرق ما هم إلا ردة فعل لفرقة أخرى، فلما خرجت الجهمية ونفت الصفات قابلتهم من؟ المشبهة، فشبهت صفات الله تعالى بصفات الخلق، يعني بالغوا في الإثبات، لأن الجهمية بالغوا في النفي، فمن أسباب نشأة الفرق - لعله يأتي إن شاء الله لاحقاً - أن بعض الفرق ما هي إلا ردة فعل لقول فرقة أخرى، فالإرجاء كما روى عبد الله بن أحمد رحمه الله تعالى في السنة: "إنما خرج بعد فتنة ابن الأشعث"، عبد الرحمن بن الأشعث الكندي خرج على الحجاج وقتله، فلما صار منه ما صار؛ خرجت المرجئة بعد ذلك، ظهر فكر الإرجاء بعد ذلك من باب ردة الفعل لما حصل من ابن الأشعث ومن معه، إذن فالمرجئة ما هي إلا ردة فعل، وهكذا كثير من الفرق تجد أن الفرقة تأخذ بقول ثم تقابلها فرقة أخرى وتأخذ بقول في طرف آخر، فهذا هو سبب أو بداية نشأة الإرجاء، قيل: إن أول من قال بهذه المقولة ذر بن عمر الهمداني، وقيل: غيره، ذر هذا كان ممن خرج مع ابن الأشعث ثم صار مرجئاً، وهذا يحدث في الحقيقة لمن خرج عن السنة - وهذا تلاحظه من بعض الموجودين الآن - تجد أن بعض الناس كان متشدداً متنظعاً كثير النقد لعلماء السنة كالشيخ ابن باز وغيره رحمه الله ثم تجده - نسأل الله العافية - ينتكس انتكاساً شديدة جداً حتى يأخذ بمقولات الفكر الغربي والليبرالي، وهذا حال كثير من هؤلاء، سبحانه الله لم يعرفوا الوسطية في حياتهم أبداً! نشأوا نشأة غلو وزيادة وعجرفة ونقد لأهل العلم وذم لأهل العلم وسب لأهل العلم ووصف لأهل العلم بالمداهين والخونة ونحو ذلك! ثم انتكس - نسأل الله العافية - وترك السنة بالكلية، وأخذ بالفكر الغربي، وصار يطالب بالمطالبات العفنة التي تراها مكتوبة الآن، وتراهم يطالبون بها، وكثير من هؤلاء ما كانوا إلا مجموعة من المتهورين والغلاة الذين هم أقرب إلى فكر الخوارج



ثم انتكسوا - نسأل الله العافية -، هذا يقع في الحقيقة، يقع لكثير من هؤلاء أن يأخذ بطرف ثم يرجع إلى الطرف المقابل، نعوذ بالله من الحور بعد الكور، ونعوذ بالله من زيغ القلوب.

نأتي الآن إلى تفصيل مقولات المرجئة، هل هناك حاجة؟ نعم هناك حاجة، حتى تعرف إذا أطلقت كلمة الإرجاء على أحد من أهل السنة؛ أن تعرف مقاتلك هذه ومدلولها، المرجئة اتفقوا جميعاً - كما قلنا - على إخراج العمل من الإيمان، فالإيمان عندهم لا يدخل فيه العمل، لهذا صاروا أربع طوائف.

الطائفة الأولى: الذين اقتصروا على أن الإيمان أمرٌ قلبي فقط، وهم غلاة المرجئة، وعلى رأسهم الجهم بن صفوان زعيم الجهمية، فقال: إن الإيمان هو المعرفة، من عرف أن الله ربه؛ فهو مؤمن كامل الإيمان، ماذا يكون معنى الكفر عنده؟ قال: يكون الكفر عنده هو الجهل، فمن عرف أن الله هو الرب فهو مؤمن كامل الإيمان! قطعاً يحدث من جراء هذا التعريف شيء خطير جداً وهو أن كفار قريش بنص القرآن يعرفون أن الله ربهم ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(١)، وأهل الكتاب الذين كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونه بنص القرآن قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾^(٢) فحصلت المعرفة، بل إبليس يعرف أن الله ربه ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾^(٣)، ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾^(٤)، قال أهل العلم لجهم بن صفوان: على تعريفك هذا يا شقي يدخل في الإيمان كل أحد حتى إبليس - نسأل الله العافية -، ولما كان من المرجئة من يقول: إن الإيمان شيء واحد كامل مثل إيمان جبريل وميكائيل؛ ساوى - والعياذ بالله - بين إيمان إبليس - على مقولته - وبين إيمان جبريل وميكائيل، فهذا أفضح وأقبح مذاهب المرجئة، وهم غلاة المرجئة الذين يجعلون الإيمان أمراً قلبياً دون نطق لسان ودون عمل جوارح ودون عمل قلب حتى! مجرد أن يعرف أن الله ربه فهو مؤمن.

تفرع من قول الجهم بن صفوان قولٌ حاول أصحابه أن يخففوا - يعني هذه مقولة خطيرة جداً - حاولوا أن يخففوا فقالوا: إن الإيمان ليس هو مجرد المعرفة بل هو التصديق، أن يصدق القلب، فإذا صدق القلب؛

(١) الزخرف: ٨٧.

(٢) البقرة: ١٤٦.

(٣) الحجر: ٣٩.

(٤) ص: ٨٢.



حصل في هذه الحالة الإيمان، وتحقق المطلوب، وصار المرء في إيمانه هذا مثل جبريل وميكائيل في إيمانهم - نسأل الله العافية -، قالوا: فالتناس والملائكة جميعاً في إيمانهم شيء واحد، هذه المقولة مقولة من يجعل مدار الإيمان مرتبطاً بالقلب وحده، مقولة الجهم أنه هو المعرفة، وتفرع عنها مقولة من قال إنه التصديق - وهي مقولة تقترب من مقولة الجهم في المعرفة -، من يقول بهذا القول؟ يقول بهذا القول الآن الأشعرية والماتريدية، هم على هذا القول، وكلامهم هذا منتشر - جداً، وينصرونه، ويزعمون أنه هو الصواب، ويخرجون نطق اللسان وعمل الجوارح، إذن هذا الاتجاه الأول ممن يقول بقول المرجئة، من يجعل الإيمان أمراً قلبياً فقط - سواء عبر عنه أنه هو المعرفة أو أنه التصديق -.

القول الثاني: وهو قول مهجور، ولعله لا يوجد أحد يقول به، وهو قول الكرامية - محمد بن كرام - قال: إن الإيمان هو نطق اللسان فقط دون عمل الجوارح ودون اعتقاد القلب! هذا قول مهجور وقول باطل، مجرد نطقه والتكلم يكفي لتصور فساده.

القول الثالث - وهو القديم -: وهو قول من يسمون بمرجئة الفقهاء، وهم يقولون: إن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب! وبالتالي يترتب على هذه المقالة أن العمل خارج الإيمان، لكن قالوا: لا يكون مؤمناً إلا إذا نطق باللسان، ما الفرق بين هذا القول وقول من حصر الإيمان في القلب - سواء بالمعرفة أو التصديق -؟ أن مرجئة الفقهاء وهم كانوا في العراق من أهل الكوفة بدءاً من حماد بن أبي سليمان - عفا الله عنه - ومن قال بمقولته لأنه كان عندهم فقه فمرت هذه المقولة فيهم - وسيأتي الكلام إن شاء الله تعالى عليه مفصلاً في موضعه بإذن الله تعالى -، قالوا: إنه لو زعم إنه مؤمن وأبى أن ينطق؛ فإنه يكون كافراً، لا بد أن ينطق بلسانه، والعمل؟ قالوا: العمل ليس داخلياً في حد الإيمان، لكن لا بد من العمل، وصاحب الكبيرة داخل تحت الوعيد، ونفس مرجئة الفقهاء من أكثر الناس عملاً - يعني أهل عبادة وصلاح وتقوى - لكن مضت عليهم - والعياذ بالله - هذه الشبهة، فهذه أقوال المرجئة، منهم من يقول: إن الإيمان محصور في القلب، تارة يقولون: إنه مجرد المعرفة؛ أن يعرف أن الله ربه، وتارة يقولون - وهو القول الثاني - وإن شئت قلت: إن أمر القلب واحد مفرع إلى أمرين، من يقول: إن الإيمان هو التصديق، هذه طريقة الأشعرية والماتريدية، وابن كرام الذي يقول: إنه مجرد النطق باللسان، والمرجئة - مرجئة الفقهاء - يقولون: هو نطق



اللسان واعتقاد القلب، وبالتالي أجمعت المرجئة بطوائفها كلها على أن العمل خارج الإيمان، وهذا الذي نقل السلف الإجماع على خلاف قولهم؛ وأن من قال بمثل هذه المقولة فإنه من المرجئة.

حَرْبٌ رحمه الله تعالى هنا يقول: "من زعم أن الإيمان قول بلا عمل فهو مرجئ" هذا وصف من يزعمون أن الإيمان مجرد أن تقول دون أن تعمل، يعني الذين أخرجوا العمل هؤلاء من المرجئة، ومن زعم أن الإيمان هو القول يعني حد الإيمان الذي يصح به هو أن يقول فقط! والأعمال؟ يقول: لا تدخل في حقيقة الإيمان لكنها شرائع، لا أسهل من أمرها لكن الإيمان لا علاقة بهذه الأعمال! وثمة خبر لطيف للغاية رواه أبو نعيم في الحلية بين الشافعي رحمه الله تعالى وبين المرجئة، جاء هذا المرجئ للشافعي رحمه الله وقال: أنا أقول: إن الإيمان قول والأعمال شرائع، يعني أن الإيمان يكمل بمجرد أن تنطق، قال: وما دليلك؟ قال: إن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا﴾^(١) فغاير بين العمل وبين الإيمان، الإيمان هو القول والأعمال شرائع، يعني ماذا يريد أن يقول المرجئ؟ يقول: إن عطف العمل على الإيمان يدل على أن العمل خارج حد الإيمان لأن الله قال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ انتهى، ثم ذكر شيئاً آخر هو العمل فقال: ﴿وَعَمِلُوا﴾، فقال الشافعي رحمه الله تعالى: فإذا كنت تعبد ربين؛ رباً بالمشرق ورباً بالمغرب يعني أن الله يقول: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾^(٢)، فقال: سبحان الله! جعلتني وثنيًا؟ قال: أنت جعلت نفسك وثنيًا بقولك إن الواو فصل! فالله تعالى ذكر ربوبيته للمشرقين وربوبيته للمغربين؛ فإذا قلت: إن الواو ما قبلها مغاير لما بعدها على سبيل المباينة؛ وأن ما قبل الواو مباين تمامًا لما بعدها؛ فمعنى ذلك أن للمشرقين رباً للمغربين رباً! فقال: سبحان الله! جعلتني وثنيًا؟ قال: أنت جعلت نفسك وثنيًا بقولك هذا في الواو، فاستغفر الرجل وقال: لا أقول بعدها إن الأعمال شرائع؛ بل الإيمان قول وعمل، وهذه الشبهة التي أتت المرجئة في العطف هنا قالوا: إن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا﴾^(٣) ذكر الله إيماناً وعطف عليه العمل قالوا: فالعمل خارج الإيمان، وهذا التوصيف بهذه الطريقة باطل بلا شك، لأن العطف يفيد المغايرة، لكن المغايرة على أربع مراتب - كما

(١) البقرة: ٢٧٧.

(٢) الرحمن: ١٧.

(٣) البقرة: ٢٧٧.



ذكر شارح الطحاوية -، تارة تعني المبينة كقوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾^(١) قطعاً هنا مبينة، التوراة غير الإنجيل، ﴿السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢) السماء غير الأرض، هنا العطف يفيد المغايرة التي تعني المبينة هذه الدرجة الأولى، الدرجة الثانية: عطفُ بعض الشيء عليه: مثل قوله تبارك وتعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَيَّ الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾^(٣) الصلاة الوسطى هي العصر، هنا الصلاة الوسطى أليست من الصلوات؟ بلى، فعطفت على بعض المذكور وهو الصلاة، فالصلاة الوسطى من ضمن الصلوات، وتارة يأتي العطف لعطف الشيء على نفسه لاختلاف الصفتين مثل المثال الذي ذكره الشافعي ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾^(٤) رب المشرقين هو رب المغربين سبحانه وتعالى، العطف هنا لماذا؟ لاختلاف الصفتين، فربوبيته للمغرب وهنا ربوبيه للمشرق، وهكذا قوله تبارك وتعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾^(٥) مَنْ هو غافر الذنب؟ الله رب العالمين، مَنْ هو قابل التوب؟ رب العالمين، هو الله، فلماذا عطفَ قوله "قابل التوب" على "غافر الذنب"؟ لاختلاف الصفتين، صفة الغفران غير صفة قبول التوب، والله عزَّ وجلَّ هو الذي يغفر الذنب وهو الذي يقبل التوب، فهنا ليس هذا من عطف الشيء على سبيل المغايرة؛ قبلها يغاير ما بعدها! وإنما عطفُ الشيء على نفسه لاختلاف الصفتين، ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ فغافر الذنب هو الله وقابل التوب هو الله عزَّ وجلَّ، هنا قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لا يعني أن العمل خارج الإيمان لأن المغايرة على المراتب التي ذكرنا، فجاءت المرجئة الشبهة من هذا الباب، والنصوص جلية ودالة على أن العمل من الإيمان، والأدلة على هذا كثيرة، أفردنا البخاري رحمه الله تعالى في الصحيح وترجم عليها مثل قوله صلى الله عليه وسلم «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا»^(٦)، صيام رمضان عمل، وهكذا مَنْ قام ليلة القدر إيماناً، القيام عمل، وهكذا الآية العظيمة في كتاب الله تعالى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ

(١) آل عمران: ٣.

(٢) البقرة: ١٦٤.

(٣) البقرة: ٢٣٨.

(٤) الرحمن: ١٧.

(٥) غافر: ٣.

(٦) صحيح البخاري (٣٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.



إِيمَانَكُمْ^(١) ما المقصود بالإيمان هنا؟ الصلاة إلى بيت المقدس، لأنه بعد أن صُرفت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة تساءل الصحابة رضي الله عنهم عن صلاتهم قبل أن تُصرف القبلة ومات أناس من الصحابة وهم يصلون إلى بيت المقدس؛ فقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ﴾^(٢) يعني صلاتكم إلى بيت المقدس، فسمى الله تعالى الصلاة - وهي عمل - سَمَاءَ إِيْمَانًا، فكيف يقال: إنَّ العمل لا يكون من الإيمان؟؟ الحاصل أنَّ العمل دلت النصوص الجليلة في كتاب الله وسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أَنَّهُ مِنَ الْإِيْمَانِ، وَرَدُّ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى تَجَدُّهُ فِي تَرْجُمَتِهِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِ الْحَلِيَّةِ^(٣)، وَهُوَ رَدُّ نَفِيسٍ دَالٌّ عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءَ لَا يَفْقَهُونَ خَطُورَةَ مَا يَتَرْتَبُ عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ الْعَمَلَ مَعْطُوفٌ عَلَى الْإِيْمَانِ لِلْمَغَايِرَةِ، لَا يَدْرُونَ بِخَطُورَتِهِ فِي مَوَاضِعٍ أُخْرَى مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾^(٤) لَوْ قُلْتَ: إِنَّ مَا قَبْلَهَا مُخَالَفٌ تَمَامًا لِمَا بَعْدَهَا؛ لَكَانَ مَعْنَى ذَلِكَ إِنَّ هُنَاكَ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَهُنَاكَ رَبًّا يَقْبَلُ التَّوْبَ! وَهَكَذَا رِبُوبِيَّةُ الْمَشْرِقِيِّينَ وَالْمَغْرِبِيِّينَ! إِلَى آخِرِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ، الْمَقْصُودُ أَنَّ هَذَا مِنْ مَقَالَاتِ الْمَرْجئةِ.

"وإن زعم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص فهو مرجئ" نفس الشيء، لأنَّ المرجئة كما شرحنا يقولون: إنه لا يزيد ولا ينقص.

"ومن قال: إنَّ الإيمان يزيد ولا ينقص؛ فقد قال بقول المرجئة" هذه المسألة هل الإيمان يزيد وينقص؟ قلنا: هي قول أهل السُّنَّةِ، بعض أهل العلم قال: أقول: إنَّ الإيمان يزيد لورود النصوص الدالة على زيادة الإيمان ﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾^(٥) ﴿زَادَهُمْ هُدًى﴾^(٦) يقول: هناك أدلة نصت على الزيادة، قال: أما النقص فأنا لا أقول ينقص، وأقتصر على النقص، هؤلاء ليسوا من المرجئة قطعًا، لكنَّ الواقع أنَّ النصوص أتت بذكر النقص، كما في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للنساء كما تقدم «ما رأيت ناقصات عقلٍ ودين»^(٧) ليس

(١) البقرة: ١٤٣.

(٢) البقرة: ١٤٣.

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ١١٠).

(٤) غافر: ٣.

(٥) المدثر: ٣١.

(٦) محمد: ١٧.

(٧) سبق تخرجه.



المقصود أنهم يكفرون! وإنما ينقص إيمانهم، هذا المعنى، وهكذا كما ذكرنا في النصوص التي ورد فيها نقص الإيمان كما في قوله صلى الله عليه وسلم «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(١)، «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه»^(٢)، هذا الحديث صحيح، يقول: لا بد أن تحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب من نفسك، وهذا مقام كثير من الناس يقول: أنا أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم من نفسي، لكن تحقيقه وكونه واقعاً لا شك أنه في القلة، فإذا يكون معنى النفي هنا؟ يكون معناه نقص الإيمان، فالأدلة في النقص لا شك أنها كثيرة، ومنها الأدلة الكثيرة في إخراج من في قلبه مثقال ذرة من إيمان، مثقال شعيرة من إيمان ممن يدخلون النار «أخرجوا من النار من قال: "لا إله إلا الله" وكان في قلبه ما يزن مثقال ذرة، أخرجوا من النار من قال "لا إله إلا الله" وكان في قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان»^(٣)، هذا كله يدل على النقص، أن الإيمان ينقص حتى يكون أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة، شيء قليل جداً، هل يقال: إن هذا مثل إيمان الصحابة والتابعين فضلاً عن إيمان رسول الله صلى الله عليه وسلم! لا شك أن هذا لا يعقل، على كل حال من قال بهذا من أهل العلم لا شك أنه غير صحيح، لأن الإيمان يزيد وينقص، والنصوص دالة على الزيادة وعلى النقصان معاً، حملة على هذا أنه يقول: لم أفق على نص يدل على النقص! لكن يقال: وقف عليه غيرك من أهل العلم.

قال: "ومن لم ير الاستثناء في الإيمان يعني مطلقاً، بأي اعتبار؟ على الاعتبار الذي ذكرنا "فهو مرجئ" لأن المرجئ قلنا: إنه يقول: إن الإيمان شيء واحد يرتفع كله أو يبقى كله. "ومن زعم أن إيمانه كإيمان جبريل والملائكة فهو مرجئ وأخبث من المرجئة فهو كاذب" لأن الذي يزعم أنه قد بلغ حداً من الإيمان مثل إيمان الملائكة الذين قال الله عنهم: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٤) قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾^(١) يزعم أن الإيمان في قلبه كإيمان الملائكة الملائكة لا شك أن هذا كاذب؛ وأن هذه مقولات المرجئة.

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح. مسند أحمد (١٨٠٤٧) من حديث زهرة بن معبد عن جده مرفوعاً. وصححه الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند.

(٣) صحيح البخاري (٢٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً بنحوه.

(٤) التحريم: ٦.



"وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمَعْرِفَةَ تَنْفَعُ فِي الْقَلْبِ وَإِنْ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهَا" وهذه مقولة الجهم بن صفوان - كما قلنا - يقول: إِنَّ الْمَعْرِفَةَ تَنْفَعُ! وهكذا قال به أيضًا غيره مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَلَا سِيَّامَا مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ قَالُوا: إِنَّ الْإِيمَانَ الْمَعْوَلُ فِيهِ عَلَى الْمَعْرِفَةِ وَإِنْ لَمْ يَنْطِقْ بِلِسَانِهِ! فِهَذَا أَيْضًا مِنَ الْمُرْجئةِ.

"وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ عِنْدَ اللَّهِ مُسْتَكْمِلُ الْإِيمَانِ" يعني أنه قد أتى بالإيمان على أكمل درجاته؛ مِنَ الْإِتْيَانِ بِجَمِيعِ مَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَالْكَفَّ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ؛ فِهَذَا مِنْ أَشْنَعِ قَوْلِ الْمُرْجئةِ وَأَقْبَحِهِ.

وَالْقَدَرُ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ، وَقَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ، وَظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ، وَحَلْوُهُ وَمُرُّهُ، وَمُحِبُّوهُ وَمُكَرِّهُهُ، وَحَسَنُهُ وَسَيِّئُهُ، وَأَوْلَاهُ وَآخِرُهُ؛ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَضَاءُ قَضَائِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَقَدَرٌ قَدَرُهُ عَلَيْهِمْ، لَا يَعْدُو أَحَدٌ مِنْهُمْ مَشِيئَةَ اللَّهِ، وَلَا يَجَاوِزُ قَضَاءَهُ، بَلْ هُمْ كُلُّهُمْ صَائِرُونَ إِلَى مَا خَلَقَهُمْ لَهُ؛ وَاقْعُونَ فِيهَا قَدَرٌ عَلَيْهِمْ لَا مَحَالَةَ، وَهُوَ عَدْلٌ مِنْهُ جَلَّ رَبُّنَا وَعَزَّ.

وَالزُّنَا وَالسَّرِقَةُ وَشُرْبُ الْخَمْرِ وَقَتْلُ النَّفْسِ وَأَكْلُ الْمَالِ الْحَرَامِ وَالشُّرْكُ بِاللَّهِ وَالذُّنُوبُ وَالْمَعَاصِي؛ كُلُّهَا بِقَضَاءِ وَقَدَرٍ مِنَ اللَّهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ؛ بَلْ لِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ عَلَى خَلْقِهِ ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (٢).

وَعِلْمُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَاضٍ فِي خَلْقِهِ بِمَشِيئَتِهِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ عَلِمَ مِنْ إبْلِيسَ وَمِنْ غَيْرِهِ - مَنْ عَصَاهُ مِنْ لَدُنْ أَنْ عَصَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ - الْمَعْصِيَةَ وَخَلَقَهُمْ لَهَا، وَعَلِمَ الطَّاعَةَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا، فَكُلُّ يَعْزَلُ لِمَا خُلِقَ لَهُ وَصَائِرُ إِلَى مَا قُضِيَ عَلَيْهِ وَعُلِمَ مِنْهُ، لَا يَعْدُو أَحَدٌ مِنْهُمْ قَدَرَ اللَّهِ وَمَشِيئَتَهُ، وَاللَّهُ فَعَالٌ لِمَا يَرِيدُ.

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شَاءَ لِعِبَادِهِ الَّذِينَ عَصَوْهُ الْخَيْرَ وَالطَّاعَةَ؛ وَأَنَّ الْعِبَادَ شَاءُوا لِأَنْفُسِهِمُ الشَّرَّ وَالْمَعْصِيَةَ؛ فَعَمَلُوا عَلَى مَشِيئَتِهِمْ! فَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ مَشِيئَةَ الْعِبَادِ أَغْلَبُ مِنَ مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَيُّ افْتِرَاءٍ عَلَى اللَّهِ أَكْبَرَ مِنْ هَذَا؟؟

(١) الْأَنْبِيَاءُ: ٢٠.

(٢) الْأَنْبِيَاءُ: ٢٣.



وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْخَلْقِ صَاطِرٌ إِلَى غَيْرِ مَا خُلِقَ لَهُ؛ فَقَدْ أَنْفَى قُدْرَةَ اللَّهِ عَنْ خَلْقِهِ، وَهَذَا إِفْكٌ عَلَى اللَّهِ
وَكَذِبٌ عَلَيْهِ.

.....

تكلم بعد ذلك عن باب عظيم وهو باب القَدَر، والقَدَر ركن من أركان الإيمان كما ثبت عن النَّبِيِّ صَلَّى
الله عليه وسلم لما سأله جبريل ما الإيمان؟ قال: «أَنْ تُوْمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُوْمَنَ
بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»^(١) وفي لفظ «مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»، الكلام في القَدَر نُحِبُّ أَنْ نَرْتَبَهُ لِلطَّالِبِ، أَوَّلًا
الكلام فيه، ثم نشرح كلام الإمام حرب رحمه الله، فأول ما نبدأ به عادة في موضوع القَدَر أن نقول: أقسام
النصوص الواردة في القَدَر ثلاثة أقسام، اضبطها ينضبط عندك بقية الكلام بإذن الله تعالى.

القسم الأول: إثبات ما يتعلق بالرب سبحانه وتعالى.

القسم الثاني: إثبات ما يتعلق بالعبد.

القسم الثالث: النصوص الناهية عن الخوض والجدال الباطل في القَدَر.

هذه أقسام النصوص في العموم، نأتي إلى القسم الأول: إثبات ما يتعلق بالرب في القَدَر يكون بإثبات
أمور أربعة، وهي المسماة بمراتب القَدَر الأربع:

١- أَنْ اللَّهَ عَلِمَ كُلَّ شَيْءٍ جَمَلَةً وَتَفْصِيلًا.

٢- أَنْ اللَّهَ كَتَبَ ذَلِكَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

٣- أَنَّهُ لَا يَكُونُ شَيْءٌ وَلَا يَقَعُ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ.

٤- أَنْ اللَّهَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ؛ فَلَا خَالِقَ سِوَاهُ.

هذا القسم الأول: إثبات ما يتعلق بالرب، أَنْ اللَّهَ عَلِمَ كُلَّ شَيْءٍ جَمَلَةً وَتَفْصِيلًا، حَتَّى عَلِمَ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى مَا يَخْطُرُ فِي الْقُلُوبِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، حَتَّى قَالَ عَزَّ اسْمُهُ: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ
وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ﴾ يعني ورقة من ورق الأشجار، وكم في ملكوت الله من
ملايين الأشجار منذ أَنْ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْخَلَائِقَ ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ﴾ يعني من هذه الأشجار ﴿وَمَا تَسْقُطُ

(١) صحيح مسلم (٨).



مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ^(١)، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ^(٢)، فالله تعالى قد عَلِمَ الأشياء كلها قبل أن تقع، فعَلِمَ ما كان - سبحانه وتعالى -، وَعَلِمَ ما سيكون، بل وَعَلِمَ ما لم يكن لو أنه كان كيف يكون، هذا الأمر الأول إثبات ما يتعلق بالرب سبحانه وتعالى؛ أنه سبحانه وتعالى عَلِمَ كل شيء جملة وتفصيلاً.

الثاني: أن الله كَتَبَ ذلك في اللوح المحفوظ، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ^(٣) الذِّكْرُ هو اللوح المحفوظ ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ^(٤)﴾، وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ^(٥)﴾، فكتب تعالى في اللوح المحفوظ كل شيء حتى التفاصيل، يعني أخذك للماء وشربه والمقدار الذي ستأخذه كله في اللوح المحفوظ، فلا تقع تحريكة ولا تسكينة إلا وقد قدرها الله تبارك وتعالى وعلمها وكتبها سبحانه وتعالى في الإمام المبين، هذا أمرٌ عظيم هائل كبير، ولهذا ماذا تلاحظ في النصوص بعد أن يذكر الله تعالى أمر القدر ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ^(٦)﴾ في قوله عز وجل: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا^(٧)﴾ هذا أمرٌ عجيب جداً، أي شيء موجود؟ ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ^(٨)﴾ (٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ^(٩)﴾، يعني أن هذا الأمر العظيم الهائل هو يسير على الله سبحانه وتعالى، كما أنه تبارك وتعالى يبعث الخلائق سبحانه وتعالى ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ^(١٠)﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ^(١١)﴾، هذه الأعداد التي لا يحصيها إلا الله أمرٌ بعثهم على الله يسير ﴿وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ^(١٢)﴾ (٩) سبحانه وتعالى، وكما أنه تبارك وتعالى يرفع إليه العباد في الدعوات باللغات المتعددة والحاجات المختلفة في

(١) الأنعام: ٥٩.

(٢) يونس: ٦١.

(٣) الأنبياء: ١٠٥.

(٤) يس: ١٢.

(٥) الحديد: ٢٢.

(٦) الحديد: ٢٢.

(٧) الحديد: ٢٢، ٢٣.

(٨) النازعات: ١٣، ١٤.

(٩) التغابن: ٧.



وقت واحدة فلا يشغله سبحانه وتعالى دعوة هذا عن دعوة هذا وكلمهم يدعو في وقت واحد؛
فذلك عليه تعالى يسير، لأنَّ صفات الله تعالى لا تقاس بصفات المخلوق، به تعلم أنَّ الله تعالى عَلِمَ الأشياء
كلها على الإجمال والتفصيل، وكتب الأشياء كلها سبحانه وتعالى في اللوح المحفوظ.

الأمر الثالث: أنه ما يقع شيء مهمل يَكُنْ مِنْ أَمْرٍ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ؛ مِنْ حَلْوٍ أَوْ مَرٍّ؛
مِنْ حَسَنٍ أَوْ سَيِّئٍ؛ كُلُّهُ قَدْ شَاءَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَهَلِ اللَّهُ يَشَاءُ الْخَيْرَ؟ نَعَمْ، هَلِ قَدَّرَ اللَّهُ الشَّرَّ؟ أَيْ وَاللَّهِ قَدَّرَهُ،
إِذَنْ مَنْ قَدَّرَهُ؟ قَدَّرَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لِمَاذَا قَدَّرَهُ؟ لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ، فَهُوَ لَا يُقَدِّرُ الشَّرَّ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِلَا
حِكْمَةٍ، بَلِ يُقَدِّرُهُ لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ، وَنَعْطِيكَ الْمَثَالَ مِنْ سِيرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي مَوْقِعَةِ بَدْرٍ حَصَلَ
الْخَيْرُ الْعَظِيمُ وَالْفَتْحُ الْمُبِينُ وَانْتَصَرَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْكُفَّارِ، مَنْ قَدَّرَ النَّصْرَ؟ رَبُّ الْعَالَمِينَ، فِي مَوْقِعَةِ أَحَدٍ
حَصَلَ مَا سَمَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْمُصِيبَةِ قَالَ: ﴿أَوَلَمَّْا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ يَعْنِي فِي
أَحَدٍ فَقَتَلَ مِنْكُمْ سَبْعِينَ، قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا يَعْنِي فِي بَدْرٍ قَدْ قَتَلْتُمْ مِنَ الْكُفَّارِ سَبْعِينَ وَأَسْرْتُمْ سَبْعِينَ، ﴿أَوَلَمَّْا
أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾ يَعْنِي كَيْفَ يَكُونُ هَذَا؟ وَنَحْنُ مُسْلِمُونَ وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! كَيْفَ يَقَعُ هَذَا؟ أَنْ نُغَلَبَ عَلَى يَدِ الْمُشْرِكِينَ! قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا؟ ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١)، مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ يَعْنِي أَنْتُمْ السَّبَبُ فِيهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ
مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾^(٢)، ﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ يَعْنِي بِسَبَبِكُمْ، بِمِ
بِمَ خَتَمَ اللَّهُ الْآيَةَ؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣)، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ
اللَّهِ﴾^(٤) هُوَ الَّذِي قَدَّرَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مَا الَّذِي حَصَلَ فِي أَحَدٍ؟ حَصَلَ فِي أَحَدٍ أَنْ عُصِيَ - أَمْرٌ وَاحِدٌ مِنْ
أَوْامِرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا عُصِيَ أَمْرٌ وَاحِدٌ وَهُوَ أَنَّ الرَّمَاةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَعَفَا عَنْهُمْ
جَاوَزُوا الْمَكَانَ الَّذِي حَدَّدَهُ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ لَهُمْ: ﴿لَا تَبْرَحُوا حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيْكُمْ، إِنَّ

(١) آل عمران: ١٦٥.

(٢) الشورى: ٣٠.

(٣) آل عمران: ١٦٥.

(٤) آل عمران: ١٦٦.

رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلَا تُعِينُونَا»^(١) نص واضح، لا تتجاوزوا المكان، لأنَّ جبل الرماة خشبي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي الكفار من جهته، بدأت المعركة هُزم المشركون في أحد كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾^(٢) كم معصية؟ واحدة، وفيهم الرسول صلى الله عليه وسلم، طبعاً الرسول صلى الله عليه وسلم قطعاً صلوات الله وسلامه عليه يقيناً وجزماً ما حصل منه ولا من أكثر الصحابة شيء من المخالفات، إننا وقع هذا من الرماة فقط رضي الله عنهم وعفا عنهم وقد تأولوا، قالوا: إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم طلب منا أن نبقى في هذا المكان وقت القتال؛ أما الآن العدو فرَّ، المعركة انتهت، لا يريدنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نبقى في هذا الموضع إلى قيام الساعة! يريد أن نبقى في وقت الحرب مع قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تبرحوا حتى أبعث إليكم» فرجع الكفار من جهة الجبل وحصلت المصيبة التي قال الله تعالى، ما الفائدة من تقدير هذا الأمر؟ الفائدة باقية في الأمة إلى قيام الساعة: أن المعاصي هي سبب تسليط الكفار؛ وأنَّ إشكال الأمة ليس راجعاً إلى أن ليس عندها أسلحة نووية وليس عندها أسلحة أو صواريخ!! ليس هذا الأمر، القوة المطلوبة من الأمة هي التي قال الله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(٣) المستطاع فقط بأن تبذل الأسباب في القوة الحسية، وتأسس القوة المعنوية بالبناء العقدي الشرعي للأمة، بعد ذلك يتحقق النصر قطعاً، أما أمر الأسلحة النووية وما سيحصل للعالم؟ اترك هذا الرب العالمين سبحانه وتعالى، فإن شاء تعالى جعل هذه الأسلحة وبالأعلى أهلها، الأمة إن حققت ما أمرها الله تعالى به من الإعداد وحققت ما أوجب الله تعالى من نصر دينه فالأمر لله تبارك وتعالى لأنه سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾^(٤)، فالنصر يأتي به رب العالمين سبحانه وتعالى، فتقدير الهزيمة يوم أحد حكمة بالغة من رب العالمين يُعرف بها أن الله تعالى يُسلط على الأمة بسبب المعاصي، ولهذا قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ هل من حكمة؟ ﴿لَعَلَّهُمْ

(١) صحيح البخاري (٤٠٤٣) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) آل عمران: ١٥٢.

(٣) الأنفال: ٦٠.

(٤) محمد: ٧.



يَرْجِعُونَ ﴿١﴾ فالأمة إذا ضاقت بها السبل ورأت تسليط الأعداء واشتد بها الكرب قالت: أين الطريق؟ الطريق إلى الله تعالى مفتوح لا يحول أحد بينكم وبين رب العالمين، عودوا إلى الله تعالى يعود عليكم سبحانه وتعالى بالنصر، فتقدير الله تعالى لما ذكره رحمه الله تعالى هنا أن القدر خيره وشره؛ حلوه ومرة؛ سيئه وحسنه؛ هذا كله لا شك أنه من عند الله تعالى لحكمة بالغه عنده عز وجل، فتقديره للخير لحكمة، وتقديره للشر - لحكمة سبحانه، ولولا لطفه وحلمه لكان الوضع أسوأ في الأمة بكثير، ودائمًا نحن يا إخوة نضرب أمثلة من واقع الأمة، الآن هل في الأمة أحد يخفى عليه وجوب الصلاة؟ ما في أحد من أهل الإسلام يخفى عليه وجوب الصلاة، هل هذا الوضع الحاصل في الأمة الآن في التعامل مع الصلاة وضع سوي؟ لا والله ليس وضعًا سويًا، كثير من الناس لا يصلي، ولا نقول: أكثر؛ هذا إلى الله، الله أعلم بخلقه سبحانه لكن كثيرًا قطعًا لا يصلي، كثير ممن يصلون؛ يصلون صلاة ليست الصلاة التي أمر الله بها، فيصلي أحدهم مثل الفجر إذا استيقظ وخرج وقت الصلاة بساعات متعددة صلى! حتى إنك تجد في صلاة الفجر العدد القليل جدًا من الناس في المسجد والبيوت مלאى تشهد عليهم سياراتهم عند بيوتهم، لولا حلم الله لرأيت أشد وأفنى وأفظع، هذا السفور الهائل الآن، كثير من النساء، التعامل بالمعاملات الربوية، هذا الإطلاق للأبصار في النساء كأن الله تعالى أباح لك أن تنظر إليهن في هذه الشاشات وجوال كثيرين من الناس يشهد عليهم، هذه الأمور لولا لطف الله وفضله وأن من صفاته الحلم سبحانه وتعالى لرأيت العقوبات المعجلة، فالوضع الذي فيه الأمة هو وضع لولا لطف الله لكان أشد، فما قدره الله عبثًا سبحانه وتعالى، فيقدر سبحانه وتعالى هذه الأمور حتى ترجع الأمة، وإلا فهو لا يسلط سبحانه وتعالى على الأمة عدوها إذا هي استمسكت، ولهذا مواطن الفصل الكبرى بين الحق والباطل تكون بعد استمساك أهل الحق بحقهم؛ فلا يمكث الباطل أمامه، إذا تأملت ما حصل من الفتوحات الكبرى العظمى زمن الصحابة والتابعين علمت أن الأمر راجع إلى الله عز وجل، فكانت هناك دولة كبرى تسمى دولة الروم، ودولة كبرى تسمى دولة الفرس، ولم يكن هناك سوى هاتين الدولتين الكبيرتين من جهة القوة، وكانت الحرب بينهما ضروريًا، أما بقية الأرض فما هم إلا تبع لهؤلاء، لو أراد الفرس أو الروم لغزو أي موضع لا يمكن أن يمتنع منهم من بلاد عرب أو عجم سوى

(١) الروم: ٤١.



هاتين الدولتين، هاتان الدولتان في فترة يسيرة سقطتا وما احتاجت إلى نوعية معينة من الأسلحة، وإنما احتاجت إلى استمساك حقيقي بمنهج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم تمكث هاتان الدولتان أن صارتا من بلاد الإسلام، ودخلت الأفواج الهائلة في دين الله تعالى أفواجًا، مع الفارق الهائل في القوة العددية والعدد بين الصحابة رضي الله عنهم وبين هاتين الدولتين، لا يوجد مقارنة أصلاً لا من جهة العدد ولا من جهة نوع المقاتل ولا من جهة العدد ونوع الأسلحة، لا يوجد أدنى مقارنة، لكن الله تعالى أتى بالنصر لأنهم كانوا على المنهج السوي رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، الحاصل أن الله تعالى لا يقدر الشر - حاشاه تعالى - اعتبارًا، أو يقدره لغير حكمة! بل يقدره تعالى لحكمة بالغة، وفي كثير من الأحيان لو لا لطفه تعالى لكان الأمر أمرًا وأشرًا، لكنه تعالى لطيف، هذا معنى قولنا أنه تعالى يقدر الخير والشر جميعًا، إنما يقدرها لحكمة سبحانه وتعالى، وكم من إنسان ما رده إلى ربه تعالى ولا أوقفه عن غيئه إلا قدر مر سلطه الله تعالى عليه فرجع إلى ربه، كثير من الناس على هذا الحال، كثير من الناس هذا حالهم، فصار ما قدره الله تعالى عليه من ذلك الذي آلمه وأقضى مضجعه صار بالنسبة له خيرًا له في دينه ودنياه ولقي الله تعالى على أحسن حال، ولو أن الله تعالى لم يقدر عليه ما قدر من المر للقي الله تعالى على أتعس حال وأسوئه، فالله لا يقدر الشر اعتبارًا حاشاه تعالى، وإنما يقدره لحكمة.

الأمر الرابع المتعلق بالرب سبحانه وتعالى: أنه ما من أمر إلا والله خالقه، فالله تعالى خلق العبد والأفعال التي تصدر من العبد - لا شك أمها أفعال العبد، العبد هو المصلي والصائم، العبد هو العاصي - لكن الله تبارك وتعالى خلق العبد وخلق له أفعاله، فأنت الآن لو لم يخلق لك الله هذه الحركة لما استطعت أن تأخذ هذا الكأس، ولهذا الذين يشل الله تعالى أيديهم لا يوجد عندهم مثل هذه الحركات بأن يمد يده لأن الله تعالى ما خلق فيه هذه الحركة، فخلق الله العبد وأمه بهذه الحركات وخلق له هذه الأفعال، فالأفعال من فعل العبد، تنسب للعبد، هو المصلي والصائم والمتصدق، وإذا عصى هو الزاني والشارب والقاتل، هو قاطع الطريق، فتنسب إلى العبد، لكن الله تبارك وتعالى كما أنه خلقه فقد خلق له أفعاله، ولهذا إذا أراد الله أن لا يخلق له هذا الفعل مثلما ذكرنا فيمن يكون مشلولًا لا يستطيع أن يمد يده لأنه لم تخلق له هذه الحركات. هذا ما يتعلق بالرب سبحانه وتعالى، وهو المرتبط بالقسم الأول، إثبات ما يتعلق بالرب.



نأتي الآن للقسم الثاني: إثبات ما يتعلق بالعبد، ما الذي يتعلق بالعبد في القدر؟ أن إثبات القسم الأول - المرتبط بالرب سبحانه وتعالى - لا يترتب عليه إعطاء العبد حجة في ترك ما أوجب الله أو فعل ما حرم، فلا يقل العبد: ما دامت الأمور قد قدرها الله فلا تطلبوا مني صلاة أو صياماً! إن كان الله قد قدر لي صوماً وصلاةً فسأصوم وأصلي! ولا تمنعوني من قطع الطريق وشرب الخمر وإتيان الزنى وعقوق والدي وسفك الدماء؛ لأن الله قدر هذا علي! ليس له ذلك، لأن للعبد نوعين من الفعل، دقق في نوع فعل العبد: النوع الأول: أفعال اختيارية، والنوع الثاني: أفعال غير اختيارية، بم يؤخذ الله العبد؟ بالأفعال الاختيارية، أما الأفعال غير الاختيارية فهذه التي لا يؤخذ الله تعالى بها العبد، الأفعال الاختيارية في حياتك بالمئات أو بالآلاف؟ بالملايين، فأنت الآن حين أخذت كأس الماء هذا مدت يدك إليه؛ هذا فعل اختياري، ثم قربته من فمك؛ هذا فعل اختياري، ثم شربت منه مقداراً؛ ثم أرجعته، هذا فعل اختياري، ثم رجعت ثانية فأخذه فشربت منه وهكذا، ثم قد تطلب آخر، وهكذا في الأكل، تأكل بمقدار معين، وهكذا في المشي - والذهاب والإياب، ففي حياتك ملايين الأفعال الاختيارية، أكثر أفعالك اختيارية، مجيئنا اليوم للمسجد هذا فعل اختياري، رجوعنا لبيوتنا فعل اختياري، إعطاؤنا منعنا ذهابنا إتياننا منا من أكلنا شربنا كل هذه أفعال اختيارية، فالعبد يؤخذ بالأفعال الاختيارية، فإذا صلى أجر، وإذا ظلم وعق والديه وتعدى على جاره وتلفظ بالألفاظ القبيحة عوقب، هذه أفعال اختيارية، الأفعال غير الاختيارية محدودة، منها من قد يكون الواحد منهم مبتلى بمرض مثل مصاب بالرعاش - نسأل الله العافية - ترى الواحد منهم من يده تضطرب أو جسمه يتحرك، هذا الفعل غير اختياري، لو قلت له أنت الآن تصلي!! ما هذه الحركة منك منذ أن صليت حتى سلمت وأنت في حركة مستديمة! يقول: لا أستطيع أن أترك هذه الحركة، وأنا نائم وأنا مستيقظ وأنا واقف وأنا جالس مستديمة معي، فهل نقول: إن هذا الشخص عنده حركة في الصلاة تبطل بها الصلاة! نقول: لا، لأن فعله غير اختياري، لو أن رجلاً تحرك ربع حركته في الصلاة بطلت الصلاة، يقول: تبطل صلاتك، وإن أقل من هذا فعلاً، نقول: إن فعلك أنت اختياري، يجب أن تخشع في صلاتك، أما هذا فلا يستطيع، في أفعالك الغير اختيارية قد تأخذ شيئاً ثميناً في يدك بل قد تحمل ابنك فيسقط منك ولم تتعمده! هذا الفعل غير اختياري، لم تختره، فالله لا يؤخذك بالأفعال غير الاختيارية، إنما يؤخذك بالأفعال



الاختيارية، فالأفعال الاختيارية تكون عن قدرة من العبد وعن مشيئة، يعني وصولك اليوم إلى المسجد عندك قدرة تمكنت بها من الوصول إلى المسجد، وعندك مشيئة، لم تتجه إلى أي موضع في هذا البلد الفسيح إلا إلى هذا الموضع، يعني عندك مشيئة، إذن فأنت قد أتيت إلى هذا المسجد باختيارك، عكسه - نسأل الله العافية - من يذهب إلى مكان سوء وفساد يؤاخذ به ويعاقب عليه، لأنه قد اختار وشاء هذا الموضع تحديداً وعنده قدرة تمكن معها من الوصول إلى هذا الموضع، فالله يؤاخذ العبد بأفعاله الاختيارية، وكل عاقل يدرك أن عنده أفعالاً اختيارية وأفعالاً غير اختيارية، شخص يؤذن المؤذن فيخرج هذا إلى المسجد ويخرج هذا - والعياذ بالله - إلى مكان سيء دنس في نفس الوقت من نفس البيت، هذا اختار إلى أن يذهب إلى المسجد وهذا اختار إلى أن يذهب إلى الفاحشة، فالله عز وجل يؤاخذ العبد بالأفعال الاختيارية، كل أحد يدرك الفرق بين الفعل الاختياري وغير الاختياري، الذين لا يؤاخذهم الله تعالى هم من فقدوا المشيئة والاختيار والقدرة في الأفعال غير الاختيارية أو من سلب العقل مثل المجانين أو نحوهم أو الصغير الذي لم يبلغ، فالعبد يفرق بين أفعاله الاختيارية وغير الاختيارية، فيأتي إلى الشيء مختاراً طائعاً فليس له أن يقول: إن الله تعالى قد كتب ذلك علي! لأنه قال أهل العلم: المدعي هذا الذي يدعي أنه مجبور هو أكذب الناس؛ لماذا؟ لأنه لو طبق عليه منطقته الذي يقوله لما رضي، فلو أن أحداً تعدى عليه في ماله أو في ولده أو تعدى عليه بالضرب لما رضي أن يقول هذا الضارب له أو الآخذ لماله: هذا أمر قد قدره الله تعالى! فهذا أمر قد كتب علي وأنا قد قدر لي أن آخذ مالك؛ فليس لك أن تعترض، يابى، يابى لأنه لا يصدق حين يقول: إن كان الله تعالى كتب أن أصلي فسأصلي اتركوني! إن رأيتم أني أصلي معكم الظهر فقد كتب الله لي ذلك، وإن رأيتموني لم أصل فاعذروني، أنا لم يكتب لي، هذا الشخص الذي ضربك وأخذ مالك أنت فارفع عليه قضية في المحكمة، سبب سهل، هو أن الله تعالى قدر الله أن يضربك، لا يرضى، ولهذا يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: "فعند مراد الرب تفنى كميته؛ وعند مراد النفس تسدي وتلحم!!" (١) إذا جاء مراد الرب سبحانه وتعالى وأوامره سبحانه وتعالى والنواهي التي نهى عنها تكون كأنك ميت! تقول: هذا قدر علي! وعند مراد النفس ما ترضى بهذا! وإنما تسدي وتلحم كالخياط يخيظ بالآلة يمين وشمال وإلى أعلى، تتحرك، ما ترضى بهذا، فدل

(١) طريق المهجرتين وباب السعادتين (ص: ٥٣).



على أنه كاذب، هؤلاء الذين يحتاجون بالقدر لو قدر لنا أن نصلي لأن الله تعالى كتبت علينا هذه الأشياء!! هم أكذب الناس، الله تعالى جعل للجنة طريقاً، أسباباً توصل بإذنه وفضله إلى الجنة، وجعل للنار - والعياذ بالله - أسباباً توصل إليها قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنِيسِرُّهُ لِيُسرَى﴾ (١) فاسلك هذا المسلك؛ يسرك الله ليسرى كما وعدك سبحانه وتعالى، أما أن تعكس الأمر ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ (٢) هل سيدخل إلى الجنة؟ بنص القرآن سيصل إلى العسرى ﴿فَسَنِيسِرُّهُ لِيُعْسَرِي﴾ (٣)، فكما أن الإنسان في حياته الدنيوية يبذل أسباباً ليصل إلى مصالحة؛ فكذلك في أمر دينه هناك أسباب توصلك إلى أعظم المصالح وهي الجنة؛ وأسباب تُنجيك من أشر المكاره وهي النار؛ فاسلك على ما أمرك الله تبارك وتعالى به، أما أن تقول: إني سأفعل هذا في أموري الدنيوية؛ إذا قيل لك: اقبع في بيتك ولا تلمس الرزق! إن كان الله قدر لك الرزق سيأتيك الرزق إلى وسط بيدك، وستقول: إنك تؤمن بالقدر؟ إن كان الله قدر لك ذرية فستأتيك الذرية بدون زواج؟ ستقول: إن الأمور مقدرّة، إن الله كتب لي ذرية فستأتي الذرية لا تتزوج إن كنت صادقاً! تقول كيف؟ الزوجة هي سبب للذرية، نقول: العمل الصالح هو سبب دخول الجنة، كما أن العمل الفاسد هو سبب دخول النار، فلماذا تعرف هذه الأمور في مصالح دنياك وتبأها في مصالح دينك، لأنك تكذب، لأنه لو كان صادقاً وعنده هذه الشبهة لعمل بها في أمر دينه ودينه، لكن لأنه كاذب ويريد أن يكف أمر الشرع له ونهيه عن المحرم فإنه يقل: أنا خاضع لقدر الله عز وجل، إن كنت صادقاً فطبق هذا في أمورك الدنيوية، لا تأكل؛ إن كان الله كتب لك الشبع فستشبع بلا أكل، يقول: الأكل هو سبب الشبع، لا تشرب ماء! إن كان الله قدر لك الري فسترتوي دون ماء، يقول: الماء هو سبب الري، لا تتزوج؛ إن كانت الذرية ستأتيك؛ ستأتيك دون زوجة، يقول: لا يصلح، هذا كلام باطل، لا يقوله إلا المجانين، نقول: فعلاً، هذا لا يقوله إلا المجانين، لكن هو الذي تطبقه أنت في تعاملك مع رب العالمين سبحانه وتعالى، فالجنة لها درب بينه رب العالمين، أرسل الرسل صلى الله عليهم وسلم، أنزل الكتب، بين الطريق، قطع العذر سبحانه وتعالى، فليس لك إلا أن تعمل، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى

(١) الليل: ٥ - ٧.

(٢) الليل: ٨، ٩.

(٣) الليل: ١٠.



كُلُّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿١﴾ (١) فَالْقَدَرُ الْمَاضِي أَنْتَ لَا تَدْرِي بِهِ، مَا الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ لَكَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَالْقَدَرُ الْمُسْتَقْبَلُ فِي مَصِيرِكَ فِي الْآخِرَةِ أَنْتَ لَا تَدْرِي بِهِ، وَأَنْتَ الْآنَ بَيْنَ قَدَرٍ مَضَى وَبَيْنَ قَدَرٍ آتٍ؛ وَأَمَرَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْعَمَلِ، فَيَأْتِيكَ الشَّيْطَانُ لِيَشْغَلَكَ بِالْقَدَرِ الْمَاضِي الَّذِي لَا تَدْرِي مَا هُوَ وَبِالْقَدَرِ الْمُسْتَقْبَلِ الَّذِي لَا تَدْرِي مَا هُوَ لِتَتْرَكَ مَا بُعِثَ الرَّسُلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْكَ لِأَجْلِهِ وَهُوَ الْعَمَلُ، وَهَذَا لَمَّا سَأَلَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: هَذِهِ الْأَعْمَالُ الَّتِي نَعْمَلُ أَفِي مَا جَفَتْ بِهِ الصَّحَفُ وَمَضَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ أَمْ فِيهَا يَسْتَقْبَلُ؟ يَعْنِي هَلْ هُوَ شَيْءٌ كُتِبَ عَلَيْنَا بِالسَّابِقِ أَوْ أَمْرٌ سَيَسْتَقْبَلُ لَمْ يُكْتَبْ؟ قَالَ: «بَلْ فِيهَا جَفَتْ بِهِ الصَّحَفُ، وَمَضَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ» قَالُوا فَفِيمَ الْعَمَلِ؟ مَا دَامَتِ الْأُمُورُ قَدْ كُتِبَتْ! فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اعْمَلُوا؛ فَكُلُّ مُيسِّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيسِّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنِيْرُهُ لِيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنِيْرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿٢﴾ (٣)، أَهْلُ السَّعَادَةِ يُيسِّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، حَتَّى تَجِدَ الْإِنْسَانَ فِي التَّسْعِينَ وَفِي الْمِئَةِ مِنْ عَمْرِهِ وَهُوَ مُحَافِظٌ وَمُؤَاطِبٌ عَلَى الصَّلَاةِ - وَقَدْ لَا تَلْزِمُهُ الْجَمَاعَةُ - لَكِنْ يَأْبَى إِلَّا أَنْ يَصِلِيَ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَيَتَكَلَّفُ حَتَّى يَصِلِيَ، وَيَمُوتُ عَلَى أَحْسَنِ خَاتِمَةٍ، يَسْرُهُ اللَّهُ تَعَالَى لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، صَلَّى ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٤﴾﴾ فَسَلَكَ هَذَا الدَّرَجَةَ الْكَرِيمَةَ، فَيُسِّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، فَيَلْقَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، أَمَا مَنْ هُوَ عَلَى حَالِ الْفُجُورِ وَالشَّرْكِ وَالضَّلَالِ وَالزَّيْغِ فَإِنَّهُ قَدْ يُسِّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنْ كُنَّا لَا نَجْزِمُ هَذَا وَلَا لِهَذَا وَلَكِنْ نَقُولُهُ فِي الْعَمُومِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا اسْتَعْمَلَ الْعَبْدَ فِي عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ؛ فَإِنَّهُ يَخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَإِذَا اسْتَعْمَلَ الْعَبْدَ فِي عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَإِنَّهُ يَخْتَمُ لَهُ فِي عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ سُبْحَانَهُ - الْأَمْرُ إِلَيْهِ تَعَالَى - إِلَّا أَنْ يَشَاءَ؛ فَيَنْتَقِلُ هَذَا إِلَى طَرِيقِ أَهْلِ الضَّلَالِ أَوْ هَذَا إِلَى طَرِيقِ أَهْلِ الصَّلَاحِ، وَلَكِنْ - وَاللَّهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ وَالْفَضْلُ - كَثِيرٌ مِنْ

(١) الملك: ١، ٢.

(٢) الليل: ٥-١٠.

(٣) صحيح البخاري (١٣٦٢) من حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً.

(٤) الليل: ٥، ٦.



السالكين على الهدى يموتون على الهدى كما ذكر عبد الحق الأشبيلي رحمه الله تعالى، والله الحمد والفضل والمنّة والثناء له عز وجل أكثر من يسلك على طريق الخير يثبت على طريق الخير يثبت عليه حتى يموت عليه، فعلى العبد أن لا يكون خصيماً لله في القدر، لأن من كان رب العالمين خصمه فإنه يخصمه، فالله تعالى أمرك بالعمل وقدر قدرًا قبل أن يوجد أبوك آدم فضلًا أن تلدك أمك ويوجد أبوك، وكتب سبحانه وتعالى أهل الجنة وأهل النار وقد علمهم سبحانه وتعالى، وابتلاك في هذه الدار بقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ ﴿١﴾، فأنت في فترة اختبار، هل الطالب النبيه في فترة الاختبار إلا يضع ذهنه في الأسئلة حتى يحل قبل أن ينتهي الوقت؟ يأتيك الشيطان يشغلك في مثل هذه الأمور حتى تترك العمل فتهلك على حجج المشركين ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تُخْرِصُونَ﴾ (٢)، كل هذه ظنون وتخمينات وخرص وقول بلا علم، فالحاصل أن العبد عليه في أمر القدر أن ينتبه إلى العمل، وهذا هو القسم الثاني، أن كون الأمور قد كتبت وعلمها الله، هذه مرتبطة بالرب، لا شأن لك أنت بها، وليس لك طريق لتغييرها، هذه الأمور إلى الله، انتبه للقسم الثاني المتعلق بك أنت وهو العمل، فأنت ليس لك حجة على الله بأن تترك العمل أو أن تقبل على المعاصي!

القسم الثالث من النصوص: النهي عن الجدال والنزاع الباطل في القدر، وكيف يكون النزاع والجدال الباطل في القدر؟ بأن تأخذ نصًا مما يتعلق بالرب فتعارض به نصًا يتعلق بالعبد، أو العكس، نص يتعلق بالعبد تعارض به نصًا يتعلق بالرب، القسم الأول متعلق بالرب لا علاقة للعبد به، هو الذي عز وجل علم وكتب وشاء وخلق، لا شأن لنا نحن، هذا مرتبط برؤية الله تعالى، فيما يتعلق بنا نحن؛ نحن مبتلون بالعمل، فجاءت النصوص بالنهي عن الجدال والنزاع الباطل في القدر وضرب النصوص بعضها ببعض، فلماذا قال صلى الله عليه وسلم: «أُخِرَ النَّزَاعُ فِي الْقَدَرِ لِشَرِّ أُمَّتِي آخِرَ الزَّمَانِ» (٣)، النزاع في القدر لا يكون إلا في الأشرار، لذا من أشر وأخبث فرق الأمة وأشدّها إفسادًا في العقيدة "القدرية" بشعبتهم - الأوائل

(١) الملك: ١، ٢.

(٢) الأنعام: ١٤٨.

(٣) صحيح. الحاكم في المستدرک (٣٧٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا. الصحيحة (١١٢٤).



والمعتزلة، والجبرية وهم الذين قابلوهم -، كل هؤلاء من أشر ما يكون في الأمة، لأنهم أشغلوا الأمة وأشغلوا الناس عما أوجب الله تعالى من العمل، وصاروا في مهاترات ومناقشات حول القدر مع أنه قد نهي النهي الصريح عن ذلك.

بذلك تعرف أنواع النصوص بالقدر، وأنه - والله الحمد - لا تعارض ولا تناقض بين الأمر المرتبط بالرب، فالرب هو رب العالمين سبحانه وتعالى الذي إليه الأمر، لا يقع تحريكة ولا تسكينة في ملكوته إلا بإذنه، فلا يمكن أن يقع شيء إلا بإذنه تعالى من خير أو شر، لكن فيما يتعلق بك إذا وقع منك الشر - أنت في مدة المهلة؛ في مدة الاختبار؛ في مدة الحياة، عد إلى ربك وأصلح ما وقع منك، هذا هو الواجب المتعين، أما إذا عبث الشيطان بالعبث أشغله بالقدر الماضي أو بالقدر المستقبل وترك العمل، فالحاصل أن موضوع القدر هو من أعظم ما يدفع للعمل، ولهذا عدي رضي الله عنه لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم لما قال: أخبرنا كأننا ولدنا الآن؛ هذه المقادير فيما مضى وكتب أو فيما يستقبل؟ فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنها فيما مضى، قال ففيم العمل؟ قال: «اعملوا؛ فكل ميسر لما خلق له»^(١)، قال عدي رضي الله عنه قال: "ما كنت أشد اجتهاداً مني الآن"^(٢)، إذا عرفت القدر علمت أن القدر يدفعك للعمل، ما يدفعك لترك العمل! لأن القدر إلى الله أمره وأنت مبتلى بالعمل، أرسلت لك الرسل، أنزلت عليك الكتب، قيل لك: أنت لك مدة ومهلة، هناك أوامر الله بها، وهناك نواهي نهى الله عنها، ستموت وسيحاسبك الله، فمالك وما للأمر المتعلق بالرب؟؟ أنت متعلق بك أمر أنت مرتبط بفعلك، أقبل عليه قبل أن تهلك وتلق الله على حال الغفلة، بذلك تعرف أن موضوع القدر - والله الحمد - لا يمثل مشكلة ولا يعد معضلة، لكن نقاش ونزاع هؤلاء الأشقياء فيه هو الذي جعل الشبه تتداخل، وإلا فهو - والله الحمد - شأنه شأن بقية مسائل الاعتقاد جلي واضح، إذا عرفته بتفاصيل نصوصه الثلاثة هذه فإنه إن شاء الله يتجلى لك، وبه تعرف قوله رحمه الله تعالى "والقدر خيره وشره، قليله وكثيره، وظاهره وباطنه، وحلوه ومره، ومحبوبه ومكروهه، وحسنه وسيئه، وأوله وآخره من الله تبارك وتعالى" هو الذي قدر سبحانه، قضاء قضاءه على عباده وقدر قدره عليهم، لا

(١) سبق تحريجه.

(٢) صحيح. صحيح ابن حبان (٣٣٧). التعليقات الحسان (٣٣٨).



يعدو أحد منهم مشيئة الله ولا يجاوزه، يعني مَنْ كَتَبَ لَهُ أَمْرٌ قَدَّرَهُ اللهُ تَعَالَى فَإِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَقَعَ وَأَنْ يَصِلَ إِلَى مَا قَدَّرَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ، بَلْ كُلُّهُمْ صَائِرُونَ إِلَى مَا خَلَقَهُمْ لَهُ وَوَأَقَعُونَ فِيهَا قَدَّرَ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِ لَا مُحَالَةَ، ثُمَّ تَبَّهَ لِأَمْرٍ فِي غَايَةِ الْأَهْمِيَّةِ وَهُوَ أَنَّ اللهُ تَعَالَى عَدَلَ فِيمَا قَدَّرَ، قَالَ: "وَهُوَ عَدْلٌ مِنْهُ" الْقَدَرُ عَدْلٌ مِنَ اللهِ، بَلْ اللهُ تَعَالَى لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ، هُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْأَعْلَمُ بِعِبَادِهِ، كَمَا أَنَّ اللهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(١) فَهُوَ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ هِدَايَتَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَالْهُدَايَةُ لَهَا أَهْلٌ وَالضَّلَالَةُ لَهَا أَهْلٌ، فَاللهُ تَعَالَى يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وَيَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَلِهَذَا قَالَ: "وَالزُّنَى وَالسَّرِقَةَ وَشَرِبَ الْخَمْرَ وَقَتْلَ النَّفْسِ وَأَكَلَ الْمَالَ الْحَرَامَ وَالشَّرْكَ؛ جَمِيعَ هَذِهِ الذُّنُوبِ كُلِّهَا قَدَّرَهَا اللهُ تَعَالَى" وَكَمَا قُلْنَا لَيْسَ بِذَلِكَ عِذْرٌ لِلْعَاصِي! بَلْ إِذَا وَقَعَ مِنْهُ سَرِقَةٌ أَوْ زُنَى أَوْ شَرِكٌ؛ فَهُوَ مَأْمُورٌ بِالرُّجُوعِ مِنْهَا مَا دَامَ فِي مَدَّةِ الْمَهْلَةِ، أَنْ يَتُوبَ مِمَّا وَقَعَ مِنْهُ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ لَا حُجَّةَ لَهُ عَلَى رَبِّهِ تَعَالَى فِي مَا قَدَّرَ، بَلْ اللهُ وَحْدَهُ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ، وَلِهَذَا خَتَمَ اللهُ تَعَالَى الْآيَةَ بِسُورَةِ الْأَنْعَامِ بِقَوْلِهِ: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٢)، "كُلُّهَا بِقَضَاءِ وَقَدَرٍ مِنَ اللهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَلْ اللهُ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ".

ثم تكلم عن المسألة الأولى وهي كما قلنا مراتب القدر أربعة، العلم والكتابة والمشية والخلق، ذكر ما يتعلق بعلم الله أنه "ماضٍ في خلقه بمشيئة منه، قد علم من إبليس وغيره ممن عصاه من لدن أن عصي - سبحانه وتعالى إلى قيام الساعة علم المعصية وخلقهم لها" وقدّر سبحانه وتعالى أن يعصي - إبليس ويشقى، وأضله وأزاعه، حيث تفاخر بأضله ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾^(٣) فأضله الله ووكله إلى نفسه، وهكذا من قدر الله تعالى عليهم الهلاك - نسأل الله العافية -، قد علمهم سبحانه وتعالى وقد علم أعمالهم، وقد علم الطاعة من أهل طاعته وخلقهم لها، فهو يعلم سبحانه المطيعين ويعلم العاصين عز اسمه، فكل يعمل لما خلق له، وصائر إلى ما قضى عليه وعلم منه، لا يعدو أحد منهم قدر الله ومشيته، يعني أن الله إذا علم أن هذا من أهل الجنة وعلم أن هذا من أهل النار؛ وأن هذا يعمل بعمل أهل الجنة وهذا يعمل بعمل أهل النار لا يمكن أن يغير أحد منهم هذا، فيكون الذي يعمل بعمل أهل الجنة يقول: سأغير قدر الله تعالى

(١) الأنعام: ١٢٤.

(٢) الأنعام: ١٤٩.

(٣) الأعراف: ١٢.



وأخالف ما علمه! هذا أمرٌ محال، لأنَّ عِلْمَ اللَّهِ تعالى سابقٌ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ شاءَ لعباده الذين عصوه الخير والطاعة؛ وأنَّ العباد شاءوا لأنفسهم الشرَّ والمعصية! فقد زعم أن مشيئة العباد أغلب!! هذه المقولة مقولة القَدْرِيَّة، نعوذ بالله، وهو من أجهل الناس بالله عزَّ وجلَّ، القَدْرِيَّة من المعتزلة يقولون هذا، يقولون: إنَّ الله شاء من العباد الطاعة؛ لكنَّ العباد الذين عصوا أبوا ووقعت مشيئتهم دون مشيئة الله! قالوا: فالكافر ما شاء الله منه الكفر! بل شاء منه الإيمان! لكنَّ الكافر شاء الكفر لنفسه وتحققت مشيئة الكافر دون مشيئة الله! مع صريح قول الله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(١)، فمشيئة العبد هي المؤخِّرة وليست هي المقدمة، ومع ذلك قالوا ما قالوا! ولهذا قال رحمه الله: إنَّ هذه المقولة تقتضي أن مشيئة العباد أغلب من مشيئة الله! فأبي افتراء على الله أكبر من هذا - نسأل الله العافية والسلامة -.

حينما يزعمون أن العبد هو الذي يُقدِّر فعله - كما هي مقولة المعتزلة؛ نسأل الله العافية - قالوا: إنَّ العبد هو الذي يُقدِّر فعله دون الله! فالعبد يُقرِّر الأمر ويقع الأمر دون ما شاءه الله عزَّ وجلَّ! هذه فيها نسبة العجز لرب العالمين سبحانه - فَبَحَّ اللهُ المعتزلةَ وَفَبَحَّ مقولتهم -، فيجعلون المشيئة الواقعة هي مشيئة العبد دون مشيئة الرب سبحانه وتعالى! وكل ذي عقلٍ يعلم بالتجربة كذبهم، كيف ذلك؟ كم عزمنا على أمرٍ وخططنا له وهيننا له السبلَ وحققنا جميع الأسباب ثم إنه لم يقع؟ مثل السفر، تحجز في مكة وتحجز طيراناً وتهيء حقائب سفرك وتعدُّ العدة وتؤخر مواعيدك ثم تصبح ولا تسافر! ما الذي حصل؟ مشيئتك غلبت أم مشيئة الله؟ هذا الذي حصل، يعني مشيئتك هذه قد أعددت كل شيء وهيات كل سبب ولم يبق سببٌ واحدٌ إلا وقد أعددتَه، ما الذي حصل؟ مشيئتك هذه لا تمضي إلا إذا أمضاها الله، فغلبت مشيئة الله مشيئة العباد كلهم، فلا يمكن أن تسافر إلا إذا شاء الله، ولهذا قال الشافعي - رحمه الله ونور الله قبره - قال في بيت شعر يُعظَّم فيه رب العالمين: "فما شئتَ كان وإن لم أشأ، وما شئتَ إن لم تشأ لم يكن" يقول: فما شئتَ يعني رب العالمين، فما شئتَ كان وإن لم أشأ أنا، وما شئتَ مما خططت له وعزمت عليه، وما شئتَ إن لم تشأ لم يكن، هذا لا شك أن المشيئة إلى الله، وأنَّ المراد في هذا إلى رب العالمين سبحانه وتعالى، هو الذي إليه الأمر، فَمَنْ

(١) التكوير: ٢٩.



زعم أن أحداً من الخلق صائر إلى غير ما خلق له؛ فقد نفى قدرة الله تعالى عن خلقه، وهذا إفكٌ مبين، ثم سيضرب المثال عليه إن شاء الله تعالى في مناقشة المعتزلة في مقولتهم هذه.

- يقول: هل يجوز أن أقول لفلان أنت خارجي أو مرجئ بقصد اللهو والدعابة والمزاح؟ إخواني هذه ليست مواضع مزاح! هذه مواضع ضلال وبدع، فلا تكون من مواضع المزاح، يعني مما يمكن أن يمزح به الإنسان أن يقول لأحد: أنت عندك بخل؛ أو فعلت كذا أو كذا مما يعلم أخوك أنك فيه ممزح له، لكن تقول له: أنت خارجي أو مرجئ أو رافضي أو يهودي أو نصراني! هذه إطلاقات لها مدلول، لا تخرجه من السنة باسم المزاح بتاتاً.

- يقول: من يعرف الإيمان بتعريف أهل السنة ثم يفصل بمسائل الاعتقاد على طريقة المرجئة؛ فيقول: من سجد لصنم فلا يكفر حتى يعتقد ذلك بقلبه؛ فهل يطلق عليه اسم أهل السنة؟ هذا الذي حصل الآن، الذي حصل الآن أنه عنده قول أهل السنة في الإيمان وقال بقول المرجئة في الكفر، ومن أكثر أسباب دخول هذا على طلبة العلم عدم تفتنهم أن في كتب الشروح - شروح الحديث وكتب التفسير أو في كتب أصول الفقه أو غيرها - عدم تفتنهم أن المصنف في بعض الأحيان يكون على طريقة المرجئة، فلا يدري، قد يتهادى في شرح حديث من الأحاديث، هذه الكتب مفيدة ونافعة - كتب الشروح - لكن إذا كان الرجل الشارح من المرجئة انتبه أنت حتى لا تدخل عليك، هذه مقولة المرجئة بلا شك، القول في هذا أن السجود للصنم إذا كان من غير مكره عاقل سوي؛ يقول شيخ الإسلام: بإجماع أهل السنة هذا كافر - ظاهراً وباطناً -، الذي يقول كما في "الصارم المسلول"، الذي يقول: لا هذا يمكن أن يكون غير كافر! أو سب الرسول صلى الله عليه وسلم وهو غير مكره وهو عاقل يمكن أن يكون مؤمناً! يقول شيخ الإسلام: بإجماع أهل السنة هذا قول المرجئة، فالذي حدث أن بعض طلبة العلم بسبب عدم ضبط مسألة الاعتقاد وعدم التفتن لما في مثل هذه الكتب - في الشروح وكتب التفسير بما فيها من إشكال المصنف نفسه - دخلت عليهم هذه المقولات وهم لا يشعرون، وقلنا: المقصود من جنس العمل أصل العمل.



- يقول: ما صحة تقسيم الإيمان إلى أصل الإيمان وكمال الإيمان؟

أصل الإيمان الذي يكون به دخول الكافر إلى الإسلام؛ بأن يتشهد الشهادتين، وَيَعْلَمُ اللهُ مِنْ قَلْبِهِ الصِّدْقَ فِي هَذَا وَيَعْمَلُ، فعنده أصل الإيمان، أصل الإيمان الذي هو القاعدة الأولية والأصلية له، أما كمال الإيمان فهو تحقيق ما أوجب الله سبحانه وتعالى من مثل قوله: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(١) الكمال، إذا قلنا: ذهب أصل الإيمان ما يكون الشخص؟ كافرًا، وإذا قلنا: ذهب كمال الإيمان؛ مسلم أم كافر؟ مسلم لكنه ناقص الإيمان.

- يقول: وقع في بعض المعاصي، ودائمًا يصور الشيطان لي هذه المعاصي ويذكرني بها ما العمل؟

جاهده، الشيطان عدو يا أخي، جاهده وأنت على خير، احمد الله أن الله يسر لك الفكك منها، جاهد عدو الله تعالى، وإذا كان هناك شيء يذكرك بها من مثل يعني قرناء سوء أو نحوه فهؤلاء ابتعد عنهم، أما مجرد أن تتذكرها ويحاول الشيطان أن يُغريك بالوقوع فيها فأنت في جهاد معه، جاهده.

- نعم نفس الوضع فيما يتعلق بموضوع حقيقة الإيمان وضبط معناه ويتداخل الأمر على بعض المتأخرين هذا ذكرناه.

- يقول: حبذا تأخير بداية الدرس قليلًا كأن يبدأ الساعة الخامسة إلا ربعًا أو بعدها بقليل، بعضنا يأتي من بعيد من شرق الرياض وشمالها؛ فيحتاج إلى وقت للوصول، نحن لا نحب يا إخوان أن نغير جدول المسجد، لأن الإخوة لهم ترتيبهم، ولو أخرناه، أنا الآن أخذت بعض الوقت، لكن غدًا إن شاء الله والأيام قادمة فلن أصل إلى هذا الوقت، لأن هناك موظفين، لكن اليوم ليس هناك دراسة ولا عمل توسعت بعض الشيء، لكن لو أخرنا الدرس لأدى ذلك إلى تأخير الصلاة، وبالنسبة لمن يأتي من بعيد؛ أنا أيضًا آتي من بعيد، لكن أرى أن الأخ يصلي في الطريق لا يصلي في موضعه، يعني يصلي قريبًا من المسجد هنا في المساجد القريبة ويأتي أفضل وإن كان فيه كلف لكنه إن شاء الله بأجره.

- يقول: هل صحيح ما يقال: إن حق التوكل يكون من غير فعل للأسباب؟

هذه مقولة الصوفية، يقولون: لا تأخذ بالأسباب؛ بل التوكل في القلب والأسباب لا بد منها.

(١) سبق تخرجه.



- ما الفرقُ بين الرجاء والخوف؟

الرجاء أمر يعمله الإنسان ويتمناه ويطلبه كأن يبلغه الجنة، والخوف أمر يرهّب منه الإنسان ويُبعد عنه، الفرق بينهما واضح.

- وإذا تذكرتُ الوعيدَ في العمل والعبادة وإذا رجوتُ تذكرتُ النعيم^(١)

الرجاء والخوف يقول أهل العلم: كجناحي الطائر، على العبد أن يكون في أمر الخوف والرجاء كجناحي الطائر، الطائر لا يطير بجناح واحد، إذا كُسر جناحه لا يمكن أن يطير به، وإذا كان أحد جناحيه فيه اعوجاج أو إشكال يكون في طيرانه شيء من الانحراف^(٢)، فالمؤمن يجمع بين الخوف والرجاء، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾^(٣) فجمع الرغبة مع الرهبة، فيكون عندك رغبة وطمع في فضل الله، ويكون عندك رهبة من رب العالمين ومن عقابه، فلا تركز على هذه وحدها ولا على هذه وحدها.

(١) كلمة غير واضحة.

(٢) كلمة غير واضحة.

(٣) الأنبياء: ٩٠.



المجلس الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ؛ نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِشَيْخِنَا وَلِلْحَاضِرِينَ وَالسَّامِعِينَ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الزَّانَا لَيْسَ بِقَدَرٍ! قِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ حَمَلَتْ مِنَ الزَّانَا وَجَاءَتْ بِوَلَدٍ؛ هَلْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَخْلُقَ هَذَا الْوَلَدَ؟ وَهَلْ مَضَى فِي سَابِقِ عِلْمِهِ؟ فَإِنْ قَالَ: لَا، فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ خَالِقًا! وَهَذَا قَوْلُ يَضَارِعِ الشَّرِكِ بَلْ هُوَ الشَّرِكُ.

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ السَّرْقَةَ وَشَرِبَ الْخَمْرَ وَأَكَلَ الْمَالَ الْحَرَامَ لَيْسَ بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ! فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ هَذَا الْإِنْسَانَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَأْكُلَ رِزْقَ غَيْرِهِ! وَهَذَا الْقَوْلُ يَضَارِعُ قَوْلَ الْمَجُوسِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ، بَلْ أَكَلَّ رِزْقَهُ الَّذِي قَضَى- اللَّهُ أَنْ يَأْكُلَهُ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي أَكَلَهُ.

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ قَتْلَ النَّفْسِ لَيْسَ بِقَدَرٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ الْمَقْتُولَ مَاتَ بِغَيْرِ أَجَلِهِ وَأَيُّ كَفْرٍ أَوْضَحَ مِنْ هَذَا؟؟؟

بَلْ ذَلِكَ كُلُّهُ بِقَضَاءٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَدَرٍ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِمَشِيئَتِهِ فِي خَلْقِهِ وَتَدْبِيرِهِ فِيهِمْ، وَمَا جَرَى مِنْ سَابِقِ عِلْمِهِ لَهُمْ، وَهُوَ الْعَدْلُ الْحَقُّ الَّذِي يَفْعَلُ مَا يَرِيدُ.

وَمَنْ أَقْرَبَ بِالْعِلْمِ؛ لَزَمَهُ الْإِقْرَارُ بِالْقَدَرِ وَالْمَشِيئَةِ عَلَى الصَّغَرِ وَالْقِمَاءَةِ.

وَاللَّهُ الضَّارُّ النَّافِعُ، الْمُضِلُّ الْهَادِي، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ.

.....

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

تَقْدِمُ الْكَلَامِ عَلَى مَوْضُوعِ الْقَدَرِ؛ وَعَلَى الَّذِي يَضْبِطُ لِلْمُؤْمِنِ هَذَا الْبَابَ الْعَظِيمَ مِنْ أَبْوَابِ الْإِيمَانِ؛ وَأَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ سَلِمُوا وَاللَّهُ الْحَمْدُ مِنْ أَيِّ خَلَلٍ وَخَلْطٍ وَقَعَ فِيهِ الْغَلَاةُ أَوْ الْجَفَاةُ فِي مَوْضُوعِ الْقَدَرِ عَلَى التَّقْسِيمِ السَّابِقِ الَّذِي قَلْنَاهُ بِالْأَمْسِ فِي أَنَّ إِثْبَاتَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالرَّبِّ لَا يَتَعَارَضُ فِي إِثْبَاتِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْعَبْدِ؛ وَأَنَّ الْبَلَاءَ إِنَّمَا يَأْتِي الْإِنْسَانَ إِذَا جَاءَ بِنَصِّ يَتَعَلَّقُ بِالرَّبِّ وَعَارِضُ بِهِ نَصًّا يَتَعَلَّقُ بِالْعَبْدِ، وَتَقْدِمُ أَنَّ الْعَبْدَ يَعِي وَيَعْلَمُ



أَنَّ ثَمَّةَ أَفْعَالًا اخْتِيَارِيَّةً فِي حَيَاتِهِ؛ وَأَنَّ ثَمَّةَ أَفْعَالًا غَيْرِ اخْتِيَارِيَّةٍ، وَلِهَذَا تَعْلَمُونَ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ فِي الْقَتْلِ، الْقَتْلُ قَسَمَهُ الْفُقَهَاءُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ: قَتْلُ خَطَأً، وَقَتْلُ عَمْدًا، وَشَبَهُ عَمْدًا، الْمَهْمُ عِنْدَنَا قَتْلُ الْخَطَأِ وَقَتْلُ الْعَمْدِ، قَتْلُ الْخَطَأِ لَمْ يَتَعَمَّدِ الْقَاتِلُ أَنْ يَقْتُلَ الْقَتِيلَ هَذَا، مِثَالُهُ: لَوْ أَطْلَقَ الرَّصَاصُ يَرِيدُ صَيْدًا، فِي أَثْنَاءِ إِطْلَاقِهِ لِلرَّصَاصِ مَرَّتْ سَيَارَةٌ فَأَصَابَتْ الرَّصَاصَ مَنْ فِي السَّيَارَةِ، هَلْ تَعَمَّدَ قَتْلَهُ؟ لَمْ يَتَعَمَّدِ قَتْلَهُ، هَلْ يَهْدِرُ دَمُهُ؟ لَا يَهْدِرُ دَمُهُ، مَاذَا يُسَمَّى هَذَا؟ قَتْلُ خَطَأً، لَمْ يُرِدْ قَتْلَهُ، هَذَا النُّوعُ مَا الَّذِي يَلْزِمُ الْقَاتِلَ فِيهِ؟ يَلْزِمُ الْقَاتِلَ شَيْءٌ وَاحِدٌ؛ لَا شَيْئَيْنِ، شَيْءٌ وَاحِدٌ، يَلْزِمُهُ الْكُفَّارَةُ، وَلَا تَلْزِمُهُ هُوَ الدِّيَّةُ فِي مَالِهِ! بَلْ تَلْزِمُ الْعَاقِلَةَ، فَعَاقِلَةُ الْقَاتِلِ هِيَ الَّتِي تَدْفَعُ الدِّيَّةَ، لِأَنَّهُ مَخْطَأٌ، لَكِنْ لِأَنَّ قَتْلَ النَّفْسِ عَظِيمٌ وَلَوْ خَطَأً أُلْزِمَ بِكُفَّارَةِ الْقَتْلِ وَهِيَ اعْتِاقُ رَقَبَةٍ أَوْ صِيَامِ شَهْرَيْنِ، قَتْلُ الْعَمْدِ أَنْ يَعْمَدَ إِلَى إِنْسَانٍ لِيَقْتُلَهُ وَيَسْعَى فِي ذَلِكَ حَتَّى يَزْهُقَ نَفْسَهُ، الدِّيَّةُ عَلَى مَنْ؟ عَلَيْهِ هُوَ دُونَ الْعَاقِلَةِ لِأَنَّهُ مَتَعَمَّدَ، وَقَبْلَ الدِّيَّةِ وَرِثَةُ الدَّمِ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَقْتُلُوهُ إِلَّا أَنْ يَعْفُوا عَنْهُ، وَالْعَفْوُ إِمَّا يَكُونُ عَفْوًا إِلَى دِيَّةٍ بِأَنْ يَقْبَلُوا الدِّيَّةَ أَوْ عَفْوًا إِلَى غَيْرِ دِيَّةٍ مَجَانًا لَوْجَهَ اللَّهِ تَعَالَى، مَا الَّذِي جَعَلَ الْأَحْكَامَ تَتَفَاوَتُ؟ هُوَ مَا قَلَنَاهُ مِنْ وَجُودِ أَفْعَالٍ اخْتِيَارِيَّةٍ وَأَفْعَالٍ غَيْرِ اخْتِيَارِيَّةٍ، فَالْقَاتِلُ هُنَا مَتَعَمَّدَ فِي الصُّورَةِ الْأَخِيرَةِ، وَالْقَاتِلُ فِي الصُّورَةِ الْأَخِيرَةِ غَيْرُ مَتَعَمَّدٍ لِهَذَا اخْتَلَفَتِ الْأَحْكَامُ، فَاخْتَلَفَتِ الْأَحْكَامُ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ بِالنِّسْبَةِ لَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ قَتْلَ الْخَطَأِ غَيْرِ اخْتِيَارِيٍّ، لَمْ يَتَعَمَّدَهُ، وَلِهَذَا لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا قَتَلَ خَطَأً، قَتَلَ أَلْفَ إِنْسَانٍ، كَأَنَّ يَكُونُ قَائِدًا لِقَطَارٍ عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ وَعَدَدٌ مِنْ مَقْطُورَاتِ الْقَطَارِ تَضُرَّرُ وَهَلِكُ مَنْ فِيهَا، وَهَذَا قَدْ يَقْتُلُ أَلْفَ إِنْسَانٍ وَقَدْ يَنْجُو هَلْ يُقْتَلُ؟ قَدْ يُقْتَلُ؟ لَوْ يَقْتُلُ أَلْفًا أَوْ أَلْفَيْنِ أَوْ عَشْرَةَ أَلْفٍ خَطَأً لَا يَقْتُلُ، مَعْلُومٌ، السَّبَبُ وَاضِحٌ، أَنَّ هَذَا قَتْلُ خَطَأٍ وَذَلِكَ قَتْلُ عَمْدٍ، لَوْ اجْتَمَعَ الْوَرِثَةُ لِهَؤُلَاءِ الْأَلْفِ وَقَالُوا: لَا نَرِيدُ دِيَّةَ نَرِيدُ أَنْ يَقْتُلَ، قَالُوا: لَوْ قَتَلَ أَلْفَ الْأَلْفِ لَا يُقْتَلُ لِأَنَّهُ مَخْطَأٌ، إِذَنْ كُلُّ عَاقِلٍ يَعِي الْفَرْقَ بَيْنَ الْفِعْلِ الْإِخْتِيَارِيِّ وَالْفِعْلِ الْغَيْرِ الْإِخْتِيَارِيِّ، الْفِعْلُ الْغَيْرُ الْإِخْتِيَارِيُّ لَمْ يَبْدُرْ مِنْكَ، قَدْ يَسْقُطُ مِنْكَ وَلَدَكَ وَأَنْتَ حَامِلٌ لَهُ، صَغِيرٌ قَدْ يَسْقُطُ مِنْكَ يَتَكَسَّرُ أَوْ يَهْلِكُ، هَذَا غَيْرُ اخْتِيَارِيٍّ، بِنَاءٍ عَلَيْهِ نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا يُوَازِنُ الْعِبَادَ بِأَفْعَالِهِمُ الْإِخْتِيَارِيَّةَ، وَهَذَا أَمْرٌ وَاضِحٌ، فَالطَّرِيقَانِ الْبَاطِلَانِ طَرِيقُ الْجَبْرِ وَطَرِيقُ الْقَدَرِ، الْجَبْرِ رَكُوزًا عَلَى الْقَسْمِ الْأَوَّلِ الْمَتَعَلِّقِ بِالرَّبِّ وَالْغَوَايِيَّ اخْتِيَارًا لِلْعَبْدِ، وَكَذَبُوا، لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ هُمْ فِي حَيَاتِهِمْ أَنَّ ثَمَّةَ أَفْعَالًا اخْتِيَارِيَّةً هُمْ يَزَاوِلُونَهَا، فَالْغَوَا الْعَبْدَ تَمَامًا وَزَعَمُوا أَنَّهُ بِمِثَابَةِ الرِّيشَةِ فِي مَهَبِ الرِّيحِ تَقْلِبُهَا الرِّيحُ يَمْنَةً وَيَسْرَةً، قَلْنَا: إِنَّ هَذَا كَذِبٌ



يدركه كل واحد في حياته؛ أن ثمة فرقاً كبيراً بين الفعل الاختياري والفعل الغير اختياري، عكسهم المعتزلة ركزوا على القسم الثاني المتعلق بالعبد وألغوا ما يتعلق بالرب ولا سيما أمر الخلق والمشيئة، فقالوا: العبد هو الذي يشاء الفعل دون الله، بل قالوا - نسأل الله العافية - العبد هو الذي يخلق الفعل! هو الذي يخلق فعله دون الله؛ والله لا يخلق أفعاله! ولا يشاء للعبد أمراً يتعلق بأفعاله! فالعبد مستقل؛ استقلاله تام! يفعل الأمر والله لا يريد أن يفعله! وتقع مشيئته والله قد شاء منه غير ذلك؛ فتقع مشيئة العبد ولا تقع مشيئة الرب! وهذا الحقيقة أن هذا قول خطير جداً، وفيه كما قال أهل العلم فيه شرك في الربوبية، الشرك في الربوبية بشع جداً، لأن معنى ذلك إن هذا العبد صار خالقاً في هذا الكون ويشاء الأمر! وليس هذا فقط، يشاء الأمر ويوقعه والله لم يشأه الله! لهذا جاءت الآثار بأن القدرية مجوس هذه الأمة، لم سموا بالمجوس؟ لأن المجوس يقولون: إن هناك خالقين، خالقاً يفعل الخير وخالقاً يفعل الشر! فجاء وصفهم بأن «القدرية مجوس هذه الأمة، إن ماتوا فلا تشهدوهم، وإن مرضوا فلا تعودوهم»^(١)، لأن المجوس أثبتوا خالقاً واحداً؛ قال أهل العلم: والمعتزلة أثبتوا خالقين وليس خالقين! فقالوا: إن العبد مستقل بفعله.

تقدم في آخر الدرس أن كل أحد يدرك أن الذي يقع فعلاً هو مشيئة الله عز وجل، وضرنا المثال بالمسافر الذي قرّر السفر وتأهب وأعد جميع الأسباب، ثم أصبحت تراه في البلد! ما بالك يا فلان؟ والله قد شئت السفر وأعددت كل أمر وتهياً كل سبيل وكل سبب لكن مشيئة الله تعالى هي التي تغلب المشيئات كلها، إذا لم يشأ أن تسافر لا تسافر، إذا لم يشأ الله عز وجل أن يقع الأمر الذي أردته لا يقع، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(٢).

القدرية أيها الإخوة نوعان: القدرية الأوائل وهم الغلاة، وهؤلاء - نسأل الله العافية والسلامة - نفوا جميع مراتب القدر الأربعة، نفوا أن يكون الله يعلم الشيء؛ أو أن يكون كتبه، أو أن يكون شاءه، أو أن يكون خالقاً للأفعال، هؤلاء أدركهم الصحابة رضي الله عنهم، وفيهم أول حديث في صحيح مسلم لما ذكر ابن عمر أنه وجد ابن عمر رضي الله عنهما وسأله قال: إن قوماً قبلنا في البصرة يتقفرون العلم - يعني أنه

(١) صحيح. أبو داود (٤٦٩١) من حديث ابن عمر رضي الله عنه مرفوعاً. صحيح الجامع (٤٤٤٢).

(٢) الإنسان: ٣٠.



عندهم نوع من التكلف والتعمق والمبالغة الزائدة عن الحد - وإنهم يقولون: أن لا قَدْرَ والأمر أنف! يقول: ينفون القَدْرَ ويقولون الأمر مستأنف! لم يمض به قدرٌ سابقٍ من الله تعالى عَلِمَهُ وَكَتَبَهُ! فقال ابن عمر رضي الله عنهما - الحديث هو أول حديث في صحيح مسلم بعد المقدمة - فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني، والذي نفسي بيده لو أن أحدهم أنفق مثل أحدٍ ذهبًا ما قبَّله الله منه حتى يؤمن بالقَدْر، ثم ذكر حديث عمر رضي الله عنه الطويل وفيه سؤال جبريل النَّبِيِّ عليهما الصلاة والسلام عن الإيمان، فقال: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقَدْرَ خيره وشره»^(١).

هذه المقدمة الآن نضعها حتى نضبط الكلام الآتي في رده رحمه الله تعالى على المعتزلة، قلنا: هذا القسم الأول، وهم يقولون بنفي جميع مراتب القَدْر، هؤلاء أجمع أهل السُّنَّةِ على كُفْرِهِمْ، اتفق أهل السُّنَّةِ على أنهم كفار كما سيأتي عند كلامه في العلم، لأنهم يقولون: إنَّ الأمور تقع والله لا يعلمها! وهذا كفرٌ بواح، لهذا هذا المذهب اضمحل، وهذا من بركة الصحابة رضي الله عنهم، لأن الصحابة لما أدركوا أوائل القَدْرية اشتدوا عليهم جدًا.

وأيضًا من محاسن دولة بني أمية، هذه الدول أيها الإخوة لها محاسن ولها مساوئ، فتجد فيها أمورًا حسنة وأمورًا سيئة، كما قال شيخ الإسلام: هؤلاء الحكام لهم حسنات كبار وسيئات كبار، والعدل والإنصاف يقتضي أن يذكر ما كان عند هؤلاء القوم من حسن ومن سيء - يعني بني أمية -، فكان من الأمور السيئة عندهم تعرُّضهم لعلي رضي الله عنه وتأخيرهم الصلاة، لكن في الجملة كانوا لا يتركون المبتدعة، وتبعوا أهل البدع من القَدْرية والجهمية والجعدية وأضرابهم، تتبعوهم، وهذه من محاسنهم، فكانت البدعة في وقتهم - بدع القَدْرية وغيرهم - لا تكاد تبدأ حتى يطفئوها، فمن محاسنهم أن معبدًا الجهني وهو الذي تصدر هذه المقولة - مقولة الأولى نفي والعياذ بالله مراتب القَدْر الأربعة - قد قتلوه، ثم أخذ هذه المقالة عنه غيلان الدمشقي وقتلوه، كما قتلوا الجعد بن درهم، وقتلوا الجهم بن صفوان، فكانت هذه من محاسنهم، هذه المقالة أول من قال بها رجل يدعى سوسن النصراني، ادعى الإسلام ثم تنصّر ثانية، وقال بها أيضًا مجوسي يدعى سيسويه، لم تنتشر كما روى ابن بطة، قال: لما قال بها هذا لم يتبعه على هذه المقالة إلا ملاحون ممن

(١) صحيح مسلم (٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنه مرفوعًا.



يعملون في السفن، ما تبعه أحد، حتى تبني هذه المقالة عدو الله معبد الجهني، وهذه خطورة الأقوال أيها الإخوة، ولا يزال إلى الآن المقالات الضالّة الآتية إلى الأمة من كفره الشرق أو الغرب، لا تنجح ولا تنتشر - إلا إذا تبناها أحد من أبناء الأمة اسمه اسمك ومن جلدتك ممن يتكلم بلسانك، هذا هو الذي ينشر - هذه المقالات، أما مقالة يقولها نصراني يدعى سوسن أو مجوسي يدعى سيسويه أو سنسويه - على خلاف في اسمه - هذه لا تنتشر في أحد، حتى جاء معبد الجهني فقال بهذه المقالة، فلما كان رجلاً من هذه الأمة انتشرت هذه المقالة، فاشتد عليه بنو أمية فقتلوه، ثم أخذ هذه المقالة رجل يدعى غيلان الدمشقي، استدعاه عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى وناظره وأمره أن يقرأ صدر سورة يس، قال: ما تقول؟ قال: أقول: كنت أعمى فبصرتني وميتاً فأحييتني، يعني أظهر أنه تاب، قال: اللهم إن كان كاذباً فأذقه حرّ السلاح، إن كان يكذب عليّ الآن فيما يدعيه من التوبة: اللهم لا يمت ميتة حتى يذوق حرّ السلاح، ثم توفي عمر بن عبد العزيز، تولى الخليفة بعده من أبناء عبد الملك ولم يرفع رأساً لهذه المقالات حتى أتى هشام بن عبد الملك؛ أظهر غيلان مقولته، لما أظهر غيلان مقولته استدعاه هشام، قال له: ألم تكن تعهدت لعمر بن عبد العزيز أن لا تنشر هذه المقالة؟ قال: الآن أتوب، قال: لا، فقطع يده ورجله وأمر بصلبه، فأجاب الله دعوة عمر بأن يذيقه الله حرّ السلاح وأن لا يموت موتاً، فكان هؤلاء سواء من الزنادقة أو ممن ادعوا من أصحاب الفكر الباطني من غلاة علي رضي الله عنه أو أمثال هؤلاء كانوا لا يتركون، فانطفأت مقالة القدرية الأوائل، جاءت المعتزلة، وأكثر ما تقوّت المعتزلة في زمن بني العباس، وزمن بني العباس - كما قال شيخ الإسلام - يختلف كثيراً عن زمن بني أمية، فزمن بني أمية كما قرّر شيخ الإسلام وغيره من العلماء أفضل بكثير من زمن بني العباس، انتشرت جملة من المقالات ومن ضمنها مقولة المعتزلة، وكان المعتزلة بعضهم في البصرة لهم مدرسة في البصرة وبعضهم في بغداد، انتشرت هذه المقولة حتى تمكنوا من الوصول إلى التأثير على ولاة الأمور؛ فأثروا على المأمون والواثق والمعتصم، ونشروا هذه المقالات، فتصدى لهم علماء السنة، ما الفرق بين مقولة المعتزلة والقدرية؟ المعتزلة لما رأوا فظاعة وبشاعة مقولة القدرية الأوائل وما وقف لهم المسلمون؛ أرادوا أن يتوسطوا فأثبتوا من مراتب القدر العلم والكتابة، لكن نفوا مشيئة الله تعالى لأفعال العباد ونفوا الخلق، فصار كلامهم مضطرباً لا هو بقول القدرية الأوائل ولا هو بقول أهل السنة، فمن هنا قالوا: إن العبد



يستقل بفعله عن الله تعالى تمامًا؛ فيريد الله تعالى من العبد أمرًا ويريد العبد أمرًا؛ فيقع مرادُّ العبد دون مراد الله، وهذا أمر موحش جدًا، معنى ذلك أنه يقع في ملكوت الله تعالى ما لا يريد، ويريد الله في ملكوته ما لا يكون، وكفى بهذا عيادًا بالله سوء أدب مع رب العالمين، والمعتزلة أيها الإخوة من أشدَّ الفِرَقِ قلة أدب مع الله، كتبهم موحشة، نحذر دائمًا من قراءة مثل هذه إلا لمن تخصص ودرس العقيدة وتشبع منها ثم يقرأ هذه الكتب لاحقًا للردِّ عليها، أما أن يقرأها الإنسان ستجد فيها أشياء يشيب منها الرأس من قلة أدب هؤلاء القوم وجرأتهم العظيمة مع مقام رب العالمين، ولهذا ماذا تلاحظ؟ تلاحظ الليبراليين والعلمانيين يركزون دائمًا على مقولات المعتزلة، مع أننا نقول إنصافًا وتقوى لله: إنَّ الفِرَقَ كبير جدًا بين المعتزلة وبين الليبراليين، الفِرَقِ هائل، الليبرالي والعلماني يمدُّ الفكر الفلسفي الغربي، مختلف تمامًا، وإن كانت المعتزلة قد تأثرت بالفلسفة، لكن أن نقول: إنَّ المعتزلة مثل الليبرالية والعلمانية! معاذ الله ما نقول هذا، لكن نقول: لا شك أنهم اتكؤوا على مثل هذه المقولات لأنَّ المعتزلة جريئون جدًا على النصوص الشرعية، يردُّون النصوص الشرعية ويدعون أن ما يسمونه عقلاً وهو الهوى المحض يقولون: إنه دلَّ على مقولتنا؛ فيتجرؤون جرأة شديدة على نصوص الشرع، والليبرالي والعلماني كما تعلم يروق له مثل هذا الفكر العفن، هنا نصل إلى النقطة التي ذكرها الإمام حرب رحمه الله تعالى، لما كانت المعتزلة تزعم أن الأمور يوقعها العبد وضرب عليه المثال هذا بالزنى، قالوا: إنَّ العبد هو الذي يشاء الزنى دون مشيئة الله؛ والله لا يريد منه أن يزني لا يريد قدرًا لكن شرعًا، لأنَّ الإرادة نوعان: إرادة قدرية وإرادة شرعية، الإرادة الشرعية هي الأوامر والأحكام الشرعية، فالله تعالى يُجرِّم هذا ولا يريد شرعًا، أما قدرًا؛ فقلنا: إنه لا يقع تحريكة ولا تسكينه إلا بإذن الله عزَّ وجلَّ مما يتعلق بأفعال العباد أو غيرهم، لما جاءت مسألة - والعياذ بالله - الزنى قالوا: إنَّ العبد يزني والله لم يقدر الزنى! بل العبد يقدره مستقلاً عن الله؛ والله لا يريد منه ذلك! وهو يوقعه رغماً عن الله عزَّ وجلَّ! فسأل هذا السؤال فقال رحمه الله: "ومن زعم أن الزنى ليس بقدر! قيل له: رأيت هذه المرأة التي حملت من الزنى وجاءت بولد هل شاء الله أن يخلق هذا الولد؟ وهل مضى هذا في سابق علم الله؟" لا بد أن يقول أحد أمرين، إما أن يقول: نعم، فإذا قال: نعم؛ فانتقض عليه قوله، وإما أن يقول: لا، الله تعالى لم يشأ أن تقع هذه المعصية من العبد، فيقال: هذا الابن الذي من خلقه؟ من شاء أن يوجد؟ من شاء لهذا الابن هذا من الزنى



أن يوجد؟ بل من خلقه؟ أنت تقول: الله عز وجل ما قدره أصلاً! وبالتالي من خلق هذا الابن؟ الزاني هو الذي خلق ابنه؟؟ قطعاً لا يقول هذا إنسان، لو يقول هذا إنسان هذا الكلام يكفر، لو قال أحد: إن الإنسان يخلق إنساناً! يكفر، وهذا هو المراد الآن في المناظرة، المراد بالمناظرة أيها الإخوة يكون فيها مخانق يوصل إليها المناظر حتى يصل لأحد أمرين؛ إما أن يقر بهذا الأمر الذي ينقض عليه قوله، فقل: رأيت؟ قولك الباطل لما ضيق عليك الخناق رجعت ونقضته، وهذا هو المراد أصلاً، المراد هذا حتى يعلم بطلان قوله، وإما أن يقول بامضاء قوله الأول فيلزم منه مقولة موحشة، اللازم للباطل يدل على ماذا؟ يدل على بطلان أصل القول، إذا كان هناك لازم - وهو الذي يترتب عليه القول - باطل؛ هذا يدل على أن القول في أصله باطل، فقال رحمه الله تعالى: "هذا الولد هل شاء الله أن يخلق؟ وهل مضى في سابق علم الله عز وجل أن يوجد هذا؟ أو لم يعلمه الله؟" قلنا: المعتزلة تقر بالعلم، فإن قال: لا، فقد زعم أن مع الله خالقاً؛ وأن الزاني خلق ابن الزنى منه، قال: "وهذا قول مضارع للشرك بل هو الشرك"، الحقيقة المعتزلة لا تقوله لكن هو يريد أن يضيق عليهم الخناق، لكن ما جواب المعتزلة؟ لا جواب، هذا هو، لا يستطيعون أن يجيبوا، لأنهم إن قالوا: إن الله هو الذي قدر وجود هذا العبد من الزنى وخلق ابن الزنى هذا - سبحانه وتعالى - كما خلق سائر عبيده، قلنا: معنى ذلك أن الله علم في سابق علمه ذلك وقد شاء - سبحانه وبحمده - شاء هذه المعصية التي نشأ منها ابن الزنى، فهذا من المخانق التي لا يستطيعون الجواب عنها.

ثم قال: "من زعم أن السرقة وشرب الخمر وأكل المال الحرام ليس بقضاء وقدر من الله عز وجل" نحن نعلم أن الرزق نوعان، رزق حلال ورزق حرام، الرزق الحلال هو المعروف الذي يأتي إليك بإرث أو هبة أو بكسب مباح؛ هذا رزق حلال، السرقة إذا سرق العبد وأخذ مال غيره لا شك أن هذا محرم ولا يجوز، قدر الله عز وجل أن يسرق هذا العبد وأخذ هذا المال وأكله من كسب باطل، وقدر الله عز وجل الكسب المباح والكسب الغير مباح، الكسب الغير مباح يقال لصاحبه: تَبَّ إلى الله تعالى وأرجع المسروق وعد من الذنب الذي أنت فيه؛ فأنت في زمن المهلة، من قدره؟ قدره الله تبارك وتعالى بلا شك، فالله تعالى هو الذي قدره، يقول: "من زعم أن السرقة وشرب الخمر وأكل المال الحرام ليس بقضاء وقدر! فقد زعم أن هذا العبد قادر أن يأكل رزق غيره!" يعني: كأن الله تعالى جعل هذا المال الذي سرق جعله مقدرًا لفلان بن فلان وكتبه



تعالى عنده؛ فهذا السارق أتى وأخذ رزق غيره ولم يتحقق ما قدره الله من أن هذا الرزق لصاحب هذا المال! هذا هو مراده، معنى ذلك أن الله تعالى يُقدِّر الرزق فلا يقع الرزق! والحق أن السرقة والزنى وسائر هذه الأمور قد قدرها الله تبارك وتعالى، والأمر فيها كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وقوع هذه المعاصي من العبد؛ لولا أن العبد هان على الله عزَّ وجلَّ لما وقع في هذه المعاصي، لأنَّ الله تعالى لو كان لهذا العبد قدرٌ عنده لمنَّ عليه وأكرمه، لكن لأنه هان على الله عزَّ وجلَّ وقع بهذه الدنيا، فعليه أن يراجع نفسه وأن يتعرف على الأسباب التي جعلته يصل إلى مثل هذه المراحل حتى يعود إلى ربه تعالى، هذا فيما يتعلق بأمر المال، المال قدره الله تبارك وتعالى وأنت تعرف أن هذا السارق حين أخذ هذا المال قد اغتذى به واغتنى به وبني به بيتاً مثلاً واشترى به طعاماً وتقلب في حياته من آثار هذا المال فهو رزق لكنه رزق حرام، لأنَّ الإنسان يستطيع أن يأخذ مال غيره؛ فيكون هذا الذي يأكله ويتغذى به لا شك أنه من عند الله عزَّ وجلَّ لكنه رزق حرام، فيقول: إذا قلت: إنَّ هذا الرزق ما قدره الله، معنى ذلك أن العبد تمكن من أن يأخذ رزق غيره وأن لا يقع ما قدره الله تعالى من تقسيم الأرزاق! هذه المقولة مثل المقولة السابقة في إلزام المعتزلة ولهذا قال: هذا القول يضارع قول المجوسية والنصرانية.

"بل أكل رزقه وقضى الله له أن يأكله من الوجه الذي أكله" يعني من هذا الوجه المحرم، وبالتالي ما الفائدة؟ الفائدة: ارجع إلى الله تعالى وتبَّ إليه لأنك أكلت من المال الحرام، ولا تحتج بالقدر! ولهذا رفع لعمر رضي الله عنه سارقاً فلما رفعه قال: يا أمير المؤمنين؛ أنا قد قدر الله تعالى عليَّ أن أسرق! فقال عمر رضي الله عنه: وأنا قدر الله تعالى أن أقطع يدك^(١)، يعني لا تأتي إلى القدر لتستدل به على باطلك! ولتجعل القدر حجة في أن تفعل الباطل! نعم الله تعالى قدر هذا الأمر وعليك أن تتوب منه، لكن أيضاً الله تعالى أمرني أن أقيم الحدود؛ فسأقطع يدك قدرًا كما سرقت أنت قدرًا، ثم جاء أمر قتل النفس، المعتزلة - قبحهم الله - لهم مقولة موحشة جداً في الأجل، يقولون: الأجل يُقدره الله تعالى؛ فمثلاً يُقدر الله أن يعيش العبد ثمانين سنة؛ فإذا قتله أحدٌ يقولون القاتل - نسأل الله العافية والسلامة، كلمة موحشة جداً - قطع أجله، قال: القاتل قطع أجله، لو لم يقتله لعاش ثمانين سنة، فلما قتله عاش ستين سنة، فالقاتل قطع الأجل الذي قدره الله،

(١) يُنظر شرح الطحاوية (ص: ١٠٥).



ولولا لم يقتله لاستمر حتى يصل إلى أجله، ما الذي يترتب على هذا الكلام الموحش؟ أن الذي تحقق هو مشيئة العبد دون مشيئة الله! فالله شاء له ثمانين سنة - بزعمهم - لكن القاتل تمكن من أن ينهي أجلاً قدره الله تعالى وأن لا يصل هذا الإنسان إلى ما قد قدره الله تعالى؛ بل قطعه القاتل على الله عز وجل، وهذا أمر موحش جداً في الحقيقة، يعني لولا الضرورة ولولا أن حرباً رحمه الله تعالى تطرق لها لما تطرقنا له، لأن مثل هذه المقولات لا نقولها حقيقة أثناء الشروح العامة، لكن لما تطرق لها رحمه الله تعالى وأراد الرد فلا بد من الرد الذي يبين أصل المقولة، لأن مقولة المعتزلة في هذه الفطاعة - نسأل الله العافية والسلامة -، وبناء عليه يلزمهم أن الله تعالى يقدر الآجال لكن العباد يقطعونها، فيشاء الله الأمور ولا تقع! فالقاتل - بزعمهم - قتل هذا بزعمهم فقطع على هذا المقتول أجله؛ فتحقق مراد العبد دون مراد الله! وهذا في الحقيقة فيه تغليب لمشيئة العبد على مشيئة الله، بل هذا فيه تعجيز لرب العالمين سبحانه وتعالى.

وهذا الأمر كما قلنا يدركه حتى عوام المسلمين أنه من الأقوال الباطلة، فنعطي نموذجاً عليه يعلم به أن عامة المسلمين يعلمون بطلان هذا القول، روى اللالكائي رحمه الله تعالى عن مرحوم العطار أن رجلاً من أهل السنة طلب إليه أن يذهب معه إلى أحد المعتزلة ليشتري منه جارية، يقول مرحوم: فدخلنا عليه، فلما دخلنا عليه قال: لا يأتيكم بطعامكم أو بكذا إلا التي أردتم أن تشتروها - يقصد الجارية - ثم أمر أن تحضر - لهما ماء - الجارية هذه - فأحضرت الماء، لما أحضرت الماء وضع المعتزلي القدح على يده، المعتزلي يزعم أن الأمور إليه دون الله؛ وأن الذي يتحقق مشيئة العبد دون مشيئة الرب! فوضع القدح على يده وقال - يعرض لأهل السنة - يقولون: إنني لا أستطيع أن أشرب هذا الكأس!! ثم قال: هي - يقصد الجارية - حرة لوجه الله إن لم أشربه؛ أترى مانعاً؟ يعني هل من أحد يمنعني من أن أشرب هذا؟ هذا فعلي وعملي والأمر إلي، فكأس على يدي وماء أريد أن أشربه؛ هل يستطيع أحد أن يمنعني؟ إن لم أشربه فهي حرة لوجه الله، يقول الراوي: فضربت الجارية القدح بطرف ثوبها ووقع القدح وتحققت مشيئة رب العالمين، هو يقول: إن لم أشربه فهي حرة لوجه الله، يقول مرحوم العطار رحمه الله: فخرجت معنا متقنعة - يعني تغطت - لأنها صارت حرة، ماذا سميت؟ ما الذي اعتقها؟ سميت مولاة السنة، الذي اعتقها السنة، الذي اعتقها اعتقاد أهل السنة والجماعة، وخضع المعتزلي وتحمرت رغم أنفه، ووقع ما قدره الله تعالى، وقوله: هل ترى مانعاً؟



هناك أحدٌ يمنعني من أن أشرب الماء؟ ثم قال: هي حرة لوجه الله تعالى إن لم أشربه، فكان الله تعالى قد قَدَّرَ أن تضربَ الجارية على - هي على السُّنَّةِ - أن تضربَ القدح فسقط، وقد علقَ عتقها بكونه لا يشرب الماء؛ فلم يشرب الماء، فتقنعت، لأنَّ الجوارِي يكشفن عن وجوههن؛ فإذا تحرَّرنَ فإنَّه يلزمهنَّ تغطية الوجه، فخرجت متقنعة، يعني أنها غطت وجهها بالقناع وسميت مولاة السُّنَّةِ^(١)، لأنَّ كل أحد يعلم أن الأمور إلى مشيئة الله سبحانه وتعالى، وليست الأمور إلى العبد استقلالاً! بحيث يستقل بالأمر كما يزعمون، والقاتل والمقتول لا شك أن الله تعالى قد قَدَّرَ أن يُقتل في الوقت الفلاني وفي الساعة الفلانية وفي الوقت المحدد؛ وأن قَتَلَهُ بحقٍ أو بباطل؛ وأن قَتَلَهُ يقع على يد مجاهدٍ في سبيل الله يقتله فيموت ذاك على الكفر؛ أو يقع على يد ظالمٍ تَعَدَّى عليه فقتله، الله عزَّ وجلَّ هو الذي قَدَّرَ هذا، المعتزلة لا تريد أن تقول هذا، وإنما تقول أن هذا أمرٌ إلى العبد، قطع الأجل الذي قَدَّرَهُ الله! نسأل الله العافية والسلامة.

ثم قال رحمه الله تعالى: "بل ذلك كله - يعني ما تقدم من أفعال العباد - بقضاء من الله وقَدَّرَ، وكل ذلك بمشيئته في خلقه وتدييره فيه سبحانه وتعالى، وما جرى في سابق عِلْمِهِ لهم" ثم قال: "وهو العدل الحق الذي يفعل ما يريد سبحانه وبحمده".

أتى إلى مسألة تحتاج إلى توضيح وهي من عبارات السلف رحمهم الله تعالى جاءت عن الشافعي وغيره يقول رحمه الله: "ومن أقرَّ بالعلم" يعني من أقرَّ أن الله تعالى عَلِمَ الأشياء كلها والمعتزلة تُقرُّ بهذا "لزمه الإقرارُ بالقَدَرِ والمشية على الصَّغَرِ والقِماءة" يعني على الذل، يلزمه ذلك ذليلاً، ما معنى هذا الكلام؟ يقول السلف رحمهم الله في القَدَرِيَّة: ناظروهم بالعلم؛ فإن أقرُّوا به خصموا، وإن جحدوه كفروا، لو قال أحد: إنَّ الله تعالى لا يعلم الأشياء! يكفر بالإجماع، ولهذا قلنا: إنَّ القَدَرِيَّةَ الأوائل كفرهم السلف بالإجماع لأنَّهم قالوا: إنَّ الله لا يعلم الأمور حتى تقع، وبالتالي لا يكون مُقَدَّرًا لها، فيقول السلف: ناظروهم هؤلاء - نفاة القَدَرِ - بالعلم، ابدأوا معهم بالعلم؛ فإن أقرُّوا أن الله عَلِمَ الأشياء خصموا، انتهت حجَّتُهم، والمعتزلة تُقرُّ بالعلم، عند ذلك يُخصمون، وإن جحدوه كفروا كما كُفِّرَت القَدَرِيَّة الأوائل، ولهذا قال: إنَّ من أقرَّ بالعلم لزمه الإقرارُ بالقَدَرِ والمشية، ما معنى قولهم "ناظروهم بالعلم؛ فإن أقرُّوا به خصموا وإن جحدوه كفروا"؟

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة لللالكائي (٤ / ٨٠٢).



معناه: أن من جحد ما يقع من العباد مما قد علمه الله فقد زعم أن الله تعالى جهل ما سيقع! وهذا قلنا: إنه كفر بالإجماع، وإن قال: لا؛ بل الله علم أنه سيقع الزنى؛ وعلم أنه سيقع القتل؛ وعلم كل شيء؛ فإذا أقر أن الله تعالى علم ما سيعمل العباد لزمه أن الله قدره، يعني إذا قال: إن الله علم أنه سيقع هذا من العباد فإنه يلزمه أن الله تعالى قدره لأنه علمه؛ فلما علمه كتبه وقدره، ويقال له - الذي قال: إني أقر بالعلم -: إن الله تعالى علم الأمر وهو سبحانه وتعالى الذي قدره عز اسمه؛ فلا تستطيع أن تفصل بين كون الله علم الشيء وكون الله تعالى قدره، يعني إما أن تجحد مراتب القدر الأربعة كما فعلت القدرية الأوائل وهم سلف المعتزلة، يعني المعتزلة من أين أتتهم هذه المقالة؟ أتتهم من القدرية الأوائل من معبد وأمثاله ومن سوسن وسيسويه، فنقول: لا تستطيع الفصل، إما أن تقر بالقدر بمراتبه الأربعة، أما أن تقر بمرتبة العلم وتجحد أن الله تعالى شاء هذا الأمر لا يتأتى لك هذا! أنت إذا أقرت بالعلم لزمك الإقرار بالمشيئة، إذن يقال لمن قال: بل علمه الله؛ والأمر في خلق الفعل للعبد يقال له: إذا كان الأمر كذلك تقول: إن الله علم من العبد أنه ستقع منه المعصية والعبد هو الذي خلق المعصية لنفسه؛ فيقال له: هل يقدر العبد ما دام يخلق فعله بزعمك؟ هل يقدر أن يمتنع عن الفعل فلا يفعله؛ فيغير علم الله السابق؟ أنت تقول: الله تعالى علم من العبد أنه سيفعل كذا؛ والعبد هو الذي يخلق فعله؛ فيقال: هل يقدر العبد أن يمتنع ويغير ما علم الله أنه سيقع أو لا يقدر؟ الجواب واضح، لا يمكن أن يقول: إن العبد يستطيع أن يغير ما علمه الله في السابق، فيقال: أرايت؟ العلم مربوط بالمشيئة، فكما علمه الله تعالى فقد شاءه، أما لو كان العبد مستقلاً؛ فإنه يستطيع أن يغير ما علم الله من العبد أنه سيقع! فالأمر تقول: إن العبد هو الذي يخلق فعله؛ وبالتالي فالعبد يتمكن بزعمك من أن يستقل عن أمر الله تعالى؛ إذن يستطيع أن يغير علم الله بأن العبد سيفعل كذا! ولهذا الإقرار بالعلم بأن الله علم الأشياء يلزم معه أن الله تعالى شاءها، أما إذا قال: إن الله تعالى علم الأشياء ولم يشأها؛ بل المشيئة للعبد وهو الذي يخلق فعله! ما دمت الآن مستقلاً بفعلتي ومشيتي والله تعالى علم مني أي أنه ستقع مني معصية والأمر إلي أقول: اليوم سأغير علم الله، علم الله مني أي سأفعل كذا والأمر إلي إذن لن أفعلها، وبالتالي يتغير علم الله تعالى، ولو قال هذا أحد كفر، يعني عندنا يا إخوة موضوع العلم بالإجماع - بإجماع المسلمين - من قال: إن الله لا يعلم الشيء! هذا بإجماع المسلمين يكفر، فالمعتزلة علمت خطورة نفي العلم الذي فعله



سلفهم وهم القدرية، قالوا: بل قد علمه الله، وقالوا علم الله الأشياء؛ يقال: بالصَّغَر وبالْقَمَاءة يلزمكم إثبات القدر، يقولون: كيف؟ ما دام الله تعالى علم الأشياء فلا بُدَّ أنه شاءها وقدرها، فإن قلت: إنه علمها ولم يُقدرها وإنما التقدير للعبد؛ فأقول: انتظر اليوم؛ المعصية التي ستقع من العباد وقد علمها الله تعالى؛ يُقرّر العبادُ ألا يفعلوها! وبالتالي يكون الله تعالى علم أمرًا لكنه لم يتحقق! وهذا تجهيل لرب العالمين سبحانه وتعالى، ولهذا من أقرّ بالعلم لزمه الإقرارُ ببقية مراتب القدر، ومن ردّ العلم فكما قال السلف: "ناظروهم بالعلم؛ فإن أقرّوا به خصموا، وإن جحدوه كفروا"، أي أحدٍ يقرّ أن الله تعالى علم الأشياء يلزمه الإقرار بمراتب القدر، أما أن يقول: إنه علمها ولم يشأها وإنما المشيئة إلى العبد - ما دامت المشيئة إليّ - فسأغير علم الله! هذا المعنى، وهذه مزية يا إخوة النقاش مع أهل الضلال من قبل علماء أفاض كبار مثل هؤلاء الأئمة رحمهم الله تعالى، فإنهم يلزمونهم، مثلما نقول الآن للرافضة، الرافضة أيها الإخوة يسقط مذهبهم تمامًا عن طريق مخانق تخنق المذهب الرافضي، الرافضة مثلاً تقول: إن الأئمة معصومون ولا يقع منهم أي خطأ! مع أن الرافضة تقول - طائفة منهم - إن الأئمة معصومون والرسول غير معصومين! نسأل الله العافية والسلامة، يقال: دعنا في موضوع عصمة الأئمة، الأئمة معصومون معناه أنه لا يقع منهم خطأ؟ يقولون: نعم، نقول: تعال، فإذا جاء عن الإمام قول وجاء عن الإمام الآخر قول بخلافه أو موقف قال به إمام وعارضه فيه إمام آخر؛ الصواب مع من؟ مع هذا المعصوم الأول ولا مع المعصوم الثاني؟ ونعطيك عليه مثالاً: الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما قرّر أن يتنازل لمعاوية رضي الله تعالى عنه بالخلافة؛ وأن يحقن الدماء، فكان رأي الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما أن لا يُوقف القتال، وقال: إنه يرى إمضاء القتال حتى يُجسم الأمر، فغضب الحسن على أخيه الحسين رضي الله عنهما، وفي بعض الروايات أنه قال: والله لقد هممت أن أطين عليه حتى أقضي هذا الأمر، يعني سيحبسه ويطين عليه، فقال: يا أخي، أنت أكبر أولاد عليّ فالأمر إليك، لأنه هو الذي بُويع، الآن تنازل الحسن لمعاوية صواب أو خطأ؟ إن قالت الرافضة: إنه صواب؛ فموقف الحسين خاطئ، وإن قالوا: إن الحسين موقفه هو الصواب وكان ينبغي أن يجارب؛ فتنازل الحسن خاطئ، والحسن عندكم معصوم والحسين معصوم، لا بُدَّ من أحد أمرين، الأمر الآخر أنتم تقولون - قبحكم الله وأخزاكم - إن معاوية رضي الله عنه كافر، أنتم لا تشعرون ولا تدرّون بالذي يترتب على هذا الأمر، معنى ذلك أن



الحسن - وهو معصوم عنكم - تنازل لأمر الأمة لرجل تزعمون أنه من الكفار! وهذا من أعظم الخيانة أن تجعل قيادة أمة محمد صلى الله عليه وسلم بيد كافر، فأنتم بين أمرين، إما أن معاوية - ورغم أنوفكم - من المؤمنين وهو كذلك، وإما أن تقولوا: إن الحسن - وهو معصوم - تنازل بالإمامة لكافر، على الأمرين يسقط المذهب الرافضي، وهكذا مجموعة من المخانق لهذه المذاهب الباطلة، ولهذا كان من طريف ردود ابن سريج رحمه الله تعالى مع أحد أهل العلم ابن أبي داود - كلاهما من أهل السنة - لما أراد مناقشته قال له رحمه الله تعالى: أقطعك أو أرد عليك؟ أم أرد عليك ثم أقطعك؛ ماذا تريد؟ أنت الآن أدليت إلي بأمر؛ إن شئت قطعتك ثم رددت عليك بالتفصيل، وإن شئت رددت عليك ثم قطعتك، قال رد علي ثم اقطعني^(١)، رحمهما الله، قطعه مثلاً، أعطيك مثلاً، يعني إذا أتاك إنسان بشبهة وقال: هذا عندي حديث يدل على جواز دعاء غير الله عز وجل من الصالحين، كيف تقطعه؟ أقول: الآن أقطعك أم أرد عليك؟ أو تريد أن أرد عليك بالتفصيل ثم أبين لك النصوص ثم أقطعك، كيف أقطعك؟ أقول الحديث الذي معك موضوع مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، انقطع، عرفت أنه مكذوب بعد ذلك أرد عليك بالنصوص من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم على أنه لا يجوز أن يدعى غير الله، الرد عليه أن يبدأ بتقرير أن الله تعالى بعث الرسل عليهم الصلاة والسلام للدعوة إلى التوحيد، قال الله تعالى: ﴿وَالِي عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾^(٢) ﴿وَالِي ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾^(٣)، ﴿وَالِي مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾^(٤)، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ﴾^(٥) كل هؤلاء ماذا قالوا: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾^(٦)، وهكذا قول النبي صلى الله عليه وسلم، وهكذا مجموعة من الأدلة، فنقول: هذا الرد، ثم بعد ذلك نقول: والحديث الذي معك موضوع مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فتركت الحديث الصحيح والنصوص الصريحة في كتاب الله واستدللت بحديث موضوع، القصد ما هو؟ أن تصدر للرد على أهل الباطل لا يكون من قبل أي أحد، لأن الحق إذا

(١) ينظر "البرهان في علوم القرآن" للزركشي (٢ / ٤٦).

(٢) الأعراف: ٦٥.

(٣) الأعراف: ٧٣.

(٤) الأعراف: ٨٥.

(٥) الأعراف: ٥٩.

(٦) الأعراف: ٥٩.



رُدٌّ - إذا كان الرادُّ ضعيفًا ظهر الحق في مظهرٍ ضعيف -، مع أن هذه الشبهة - والله الحمد - ليست بشيء، ولا تُعادل قلامة ظفر، لا شُبَّه الملاحدة ولا المنصِّرين ولا الروافض ولا دعاة الشرك ولا الليبراليين والعلمانيين ولا غيرهم، لكن تحتاج إلى مَنْ يضبط الرَّدَّ، وينطلق من قاعدة علمية راسخة، أما أن يردَّ مَنْ كان عنده ضعف؛ فإنه يظهر الحق بمظهرٍ ضعيف، ولهذا يحرص دائمًا أهلُ الباطل على أن يناظروا الضعفاء من أهل السنَّة، ويفرِّون من مناظرة مَنْ لديه رسوخ في العلم، لأنهم يعلمون أن الحق الذي مع أهل السنَّة لا يمكن أن يُردَّ؛ فيبحثون عن ضعيف - مثل السلاح الماضي القوي إذا حملة طفل لا يستطيع أن يرفع هذا السيف -، فلا بُدَّ أن يكون الأمر عند أهله، وأن لا يتصدر أحدٌ للرَّدِّ إلا إذا كان مؤهلًا وقادرًا على الرَّدِّ، ولهذا هذه العبارات التي قلناها من طريق الردود على المعتزلة وأمثالهم هي في الحقيقة كثيرة جدًا، كثيرة للغاية، ووجوه الردِّ عليهم - والله الحمد - يعني من عدة أوجه، وليس فقط من هذه الوجوه التي ذكرنا، يعني كلامهم يبطل من أكثر من وجه، لكن يجب أن يتصدر لمثل هذا الأمر مَنْ هو مؤهل، أما إذا جاء ليناقضهم وليس بمؤهل؛ فإنه يضعف في الرَّدِّ ويظهر من كلامه الاضطراب وعدم التدقيق بما يظن الظان أن الحق ضعيف، والحق لله الحمد ليس بضعيف ولكن الذي حمل هذا الحق كان هو الضعيف، نعم.

هنا قال عبارة قال: "ومن أقرَّ بالعلم لزمه الإقرارُ بالقدرِ والمشية على الصَّغر والقماء، والله الضار النافع المضل الهادي" هذه الأسماء يُقرن بينها، فهل الله هو الهادي؟ إي والله الحمد هو الهادي ونسأله أن يهدينا، هل الله هو المضلُّ؟ أي والله هو المضل ونعوذ بالله أن يضلنا، لكن يُقرن بينها، فيقال: النافع الضار، الهادي المضلُّ، القابض الباسط، فهذه الأسماء يُقرن بينها، لأن لها معنى حقًا بلا أدنى شك، فالله هو الهادي بلا ريب، ولكنه تعالى كما أنه هو الهادي فهو المضل، وكما أنه تبارك وتعالى هو الضار فهو النافع، فينبغي أن تذكر الاسمين مقرونين حتى لا تقول: إن الله هو الضار، نعم هو الضار سبحانه وتعالى؛ ولكن هو النافع، تذكر الأمرين معًا لأنه يضر وينفع، ويهدي ويضل سبحانه وتعالى، أما أن تتكلم عن كونه سبحانه وتعالى هو الذي يضل والذي يضر من شاء سبحانه وتعالى دون أن تذكر أنه تعالى ينفع ويهدي؛ فهذا إبانة لبعض الحق دون بعض، فمثل هذه الأسماء يُقرن بينها.



ولا نشهد على أحد من أهل القبلة أنه في النار لذنب عمله ولا لكبيرة أتاها إلا أن يكون في ذلك حديث؛ فيروى الحديث كما جاء على ما روي، ويصدق به ويقبل، ويعلم أنه كما جاء ولا ينصب الشهادة، ولا نشهد لأحد أنه في الجنة بصالح عمله ولا لخير أتاها إلا أن يكون في ذلك حديث فيروى الحديث كما جاء على ما روي، ويصدق به ويقبل ويعلم أنه كما جاء ولا ينصب الشهادة.

.....

ذكر رحمه الله تعالى ما يتعلق بأهل القبلة، والمراد بأهل القبلة الذين يصلون إلى الكعبة - وهم المسلمون - لأن من شأن المسلم أنه يصلي فيسمون بأهل الصلاة وأهل الإسلام وأهل القبلة لأن المسلم يصلي؛ فيُطلق عليهم أنهم أهل القبلة.

يقول رحمه الله تعالى: "لا نشهد على أحد من أهل القبلة أنه في النار لذنب عمله"، الذنوب التي هي مقارفة المعاصي لا يُكفر بها المسلم إذا لم يستحلها، يعني مثل شرب الخمر والزنى ونحوه هذه لا يُكفر بها المسلم، التكفير بها عادة هو مسلك الخوارج، فوقع هذه الكبائر من المسلم لا يحل أن يرتب عليه تكفيره، فيقال: هو مسلم عاصٍ، يطلق عليه أنه فاسق، وتسقط شهادته شرعاً وترد، لكنه مسلم من المسلمين، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ (١) الأمة ثلاثة أقسام، الظالم لنفسه وهو الذي يظلمها بمعصية الله عز وجل، والمقتصد هو الذي اقتصر على فعل الواجبات وكف عن المحرمات، السابق بالخيرات درجاته أعلى، كف عن المحرمات وأدى الواجبات وعمل المستحبات، فالأمة مقسومة إلى هذا، والله تعالى أورث الكتاب هذه الأقسام الثلاثة ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (٢)، فالمسلم الذي هو من أهل الصلاة ومن أهل "لا إله إلا الله" لا يحل أن يشهد عليه بأنه في النار لمجرد أنه أذنب ذنباً - ولو كان من الكبائر - إلا أن يكون في ذلك حديث؛ فيروى الحديث كما جاء، إذا جاء نص عن النبي صلى الله عليه وسلم بالتنصيص على أحد أنه في النار؛ فهذا ينص على أنه من النار، أما مجرد

(١) فاطر: ٣٢.

(٢) فاطر: ٣٢.



مزاولته للذنوب والكبيرة فلا يحل أن تكون سبباً في الشهادة عليه بأنه من أهل النار مهما كانت كبريته مادام من أهل القبلة، ولهذا قال: "إلا أن يكون في ذلك حديث؛ فيروى الحديث كما جاء على ما روي، ويصدق به ويُقبل ويُعلم أنه كما جاء، ولا ينصب بالشهادة - بالباء -" وفي بعض "ولا ننص في الشهادة" ولعل الأمر مقارب، يعني أنا لا نشهد عليه وننص عليه بأنه من أهل النار إلا إذا جاء حديث يدل على أنه بعينه من أهل النار.

لما ذكر هذا في العصاة قال في المطيعين: "ولا نشهد على أحد أنه في الجنة لصالح عمله" يعني أن المحسنين لا نشهد للواحد منهم بأنه من أهل الجنة؛ والمسؤولون لا نشهد للواحد منهم بأنه من أهل النار إلا أن يكون في ذلك حديث أيضاً، يعني مهما عمل من الصالحات وظهر عليه من الخير ومهما اشتهر بالسمعة الطيبة ومهما أثني عليه في أنحاء الأرض، مثل عمر بن عبد العزيز وأحمد بن حنبل هل نقول: إنها من أهل الجنة؟ الصحيح أنه لا يقال: إنها من أهل الجنة، لأن الأصل أننا لا ننص على أحد بعينه إلا بحديث محدد أنه من أهل الجنة، لكن يرجى للمحسن، وهذه عبارة أهل السنة في العقيدة، نرجو للمحسن ونخاف على المسيء، المحسن نرجو له رجاءً، والمسيء نخاف عليه خوفاً، ولا نجزم للمحسن بأنه من أهل الجنة، وإنما نرجو، ولا نجزم للمسيء بأنه من أهل النار ولو مات وهو في كبريته، يعني لو شرب الخمر ومات والخمر في بطنه وهو مخمور، أو مات - نسأل الله العافية - وهو يزاول الفاحشة، قبض الله روحه وهو على هذا؛ ما نشهد أنه من أهل النار! لأنه عاصٍ، كونه يموت على هذه الفاحشة أو على هذه الكبيرة لا يعني أنه يتغير الحكم فيه، هو مسلم من العصاة، فلماذا نأخذ هذا قاعدة، أن من أساء فإننا نخاف عليه خوفاً، وإذا مات اجتمعنا وصلينا عليه وسألنا الله له الرحمة، وإذا دفناه وقفنا على قبره وسألنا له التثبيت، لأنه أخونا؛ وإن أقمنا عليه الحد؛ وإن سجنناه؛ وإن ضيقنا عليه في الدنيا؛ لأن المسألة ليست شخصية بيننا وبينه! بل هذه إقامة لحدود الله تعالى وتطهير وتمحيص له هو، فإذا توفي؛ فإننا نسأل الله له المغفرة، ونذهب ونصلي عليه صلاة الجنائز، ونقف على قبره وندعو الله له بالرحمة والثبات، هذا اعتقاد أهل السنة، ومن مات وهو على حال من الإحسان والصلاح والتقوى والعبادة والورع؛ فإننا نرجو له رجاءً ولا نجزم جزماً بأنه من أهل الجنة، من الذين نجزم لهم بأنهم من أهل الجنة؛ والذين نجزم لهم بأنهم من أهل النار؟ الذين وردت فيهم النصوص،



فنجزم ونشهد شهادة أن أبا بكر من أهل الجنة وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وابن عمرو وهكذا بقية العشرة، ونشهد أن بلالاً من أهل الجنة لأنه ورد في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع دف نعليه في الجنة^(١)، ونشهد أن ثابت بن قيس من أهل الجنة^(٢)، من أين شهدنا؟ من الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنه من أهل الجنة، إذن إذا جاءت النصوص على أن أحداً من أهل الجنة؛ فإننا نجزم بأنه من أهل الجنة، وإذا دلت النصوص على أن أحداً من أهل النار؛ فإننا نشهد أنه من أهل النار، فنشهد أن أبا جهل في النار، ونشهد أن أبا لهب في النار، أبو لهب النص عليه في القرآن، وهكذا إذن لا نخوض في أمر في المستقبلات الآتية في مصير الناس، ولكن نقول في الجملة: من مات على الإسلام فهو من أهل الجنة، ومن مات على الكفر فهو من أهل النار، فإذا علمنا أن أحداً مات على كفره فهذا من أهل النار قطعاً، لكن إذا سمعت الآن مثلاً في الأخبار أن بلداً من البلدان وقع فيه زلزال - بلد من البلدان الكافرة - هلك فيه ألوف من الناس؛ هؤلاء في الجنة أو في النار؟ لا نستطيع أن نجزم، قد يكون فيهم من يكتم إيمانه، قد يكون فيه من لم تبلغه الدعوة لتقصيري وتقصيرك، فنقول: هؤلاء أمرهم إلى الله، لكن من مات على الكفر منهم فهو من أهل النار، فالذي علمنا منه أنه مات على الكفر قطعاً من أهل النار، لكن ألا يوجد في تلك البلدان من يكتم إيمانه؟ بلى وعددهم غير قليل، ألا يوجد في تلك البلدان من لم يسمع بالإسلام البتة؟ ولم يدر به؛ ولم يبلغه الإسلام؟ بلى يوجد فيهم، هل نقول: هؤلاء الذين هلكوا الآن عشرة آلاف مصيرهم النار؟ لا تقل هذا، لكن نقول: من مات على الكفر فإنه من أهل النار، الذي نعلم أنه مات على الكفر، أما أن يكون مؤمناً يكتم إيمانه أو أن يكون من أهل الكفر الذين لم تبلغهم الدعوة فنقول: إنه من أهل النار!! ما لنا ولهذا الأمر، لكن قطعاً من مات من أهل الكفر على كفره فهؤلاء من أهل النار بلا أدنى تردد، وهكذا الذي يقتل على الردة، رجل استتيب فأبى أن يتوب، تقول: قبحك الله؛ سببت الله وسوله! تب إلى الله عز وجل من هذا، هذا على القول بالاستتابة، لأن بعض أهل العلم لا يرون الاستتابة - خاصة بما يتعلق بسب النبي صلى الله عليه وسلم - فأبى وأصر؛

(١) صحيح البخاري (١١٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) صحيح البخاري (٣٦١٣) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً.



فقتلناه، نجزم أنه من أهل النار قطعاً، لأنه قُتِلَ بسلطان الشرع وأبى أن يعود بعد أن استتيب، أما من ماتوا وأمرهم إلى علام الغيوب سبحانه وتعالى هو الذي يعلم أمر عباده سبحانه وتعالى، لا إله إلا هو، إذن الأمر في هذا على الأدلة وما دلت عليه أن من نصت الأدلة على أنه من أهل الجنة فإننا نجزم أنه من أهل الجنة، ومن لم تنص الأدلة عليه فإنه مهما كان له في الإسلام من سابقة عظيمة كعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى أحياء الله به السنة ورفع الله به المظالم الشديدة، الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، وقف لنشر السنة ونشر الأحاديث وذاد دون اعتقاد المعتزلة حتى أطفأ الله تعالى بدعة المعتزلة الضالة؛ نقول: أحمد في الجنة؟ نقول: نرجو له الجنة، عمر بن عبد العزيز نرجو له الجنة، أما عمر بن الخطاب نجزم أنه من أهل الجنة لأنه ورد الحديث في عمر بن الخطاب ولم يرد في عمر بن عبد العزيز ولا في أحمد بن حنبل، هذا هو القول الصحيح.

بعض أهل العلم يقول: إن من شاع في الأمة الثناء عليه؛ وصار له لسان صدق؛ والأمة تشني عليه؛ ومن عرف حاله وأثنى عليه وانتشر له هذا يقال: إنه من أهل الجنة استدلالاً بقول النبي عليه الصلاة والسلام لما مرت به جنازة وأثنوا عليها خيراً فقال صلى الله عليه وسلم: «وجبت» مرَّ عليه بجنازة أخرى فأثنوا عليها شراً فقال: «وجبت» قال عمر: يا رسول الله ما وجبت؟ فقال في الأول: «هذا أثنتم عليه خيراً؛ فوجبت له الجنة، وذاك اثنتم عليه شراً فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في خلقه»^(١)، فيقال: هذه الواقعة كان الشهود فيها الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم؛ والذي أخبر بالخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا إشكال ولا ريب أن هذا هو المتعين المتحقق في خبر هذين الرجلين، لكن إذا مات أحد نقول: إنه من أهل الجنة لأن الناس يشنون عليه؟ لا يصلح هذا، هذا هو الصحيح، الصحيح أنه لا يُنصُّ على أحد بأنه من أهل الجنة إلا بنص حديث عن النبي عليه الصلاة والسلام، ولا يُنصُّ على أحد بأنه من أهل النار إلا بنص آية أو بنص حديث عنه عليه الصلاة والسلام، فهذا المقصود بهذا الموضع، وعليه لا يُشهد لأحد من أهل القبلة، معنى ذلك لو أن رجلاً مات على كبيرة من الكبائر كشرب الخمر؛ هل يمكن أن يدخل الجنة ولا يعذبه الله عز وجل؟ إي والله ممكن، نعم، والأمر لله عز وجل، ومن يمنع الله تعالى أن يغفر له؟ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا

(١) صحيح البخاري (٦٥٥) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً.



يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ»^(١) فقد يتلقاه الله تعالى برحمته ويغفر له ويعفو عنه، ومن يمنع الله تعالى من أن يعفو عن عبيده؟؟ وفي الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أن بغياً من بني إسرائيل سقت كلباً - وهي بغية زانية - فغفر الله تعالى لها بسقي الكلب^(٢)، فينبغي الحذر البالغ من الجزم بمصير الناس والعواقب التي تكون لهم، المصير إلى الله عز وجل، قد يكون الإنسان مسرف على نفسه - نسأل الله العافية - منذ صغره ومنذ شبابه؛ صاحب خمور وصاحب فواحش وصاحب شرٍّ وأذية لجيرانه وعقوق لوالديه وقطيعة الرحم؛ لا شك هذا على خطر كبير جداً؛ لأنه قد يبطش الله تعالى به، وقد يعذبه عذاباً أليماً، لكن هل يمكن أن يغفر له؟ من يمنع الله تعالى أن يغفر لعبيده؟ نعم يمكن، يمكن أن يغفر له، ولهذا لا نجزم في هؤلاء العصاة، على المتدينين أن يتفطنوا، الفرق كبير بين أن تنكر المنكر وأن تحسب على أهله وبين أن تجزم بمصيرهم في الآخرة، المصير إلى الله، ولهذا أخبر عليه الصلاة والسلام أن رجلين من بني إسرائيل؛ أحدهما مسرف على نفسه والثاني مجتهد في العبادة، فكان المجتهد في العبادة ينصح هذا وينبهه كل مرة وأخرى حتى وجده مرة على منكر؛ فأنكر عليه، فقال المسرف هذا على نفسه "أبعثت عليّ رقيباً؟؟؟ خلني وربّي"، فقال: "والله لا يغفر الله لك ولا يدخلك الجنة!" فقال الله عز وجل: «مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلِيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لَهُ؟؟؟ لَقَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَبْتُ عَمَلَهُ»^(٣)، هذا المجتهد في العبادة لما قال هذه الكلمة أحبط الله عمله، وذلك العاصي قد غفر الله له، لأن موازين الرب سبحانه وتعالى تُحال إليه، ولا تتدخل أنت في الموازين الإلهية، هذه إلى الله عز وجل، فالحاصل أن العصاة في هذه المسألة أنه لا يُنصُّ على أحد بأنه من أهل الجنة؛ ولا بأنه من أهل النار إلا إذا دلت النصوص، ولكن نقول: إن من مات على الكفر أو على صرف العبادة لغير الله فلا شك أنه من أهل النار، لكن إذا مات أحد في تلك البلاد - كما قلنا: تلك الكافرة - نقول: هؤلاء في النار!! ما الذي يحملنا أصلاً على هذا؟؟ كأننا مسئولون عن التحدث عن من يدخل الجنة ومن يدخل النار! هؤلاء الميت منهم على الكفر - يموت على هذه الحال - يكون من أهل النار، أما الجزم لكل واحد منهم بعينه؛ فقد يكون بعضهم مسلماً يكتُم إسلامه، وبعضهم كتم إسلامه مدة طويلة جداً في حياته، وحينما

(١) النساء: ٤٨.

(٢) صحيح البخاري (٣٤٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٣) صحيح مسلم (٢٦٢١) من حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعاً.



جاءت وفاته كَتَبَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ؛ وَأَنَّهُ لَا يُدْفَنُ إِلَّا مَعَ الْمُسْلِمِينَ؛ وَلَا يَتَوَلَّاهُ إِلَّا الْمُسْلِمُونَ، فَلِهَذَا نَقُولُ: هَذِهِ الْأُمُورُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا يُخَاضُ فِيهَا، إِنَّمَا يُتَكَلَّمُ بِحَسَبِ الْأَدْلَةِ وَالنُّصُوصِ الْوَارِدَةِ فَتَقُولُ: مَنْ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ فَهُوَ مِنْ جَنَّةِ جَهَنَّمَ، وَمَنْ مَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، لَكِنْ كَوْنَ هَذَا الَّذِي مَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ الْآنَ الَّذِي الْيَوْمَ سَنَصِلِي عَلَيْهِ الظَّهْرَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَا يَصْلِحُ هَذَا أَنْ نَقُولَهُ، وَمَنْ هَلَكَ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ مِمَّا نَسْمَعُ فِي الْأَخْبَارِ أَوْ غَيْرِهَا الْيَوْمَ هَذَا كَذَاكَ الشَّخْصَ هُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ!! إِلَّا مَنْ عَلِمْنَا مِنْهُ أَنَّهُ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ، نَعَمْ، أَوْ جَاءَ النَّصُّ فِيهِ.

والخلافة في قريش ما بقي من الناس اثنان، وليس لأحد من الناس أن ينازعهم فيها، ولا نخرج عليهم؛
ولا نفر لغيرهم بها إلى قيام الساعة.

هذا الموضوع الحاجة له كبيرة جدًا الآن، الخلافة في قريش، قد ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام هذا في غير ما حديث، وقال عليه الصلاة والسلام: «الأئمة من قريش»^(١)، وأخبر صلى الله عليه وسلم أن من نازعهم فيها فإن الله تعالى يكبُّه على وجهه في النار^(٢)، وهو الصحيح؛ أن الخليفة يلزم أن يكون قرشيًا، هذا الصحيح، وهو الذي عليه أهل العلم رحمهم الله تعالى، والخلاف في هذا ضعيف، لكن علينا أن نعرف أمورًا مهمة جدًا.

الأمر الأول: أن الخلافة في قريش - وليست الإمارة على أي موضع! -، النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه ولي على مواضع من ليسوا من قريش! والخلفاء الراشدون ولوا أمراء من غير قريش، فالفهم بأن هذا الحديث يعني إبطال ولاية من سوى القرشيين! هذا فهم من لم يعي ولم يفهم هدي النبي عليه الصلاة والسلام، المقصود بالخلافة الخلافة التي هي الإمامة العظمى - إمرة المؤمنين - هي التي تكون في قريش، أما

(١) صحيح. مسند أحمد (١٢٩٠٠) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا. صحيح الجامع (٢٧٥٧).

(٢) صحيح البخاري (٧١٣٩) من حديث ابن عمرو رضي الله عنه مرفوعًا.



الولاية على البلدان؛ فإنها تكون لقريش ولغير قريش، ولهذا ولي النبي صلى الله عليه وسلم كما قلنا ولم تنزل الأمة يولى فيها من غير القرشيين، هذا أمر.

الخلافة التي في قريش استمرت في قريش، فالخلفاء الراشدون الأربعة كلهم من قريش وبني أمية من قريش وبني العباس من قريش ثم انقطعت الخلافة من قريش، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَّهُ﴾^(١)، النبي صلى الله عليه وسلم شرط شرطاً لتكون الخلافة في قريش في الحديث الصحيح؛ فأخبر أن الأئمة من قريش قال: «ما أقاموا الدين»^(٢)، ما أقاموا الدين فالخلافة فيهم، فلما أقاموا الدين - زمن الخلافة الراشدة قطعاً أقاموها أحسن إقامة - كانت الخلافة في قريش، ثم صارت الخلافة في بني أمية وكان الدين كما في الحديث «لا يزال هذا الإسلام عزيزاً ما وليه اثنا عشرة خليفة، كلهم من قريش»^(٣) فكان عز الإسلام في زمن الخلفاء الراشدين الأربعة، ثم العز الكبير في عام الجماعة لما بويع معاوية، هناك عز كبير أيضاً زمن عمر بن عبد العزيز قطعاً، وهناك عز كبير للإسلام أيضاً حتى زمن بني أمية من غير عمر بن عبد العزيز مثل عبد الملك فإنه استتب له الأمر وكان الإسلام في زمنه قوياً إلى غير ذلك، قال عليه الصلاة والسلام: «ما أقاموا الدين»^(٤)، فلما تخلف بنو أمية عن إقامة الدين سقطت دولة بني أمية، تولى بعدهم بنو العباس، وبنو العباس من قريش قطعاً مثل بني أمية كلهم من قريش، استمرت الخلافة فيهم ثم لم يحقق الشرط النبوي الذي قاله عليه الصلاة والسلام «ما أقاموا الدين»^(٥) بل تسلط ثلاثة ولاة وخلفاء بني العباس على السنة وأهلها ونصروا المعتزلة زمن المأمون والمعتصم والواثق، فما أقاموا الدين! بل هضموا السنة ونصروا البدعة! ثم ضعفت دولة بني العباس جداً حتى صار يتلاعب بها الوزراء وقواد الجيش، وتلاعبوا بالخلافة وصارت منصباً صورياً، يدعى للخليفة يوم الجمعة؛ والتدبير والأمر عند غيره! حتى سقطت الدولة العباسية عام ست وخمسين وستمئة من الهجرة، ثم ذهب الخلافة من قريش، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(١) الروم: ٦.

(٢) صحيح البخاري (٣٥٠٠) من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه مرفوعاً.

(٣) صحيح مسلم (١٨٢١) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.



«الأئمة من قريش ما أقاموا الدين»^(١)، فالخلافة لا شك أنها تكون فيهم؛ لكن هذا إخبار منه عليه الصلاة والسلام مشروط بأن يقيموا الدين، وبه نعلم حقيقة الواقع الآن والوضع، يعني حين يظن بعض الناس أن الولاية والحكام مثلاً عندنا هنا وفي غير هذا البلد أنها لا تصح لأن هؤلاء الحكام ليسوا من قريش! هذا من أعجب ما يكون؛ ومن أظهر الأدلة على خطورة أن تفهم النصوص فهماً عقيباً! لم يقل به أحد من علماء الأمة، الأدلة على كون الخلافة من قريش كثيرة كما قلنا، والمقصود بها الخلافة العظمى وهي إمرة المؤمنين التي كما قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "الخلافة بالمعنى العظيم للخلافة؛ واقع الأمر أنها زالت من بعد بني أمية"، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في منهاج السنة: بنو أمية كانت دولة الإسلام في زمنهم عزيزة، وكانت جميع بقاع الإسلام يحكمها خليفة، ثم لما جاء بنو العباس ذهبت كثير من بلاد الإسلام منهم، وصار المغرب - وإذا أطلقوا المغرب لا يقصدوا البلد المحدد هذا! المغرب جهات المغرب - صار المغرب خارجاً عن ولايتهم، فالمعنى القوي الكبير للخلافة كما قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله يقول: "الخلافة بالمعنى العام هذا من قبل الإمام أحمد"، والصحيح هذا الكلام، لأن الخلافة قوتها كانت زمن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وكان الإسلام يمتد بقوة، ثم زمن بني أمية، في زمن بني العباس تغير الحال، فالذي يتصور أن الخلافة التي يُسمع ويُطاع لأهلها هي بالمعنى الذي تكون جميع بقاع الإسلام تحته؛ لن يسمع ولن يطيع لأحد! بل لو كان هذا الرجل في زمن بني العباس لما سمع لخلفاء بني العباس.

"الخلافة في قريش" لا تعني أن الولاية لا تكون لغيرهم! ولهذا أجمع العلماء على أن العبد لا يتولى ولا يصح أن تكون فيه الولاية؛ لماذا؟ لأنه مملوك لسيدته، فكيف يكون وهو المملوك لسيدته وهو الولي للمسلمين بمن فيهم هذا السيد الذي هو سيد هذا العبد، لكن ماذا لو تولى العبد بالقوة وصار في بعض العبيد قوة وتمكنوا من السيطرة على بلد وتغلبوا عليه وضبطوه وأقاموا فيه حكماً؛ يُسمع لهم ويُطاع؟ يقول العلماء: يُسمع لهذا العبد ويُطاع بالإجماع - بإجماع العلماء -، لماذا؟ حقناً للدماء، العبد قطعاً ليس من قريش، القرشي لا يكون عبداً، فلماذا أجمع العلماء على أن العبد إذا استتب له الأمر وحصلت له الغلبة أنه يُسمع له ويُطاع؟ حقناً للدماء المسلمين، وهل ولايته صحيحة؟ ولايته ثابتة، وجميع ما يجري في زمنه من عقود الأنكحة

(١) سبق تخريجه.



وأقضية القضاة كلها صحيحة، لكن هل أتى البيوت من أبوابها؟ لا ما أتى البيوت من أبوابها! تثبت له البيعة؟ لا تثبت له البيعة! لأن البيعة تثبت بأمر ثلاثة:

تثبت البيعة ببيعة أهل الحل والعقد، مثلما بويع لعثمان رضي الله تعالى عنه، اتفق عليه المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد، هذا بويع بيعة عامة، وقبَّله أبو بكر رضي الله تعالى عنه بايعه الأنصار في السقيفة، وبايعه أبو عبيدة وعمر، ثم بويع له البيعة العامة، فهذه البيعة تثبت بها الولاية.

النوع الثاني مما تثبت به الولاية: أن يوصي ولي الأمر بأن الولاية من بعده لفلان، مثلما فعل أبو بكر فجعل الولاية من بعده لعمر، فتثبت الولاية، مثلما فعل سليمان بن عبد الملك حين جعل الولاية لعمر بن عبد العزيز من بعده.

النوع الثالث: التغلب، التغلب ينص علماء السنة على أن من تغلب وضبط البلد وتمكّن منها؛ أنه تثبت له الولاية؛ وأنه يُسمع له ويُطاع في المعروف، التغلب مجموعة من الكتاب الآن يسخرون من هذا الموضوع، ويقولون: كيف يكون المتغلب الذي أتى بالقوة ولي أمر! وهم من أعجب الناس في هذا، إذا قيل لهم: خلافة بني العباس خلافة صحيحة؟ قالوا: نعم صحيحة، يا لله العجب! وخلافة بني العباس بم صارت؟ صارت بعد الدماء الهائلة التي أسالوها من بني أمية، وتغلبوا تغلبًا، حتى ذكروا أن السفاح قتل في ضحوة نهار خمسين ألفًا من بني أمية وجنودهم وأصحابهم، بم تمكّن بنو العباس؟ بالقوة، تثبت لهم الولاية؟ تثبت لهم الولاية، عبد الملك بن مروان زمن بني أمية من قاتل؟ قاتل عددًا من خصومه حتى تمكّن في الأخير من السيطرة على مكة وقتل عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنها وتغلب عبد الملك على جميع البلدان، فلما تغلب على جميع البلدان بايعه الصحابة، وكتب له ابن عمر رضي الله تعالى عنهما - كما في البخاري -: "أبايعك على سنة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فيما استطعت" (١) وهو متغلب، وابن الزبير خير من ألف من عبد الملك! معلوم هذا الأمر، لكنه تغلب وتمكّن، فالذي يقول: إن التغلب لا تثبت به الولاية! قد قال بقول على خلاف أهل السنة، وهو لا يستطيع أن يلتزمه، لأنه إذا قيل: له أبطل دولة بني العباس؛ يقول: ما أبطلها، أبطل ولاية عبد الملك بن مروان؛ يقول: ما أبطلها، بم تثبتت؟ تثبتت بالتغلب، والحاصل أن التغلب

(١) صحيح البخاري (٧٢٠٣).



تثبت به الولاية، المقصود بالتغلب أن يضبط، لا أن يحيط بموضع ثم يؤخذ منه ثم يرجع مرة أخرى ويقاوم فيه ثم ينازع، هذا ما صار فيه تغلب، هذا لا تزال المسألة دائرة في صراع، لكنه قد يتغلب، فإذا تغلب العبد فإنه تثبت له الولاية.

وأمر آخر عجيب في هؤلاء الذين يخوضون في موضوع السياسة الشرعية بلا بصيرة ولا علم نقول: ما تقولون في دولة المماليك؟ يثنون عليها، وخرج منه مجموعة من الولاة نقول: ما معنى المماليك؟ جمع مملوك، كانوا عبيداً، لكنهم كانوا شجعاناً وأقوياء وتمكنوا، وسيطروا على البلد، مع أن أصلهم عبيد، ثبتت ولايتهم؟ نعم ثبتت ولايتهم، إذن من قال لكم بمثل هذا القول في موضوع أن الطاعة تكون للقرشي؟ أو هؤلاء الذين يقولون: إن التغلب لا تثبت به الولاية؟؟ الحاصل أيها الإخوة أن من الخطأ الكبير جداً الخوض في أمور السياسة الشرعية وأمور الولاية وأمور بيم تثبت البيعة؟ من قبل من لم يتعلم العلم الشرعي! بل نجزم جزماً ونعلم من كثيرين ممن يخوضون فيها أنهم ما درسوا الفقه الشرعي أصلاً، مجموعة من الذين يخوضون الآن في هذه المسائل أتوا بشهادات من أمريكا ومن أوروبا في تخصصات تتعلق بالهندسة بالطب بالفلك بالزراعة بكذا، ولم يدرسوا العلم الشرعي! يكفي الواحد منهم أن يكون حاملاً لشهادة الدكتوراه حتى يخوض في ما شاء من أمور الشرع ومن نوازل الأمة! قرأت كتاباً في الفقه على أحد من أهل العلم؟ قرأت على أهل العلم كتب السنة؟ صحيح البخاري؟ صحيح مسلم؟ قرأتها أم لم تقرأها؟ ما سمع بها! ما يعلمها إلا بالسمع، ما يعلمها إلا أن هناك كتاب صحيح البخاري، على أي أساس تخوض أنت؟ وموضوع السياسة الشرعية موضوع دقيق جداً وفي غاية الدقة، وفيه أحكام تصل إلى الألوف من الأحكام، كيف تخوضون فيه بهذه السهولة؟ وتدخلون فيه بلا بصيرة؟ مع أن أهل العلم قد بينوه وحددوه ووضحوه، على أي أساس تتكلمون أنتم؟ ومن ذلك موضوع الخلافة هنا، بعض الناس يقول: لا يسمع ويطلع إلا الأمير المؤمنين القرشي! وإذا لم يبايع لهذا القرشي تضيع الأمة؟؟ ماذا نعمل بأحوال الأمة؟ الأمة لا بد أن يقام فيها قضاء يقضون، أحكام القضاة هذه والحدود التي يقيمونها والأنكحة التي يقرؤونها والأنكحة التي يفسخونها ماذا يكون مصيرها؟ صحيحة أو باطلة؟ من زوج أباك؟ ما زوج أباك إلا الوضع الذي أنت فيه، أبوك تزوج أمك ومنه أتيت أنت بعقد شرعي، فإذا أبطلتم الولاية وقد حتم في أحكام القضاة وقد حتم في الأحكام هذه



وطلبتهم أن تنتظر الأمة حتى يأتيها قرشي يسمع له ويُطاع! معنى ذلك أن الإسلام يتعطل حتى يأتي قرشي يسمع له ويُطاع! هذا لم يقل به أحد قطعاً من علماء الأمة، أقرب من يقول مثل هذا الكلام الراضية الذين يقولون: أنه ينتظر حتى يخرج من يسمونه المختفي هذا في السرداب من نحو ألف ومئتي سنة! وكانوا يقولون إلى عهد قريب: إن الأحكام كلها تتوقف! حتى الحج كانوا لا يحجون! بل الصلاة كانوا لا يصلون! والزكاة كانوا لا يؤدونها حتى يخرج الإمام فندفع إليه الخمس ونؤدي إليه الزكاة ونحج معه ونصلي خلفه! فكانوا يعطلون الشرع فترة طويلة حتى نشأ فيهم الخميني وبعض أضرابه وأرادوا أن يجعلوا المسألة سياسية فأرادوا تحريكهم وقالوا: إنه قد يستمر ما يسمونه المعصوم عجل الله فرجه ونحو ذلك قد يستمر نحو ألف سنة وتتعطل الأمور حتى يخرج! ماذا نفعل في هذه الفترة؟ مع أنهم كانوا معطلين لها، الحاصل أن قول النبي صلى الله عليه وسلم «الخلافة في قريش»^(١) ينبغي أن يعلم أن المقصود بها إمرة المؤمنين؛ وأن ذلك لا يعني إبطال ولاية غيرهم، هذا أمر، الأمر الآخر النبي صلى الله عليه وسلم حين قال: «الخلافة في قريش»^(٢) هل كان مخبراً أم أمراً؟ كان أمراً، يعني يأمر الأمة بأن تكون الخلافة في القرشي، النبي صلى الله عليه وسلم حين أمر أن تكون الخلافة في قريش؛ جعل هذا بدون قيد وشرط أم بدون شرط؟ بشرط، وهو قوله «ما أقاموا الدين» فإنهم إذا أقاموا الدين؛ فإن الله تعالى يجعل الولاية فيهم، فإذا تخلفوا؟ دين الله أعز وأعظم وأكبر من أن يكون مربوطاً بمن لا يقيمه، والنبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنهم تكون الخلافة فيهم ما أقاموا الدين، فإذا تركوا إقامة الدين فمذ عام ستة وخمسين وستمئة والخلافة ليست في قريش! والله عز وجل دينه أعظم من أن يربط بشخص لا يقيمه، فلما لم يقيموه لم تعد الخلافة فيهم.

حاصل الأمر أن فهم مثل هذه المسائل على جانب كبير جداً من الأهمية، لأن بعض الناس الآن يقول: أنتم تسمعون وتطيعون لمن هم ليسوا من قريش، ويقول بعض المتابعين لداعش وأضرابهم يقولون: نحن الآن أطعنا النبي عليه الصلاة والسلام؛ نسمع لهذا المسمى بالبغدادي وهو من قريش وأنتم تسمعون لغير قرشي! من قال: أصلاً إن ولايته ثابتة؟ بل من قال: إنه حصل له التغلب وهو في هذا الحال، بل حتى بيعته

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.



بايعتموه خفية! هل هناك أحد يبائع خفية على خلافة المسلمين!! يقول عليه الصلاة والسلام في شأن البيعة أن «مَنْ أتى وباع خليفة وأعطاه صفقة يده وثمرة فؤاده؛ فليطعه إن استطاع»^(١)، أين صفقة اليد من شخص مختفي؟ الخلافة أجل وأعز من أن تكون بهذه الطريقة، خلافة وأمرة المؤمنين العامة أجل وأكبر من هذا، بل هذه الأساليب في إقامة مثل هذه الكيانات الحقيقية أنها أكبر وأعظم ما يؤخر الخلافة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن الخلافة ستعود في الأمة قطعاً، فأخبر بخلافة على منهاج النبوة^(٢)، لكن حين يظن أن الخلافة تكون بتدمير الأمة وشن الحرب على الأمة لا على الكفار حتى تُسقط قيادات الأمة الآن! هذا الذي يؤخر الخلافة، هذا التأخير الحقيقي للخلافة.

ففهم مثل هذه الأمور وضبطها وربطها بكتب الفقه الشرعي وبالنصوص من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم هو المتعين، أما أن يسمع الإنسان حديثاً ثم يبدأ يطبقه على هواه وعلى حسب ما يظن ولا يدري بالأحكام الشرعية العظام المتعلقة بالبيعة والمتعلقة بالخليفة وبأمر بيعته وما جعل الله تعالى في خليفة المسلمين من المهام الجسام الكبار التي يجب أن يقوم بها حتى يتحقق أن ثمة شيء يسمى خلافة، أما أن يتوهم الإنسان شيئاً هلامياً هكذا يسبح بالهواء اسمه خلافة؛ ويبائع لهذه الأوهام الباطلة! ما الذي فعل هذا بالأمة؟ ما زادها إلا ضعفاً ووهناً، وما اشتدت حالة الأمة تأخرًا إلا بمثل هذا.

حاصل الأمر أن ضبط هذه المسائل ومعرفة أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في كون الخلافة في قريش؛ وأنها لا تعني أنه لا يؤلى ولا تصح البيعة لغير القرشيين! هذا كلام من لم يعي ومن لم يعرف ما أجمع عليه العلماء من صحة بيعة من تغلب أو من بُويع له من قبل أهل الحل والعقد، وإذا بُويع له فإن له أن يوصي؛ فيجعل الولاية من بعده لفلان، وتثبت في هذه الحالة الولاية لهذا الذي أوصي إليه، أمور عظيمة جداً ليست يسيرة وأمرها كبير، وحدثنا بعض الإخوة المشايخ الذين ناقشوا مثل هؤلاء الشباب يقول: ناقشت عددًا كبيرًا جدًا منهم، أسألهم سؤالاً واحداً جوابهم فيه واحد، قرأتهم كتاباً في السياسة الشرعية؟ يقولون: لا، على أي أساس تخوضون في مثل هذه الأمور؟ ما المنطلق الذي انطلقتم منه؟ سمعتم سماعاً!! يعني هانت

(١) صحيح مسلم (١٨٤٤) من حديث ابن عمرو رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) صحيح. مسند أحمد (١٨٤٣٠). الصحيحة (٥).



أمورُ العلم الشرعي إلى حدٍّ يُسمع سماعًا أو يُفتح على موقعٍ من مواقع الأترنت ويتلقى منه ولا يُدرى مَنْ الذي وراءه! اسم وهمي، قد يكون عضوًا في الاستخبارات في أمريكا أو في بريطانيا أو في فرنسا وهم يفعلون هذا ويتقمصون مثل هذه الشخصيات أو في روسيا أو في تل أبيب أو في طهران! ويدعي أنه أبو فلان وربما ساق من الألفاظ والعبارات ونقل من كلام أهل العلم، مجموعة كبيرة جدًا من هؤلاء المجرمين يتقمصون مثل هذه الشخصيات، أما علمت ما فعله ابن سبأ؟ عبد الله بن سبأ ماذا فعل في الأمة؟ أظهر قراءة القرآن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واستمر يتنقل من الشام إلى العراق إلى المدينة إلى غيرها حتى جمع مجموعة وقتل عثمان بن عفان خليفة المسلمين، وكان يحمل الناس على هذا بدعوى أن الأمور تغيرت، وأن الوضع اختلف، وأن عثمان غير ما كان قبله من وضع المسلمين، حتى جمع مجموعة من الأوباش وداهوا المدينة وقتلوا الخليفة، وهو يهودي! ما دخل الإسلام لحظة واحدة، ولما رآه أبو ذر رضي الله عنه، وكان أبو ذر قد ينكر بعض الأشياء من التوسع من المسلمين وأتى إلى أبي ذر يريد أن يجره إليه، أبو ذر صحابي وأكبر من أن يؤثر فيه هذا، وراه أبو ذر وسمع كلامه وقال له أبو ذر: "والله إني لأراك ابن يهودية"^(١)، أنا أظنك ابن يهود، هذه الطريقة في زعزعة وضع المسلمين وتنقلك بهذا الأسلوب! ليس هذا بفعل مسلمين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويتحرقون على الوضع! أنت فعلك فعل يهود، وصدق أبو ذر رضي الله عنه، فكان ابن يهودية، ما دخل الإسلام لحظة، الواجب على طالب العلم وعلى المسلمين عموماً أن يتقوا الله في مثل هذه الأمور لأنها تدمر بها البلدان، وأعداء الله تعالى من كفره الشرق والغرب يعطون كل أحد ما يناسبه.

نعطيك مثلاً يا أخي، نابليون من أشد وأفظع من غزوا المشرق الإسلامي، تدري ماذا فعل هذا العدو الخبيث؟ لما أتى إلى مصر ماذا فعل؟ أظهر أنه مسلم وأنه صوفي! صار يرقص مع الصوفية في الموالد! لأنه عَلِمَ أن التصوف من أعظم البوابات لتوهين الإسلام، لما قرأ عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - الدعوة العلمية السلفية التي يُنقذ الله بها الأمة - كَتَبَ للفاتيكان يُحذر من دعوة محمد بن عبد الوهاب، هو يرقص مع الصوفية! يقول: أنا صوفي! ويحضر الموالد! ويرقص معهم في موالدهم! لأنهم يعلمون هؤلاء،

(١) هذه الجملة معزوة إلى أبي الدرداء في تحريض ابن سبأ له على معاوية رضي الله عنها. يُنظر: تاريخ الطبري (٤/٢٨٣)، الكامل لابن الأثير (٢/٤٨٤).



يتغلغلون في الأمة ويعلمون المد الذي يمكن أن يركبوه، فإذا كان الرجل عنده حنان في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أتوه من هذا الباب، إذا كان عنده دروشة وتصوف أتوه من هذا الباب، وهكذا يدخلون من الأبواب بحسب هذه الطرق التي يريدون بها إيهان هذه الأمة وإضعافها.

فعلى طالب العلم أن يتقي الله تعالى وأن يرد الأمور في هذه المسائل إلى أهل العلم؛ وأن لا يظن أن مثل هذه المسائل تتلقى من كل من هب ودب! فيقول: الخلافة في قريش؛ فلا نسمع إلا لقريش! هذا غير صحيح، وما فعله حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ألزم صلى الله عليه وسلم بطاعة من أرسلهم من الأنصار ومن غير الأنصار، بل النبي عليه الصلاة والسلام في جيش أسامة جعل تحت إمرة أسامة أبا بكر وعمر وهما من قريش وأسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما ليس من قريش فقط؛ بل هو مولى مملوك! الحاصل أن هذه الفهوم الباطلة لمسائل السياسة الشرعية أتت الشباب لأنه الحقيقة باب السياسة الشرعية أوله هو من آخر كتب الفقه، يعني لا يأتي في البداية، تجد كثيرا من الناس عنده معرفة بالطهارة والصلاة وغيرها لكن هو متأخر في الحقيقة، وكثير من الناس - الله المستعان - إذا دخل حلق العلم حضر - فترة ثم انقطع فلا يتم الفقه! هذا جانب، جانب آخر أن جانب السياسة الشرعية جانب فيه دقة، أدق بكثير من جانب الأحكام والعبادات، لأن العبادات - والله الحمد - واضحة لمن تعلمها، لكن جانب السياسة الشرعية يحتاج إلى فقهاء، يحتاج إلى أهل العلم، وليست الأمة كلها محتاجة إلى السياسة الشرعية، لأن أحكام السياسة الشرعية كثير منها مما يسأل عن أهل العلم بخلاف العبادات لا بد أن تعرف كيف تتوضأ وكيف تصلي، لا بد أن تعرف كيف تصلي، فأحكام العبادات أظهر وأوضح، أما باب السياسة الشرعية فله أهله من أهل العلم، فلاجل ذلك صار كثير من الناس يرضون لأنفسهم بالسماع، ماذا يقول فلان؟ ماذا يكتب فيه فلان؟ ويتلقون حتى من مواقع غير معلومة ولا يُدرى من يديرها، وصاروا يتأثرون بهذه السهولة، وهناك مناقشات كثيرة لعدد منهم واضح تماما أنهم لا يعون ولا يدرون بما نص عليه أهل العلم في كتب الفقه في موضوع السياسة الشرعية، ويتناقضون - كما قلت - في موضوع التغلب وفي غيره، لا يدرون، موضوع القرشي هذا! يثنون على المماليك وأنهم ردوا الصليبيين وردوا التتر، والمماليك ما هم؟ قرشيون؟ ليسوا قرشيين بل ليسوا عربا في النهاية! كلامك يضرب بعضه بعضا، فإن لزمتم مثل هذا الكلام وأردت أن



تطبقه؛ فطبقه على ما قبل وقتنا هذا، وأبطل ولايات من قبلنا من الممالك ومن غيرهم، فمثل هذه المسائل أن يخوض فيها الشاب وهو لا يدري بها وبأبعادها ولم يقرأ فيها كتاباً من الفقه؛ فإذا قيل له: أفتنا في مسألة من مسائل الحج قال: لا يجوز! الحج هذه مسائله دقيقة، يا لله العجب! مسائل الحج أصعب من مسائل السياسة الشرعية! ثم تتورع في مسائل الحج ولا تتورع في المسائل التي يترتب عليها سفك دماء وإسقاط ولاية وإيجاب أن تُزِيل الأمة حاكماً وأن تُشن غارة!! ما هذا الورع، الورع في أبواب والجرأة على أبواب أخرى أخطر منها بكثير!

فلأجل ذلك في موضوع القرشية - أطلت هذه الإطالة لهذا السبب - لأن أهل العلم نصوا على أن النبي عليه الصلاة والسلام - كما أمر بأن تكون الخلافة في قريش - فقد شرط "ما أقاموا الدين"، إذا لم يقيموا الدين يعني أن الخلافة تكون في قريش بشرط وهو ما أقاموا الدين، أي بشرط أن يقيموا الدين، فإذا لم يقيموا الدين قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾^(١)، دين الله منصور، فإن نصره القرشي من الخلفاء فذلك من سعادته هو، إن لم ينصره؛ فإن الله تعالى يستبدله بغيره، بل يمكن أن يستبدل العرب - سبحانه وتعالى - فيجعل الأمر في العجم، لأن دين الله غير مربوط بعرق أو قبيلة أو غيره، دين الله عز وجل منصور من عند رب العالمين، فينبغي أن يفهم الأمر؛ وأن يعلم أن إسقاط البيعات هذه وإسقاط السمع والطاعة خطير جداً، ولهذا قال أبو سعيد الخدري الصحابي الجليل - كما في المصنف -: "إياكم وميتة جاهلية! قالوا: وما ميتة الجاهلية؟ قال: أن تموت ولا إمام عليك!"^(٢) يعني أن تكون مثلاً في هذا البلد تقول: هذا الملك أنا لا شأن لي بهذا! أنا والله لا بايعت وما لي به علاقة! أقول: سبحان الله! بيعة المسلمين تلزمك، بيعة أبي بكر التي في السقيفة لزمنا البقية، وجاء المسلمون من الغد وبايعوا لأبي بكر، من قال: إنه لازم لكل شخص أن يبايع لنفسه! بيعة المسلمين إذا كانت بالنفس! بالملايين؛ لا بد أن يأتي عجائزهم وأطفالهم وكبارهم بالملايين لبايعوا! هذا لا يقول به أحد، لكن إذا بويع من أهل الحل والعقد لزم البيعة للجميع، إذا مات وهو يعتقد أنه ليس بإمام؛ فإنه يموت ميتة جاهلية، لماذا؟ لأن أهل الجاهلية

(١) محمد: ٣٨.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٧١٥٠) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه موقوفاً.



ليست عندهم بيعة، فلهذا يقول أبو سعيد رضي الله عنه: "إياكم وميئة الجاهلية، قالوا: وما ميئة جاهلية؟ قال: أن تموتَ ولا إمام عليك" (١)، حتى لو لم ترفع سيفاً! هذا أمرٌ ينبغي أن يُتفطن له، تقول: أنا لا أدخل نفسي في سفك دماء ولا في غيره ولم أفجر ولم أقتل أحداً، لكن في خاصة نفسي أنا لا أقر هذه البيعة! تموت ميئة جاهلية، حتى لو لم تفعل شيئاً كما قال أبو سعيد رضي الله عنه، ولهذا قال صاحب شرح السنة رحمة الله تعالى عليه قال: "لا يحلُّ له أن يبيتَ وهو يعتقد أنه ليس له إمام" يعني هذا الحاكم الذي بُويع، فالأمور أحكام شرعية يترتب عليها سمع وطاعة لله عزَّ وجلَّ ورسوله في المقام الأول، ثم يسمع لهؤلاء الحكام ويطاع إذا أطاعوا الله، فإذا عصوا الله رددنا عليهم أمرهم - كما سيأتي تفصيله إن شاء الله تعالى -، وبه يُعلم موضوع كون الخلافة في قريش ما بقي منهم اثنان هذا هو الصحيح، والذي عليه جمهور أهل العلم أن الخلافة يجب أن تكون في قريش؛ وأنه لا يحل لأحد أن ينازعهم؛ وأن من نازعهم أكبه الله تعالى في النار ما أقاموا الدين، فإذا لم يقيموا الدين جاء في بعض الأحاديث أنهم "يُلحون لحياً" يسلط الله تعالى عليهم من يلحاهم، لأن دين الله ليس مربوطاً بهم، إن أقاموه نصروا وإن لم يقيموه لم ينصروا، إن لم يقيموه فإنه يزول منهم، هذا كله يُحتاج أن يُطال فيه، مثل هذه المسائل من عشرين سنة لا نطيل فيها أيها الإخوة، نقول: الخلافة في قريش؛ هذا الصحيح، وهو الذي عليه جمهور أهل العلم، وخالف في هذا بعض أهل العلم، والخلاف فيه ضعيف ولا نطيل، لكن لما صارت مثل هذه المسائل تطبق تطبيقات ويفهم من منهاجهم تشكيك إلى هذا! ولهذا قال بعض السلف: تحدث للناس أفضية بقدر ما أحدثوا من الفجور، بقدر ما يحدث من هذه المقالات الباطلة التي لا أساس لها يُحتاج إلى توسع وإطالة، لأن الفهم الباطل يجب أن يزال، ولا سيما إذا كان صاحبه يتدين به ويرى أنه دين! وأنه مطبق فيه للنصوص! لا بد أن يزال هذا الفهم منه.

وهكذا قوله "ولا يُخرج عليهم" نعم، "ولا يُقرّ لغيرهم بها إلى قيام الساعة" نعم لإمرة المؤمنين العظمى، لكن إذا تغلب عليها أحدٌ وتمكّن منها فبالإجماع يُسمع له ويطاع كما نقل الإجماع ابن حجر وغيره، يُسمع له ويطاع، قالوا درءاً لسفك الدماء، ثم الخلافة في قريش، وليس ولاية بلد من البلدان! لأن الخليفة القرشي يولي في بعض الأحيان رجلاً من غير قريش على بلد أكبر بكثير من هذه البلدان، فيولي على موضع

(١) سبق تخريجه.



كبير للغاية رجلاً من غير قريش، فينبغي أن تفهم الأمور وتضبط وأن يُعرف مدلول هذه النصوص وأن لا ينجبص فيها خبصاً.

والجهاد ماضٍ قائمٌ مع الأئمة برّوا أو فجروا، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل، والجمعة والعيذان والحج مع السلطان؛ وإن لم يكونوا برّة عدولاً ولا أتقياء، ودفعت الصدقات والخراج والأعشار والفيء والغنائم إليهم - عدلوا فيها أو جاروا -، والانقياد لمن ولّاه الله عزّ وجلّ أمرك، ولا تنزع يدك من طاعة، ولا تخرج عليه بسيفك؛ حتى يجعل الله لك فرجاً ومخرجاً، وأن لا تخرج على السلطان، وتسمع وتطيع ولا تنكث بيعته، فمن فعل ذلك فهو مبتدع مخالف مفارق للسنة والجماعة، وإن أمرك السلطان بأمر فيه الله معصية؛ فليس لك أن تطيعه البتّة، وليس لك أن تخرج عليه ولا تمنعه حقه.

تكلّم رحمه الله تعالى عما يتعلق بولاية الأمر، والموضع هذا قريب من الموضع السابق؛ فنحتاج إلى شيء من التفصيل فيه.

أولاً هذا الإطلاق من ولاية الأمر هل عليه دليل؟ لأنّ هناك من يقول: ليس في الكتاب ولا في السنة وليّ أمر! الله المستعان، سمعته يقول - بإذني - من شخص يقول: جاءوا لنا بولي الأمر؛ وهذا ولي الأمر ليس في القرآن ولا السنة!! يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: "وأخو الجهالة في خفارة جهله، والجهل قد ينجي من الكفران" (١)، لأنه منصوص في القرآن، لكن نقول: هذا جاهل! يدرأ عنه التكفير، يقول عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (٢) أولي الأمر يعني أهل الأمر، فجعل تعالى الأمر إليهم، أي أمر؟ أمر ولاية الناس ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً - ومن ضمنها - وأن تناصحوا من ولّاهم الله أمركم» (٣)، فالذي ولي هؤلاء الحكام هو الله، قال الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ

(١) الكافية الشافية (ص: ٦٨).

(٢) النساء: ٥٩.

(٣) صحيح الأدب المفرد (٣٤٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.



مَنْ تَشَاءُ وَتَنْذِلْ مَنْ تَشَاءُ ﴿١﴾، فإطلاق ولي الأمر إطلاقاً شرعياً بلا أدنى شك، والنصوص دالة عليه في كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، هذا الموضوع أنا أحب أن أكون فيه صريحاً جداً؛ وأن أدخل جملة من الشبه والإطلاقات التي تدور في محيط الناس، لأن الخوض في هذا الباب - باب الولاية - باب الولاية أيها الإخوة مثل بقية أبواب العقيدة، دائماً نجد فيها إفراطاً وتفريطاً، تقدم موضوع القدر قلنا هناك جبرية وهناك قدرية، في موضوع الصفات هناك معطلة وهناك مشبهة، في موضوع الولاية هناك طرفان: من يبالغ في طاعة الولاية ومن يهون ويهضم شأن الولاية، وأهل السنة -، والله الحمد - وسط بين قول الجبرية وقول القدرية في القدر وبين قول المعطلة والمشبهة في الصفات، وبين قول النواصب والمرجئة - من جهة - الذين يبالغون في الطاعة إلى حد المعصية وبين قول من ينحون منحى مقولة الخوارج ونزع اليد من الطاعة، أهل السنة والله الحمد وسط، وباب الولاية لا بد فيه من الوضوح، لأن الشبه فيه كثيرة، كثير من الناس عنده استعداد أن يقرر لك في موضوع العقيدة في القدر وفي الصفات وفي أفراد الله تعالى في العبادة وفي مسائل اليوم الآخر كاملة وفي موضوع النبوة؛ إذا جاء لباب الولاية؛ فالولاية فيها هوى عند كثير من الناس، فتسمع بأذنك وتقرأ بعينك كلام أناس من المنتسبين للسنة يضرب اعتقاد أهل السنة في هذا الباب ضرباً، مع أنهم يقرّون في بقية الأبواب ويردّون على الروافض ويردّون على من يخالف الصحابة وغيرهم؛ لكن إذا جاء هذا الباب؛ هذا الباب فيه هوى، والهوى فيه قديم جداً، أين الإفراط والتفريط في الولاية؟ الإفراط والتفريط في الولاية أتى من طرفين، هناك طرف المرجئة والنواصب، الذين يرون طاعة الولاية طاعة مطلقة، ويرون أن طاعتهم حتى في المعصية - نسأل الله العافية والسلامة - ونصوا على هذا، يقول شيخ الإسلام رحمه الله: وعلى هذا كثير من شيوخ العثمانية، يعني الذين يتعصبون لبني أمية، يقول: وكلامهم في هذا كثير ومعروف، وصنفوا فيه مصنفات، ويرون طاعة من ولاهم الله تعالى أمرهم مطلقة؛ وأن الله تعالى أمرهم أن يطيعوه وإن أمرهم بمعصية! نسأل الله العافية والسلامة، قالوا: الله تعالى أمرنا بطاعته، وابتدعوا بدعة أخرى قالوا فيها: إن الله تعالى إذا تولى ولي الأمر قبل الله حسناته وكفر سيئاته، ما معنى هذا؟ أن ينطلق ولي الأمر فيما يريد، طاعة مطلقة وسيئات مكفرة وحسنات مقبولة! فكان عندهم هذه الطاعة العمياء، وكان يضرب بها المثل



فكان يقال: طاعة شامية، يطيعون طاعة مطلقة - نسأل الله العافية والسلامة -، هذا^(١)، وعليه مقولة الحجاج بن يوسف - نسأل الله العافية والسلامة -: أطيعوا الله ورسوله وليس فيها مثنوية! يعني ليس فيها استثناء! وأطيعوا أمير المؤمنين عبد الملك ليس فيها مثنوية! ليس فيها استثناء! تطيعونه كما تطيعون الله! نسأل الله العافية والسلامة، هؤلاء لا شك أنهم قد بالغوا مبالغة وقحة وقبيحة جداً في الطاعة؛ وأنه لا توجد طاعة على هذا النحو لمخلوق كائناً ما كان إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه لا يمكن أن يأمر إلا بالحق صلوات الله وسلامه عليه، قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(٢)، أما من سوى الرسول من أب تطيعه أولاده أو عبد أو سيد يطيعه عبيده أو زوج تطيعه زوجاته أو أمير تطيعه رعيته؛ فلا يصح أن يطاع إلا طاعة مقيدة؛ لا طاعة مطلقة، وعليه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٣)، أطيعوا الله عطف عليه قوله تعالى ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ يعني مطلقاً، ولما جاء لولاية الأمر ما قال: "وأطيعوا أولي الأمر"! قال: ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ﴾ لأن طاعتهم ليست مطلقة، بل تُعرض على طاعة الله ورسوله، فإن أمروا بمعصية ما نقول: ما نطيع! نقول: ما نسمع أصلاً، قال صلى الله عليه وسلم: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع - أصلاً ما تسمع - ولا طاعة»^(٤)، هذا أمر مفروغ منه عند أهل السنة، أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

فطريقة النواصب والمرجئة فيها مبالغة، ولهذا قال رقة بن مصقلة رحمه الله تعالى: "أما المرجئة فعلى دين الملوك"^(٥) يعني ينظرون هوى الملوك، ما الذي يرضيهم؛ ما الذي يحبونه؛ ويمشون معهم، وفيه الحديث الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم عن الزريية قالوا: وما الزريية؟ قال: «إذا صدق الأمير؛ قالوا: صدق الأمير، وإذا كذب الأمير؛ قالوا: صدق الأمير!»^(٦) هم معه في كل شيء، الزريية يعني مثل الغنم التي تتبع الراعي في زرييتها، هذه مبالغة لا شك أنها باطلة؛ وأن الطاعة التي أمر الله تعالى بها لم يجعلها تعالى

(١) جملة غير مفهومة.

(٢) النساء: ٨٠.

(٣) النساء: ٥٩.

(٤) صحيح مسلم (١٨٣٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنه مرفوعاً.

(٥) الإبانة الصغرى لابن بطة (ص: ٩٣).

(٦) شعب الإيثار (١٢ / ٢٦).



مطلقة كما زعمت المرجئة وزعمت النواصب! بل يطاعون طاعة مقيدة، هذا الإفراط في الطاعة قابله التفريط، طاعة الولاية يجب أن يعلم أنهم إنما يطاعون طاعة لله عز وجل، وبالتالي معصيتهم معصية لله عز وجل، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ يَطِيعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعُصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي»^(١)، فنحن لا نطيعهم ولا نطيع والدينا ولا نطيع الزوجات أزواجها ولا نطيع العبيد أسيادهم إلا طاعة لله عز وجل، هذا حُكْمٌ مِنْ أَحْكَامِ الشَّرْعِ يُتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ بِهِ؛ فِيطَاعُ الْوَلَاةِ طَاعَةٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هَذَا إِذَا عَرَفْنَا حَقِيقَةَ الْمَسْأَلَةِ؛ أَنَّهُمْ إِنَّمَا يَطَاعُونَ طَاعَةَ اللَّهِ تَعَالَى، وَبِالتَّالِي التَّمَنُّعِ وَالتَّعْصِي- عَلَيْهِمْ هِيَ مَعْصِيَةُ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ مَعْصِيَةً لَهُمْ، هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ وَأَنْ يَتَوَسَّطَ الْمُسْلِمُ، فَلَا يَكُونُ عَلَى طَرِيقَةِ مَنْ بِالْغَوَا وَلَا يَكُونُ عَلَى طَرِيقَةِ مَنْ أَفْرَطُوا، وَبَعْضُ النَّاسِ عِنْدَهُ إِطْلَاقَاتٌ "جَمَاعَةُ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ" يَا لِلَّهِ الْعَجَبِ، جَمَاعَةُ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ أَيْنَ كَانَتْ؟ أَتَدْرِي أَنَّكَ أَخَذْتَ مُصْطَلِحًا شَرْعِيًّا «عَلَى الْمَرْءِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ»^(٢) رَكِبْتَ عَلَيْهِ هَذِهِ الْعِبَارَةَ وَصَرْتَ تَعِيبُ النَّاسَ بِمُصْطَلِحٍ شَرْعِيٍّ! أَيُصَلِحُ أَنْ تَقُولَ لِلنَّاسِ هَؤُلَاءِ جَمَاعَةُ الصَّلَاةِ! هَؤُلَاءِ جَمَاعَةُ الصُّومِ! أَتَدْرِي الصُّومَ وَالصَّلَاةَ؟ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ مَحْدُودَةٌ وَمَقِيدَةٌ فِي شَرْعِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُوضِحَةٌ، لَا نَسْمَعُ وَلَا نَطِيعُ إِلَّا طَاعَةَ اللَّهِ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَوْنُكَ تَجْعَلُ نَفْسَكَ بِمِثَابَةِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ الَّذِينَ لَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ عِنْدَهُمْ؛ تَمُوتُ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، فَقَابِلْ هَؤُلَاءِ مِنَ الْمَرْجئةِ وَالنَّوَاصِبِ قَابِلَهُمُ الْخَوَارِجَ، وَالْخَوَارِجَ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ نَوْعَانِ، يَنْبَغِي أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الْخَوَارِجَ نَوْعَانِ:

النوع الأول: الخوارج القعدة: الخوارج القعدة لا يحملون سلاحًا؛ لكنهم يُجْرَضُونَ، وَهُمْ الْحَقِيقَةُ كَثِيرٌ، لِذَلِكَ قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ لَا يَكُونُ الْخَوَارِجُ بِالسِّيفِ إِلَّا إِذَا سَبَقَهُ مَقُولَةُ الْخَوَارِجِ الْقَعْدَةِ، يُجْرَضُونَ وَيُزِينُونَ وَيَضَعُونَ الْأَشْعَارَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَهْبِجُ النَّاسَ، وَلَوْ لَمْ يَهْبِجْ هَؤُلَاءِ مَا خَرَجُوا بِالسَّلَاحِ، وَلِذَا جَاءَ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ: "الْخَوَارِجُ الْقَعْدَةُ أَحْبَبْتُ مِنَ الْخَوَارِجِ الْمَقَاتِلَةِ"^(٣)، قَلْنَا مَنْ هُمْ السَّبَبُ؟ فِإِذَا صَرْتَ تَسْخِرُ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَتَحَاوَلُ أَنْ تُوَهِّنَ مَقَامَ وَلَايَةِ الْأَمْرِ - بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنِ الْحَاكِمِ فَلَانِ أَوْ غَيْرِهِ - تُوَهِّنُ هَذَا الْمَوْضِعَ فِي الْخَوَارِجِ".

(١) صحيح البخاري (٧١٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) قال أبو داود السجستاني رحمه الله: في مسائل الإمام أحمد (ص: ٣٦٢): "سمعتُ عبد الله بن محمد - أبو محمد الضعيف - قال: قَعْدُ الْخَوَارِجِ هُمْ أَحْبَبُ الْخَوَارِجِ".



الأمة؛ ما الذي يحدث؟ تضعف الجماعة، لأن الجماعة ليست قوماً مجتمعين لا حاكم لهم! بل الجماعة حاكم ومحكوم، ضَعْفُ الحاكم فيه إضعافٌ لجماعة المسلمين، وأنت تعلم أنه بحسب قوة الحاكم تقوى الجماعة ويُضبط اللصوص والمفسدون في الداخل ويُزاد عن البلد - بلد بالإسلام - ولا يطمع فيه أعداؤه، فإذا أوهنَ مقام الخلافة ومقام الولاية ومقام الإمارة عاد الضعفُ والوهن على الأمة بأسرها، ولهذا جاءت نصوص عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «بأنه ما مشى قوم لإذلال السلطان إلا أذلهم الله تعالى يوم القيامة»^(١)، لأنَّ إذلاله وإهانته ليست لشخصه، لكن ستعود على الأمة، وسيكون السطو والفوضى فيها أشد، هذا الجانب المتعلق بالتفريق ممن يرون أنَّ السمع والطاعة مسخرة وضحكة؛ وأنَّ هذه المسائل يستفيد منها الحكام، وهل أنا أنظر إذا بيَّنت حكمَ الله فيستفيد الحاكم أو لا يستفيد؟؟ هل إذا بيَّنت الشرعَ أنظر إلى الحاكم يرضى أو لا يرضى؟؟ لا شأن لي بهذا الأمر! أنا أبيِّن حكمَ الله عزَّ وجلَّ في المسألة وليفرح مَنْ يفرح وليسخط مَنْ يسخط، ولهذا هذه المسألة يقول بعضهم: أنتم بهذا التقرير على السمع والطاعة تُقرِّرون أعينَ الحكام؛ وتجعلون الحكام في غاية من الراحة! نقول: ونحن مرجئة ونواصب؛ نقول: أطيعوهم في المعصية؟؟ أو نقول: أطيعوا في المعروف؟؟ نقول: أطيعوا في المعروف، وأمرنا بطاعتهم من محض آرائنا أو من صريح القرآن والسنة؟ من صريح القرآن والسنة، أنت الذي لم يعجبك النص! أنت الذي لم يرقِّ لك النص! مثلما أنَّ الرافضي لا تروق له النصوص المتعلقة بالصحابة؛ لم ترقِّ لك أنت النصوص في هذا الباب! كما أنَّ العلماني لا تروق لها النصوص في تطبيق الشرع! وكما أنَّ دعاة الاختلاط لا تروق لهم النصوص بالحجز بين النساء والرجال ويسخرون من الحواجز والموانع والفواصل! كلِّكم أهل هوى، لكن هذا له هوى في المرأة، وأنت لك هوى في الولاية، والرافضي له هوى متعلق بالصحابة، أنتم جميعاً أهل هوى.

فكون صاحب السنة يبيِّن السنة ثم يفرح بها حاكم أو غير حاكم؛ لا شأن له، أرايت قولَ المسلمين في عيسى عليه السلام إنه مبعوث من الله حق؛ وإنَّ قولَ اليهود به: "إنه ابن زنية"! إنه قول خبيث هم به كفار؛

(١) مسند البزار (٢٨٤٨).

وعند الترمذي (٢٢٢٤) من حديث أبي بكر رضي الله عنه مرفوعاً ((من أهان سلطان الله في الدنيا؛ أهانه الله يوم القيامة)) وهو حسن. يُنظر الصحيحة (٥/٣٧٦).



إذا فرح النصارى؛ النصارى يفرحون جداً بمقولة المسلمين في عيسى وفي مريم؛ نترك اعتقادنا في عيسى وفي مريم لأجل أن النصارى يفرحون!! لا يهمنا هذا الأمر، الذي يبين الحق لا يكثرث بمن يسخط أو بمن يرضى، ثم إن أهل السنة لا يبينون الحقيقة إلا كاملة، فكون الحكام يفرحون بأنه يقال: يُسمع لهم ويطاع؛ نقول: يُسمع لهم ويطاع في المعروف؛ وفي المعصية يُرد أمرهم، فلا يقول أهل السنة: أطيعوا الحكام مطلقاً كما تقوله النواصب!

لكن هذه المسائل - كما قلت - فيها هوى لكثير من الناس، مسائل الولاية ومسائل السياسة فيها هوى عند كثير من الناس، يريدونك أن تمضي على طريقهم يقررونه لك، نقول: السني لا ينظر إلى هذا النظر، ولا يكثرث بالذي يفرح بقوله أو الذي يسخط من قوله، حاكم ومحكوم، يقول الحق وليرض من يرضى وليسخط من يسخط، العبرة بقول الحق، وأن تدين به الله عز وجل متقرباً إليه، كون هذا يرضى وكون هذا يسخط؛ هذا أمر آخر لا تلتفت إليه، بل التفاتك لقلبك لمثل هذه الأمور نوع خبث في قلبك، لا تكثرث، أظهر الحق وبيئه ولا تكثرث بمن يرضى أو لا يرضى، بين الحق، أظهر الحق، أظهر السنة، أظهر العقيدة، ثم لا تبال ولا تكثرث، وأعطيك مثلاً، الإمام أحمد رحمه الله تعالى جاء عنده قوم وصاروا يتناقشون في أمر الخلفاء الأربعة الراشدين رضي الله عنهم، فوصلوا إلى علي رضي الله عنه تعالى، فلما كثروا الكلام قال الإمام أحمد: يا هؤلاء؛ إن علياً رضي الله عنه هو الذي يزِينُ الخلافةَ وليست الخلافةُ بالتي تزِينُ علياً! أي ليس علي زان وارتفع قدره لما صار خليفة! بل الخلافة لما ولي علي صارت هي الزينة الحسنة؛ كما أنها كانت زينة حسنة بعثمان وعمر وأبي بكر، يقول الراوي: فحدثت بهذا أحد الشيعة فقال: زال نصف ما في قلبي على أحمد من الحقد^(١)! هذا من جهله، هذا غبي، هذا يظن أنه كلام الإمام أحمد! هذه مقولة أهل السنة كلهم أن علياً رضي الله عنه وأمثاله هم المستحقون بلا أدنى شك للخلافة الراشدة، فكون الرافضي فرح في هذه الكلمة نعود لنسحب كلامنا في علي لأنه فرح الرافضي؟؟

ولهذا أيها الإخوة هناك أثر في غاية الحسن عن الإمام أحمد لما قال له سلمة بن شبيب: يا أبا عبد الله قويت قلوب الرافضة حين أفتيت بمتعة الحج - ليس بمتعة الزواج! لا، بمتعة الحج، يعني أن يحج ويعتمر

(١) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص: ٢١٩).



معاً، لأنَّ هذا قول علي رضي الله عنه -، قال: قد كنت أسمعُ أن عندك - مثل النقص أو الغباء - والآن قد ثبتَ عندي ذلك، عندي أحد عشر حديثاً صحيحاً في متعة الحج أدعُها لقولك^(١)!! متعة الحج - يعني كونك تحج وتعتمر في سفرة واحدة - تقول: إنَّ الرافضة سيفرحون!! ليفرح الرافضة، ليفرح النصراري بقولنا في عيسى وأمه، ليفرح من يفرح بقولنا الحق، لا شأن لنا ولا ننظر، يقول: أنا كنتُ أسمع أن فيك شيئاً من ضعف العقل، الآن عندي ثبت هذا الأمر أنك ضعيف العقل، أروي أحد عشر حديثاً صحيحاً في متعة الحج أدعُها لأجل أن الرافضة ستفرح إذا رويت أحاديث متعة الحج؟؟ فليفرح، هذا غرضنا الآن فيما نقول: يجب السمع والطاعة وعدم الخروج عليهم؛ وأن لا تُنزع اليدين من طاعتهم، فيقول القائل: أنتم بهذه الطريقة تفرحونهم! سبحان الله العظيم، بهذه العقليات الآن وصلت مستويات الناس!! يفرحون أم لا يفرحون؛ ما شأننا نحن إذا بيننا الحق وأظهرناه وبيناه؟؟ ولم نُحَاجهم ولم نُحَاج غيرهم، لكن الله المستعان، يعني صغار العقول الحقيقة وغلبة الهوى في مثل هذه المسائل؛ والحقيقة أيضاً شدة ضغط العدو - الغرب والشرق - يعني تعدُّوا على الأمة تعدياً هائلاً، وظلموا الأمة مظالم بشعة وشنيعة، فصار كثير من الناس يريد أن ينتقم وأن يرفع من شأن الأمة لكن بأسلوب خاطئ، بأسلوب غير صحيح، فصار الواحد منهم دائماً في حال من الهيجان والثوران المستديم والمستمر، وهذا آخر من ينفع الأمة، آخر من ينفع الأمة من يفكر بهذه الطريقة، الأمة بحاجة إلى تودة وإلى تروي وإلى رجعة إلى الله عز وجل لترفع هذا الداء الموجود بها، أما الظن بأنه لا بد من أن تُحرق الأمة من الداخل حتى يرتفع ما بالأمة من ضيق ومن حال بئيس! هذا فعل ذوي العقول السقيمة، ولهذا قال رحمه الله تعالى - فيما يتعلق بالحكام -، قلنا: إنَّ الحكام فيهم طرفان، من يباليغ في طاعتهم ومن يهون من شأن طاعتهم ويسخر بطاعتهم، وأهل السنة يقولون: إنَّهم يطاعون طاعة الله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وإنَّ طاعتهم ليست مطلقة! وإنَّ طاعتهم في المعروف، وهذا في النصوص الدالة عليه لا تحصى كثرة، ووجوب كبح الثائرة في الأمة والنصوص فيه كثيرة جداً أيضاً، وجوب تعويد الرعية على التودة والتروي مع إيصال الأمور إلى الحكام من قبل أهل العلم، والنصح لهم، هذا هو مسلك أهل السنة رحمهم الله منذ أن كان الصحابة رضي الله عنهم إلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فهذا هو

(١) منهاج السنة النبوية (٤/ ١٥٢).



مسلك أهل السنة، ولهذا نصَّ أهل السنة - ومنهم الإمام حرب رحمه الله - على الآتي، فقال: "الجهاد ماض قائم في الأمة مع الأئمة برّوا أو فجروا" يعني قد يكون الحاكم فاجراً لكنه يأمر بجهاد الكفار؛ فهل نقول: لا نجاهد مع هذا الفاسق؟ مع هذا الظالم؟ لا، الجهاد شريعة من شرائع الله، هو عزُّ الأمة لا يُترك، فكون الحاكم فاسقاً أو الأمير المتولي فاسقاً أو ظالماً لا يعني أن تُترك شعيرة الله عزَّ وجلَّ، ولهذا قال: "والجهاد قائم ماض مع الأئمة برّوا أو فجروا"، ولهذا الحجاج بن يوسف بعث إلى السُّند وإلى الهند الجيوش وكان فيها الصحابة والتابعون - وإن كان المتولي فاجراً فاسقاً - لكن هذا الجيش ذهب لمن؟ لقتال الكفار ولنشر الإسلام، فالجهاد يمضي وإن كان الوالي فاجراً، ولهذا قال: برّوا وصاروا بررة أو فجروا، لا يبطله يعني: الجهاد، لا يبطله جور الجائر ولا عدل عادل، يعني هو ماضٍ في الأمة، لكن بشرطه - ولاحظ العبارة وربط الجهاد بالأئمة - لهذا قال: الجهاد ماضٍ قائم، يعني لا يصح بتاتاً أن يقال: ليس في الأمة جهاد! الجهاد لأبَدٍ منه وهو ذروة سنام الإسلام وهو عزُّ الأمة؛ لكن يكون عن طريق الأئمة، يعني أن الذي يمضي أمر الجهاد ويرتبه هم الأئمة هم الحكام، فيكون من طريق الحكام.

"والجمعة والعيدين" نصَّ على الجمعة والعيدين لأن الأصل أن الذي يصلي بالناس الجمعة ويخطب فيهم هو الحاكم إلا أن يُنيب غيره، والذي يصلي بهم العيدين هو الحاكم، وعلى هذا كانوا يمضون زمن النبي صلى الله عليه وسلم والخلافة الراشدة وزمن بني أمية، لكن قد يولي الحاكم على الجمعة ويقول: يخطب فلان، وهكذا ما يتعلق بالعيدين، العيدين إقامتهما تكون مع الحاكم، لا يقول إنسان: الحاكم هو الذي يصلي الجمعة؛ سأترك الجمعة!! ما يصح هذا، تُصلى مع الحاكم مطلقاً، لأنه - كما قال شيخ الإسلام -: لو قيل بهذا لتعطلت شعائر الله عزَّ وجلَّ، تتعطل الجمعة؛ فلا تُصلى الجمعة! وهذه مفسدة عظيمة وكبرى بأن تزول شعائر الدين، وهكذا العيدين، وهكذا الجهاد مع هؤلاء الأئمة برّوا أو فجروا.

قال: "والحج مع السلطان" اعلم أن الحج لأبَدٍ فيه من ولاية، إلى يومنا الآن؛ هل تظن أن من أراد الحج يحج أو يرتبه الحاكم؟ يرتبه الحاكم، ولهذا لأبَدٍ أن يحج بالناس أحدُ الأمراء، لأبَدٍ من هذه - كأمر مكة - لأبَدٍ أن يكون موجوداً، هو الذي يقود الحج، والأصل أن يخطب هو إلا أن يُنيب غيره - كما يحدث الآن - يخطب سماحة المفتي، وإلا الأصل أن الذي يقود الحج هو الحاكم، وهو الذي يخطب فيهم إلا أن يُنيب غيره



في الخطابة، لكن حج هكذا بدون حاكم ما يصلح، ولهذا عثمان رضي الله عنه لما حُصِرَ - في المدينة أمر ابن عباس أن يذهب فيحج بالناس، لا يحج الناس هكذا! لأنه لا بُدَّ من ولاية في الحج، وهذا الذي يحصل الآن عندنا في البلد، هناك ولاية في الحج، لا بُدَّ من ولاية في الحج، وهناك قضاة، هناك مجموعة من النوازل يُقضى بها في منى وفي عرفة لا بُدَّ منها، قضاة متهيئون، مجموعة، حين يموت إنسان لزحام أو غيره، لا يصح هذا من أن تأخذه ويرمى في قبره! غير صحيح، لا بُدَّ مثل هذا الأمر، وأحياناً يكون فيه دية، لا يترك الناس هكذا! لا بُدَّ من قيادة للحج، كما أن هناك قيادة في الجهاد.

"وإن لم يكونوا بررةً ولا عدولاً ولا أتقياء" قال شيخ الإسلام: السبب في ملازمة هذا الأمر أن هذه الشعائر لو تركزت لأدى ذلك إلى تعطل شعائر الإسلام، وهذا الذي فعلته الرافضة، الرافضة قلنا: إنهم قالوا: لا نحج ولا نصلي إلا خلف الإمام! ولا ندفع - ما يسمونه بالخمس - إلا للإمام! فتعطلت، لما جاء هؤلاء المحتالون - الخميني وأضرابه - أرادوا أن يجمعوا أحماسهم وأموالهم فقالوا: نحن نقوم بدور ولاية الفقيه حتى يخرج الإمام؛ وصاروا يجمعون هذه الأحماس بهذه الطريقة! وإلا فالأصل أن الشيعي لا يفعل شيئاً من هذا، بل عندهم أن كل ولاية قبل ولاية - القائم كما يسمونه - كل دولة فهي دولة طاغوت! حتى لو كانت دولة شيعية! فأتى المحتالون - من السياسيين الشيعة هؤلاء - وقالوا: هناك ولاية فقيه يأخذ الولاية من هذا الذي في السرداب، وتارة يزعمون أنهم على صلة به؛ وأتتهم يتلقون منه الأوامر حتى يعبثوا بهؤلاء الهمل الضائعين، فالأصل أن هذه الشعائر العظام لا يُنظر فيها إلى كون الحاكم براً أو فاجراً، لأنه لو قيل: لا نصلي إلا خلف البر؛ لتعطلت الصلوات! مثل زمن الحجاج وزمن غيره وزمن أي حاكم يمكن أن يأتي؛ فيقال: لا نصلي الجمعة! لا نصلي معه العيدين! فيترتب على هذا أن تبطل شعائر الله، وهكذا بقية الأحكام، دَفْعُ الخراج على الأرض، دَفْعُ الصدقات - يعني الزكوات - مقصود الصدقة هنا الزكاة، إذ الأصل أن تدفع للحاكم، ويمكن أن يدفعها المسلم من نفسه، لكن إذا دفعت الزكاة إلى الحاكم مُجْزئاً، وإن كان فاجراً؟ وإن كان فاجراً، نصَّ أهل العلم على هذا، وهكذا الأعشار والفيء الذي يكون من العدو - وهو المال الذي يأتي بلا قتال والغنيمة التي تأتي بعد القتال - يُدفع الخمس فيها وخمسُ الفيء إلى الأمراء - عدلوا فيها أم جاروا - .



ثم قال: "والانقياد لمن ولاه الله أمرًا" يعني تطيعه، "ولا تنزع يدك من طاعة، ولا تخرج عليه بسيفك حتى يجعل الله لك فرجًا ومخرجًا" يعني قد يكون عنده ظلم وتعنت وأذية للناس، يقول: لا تخرج عليه حتى ييسر الله تعالى لك الفرج والمخرج، ولما اجتمع عددٌ من فقهاء بغداد عند الإمام أحمد رحمه الله - كما روى الخلال في السنة - قال: ما تريدون؟ قالوا: نريد إن هذا لا ولاية له! يعنون: الواثق، الواثق تسلط على الإمام أحمد كثيرًا جدًا، قال: اتقوا الله، ولا تنزعوا يداً من طاعة حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر، ولا تشقوا عصا المسلمين^(١)، مع أن الواثق تسلط على الإمام أحمد، وقبله المعتصم، وقبله المأمون، يقول الإمام أحمد: احفظوا جماعة المسلمين، ولا تشقوها، واصبروا حتى يستريح بر يعني من الأخيار من الرعية أو يستراح من فاجر يعني من مثل هذا الحاكم الفاجر، ثم إن الله أراح الأمة من الواثق وتولى بعده المتوكل رحمة الله تعالى عليه، ونصر السنة والإمام أحمد، وأهان الجهمية والمعتزلة، ومنع مقولتهم في الخلافة كلها، فاستراح البر وأراح الله من الفاجر، هذا هو الواجب المتعين، وهذا الذي عليه الأئمة، والعجب أننا حين ننقل مثل هذه الألفاظ لا عن شيخنا ابن باز ولا فلان وفلان؛ نقلها عن الإمام أحمد؛ تجد من يسخر بكلام الإمام أحمد! قلت لك: إن الغلبة والهوى في موضع السياسة هذا عبثٌ في الناس عبثًا عظيمًا، مقولات الإمام أحمد صاروا يسخرون بها، مقولات الصحابة، بأنس بن مالك! أنس بن مالك تسلط عليه الحجاج وأذاه وأهانته حتى ذكروا أنه ختم على رقبة أنس رضي الله عنه عتيق الحجاج^(٢)! قاتله الله وعامله بما يستحق، يعني كأنه عبد عند الحجاج! في البخاري أن أهل البصرة أتوا أنسًا واشتكوا إليه ما يلقون من الحجاج، فقال: اصبروا؛ فإنه لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه، هذا كلام أنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم مع تسلط الحجاج عليه، لأن أئمة السنة ينظرون إلى مصلحة الأمة؛ لا إلى الأمور الشخصية التي تتناهبهم، فيقول: اصبروا، وكتب إلى الخليفة يشكو ما لقيه من الحجاج فكتب الخليفة إلى الحجاج مُعَنَّفًا وشاتمًا وسابًا له على ما فعَل، لكن أنسًا لم يثر أهل البصرة ولا أهل العراق على الحجاج! قال: اصبروا؛ فلا يأتي زمن إلا الذي بعده

(١) السنة لأبي بكر بن الخلال (١/ ١٣٤).

(٢) الثقات لابن حبان (٤/ ٤٠).



شَرَّ مِنْهُ سَمِعْتَهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١)، أَمَرَ أَنْسَ النَّاسَ بِهَذَا لِيُخَدِّرَهُمْ؟؟ أَمَرَ أَنْسَ النَّاسَ بِهَذَا مَدَاهِنَةً لِلْحِجَاكِجِ؟؟ لَا وَاللَّهِ، لَكِنْ طَاعَةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَعَلَى هَذَا أَئِمَّةُ السُّنَّةِ، وَأَئِمَّةُ السُّنَّةِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ تَجِدُ الْحَاكِمَ سَاخِطًا وَالرَّعِيَّةَ سَاخِطَةً، لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُمْ يُلْزَمُونَ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ النُّصُوصُ وَلَا يَعْجَبُونَ بِهَوَى حَاكِمٍ وَلَا مَحْكُومٍ؛ فَتَجِدُ الرَّعِيَّةَ تَتَهَمُهُمْ بِأَنَّهُمْ يَمِيلُونَ إِلَى الْحُكَامِ، وَقَدْ يَطْلُبُ الْحُكَامُ مِنْهُمْ أَوْامِرَ مَعِينَةٍ فَيَأْبَاهَا الْعَالَمُ السُّنِّيُّ، فَتَجِدُ هَذَا سَاخِطًا وَهَذَا سَاخِطًا؛ لَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي رَضِيَ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ عَلَى هَذَا النَّهْجِ، وَعَلَى هَذَا أَهْلُ السُّنَّةِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَاللَّهُ الْحَمْدُ، ثَابِتُونَ رَاسِخُونَ، كَمَا أَنَّهُمْ ثَابِتُونَ فِي مَسَائِلِ التَّوْحِيدِ وَالصَّحَابَةِ وَالْقَدَرِ وَالنَّبُوَّةِ وَمَسَائِلِ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ؛ فَإِنَّهُمْ ثَابِتُونَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ، لَا يَسْتَفْزَهُمْ جُمْهُورُ النَّاسِ وَكَثْرَةُ مُضِيِّ النَّاسِ خَلْفَهُمْ، وَيَطِيعُونَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَيُعْطُونَ الْحَاكِمَ حَقَّهُ وَلَا يَتَجَاوِزُونَ مَا أَوْجَبَ اللَّهُ تَعَالَى وَإِنْ سَخِطَ مَنْ سَخِطَ، فَلَأَجَلِ ذَلِكَ الْهَوَى فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ غَالِبٌ، وَصَوْتُ الْحَقِّ فِيهَا لِلْأَسْفِ الشَّدِيدِ خَافَتْ غَيْرَ مَسْمُوعٍ إِلَّا مِنْ قَبْلِ مَنْ آتَاهُ اللَّهُ تَعَالَى الْإِنصَافَ وَالتَّقْوَى وَعَلِمَ أَنَّ أُمُورَ الْإِعْتِقَادِ أُمُورٌ لَيْسَتْ أُمُورَ مَحَابَةِ وَلَا أُمُورَ لَعِبٍ! وَأَنَّهُ سَيَغْضِبُ أَنْاسٌ كَثِيرُونَ مِنْ جِرَاءِ بَيَانِ الْحَقِّ وَتَوْضِيحِهِ مِثْلَمَا قُلْتُ: الْهَوَى فِي هَذِهِ الْمَسَائِلِ غَالِبٌ، كَمَا أَنَّ الرَّافِضِيَّ يَسْخِطُ وَيَغْضِبُ إِذَا قُلْتُ فِضَائِلَ الصَّحَابَةِ! وَالخَارِجِيَّ يَسْخِطُ إِذَا أَمَرْتُ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ هُوَ لَاءِ الْحُكَامِ فِي الْمَعْرُوفِ وَلَيْسَ فِي الْمَعْصِيَةِ! وَكَمَا أَنَّ مِثْلَمَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنَ الْعُلَمَائِينَ مَنْ يَسْخِطُونَ إِذَا قِيلَ: يَجِبُ تَحْكِيمُ الشَّرْعِ؛ وَأَنَّ الزُّبَالَاتِ وَالقَدَارَاتِ الَّتِي يَأْتُونَ بِهَا مِنْ أَمْرِيكَ وَأُورُوبَا وَمِنْ قَبْلِ ذَلِكَ مِنْ اشْتِرَاكِيِّينَ وَأَمْثَالِهِمْ يَجِبُ أَنْ تُرْمَى وَأَنَّ لَا تَنْشُرَ بَيْنَ النَّاسِ؛ وَأَنَّ نَشْرَهَا نَوْعٌ مِنَ الْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ يَسْخِطُونَ! وَهَكَذَا دَعَا مَا يَسْمَى بِتَحْرِيرِ الْمَرْأَةِ إِذَا قُلْتُ يَجِبُ أَنْ تُلْزَمَ الْحِجَابُ؛ وَالْحِجَابُ الشَّرْعِيُّ عِزٌّ لِلْمَرْأَةِ؛ وَلَا يَحِلُّ الْإِخْتِلَاطُ لَا فِي تَعْلِيمٍ وَلَا فِي إِعْلَامٍ؛ وَلَا فِي وِظَائِفٍ! سَخِطُوا مِنْكَ، أَنْتَ إِنْ كُنْتَ سَتَنْظُرُ إِلَى سَخِطِ النَّاسِ لَنْ تَنْتَهِيَ، وَإِنْ كُنْتَ تَرْضِي اللَّهُ عِزٌّ وَجَلٌّ تَكُونُ سَالِكًا عَلَى مَسَلِكٍ مَنْ قَبْلِكَ مِنْ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ لَا تَكْتَرُ لِرِضَا هَذَا أَوْ سَخِطَ هَذَا، بَلْ تُلْزَمُ النُّصُ، أَهْمُ شَيْءٍ أَنْ تَكُونَ عَلَى بَصِيرَةٍ، الْمَهْمُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ أَنْ تَكُونَ عَلَى بَصِيرَةٍ؛ وَأَنَّ تَكُونَ عَلَى عِلْمٍ؛ وَأَنَّ تَحْرِرَهَا تَحْرِيرًا قَدْ

(١) صحيح البخاري (٧٠٦٨).



أخذت العلم فيها من أهله، لا أن تفهم الفهوم الخاطئة وتظن أنك من المجاهدين الكبار في سبيل الله وأنت على غير بصيرة! بعد ذلك لا تكثر بسخط من يسخط ورضا من يرضى.

ثم قال رحمه الله: "وأن لا تخرج على السلطان، وتسمع وتطيع" يعني طاعة الله عز وجل "في المعروف ولا تنكث ببيعة" البيعة هذه لازمة لا يجوز أن يحل بها، وتلزم المحافظة عليها، لأن المحافظة عليها أولاً عهد - والله تعالى سائل عنها -، والأمر الآخر حفظ وسيادة وحفظ الأمة من التشتت والضياع.

"فمن فعل ذلك فهو مبتدع مخالف مفارق للجماعة" وفي بعض النسخ "مخارق مفارق للجماعة"، كلام صريح أن من فعل مثل هذه الأمور من الخروج على السلطان وترك السمع والطاعة في المعروف ونكث البيعة؛ أنه يجعل العبد مبتدعاً، حتى لو لم يشرك، حتى لو لم يسب صحابياً، حتى لو لزم السنة في عبادته وفي طاعته؛ نقول: أنت في هذا الباب مبتدع، ولهذا قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: "لا يحل قتال السلطان، فإن فعل ذلك فهو مفارق للسنة مبتدع"^(١)، فلا تظن أن البدعة أنه لا بد أن يكون الإنسان يطوف بقبر أو يتمسح ببدعة! نعوذ بالله بأن تفارق السنة في شيء من الأبواب هذه.

ثم قال رحمه الله: "وإن أمرك السلطان بأمر هو لله معصية؛ فليس لك أن تطيعه البتة" نهائياً، إذا أمرك بقتل من لا يجوز قتله وأمرك بأمر هو محرم في دين الله؛ فلا يحل لك أن تطيعه، ولا تقل: الله عز وجل أمرني بطاعة ولي الأمر! أمرك بطاعة ولي الأمر في غير المعصية، أما في المعصية فلا يسمع لهم ولا يطاع، لكن يسمع لهم ويطاع في المعروف، وإذا كان الابن البار لا يطيع أباه في أن يشتري له محرماً وإن قال الأب: إني ساخط عليك؛ وإني لا أرضى حتى تشتري مثلاً هذا الخمر لي أو تأتي به أو الدخان وتجلبه لي! تقول: يا والد - نسأل الله أن يرزقنا برك ويغفر لك ذنبك - أما طاعتك بهذه؛ فلن أطيعك، لأنني إنما أطيعك طاعة الله، والآن أنا أعصيك طاعة الله عز وجل، هذا يقوله الابن البار لو والده؛ فكذلك يقال للحاكم إذا أمر بمعصية؛ فإنه لا يطاع ولا يسمع ولا يعان عليها، ولا تبرر المعصية والخطأ، لا يبرر له ويبحث عن معاذر! لكن يقال للناس: اسمعوا وأطيعوا في بقية الأمور، هذه مسألة في غاية الخطورة، بعض الناس يظن أن رد أمر ولي الأمر فيما

(١) أصول السنة لأحمد بن حنبل (ص: ٤٦).



حَرَّمَ اللهُ يَعْنِي عَدَمَ ثُبُوتِ طَاعَتِهِ فِي بَقِيَّةِ الْأُمُورِ! لَا هَذَا غَيْرُ صَاحِحٍ، إِنَّمَا يُرَدُّ أَمْرُهُ فِي الْمَعْصِيَةِ، أَمَا بَقِيَّةُ الْأُمُورِ الَّتِي لَيْسَتْ فِيهَا مَعْصِيَةٌ فَإِنَّهُ يُطَاعُ فِيهَا، بَلَا أَدْنَى شَكٍّ، لَكِنَّ هَذِهِ الْمَعْصِيَةَ بَعِينَهَا لَا يُسْمَعُ لَهُ فِيهَا وَلَا يُطَاعُ.

"وَإِنْ أَمَرَكَ السُّلْطَانُ بِأَمْرٍ هُوَ اللهُ مَعْصِيَةٌ؛ فَلَيْسَ لَكَ أَنْ تُطِيعَهُ الْبَتَّةَ، وَلَيْسَ لَكَ أَنْ تُخْرِجَ عَلَيْهِ" أَنْظِرْ لِلْجَمْعِ الْآنَ، الْجَمْعُ الدَّالُّ عَلَى الْفِقْهِ وَالْفَهْمِ؛ أَنْتَ لَا تُطِيعُهُ؛ وَلَكِنْ لَا تُخْرِجُ عَلَيْهِ، لِأَنَّكَ لَا تُطِيعُهُ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَهَاكَ عَنْ أَنْ تُطِيعَهُ، وَلَا تُخْرِجَ عَلَيْهِ لِأَنَّ اللَّهَ أَمَرَكَ أَنْ لَا تُخْرِجَ عَلَيْهِ، فَكَمَا أَنَّكَ لَا تُطِيعُهُ وَتُرَدُّ أَمْرُهُ لِلَّهِ تَعَالَى؛ فَلَا تُخْرِجَ عَلَيْهِ اللَّهُ تَعَالَى أَيْضًا، لِأَنَّ اللَّهَ نَهَاكَ أَنْ تُخْرِجَ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ لَكَ أَنْ تُخْرِجَ عَلَيْهِ وَلَا تَمْنَعَهُ حَقَّهُ، وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ مَهْمَةٌ لِلْغَايَةِ، هَلْ إِذَا مَنَعْنَا حَقَّنَا نَمْنَعُهُمْ حَقَّهُمْ؟ نَصَّ أَهْلُ الْعِلْمِ رَحْمَهُمُ اللهُ تَعَالَى عَلَى أَنْ السُّلْطَانِينَ إِذَا لَمْ يُؤَدُوا الْحَقَّ لِلرَّعِيَةِ؛ فَإِنَّ الرَّعِيَةَ لَا تَبَادُلُهُمْ بِمِثْلِهِ، يَعْنِي الرَّعِيَةَ لَهَا حَقُوقٌ فِي بَيْتِ الْمَالِ، لَهَا حَقُوقٌ فِي وَجُوبِ الْعَدْلِ وَنَشْرِهِ فِيهِمْ، تَخَلَّفَ الْحَاكِمُ فِي مِثْلِ هَذَا وَلَمْ يَقُمْ بِمَا أَوْجَبَ اللهُ؛ نَقُولُ: مِثْلَمَا أَذَقْنَا نَذِيقُهُ!! لَا، غَيْرُ صَاحِحٍ هَذَا الْأَمْرُ، وَلِهَذَا سَلِمَةُ بْنُ يَزِيدٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ وَأَرْضَاهُ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَنَا حَقَّهُمْ وَيَمْنَعُونَنَا حَقَّنَا! فَأَعْرَضَ عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ثَلَاثَ مَرَاتٍ، ثُمَّ قَالَ فِي الثَّلَاثَةِ: «أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سَأَلَهُمْ عَمَّا اسْتَرَعَاهُمْ»^(١)، وَلِهَذَا مِنْ أَجْمَلِ عِبَارَاتِ قَوْلِ بَعْضِ الشَّرَاحِ: "إِذَا عَصَى الْحَاكِمُ اللَّهَ فِيكَ؛ فَأَطَعِ اللَّهَ فِيهِمْ"، إِذَا عَصَى الْحَاكِمُ اللَّهَ فِيكَ فَلَمْ يَعْطُوكَ مَا يَجِبُ أَنْ يَعْطُوكَ وَلَمْ يَعْدِلُوا، وَلَمْ يَقُومُوا بِالْوَاجِبِ، لِأَنَّ الْوَاجِبَ عَلَى الْحَاكِمِ فِي الرَّعِيَةِ كَبِيرٌ جَدًّا، حَقُوقِ الرَّعِيَةِ عَظِيمَةٌ جَدًّا، قَالَ: أَنْتَ أَطَعِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ، وَهَذَا تَظَاهَرَتْ عَلَيْهِ نِصُوصٌ كَثِيرًا جَدًّا، ذَكَرَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَيَمْنُ يَرُدُّونَ الْحَوْضَ فِي صِفَتِهِمْ «يُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْهِمْ، وَيَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي لَهُمْ»^(٢)، لِذَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سَأَلَهُمْ عَمَّا اسْتَرَعَاهُمْ»^(٣)، وَقَالَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ بَعْدَ أَنْ أَخْبَرَ بِوَجُوبِ طَاعَتِهِمْ أَمَرَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِأَنْ تُؤَدَّى إِلَيْهِمْ حَقُوقُهُمْ وَأَنْ يُسْأَلَ الْعَبْدُ رَبَّهُ حَقَّهُ^(٤)، وَالْحَقُّ الَّذِي لِلرَّعِيَةِ إِمَّا أَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ الْحَاكِمَ وَيَأْخُذَ بِقَلْبِهِ فَيُعْطِيهِ إِيَّاهُ فِي الدُّنْيَا، وَإِمَّا تَكُونَ

(١) صحيح مسلم (١٨٤٦) بلفظ: ((اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حملوا، وعليكم ما حملتم)).

(٢) في صحيح البخاري (٣١٦٣) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا بلفظ: ((إنكم سترون بعدي أثره، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض)).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) صحيح البخاري (٧٠٥٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا.



هذه المسألة بين أيدي أحكم الحاكمين في يوم القيامة سبحانه وتعالى، فيأتي الحاكم والمحكوم ويقضي الله تعالى فيهم، أما من حيث الجماعة وبلاد الإسلام وأعراض المسلمين وأمن الأمة والمقدّرات العظيمة فيها؛ فإنه لا محل أن تزلزل ولا أن تززع! وأن تكون المسألة مناطحة بين الحاكم والمحكوم! كما يقرّره بعض من لا يفقهون ممن راقّت لهم سياسة الغرب، الغرب في الأمر السياسي القائم عندهم على المجاذبة، هناك حاكم وهناك معارضة! هذا ليس في الشرع بتاتاً، الذي في الشرع أمرٌ بالمعروف ونهي عن المنكر، أما أن أجلس في شيء يسمى برلمان فيه المعارضة القائمة على مناطحة الحاكم! هذا لو فتشت ما فتشت من الكتب ما تجد هذا في الشرع، لأنّ الأمر بين الحاكم والمحكوم شرعاً ليس أمرٌ مصادمة! وإنما هو أمرٌ قائم على التعاون على البر والتقوى والتناهي عن الإثم والعدوان، أما الذي يأخذ بموضوع السياسة الفرنسية، الثورة الفرنسية كانت شراً على أمة البشر، وهي من أكثر ما فشا في الناس، انتشرت في أوروبا، ثم أتت بها مجموعة الخديوي في مصر، ثم نشرت في الأمة نشرًا عظيمًا، مجموعة من الناس يهون الجانب هذا المتعلق بزنادقة فرنسا، الثورة الفرنسية ثورة إحادية محضة بلا شك، كونها تقوم على المعارضة وعلى المناطحة وأن هذا الوضع الصحيح! وأن يكون فيه نوع من المصادمة العلنية! وأن الشارع يتحرك؛ والشعب هو الذي يحكم ويفصل في هذه المسائل! هذا ليس من دين الله عز وجل، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له ضوابط، وليست بمثل هذه الأساليب التي أتت بها من قبل كفرّة الشرق أو الغرب ثم لبست باللبوس الإسلامية وصار بعضهم يقول: دلت النصوص! النصوص ما دلت إلا على ضد ما تقوله.

والحاصل أن على من يعدُّ للقاء الله عز وجل أن يتقيه تعالى وأن يقرّر الاعتقاد على ما قرّره علماء السنة كما هنا، وأن يكون على وضع الوسطية الحقيقي، وليس الوسطي المدعى! ما في أحد إلا ويدعي أنه على الوسطية! بأن يضبط مسائل الاعتقاد كما فعل مثل هؤلاء الأئمة، عدد من هؤلاء من علماء السنة امتحنوا وسجنوا مع أنهم يقولون مثل هذا الكلام، لكن لأنهم يقولون هذا الكلام لله لا للحاكم، هم يقولونه لله عز وجل، ويقرّرونه كما يقرّرون مسائل التوحيد والنبوة، فإنهم لا يكثرثون بالأذى الشخصي الذي يأتي الواحد منهم، يعني الواحد منهم إذا سجن لا يتغير، لا يقولوا: الآن اتضح أن هذا الكلام ليس بصحيح! الآن سأريك ماذا أفعل بالحكام! هي مسألة اعتقاد، ضرك الحاكم أم لم يضرك، لا تتزلزل ولا تتزعزع، فقهاء



بغداد لما اجتمعوا عند الإمام أحمد ما قال: هي فرصتي للانتقام من بني العباس على ما صنعوه من المأمون والمعتمد والوائق، نهاهم وقال: "اتقوا الله، ولا تشقوا عصا المسلمين حتى يستريح برّ أو يُستراح من فاجر" (١)، ولما قيل للإمام أحمد رحمه الله - هذا موضع نفيس جداً أيضاً رواه الخلال في السنة - لما نهى عن الدماء قيل: ألسنا في فتنة؟ قال: "بلى، ولكنها فتنة خاصة - يعني مربوطة بوضع معين - فإذا وقعت الفتنة العامة انتهكت السُّبُلُ والمحارمُ وسلبت الأموال" (٢) يعني أنه إذا انفرط عقد الولاية صارت كل هذه الأمور والبلايا مجتمعة.

أنا أردتُ الوضوحَ والصراحةَ في مثل هذه المسائل - مسائل الولاية - لأنَّ هذه مسائل صار فيها هوى كثير، وصار يُسمع لعدد ممن نحن زملاء لهم يا أخوة، نكون صريحين، في الجامعة والله إنَّ بعضهم لا يُحْسِنُ قراءة القرآن، هؤلاء الذين الآن أصواتهم علَّتْ وارتفعت، واحد منهم - للأسف الشديد - حين يحصل على شهادة الدكتوراه من بريطانيا أو أمريكا يأتي ليكون أستاذاً في الشريعة وفي العقيدة وفي كل شيء ويجوز في مثل هذه المسائل! حتى إنَّ بعضهم نبيّ تخصصه الذي تخصص له ودرسه وأشغلته هذه الأمور، فصار يجوز فيها خوض الصبيان الصغار، تتعجب من ضحالة تقريره للمسائل وقلة فهمه ووعيه للنصوص؛ وعدم درايته لما يترتب على ألفاظه وعباراته، ومع ذلك ينتشر قوله انتشار النار في الهشيم، فلا بدُّ من الوضوح والصراحة فيه مثل هذه المسائل، والسلف الصالح ينصون على وجوب أخذ العلم عن أهله، لا تأتي إلى شخص تقول: هذا معه دكتوراه في الهندسة والطب سأخذ منه! تأخذ منه ماذا؟ تعلم منه الهندسة عافاك الله، لا تتعلم منه الشرع! تتعلم منه الشرع وهو لم يجتُ عند أهل العلم في شبابه ولا في كهولته ولا في صغره! من أين يأتيه الشرع؟ الشرع يحتاج إلى أن يتعلم، أما أنه يأتي بأفكار عوجاء من تلك البلاد ثم يلبسها بلبوس إسلامية ويريد أن يجريها في الأمة؛ لأنَّ الهوى في جانب السياسة هوى غالب؟؟ فلا يصح أن يُسمع لمثل هؤلاء الجهلة، ولا شك أنهم عامة.

(١) سبق تخريجه.

(٢) السنة لأبي بكر بن الخلال (١/ ١٣٣).



أيها الإخوة؛ كل الفقهاء عندنا كلهم عامة في الطب، كل علمائنا عوام في الطب، في الطب عامة، والأطباء في الشرع ماذا يكونون؟ فقهاء؟؟ يكونون عامة، إلا إذا تعلم الواحد منهم العلم الشرعي، الفقهاء والعلماء عندنا عامة في الهندسة، الواحد منهم إذا أراد أن يبني بيتاً من العلماء؛ يبني هو البيت؟ أم يذهب إلى مهندس؟ المهندس يجمع الهندسة والطب والفلك والاقتصاد والشرع معاً؟؟ هذه الأمور لا بد أن تتعلم، أما أن تكون المسألة من أخذ شهادة وارتفع صيته ورفعه الإعلام؛ خذوا منه واسمعوا!! غير صحيح، العلم لا يتلقى إلا من أهله، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "والعلم معرفة الهدى بدليله" أن تعرف الهدى وتعرف الحق وتدل عليه "ما ذاك والتقليد مستويان! إذ أجمع العلماء أن مقلداً في الناس كالأعمى هما أخوان" (١) يقول: حتى المقلد لا يسمى عالماً إلا إذا كان يقرُّ بالدليل؛ فيكون عالماً، فهؤلاء والله ليسوا علماء ولا مقلدة حتى! لأن المقلد يتعلم ويقلد غيره، والله إنهم ليسوا مقلدة! هؤلاء عوام من عوام الناس، كونه في الطب أو في الهندسة أو في الفلك أو في الزراعة أو في غيره يرتفع له صيته؛ يأتي ليقرَّ مسائل في الأحكام الشرعية! قل له: أعطني أركان الصلاة وشروطها وشروط الزكاة، دعه يجيب، لا يجيب! لكن أذكر له موضوع السياسة الشرعية؛ يتكلم إلى الظهر لا ينقطع! فإذا اجتروا؛ فلا نجترئ نحن، إنما نأخذ العلم من أهله.

نسأل الله لزوم السنة، ونظرًا لتأخر الوقت نوجِّل الأسئلة إلى الغد بإذن الله تعالى، والله أعلم، وصلى الله

وسلم على نبيِّنا محمد.

(١) الكافية الشافية (ص: ٩٩).



المجلس الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه

أجمعين

اللهم اغفر لنا ولشيخنا وللحاضرين وجميع المسلمين

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

والإمساك في الفتنة سنة ماضية؛ واجب لزومها، فإن ابتليت فقدم نفسك ومالك دون دينك، ولا تعن

على الفتنة بيد ولا لسان، ولكن امسك لسانك ويدك وهواك والله المعين

.....

الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين

بعد أن تكلم عن الحُكَّام وما يتعلق بطريقة التعامل الشرعية معهم ذكرَ الفتنَ، لأنَّ كثيرًا من الفتن تأتي من جهة الحُكَّام، وإطفائها يُربط في أحيان كثيرة أيضًا بالحُكَّام، ولهذا ذكرَ بعض الشراح أن البخاري رحمه الله تعالى حين رتب كتابه الصحيح وذكَّر كتاب الفتن في أواخر الصحيح، كتابُ الفتن وما يتعلق بكتاب الأحكام وغيره ذكرَ أن الأقرب لمراد البخاري بذلك أن الفتنَ كثيرًا ما يُحتاج في إطفائها إلى الحُكَّام، فذكرَ بعد كتاب الفتن كتابَ الأحكام - البخاري في صحيحه -، وتقدم كلام موسَّع بالأمر عما يتعلق بالحُكَّام وطريقة التعامل معهم، ومثلًا ذكرنا الوضعُ وضعُ فتنة في الخروج عن نهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الحُكَّام بالتفريط في طاعتهم وإهانة مقام الولاية نفسه، أو بالإفراط والمبالغة وإلزام الناس وتزيين طاعة الحُكَّام في معصية الله عزَّ وجلَّ، وقلنا: إنَّ هذا شائعٌ ومنتشرٌ في فرق الضلال، وذكَّر شيخ الإسلام رحمه الله أنَّ الفتنَ كثيرًا ما يكون السبب في وجودها أن الناس في ولاية الأمور على قسمين:

القسم الأول: من ينظر إلى ما يقع منهم من دفع للمظالم وحيازة للشعور وسد لخطر العدو وقسمة الفيء

والزكاة ونحو ذلك؛ قال: فيحبهم من هذه الجهة، وآخرون ينظرون إلى ما يقع من الحُكَّام من جهة المحاباة



في القَسَمِ وما يقع منهم من ظلم وتصرف غير سوي فيبغضونهم من هذه الجهة، يقول شيخ الإسلام: فالأولون - يعني الذين يبالغون في النظر إلى حسنات الحُكَّام - ربما جعلوا سيئاتهم حسنات - يعني من حُبهم للحُكَّام - والآخرين - يعني مبغضِيهم - ربما جعلوا حسناتهم سيئات! وذلك أن الفتن كما قلنا في مسألة ولاية الأمر كثيرة، فلعل هذا من مراد الإمام حرب الكرماني رحمه الله تعالى لما ذَكَرَ ما يتعلق بالحُكَّام وطريقة التعامل معهم ذَكَرَ بعد ذلك ما يتعلق بالفتن، والفتن لا شك أنها أعمُّ وأوسع من أن تكون مربوطة بالحُكَّام فقط! لأنَّ الفتنة من حيث هي معناها الاختبار، وكثيراً ما تطلق على نتيجة الاختبار السيئة، ولهذا يُتعوذُ بالله عزَّ وجلَّ من الفتن.

ودلَّتِ النصوص الكثيرة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أن الفتن تكثر في آخر الزمان فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كما في صحيح مسلم: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيَصِيبُ آخِرُهَا بِلَاءٌ وَأُمُورٌ تَنْكُرُونَهَا»^(١)، وهذا هو الواقع؛ فإن عافية الأمة كانت في أولها، وقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيضاً - كما في صحيح مسلم -: «أَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي؛ فَإِذَا ذَهَبَتْ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي؛ فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا تُوعَدُ»^(٢)، فالأمر بعد الصحابة رضي الله عنهم لا شك أنه قد اختلف عن الأمر لما كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم موجودين، وليس معنى ذلك أن الأمة ضلَّتْ وضاعت! لا يقال هذا والله الحمد، لكن لا شك أن وجود الصحابة وهم علماء الأمة وأسوتها وقدوتها قد كفَّ اللهُ به من الشرِّ - في أمور الدين والدنيا شيئاً عظيماً جداً عن الناس، وبناء عليه ينبغي أن يُعَلَّمَ أمر الفتن.

الفتن أيها الإخوة لا شك أن هذه الأزمنة وقبلها حتى من الأزمنة أنها أزمنة فيها فتن كثيرة، والفتن - أعادنا الله وإياكم من شرِّها - قد لا يتصور الإنسان أنه واقع فيها وهو لا يشعر، فعلى سبيل المثال: الفتن الآن الواقعة في الإعلام: كثير من الناس سابع فيها وغارق وهو لا يشعر أنه في فتنة! فباسم الأخبار ينظر إلى النساء وتُتبع الأخبار بهذه الطريقة، وباسم الأخبار أُدخلت قنوات إلى بيوت الناس لم تقتصر - فقط على السوء في الأخلاق؛ بل هي جملة من الفتن في أمور الدين والاعتقاد قد قام عليها مجموعة من الشرِّ من في هذه

(١) صحيح مسلم (١٨٤٤) من حديث ابن عمرو رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) صحيح مسلم (٢٥٣١) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعاً.



الأمة من حملة الفكر الليبرالي ودعاة الشَّرِّ والفساد مع الحملة البالغة الكبيرة على السُّنَّةِ وأهلها، فالدُّخُل لها في واقع الأمر شرعاً قطع في فتنة، فتنة من جهة تتبع هذه الصور التي هي من أضرَّ وأثرَّ ما يكون على القلب صور النساء، ولهذا لما أمر الله تعالى بغض البصر أمر بغض البصر مذكراً باسم الإيمان فقال: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ (١) ثم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٢) سبحانه وتعالى، فلو أغلقت على نفسك الباب ولم يشعر بك الأهل ومن حولك؛ فعَلَّام الغيوب الذي لا تخفى عليه خافية يعلمها، ولهذا لاحظ الانتكاس الكبير الذي وقع لأناس بسبب الصور، قد ذكَّر شيخ الإسلام وابن القيم وعلماء الأمة أنَّ الصورَ على جانب كبير جداً من الخطورة؛ وأنها فتنت أناساً كثيرين وزلزلت دينهم - نسأل الله العافية والسلامة -، هذه من الفتن الآن الواقعة، من الفتن تتبع هذه الشبهات والبحث عنه وشراء كتبها وتتبع مواقعها والنظر إلى مجموعة من الزنادقة والملاحدة المعلومين بالفكر اليساري العلماني العفن أو بالفكر العلماني الغربي العفن، جملة من الفلسفات الخبيثة يحملها مجموعة من شرار هذه الأمة ومن أفسقهم وأفسدهم وأثرهم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يزال بعضهم إلى الآن يخرج بهذه القنوات بفكره، ولا يزال حتى شيوعياً - مع أنَّ الشيعوية سقطت في الأرض ولا يزال الفكر الشيوعي إلى الآن! - ولا يزال عنده الإلحاد إلى الآن؛ ويطعن في القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم صراحاً والناس تتفرج عليه!! هذه فتنة، لا شك أنها فتنة، تُعرض دينك هذا التعريض العظيم للبلاء وللفتن وتتبع مواقع الشَّرِّ والسوء والقنوات والمواقع الالكترونية وتشتري كتب هؤلاء الزنادقة والملاحدة الذين لا يُشكُّ لحظة في أنهم زنادقة، الواحد منهم يقول أنه لا يؤمن أصلاً باليوم الآخر! وإنما يحمل الفكر الشيوعي صراحاً ويطعن في القرآن صراحة! من ينظر إلى هؤلاء؟ من يتابع هؤلاء؟ من يسهل عليه أن يدخل عليه مثل هذه القنوات وييسر سُبُلَ وصولها إلى أهله وإلى ذريته إلا المفتون؟ المفتون هو الذي يقع في مثل هذا، وهكذا الفتن الواقعة الآن في كثير من التساهل في المعاملات المالية المحرمة أو المعاملات المشبوهة؛ قد أخبر عليه الصلوة والسلام أنَّ الأمة يقع لها فتنة في المال إلى غير ذلك من الأمور التي هي إخلال لما بين العبد وما بين

(١) النور: ٣٠.

(٢) النور: ٣٠.



ربه تبارك وتعالى من العهد العظيم الذي تقوله في دعاء سيد الاستغفار "وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت" (١)، فأنت بينك وبين الله تعالى عهدٌ فالزمه بتقواه سبحانه وتعالى فيما تنظر وفيما تسمع وفيما تذر وفي دينك الذي هو الذي عصمة أمرك وأعظم ما تملك، لا تعرض هذا الدين العظيم للخطر، ولهذا قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَمِعَ بِالِدِّحَالِ فَلِينَا عَنْهُ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ يَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَلَا يَلْبِثُ أَنْ يَتَّبِعَهُ لِمَا يَبِثُ مِنَ الشُّبُهَاتِ» (٢) أو كما قال عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فليناً عنه - يعني فليبعد - وهو الدَّجَالُ؛ أعور عينه اليمنى، مكتوب على جبينه كافر؛ ومع ذلك أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْبَعْدِ عَنْهُ، فكيف بهذه الفتن الواقعة الآن في الناس؟ الفتن - أعاذنا الله منها - متنوعة ومتلونة، وصارت سُبُلٌ وَصُولُهَا إِلَى النَّاسِ مَتَيْسِرَةٌ جَدًّا بخلاف السابق إلى سنوات غير قليلة قبل أن تفتح هذه الأمور التي انفتحت على الناس؛ كان من العسر أن يصل إلى الناس الذين يعتصمون بالله عز وجل ويبعدون عن مواقع الشبه ولا سيما في خارج البلاد، الآن صارت تأتي الناس بكل سهولة وبكل يسر، ليس بينها وبين الناس إلا شاشة في الجوال أو شاشة في الكمبيوتر أو غيره.

الحاصل أن الفتن أعاذنا الله منها كثيرة، ومنها الفتن الواقعة في الدماء والتي أخبر عنها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه مما يكثر في آخر الزمان قال: «وَيَكْثُرُ الْمَرْجُ» فقالوا: وما المرح يا رسول الله؟ قال: «القتل، القتل» (٣) لاحظ كيف كثر القتل، وسهولة القتل، وتيسر أمر القتل، ومسارة الناس إلى القتل! حتى إن الواحد إذا أراد أن يقتل شخصاً لم يبال ولم يكثر أن يقتل أعداداً غفيرة في موضع واحد لأجل أن ينال من هذا الشخص وقد يقتل أعداداً غفيرة ولا يقتل الذي أراد! هذا لو كان قتله صواباً، فحصل القتل العشوائي - هذا الفوضوي - الذي يأتي واحد إلى الناس يفجر سوقاً بأكمله، ووصلت الأمور إلى حد تفجير المساجد وتفجير المواضع الحكومية التي يُراجع فيها الصغير والكبير ويراجع فيها ذو الحاجة وغيرهم؛ لأجل أمر يسير عند هؤلاء الذين فتنوا وهو سهولة القتل! وأخبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه "يأتي على الناس زمان لا

(١) صحيح البخاري (٦٣٠٦) من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) صحيح أبو داود (٤٣١٩) من حديث عمران رضي الله عنه مرفوعاً. صحيح الجامع (٦٣٠١).

(٣) صحيح البخاري (٦٠٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.



يدري القاتل فيه فيم قتل؛ ولا المقتول فيما قتل" (١) - نسأل الله العافية والسلامة -، فيكثر الهرج، ويكثر القتل، وهذا من أعظم وأبشع ما يقابل به المرء ربه، سفك الدم الحرام، قال عليه الصلاة والسلام: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة: مُلحدٌ في الحرم، ومبتغٍ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ مسلم ليهريق دمه بغير حق» (٢) أبغض الناس إلى الله عز وجل، وقال الشافعي رحمه الله تعالى وأهل العلم بعد أن سبوا النصوص: "وجدنا الدماء أعظم ما يعصى الله بها بعد الشرك" (٣)، أعظم جريمة تقع بعد الشرك بالله أن تقتل النفس، أعظم من الزنا أيها الإخوة، أشد من السرقة، وكثير من الناس يتورع عن الزنا والسرقة ويسهل عليه القتل! وهذا من الفتنة، أن يستسهل أعظم الذنوب بعد الشرك ويتورع عن غيرها! بل قد يتورع عن الغيبة! قد يتورع عن معاملات - الراجح عند أهل العلم المحققين حلها وجوازها - لكن صار بها خلاف ضعيف فيتورع عنها؛ فإذا جاءت الدماء استسهل أمر الدماء! هذا كله من القتن، كل هذا من الفتن، ولهذا أخبر عليه الصلاة والسلام عن أمر الفتن وما ينتاب الأمة منها في غير ما حديث، توسعنا في الكلام عليها في بداية الفوضى التي اجتاحت بلاد العرب - التي سميت بهتاناً وزوراً بالربيع العربي! - أضحوكة ولعباً من أعداء الله عز وجل من كفرة الغرب الذين يشعلون النيران ويتفرجون على الناس والنار تضطرم وتاكلهم! وكثير من الشباب الآن ممن هم في سن العشرين لم يدركوا ماذا فعل الغرب بالشرق، قبل نحو من ثمان وعشرين سنة كان هناك معسكران، معسكر غربي ومعسكر شرقي، معسكر غربي تقوده الجهات الغربية في أمريكا وبريطانيا وفرنسا وغيرها، ومعسكر شرقي كان يقوده ما يعرف سابقاً بالاتحاد السوفيتي، كان هناك احتمال أن تقع حرب عامة يعني كالحرب العالمية السابقة بسبب قوة الطرفين، فالغرب كيف أسقطوا المعسكر الشرقي؟ أثاروا نفس ما أثاروه في البلاد العربية مما سموه بالربيع، أثاروا مجموعة من القلاقل الداخلية؛ فسقطت الدول الشرقية واحدة تلو الأخرى، ولم يهرق من دم الغربيين دم واحد، فأثاروا القلاقل في داخل تلك البلدان، كثير من الناس ممن نشأوا أو كانوا في ذلك الوقت صغاراً لم يدركوا كيف تخلص

(١) صحيح مسلم (٢٩٠٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) صحيح البخاري (٦٨٨٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً.

(٣) الأم للشافعي (٦/ ٢٢٢).



الغرب من السوفييت ومن طريقتهم، وهي التي تحصل الآن في البلاد العربية دون أن يشعر بها الناس، يثيرون جملة من القلاقل في الداخل باسم مظالم الحُكَّام وباسم الأوضاع الاقتصادية والأشياء التي كانت تثار في نفس المعسكر الشرقي حتى تخلص الغرب من المعسكر الشرقي جملة، ثم التفتوا إلى البلاد الإسلامية، فبعد نحو خمس وعشرين أو نحو سبع وعشرين سنة فكروا في نفس الفكرة وهي التي تقع في البلاد العربية ويهتف بها كثير من الناس وهم لا يشعرون، فتن! يتفرج علينا عدونا ونحن نهلك بعضنا بعضاً، هذا كله يدل على خطورة التهادي والتساهل والتسرع في الدخول في الفتن، ولنا فيها محاضرة في بداية الأحداث عام "١٤٣٢ هـ" في بداية الأحداث بعنوان "المنهج الشرعي في التعامل مع الفتن" ذكرنا فيها منهج السلف ومقاصد الغربيين من إثارة مثل هذه الأمور في البلاد الإسلامية؛ ووجوب أن يحذر المسلمون حتى لا يقع في بلدانهم نفس الحريق الذي اشتعل في بلدان غيرهم.

الفتن - كما قال السلف رحمهم الله تعالى - : "الفتنة إذا أقبلت رآها العالمُ وإذا أدبرت رآها كلُّ أحدٍ"، إذا اشتعلت الفتن وأهلكت الحرث والنسل ودمرت البلدان قال الناس كلهم: هذه فتنة، العبرة ليس بإدبارها لأنها إذا أدبرت عرفها كلُّ أحدٍ، إنما العبرة بالتفطن عند إقبالها حتى لا تدخل فيها وحتى تتعامل معها التعامل السليم، الفتنة إذا أقبلت عرفها العالمُ وإذا أدبرت عرفها كلُّ أحدٍ، لأن آثارها تكون قد تبينت فيعرفها كلُّ أحدٍ، ولهذا لماذا يقال دائماً للشباب: الزموا علماءكم؟ الزموا علماءكم لأن العالم عند من التقوى ومن العلم والتجربة وكبر السن ما يختصر للشباب كثيراً من الأمور التي تخفى عليهم، ولهذا حينما وجد الانفصام وصار هناك تحطيم وتوهين لجناب العلم وأهله صار هناك فاصل شديد بين بعض الشباب وبين العلماء؛ فصار كثير منهم يُقدِّم على الأمور دون أن يستفتي! ويلقى الله عزَّ وجلَّ بذنوب؛ الله يعلم أن الزناة أسهل بكثير من ذنبه؛ وأن النصوص أكثر بكثير على ذنبه، لأنه وقع في أعظم وأقبح الذنوب بعد الشرك وهو الدم الحرام، وربما قتل في حياته قبل أن يلق الله مئة كلهم في رقبتهم كما في الحديث الصحيح "أن القاتل يأتي يوم القيامة يشخب دمه يقول لرب العالمين: يا رب هذا قتلني؛ فسأله لم قتلني؟ فيسأله رب العالمين: لم قتلته؟ فيقول: ليكون الملك لفلان أو لتكون العزة لفلان، فيقول الله عزَّ وجلَّ: فإنها لي، الأول يقول: قتلته لتكون العزة لك، يقول عزَّ وجلَّ: فإنها لي، فيقول القاتل الداخل في مثل هذه الفتن: قتلته لتكون العزة لفلان أو



يكون الملك لفلان، فيقول: فإنها ليست لفلان! العزة لله عز وجل؛ فيؤخذ بذنبه" (١) - نسأل الله العافية والسلامة -.

الحاصل أن الفتن من حيث معناها ومن حيث ملاحمها ومن حيث دلائلها ومن حيث الحاجة إلى لزوم الجماعة ولزوم أهل العلم - عند حلولها ووجودها - على جانب كبير من الأهمية أن تُفقه وأن تُعلم؛ وأن ينظر الإنسان ولا يكن واقعا في الفتنة وهو لا يشعر، ولهذا من أنفس الآثار التي وردت عن السلف رضي الله عنهم أن رجلا أتى أبا موسى الأشعري رضي الله عنه وقال له: رجل ضرب بسيفه غضبا لله عز وجل ثم مات على ذلك؛ أين هو؟ قال أبو موسى: في الجنة، فقال حذيفة - وأنت تعرف حذيفة رضي الله عنه هو راوية أحاديث الفتن - قال لأبي موسى: استفهم الرجل وأفهمه - يعني فصل بسؤاله عما يقول، وأفهمه بعد ذلك - فقال أبو موسى: سبحان الله؛ كيف قلت؟ قال: رجل ضرب بسيفه غضبا لله؛ ثم مات على ذلك، قال أبو موسى: في الجنة، فقال حذيفة: استفهم الرجل وأفهمه، فسبح أبو موسى ثم قال: كيف قلت؟ قال: رجل ضرب بسيفه في سبيل الله غضبا لله ثم قتل؛ أين هو؟ قال: في الجنة، فقال حذيفة: استفهم الرجل وأفهمه، قال: والله لا أستفهمه - يعني أن الأمر واضح - فقال حذيفة: رويدك، تعال، إنه لو ضرب بسيفه حتى قتل في سبيل الله فأدرك الحق فهو في الجنة، وإن ضرب بسيفه ولم يدرك الحق فهو في النار، والذي نفس حذيفة بيده ليدخلن النار عدد كذا وكذا ممن قلت؛ ممن يسألون ويغضبون ويرون أن الغضب لله؛ ثم يقتلون الناس (٢) يقول: سيدخل النار عدد كبير جدا من هؤلاء، في حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن ذكر الفتن والفرقتين المتقابلتين في الفتن قال صلى الله عليه وسلم: «قتلها كلها في النار» (٣) قتل الطائفتين، الأمر خطير جدا بأن تسل السيوف وتراق الدماء لأن الأصل كما قال صلى الله عليه وسلم: «من حمل علينا السلاح فليس منا» (٤) الأصل هو أن السلاح لا يحمل إلا على الكفار أو على البغاة ممن يبغون فيحتاج إلى إرجاعهم أو على الخوارج، أما أن تحمل الأمة السيف على بعضها فهذا نكس وعكس

(١) صحيح. النسائي (٣٩٩٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا بنحوه. صحيح وضعيف النسائي (٣٩٩٧).

(٢) مصنف عبد الرزاق (٩٥٦٥).

(٣) صحيح. مسند أحمد (٤٢٨٦). ينظر حديث الصحيحة (٣٢٥٤).

(٤) صحيح البخاري (٧٠٧١) من حديث أبي موسى رضي الله عنه مرفوعا.



للجهاد، لأنَّ الجهاد هو في الأصل هو للكفار، فإذا وُجِدَ بغاةٌ طلب منهم أن يكفوا ولا يُقاتلون ابتداءً ويوعظون ويُنظر إن كان عندهم شبهةٌ أو نحوها فإنها تزال ثم بعد ذلك يُقاتلون، لأنَّ الأصل أن السيف مسلول على الكفار، وهو ليس على أي كفار بل الكفار المحاربين، أما من كان لهم عهد فإنه يحفظ لهم عهدهم، فأخبر عليه الصلاة والسلام بأعداد غفيرة جدًا تدخل النار من قتلى الفتن، وهكذا حذيفة رضي الله عنه؛ مع أن السؤال يعني حتى أبي موسى ظاهر السؤال أمامه إن رجلاً يغضب لله عز وجل ويضرب سيفه هذا في الجنة؛ أين يذهب؟ حتى ألح حذيفة رضي الله عنه عليه ثم أفتاه، وهو الذي روى أحاديث الفتن، حذيفة رضي الله عنه روى كثيرًا جدًا من أحاديث الفتن، تجد مروياته في الصحيحين، وتجد مروياته توسع فيها ابن أبي شيبة في المصنف وفي غيرها من الكتب.

يقول رحمه الله تعالى: "والإمساك" يعني الكف "وعدم الدخول في الفتنة سنة ماضية" هذه السنة التي بينها صلى الله عليه وسلم وكان عليه سلف الأمة الصالح رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، سلف الأمة الصالح كانوا على هذا عليهم رضوان الله.

"سنة ماضية واجب لزومها؛ فإن ابتليت" نسأل الله أن يعيدنا وإياكم من الفتن، والعبد عليه أن يكون من ضمن أدعيته أن يسلمه الله تعالى من الفتن، ولهذا أمر صلى الله عليه وسلم بالتعود من الفتن وقال: «ألا إن السعيد من جنب الفتن، ألا إن السعيد من جنب الفتن، ألا إن السعيد من جنب الفتن»^(١)، الفتن أمرها خطير، والإنسان يسأل ربه تعالى ألا يُبتلى، ويسأله - تبارك وتعالى - إن علم فتنة بعباده أن يقبضه إليه غير مفتون، في الدعاء المأثور اللهم: «إنا نسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحُب المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة؛ فاقبضنا إليك غير مفتونين»^(٢) يعني يفارق الإنسان الدنيا قبل أن تقع الفتن؛ فيلقى الله تعالى غير مفتون، ولأجل ذلك قال: "فإن ابتليت" يعني وقدر الله تعالى أن تقع الفتنة "فامتحننت وابتليت بها؛ فقدّم نفسك ومالك دون دينك" النفس عزيزة على صاحبها، لكن ليس شيء أعز ولا أئمن ولا أعظم من الدين، فإذا كان الأمر دائرًا بين الدين وبين أي شيء سواه من وطن أو قبيلة أو نفس أو عشيرة أو مال؛ فإن

(١) صحيح. أبو داود (٤٢٦٣) من حديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه مرفوعًا. الصحيحة (٩٧٥).

(٢) صحيح. الترمذي (٣٢٣٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنه مرفوعًا. صحيح الجامع (٥٩).



الدِّينُ يُقَدَّمُ بِلَا أَدْنَى شَكٍّ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ»^(١)، رَأْسُ أَمْرِكَ هُوَ دِينُكَ، وَهَذَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالِ الْمُؤْمِنِ غَنَمًا يَتَّبِعُ بِهَا شَعْفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفْرُ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ»^(٢) مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعِيشَ هَذِهِ الْحَيَاةَ؟ يَذْهَبُ إِلَى الْبَرِيَّةِ وَيَأْخُذُ مَعَهُ أَغْنَامًا وَيَتَّبِعُ بِهَا أَعَالِي الْجِبَالِ وَيَتَّبِعُ الْأَمْطَارَ وَيَتْرِكُ وَسْطَ الْبَلَدِ! هَذَا - نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ - عِنْدَ الْفِتَنِ، لَيْسَلَمْ لَهُ دِينُهُ مِنَ الْفِتَنِ، وَاللَّهُ الْحَمْدُ لَمْ يَقَعْ وَاللَّهُ الْفَضْلُ مِثْلُ هَذَا الْوَضْعِ، لَكِنْ لَا شَكَّ أَنَّهُ سَيَقَعُ، وَوَقَعَ فِي أَزْمَنَةِ مَاضِيَةٍ، فَهَذَا الرَّجُلُ قَدَّمَ دِينَهُ وَفَرَّ مِنْ مَوْضِعِ الْفِتْنَةِ إِلَى الْبَرِيَّةِ - عَلَى صَعُوبَةِ الْمَعِيشَةِ فِي الْبَرِيَّةِ - وَمَعَ ذَلِكَ لَمَّا كَانَ الدِّينُ لَنْ يَحْفَظَ إِلَّا بِهَذَا؛ فَإِنَّهُ فَرَّ إِلَى الْبَرِيَّةِ وَتَرَكَ النَّاسَ فِي الْفِتْنَةِ، وَهَكَذَا مَا يَتَعَلَّقُ بِالْهَجْرَةِ، الْأَصْلُ أَنَّ الْهَجْرَةَ تَكُونُ مِنْ بِلَادِ الشَّرِكِ لَا مِنْ بِلَادِ الْإِسْلَامِ، لَا يَقَالُ: هَاجِرٌ إِلَى أَوْرُوبَا! الْهَجْرَةُ تَكُونُ مِنْ بِلَادِ الْمُشْرِكِينَ إِلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَكُونُ مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى بِلَادِ الْمُشْرِكِينَ، فَالْأَصْلُ أَنَّ الْهَجْرَةَ - مِنْ حَيْثُ الْإِطْلَاقُ الشَّرْعِيُّ - هِيَ النُّقْلَةُ مِنْ بِلَادِ الْكُفْرِ إِلَى بِلَادِ الْإِسْلَامِ، لِأَجْلِ مَاذَا؟ لِأَجْلِ سَلَامَةِ الدِّينِ، لِأَنَّ الدِّينَ لَا يَعْذَلُهُ شَيْءٌ، بَلْ جَاءَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ خَرَجُوا مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى "قَرْقِيزِيَّةٍ" لِأَجْلِ وَجُودِ شَتْمِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ؛ فَقَالُوا: لَا نَقْعُدُ فِي بَلَدٍ يُشْتَمُ الصَّحَابَةَ فِيهَا - لَوْجُودِ مَنْ يَشْتَمُ الصَّحَابَةَ مِنَ الرَّافِضَةِ -، فَالْحَاصِلُ أَنَّ الدِّينَ يُقَدَّمُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؛ وَأَنَّهُ قَدْ يَتَرْتَبُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ صَعُوبَةِ الْمَعِيشَةِ، قَدْ يَتَرْتَبُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ هَلَاكِ الْإِنْسَانِ وَمَوْتِهِ، فَيُقَدَّمُ دِينُهُ عَلَى مَالِهِ وَيُقَدَّمُ دِينُهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَلَكِنْ يَسْأَلُ الْعَبْدُ رَبَّهُ الْعَافِيَةَ كَمَا فِي هَذَا الدُّعَاءِ الْعَظِيمِ "وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً فَاقْبِضْنَا إِلَيْكَ غَيْرَ مُفْتُونِينَ"^(٣)، وَلِمَاذَا يَقُولُ النَّاصِحُونَ وَأَهْلُ الْعِلْمِ: إِنَّهُ يَنْبَغِي إِذَا وَجِدَ مِنْ الْحُكَّامِ شَيْءٌ مِنَ التَّعْدِي أَوْ الظُّلْمِ - كَمَا وَقَعَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْحُكَّامِ وَالْأَمْرَاءِ - أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ تَسْكُنَ الثَّائِرَةُ مَعَ نَصْحِ الْحَاكِمِ؛ وَأَنْ يُطَلَّبَ إِلَى الْعَامَةِ وَإِلَى النَّاسِ كَمَا قَالَ أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "اصْبِرُوا؛ فَإِنَّهُ لَا يَأْتِ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، سَمِعْتَهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"^(٤)، لِأَنَّ النَّاسَ إِذَا تَرَكَوا يَهَيِّجُونَ عَلَى الْحَاكِمِ انْفِرَطَ الْعَقْدُ وَضَاعَتِ الْجَمَاعَةُ، وَتَسَبَّبَ ذَلِكَ فِي

(١) صحيح. الترمذي (٢٦١٦) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعاً. الصحيحة (١١٢٢).

(٢) صحيح البخاري (١٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً.

(٣) سبق تحريجه.

(٤) صحيح البخاري (٧٠٦٨).



وقوع الفوضى العارمة العظيمة، وكثير من الناس لا يدرك هذا إلا إذا وقع فيها، لكن على حساب ماذا؟ على حساب أحوال المسلمين، كثير من الناس لا يقتنع بهذا الكلام الذي يقوله أهل السنة؛ فإذا وقعت فتنة في موضع هو فيه ورأى ما حل بالأعراض وما حل بالأموال وما دمر في البلاد وما حصل من الفوضى العارمة في دينهم وديارهم حتى إنهم قد يعجزون عن أداء الصلاة وعن الذهاب للحج والعمرة! قال: صحيح، إن كلام العلماء في محله، لكن بعد ماذا؟ بعد أن دمرت البلاد والعباد، ولهذا العاقل الموفق يعلم أن أنصح الناس بالأمة هم علماءؤها؛ وأنهم لا يحبون - كما قلنا: لا يحبون حاكماً ولا محكوماً -؛ وأن غرضهم الأساسي ما دلت عليه النصوص من وجوب حفظ الجماعة ولزومها، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: "ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة"^(١)، كم نتمنى أن يحفظ هذا الكلام العظيم حتى الصبيان الصغار في أول ما يدرسون، "ما تكرهون في الجماعة" يعني قد يوجد في الجماعة منكرات، نعم توجد منكرات، تكرر؟ إي والله تكرهه، ويكره من وراءها، لكن يقول: ما تكرهون في الجماعة وأنتم في حال من الجماعة؛ عليكم حاكم وعندكم علماءكم ويوصل الحق إلى الحكام بالطريق الأسلوب الشرعي "خير مما تحبون في الفرقة"، يعني إذا وقعت الفرقة تضاعفت المنكرات وصارت المنكرات ألواناً وأشكالاً، وظهر أناس ما كان يتصور ولا يظن - لأنهم كانوا في الجماعة تحت قوة الجماعة - ما كان يظن أنهم بالسوء الذي وصلوا إليه لأن الفرقة تفتح الباب لكل أحد ليهب ويفعل ما شاء، إذن انفرط العقد، وأهل الباطل والفساد أنواع، منهم من هم المال ومنهم من هم إزهاق النفس ومنهم من هم - والعياذ بالله - أعراض النساء والعبث بهن، منهم من هو على علاقات خبيثة بأعداء الله عز وجل من أعداء الأمة وما هو إلا جاسوس مغروس في وسط الأمة لإفسادها، فتظهر أمور في الفرقة ويعبث بالأمة عبثاً شديداً، وإلى الآن بعض البلاد الإسلامية لها نحو ثلاثين سنة والفوضى عارمة فيها والأحوال على جانب كبير من الاضطراب إلى حد أن في الدول الإجرامية هذه تأتي وتدفن نفايات نووية في البلدان المضطربة، النفايات النووية خطيرة جداً على التربة وعلى الزراعة وعلى الناس على المدى البعيد، بلد فوضى، كل شيء يمكن أن يقع فيه، وهم يعلمون خطورة النفايات النووية وصعوبة التحكم فيها، هذا البلد في فوضى فيلقى فيه النفايات النووية ليهلك الحرث والنسل، لماذا؟ لأنه لم يكن قوة

(١) المستدرک (٨٦٦٣)، وقال الشيخ الألباني رحمه الله في الضعيفة (٥٨٣٨): (قلت: هذا مع وقفه؛ فيه مجالد بن سعيد؛ وليس بالقوي، كما في التقريب).



ولم يكن هناك جماعة، فيمكن أن يقع فيه كل شيء، أما التنصير والعبث بالأعراض والبيع لها والتلاعب بها فحدث ولا حرج، لأجل ذلك يقال: إنه تُلْزَمُ الجماعة لتحفظ وتضبط، ويُتَحَمَلُ في الجماعة مِنَ الصَّعُوبَاتِ وما قد يقع مِنَ المَظَالِمِ فِي الأَمْوَالِ ونحوها والقَسَمُ لها وما قد يقع مِنَ المَظَالِمِ التي حتى تتجاوز إلى نوعٍ مِنَ السَّجْنِ أو الضَّرْبِ الذي في وجهه الشرعي لأجل أن تبقى الجماعة، وهذا الذي قلنا: إنه حصل للإمام أحمد نفسه مع الوثائق - الثلاثة الخلفاء الذين آذوا الإمام أحمد - مع ذلك أَمَرَ فقهاء بغداد أن يتقوا الله وأن لا يشقوا عصا المسلمين، ولما قيل له رحمه الله تعالى: ألسنا في فتنه؟ يعني بوجود هذا الوالي الذي هو ناصر للمعتزلة وقائل لقولهم إلى حدٍّ أن الأسير المسلم الذي يؤسر عند الكفار - وهو مقاتل في سبيل الله - كان يُعْرَضُ عليه عندما يُرادُ أن يُبَادَلَ بأسيرٍ مِنَ أهل الروم أو يُفَادَى بغيره يُعرض عليه هل هو من أهل السنة أو ممن يقول المعتزلة؛ فإذا كان يقول بقول أهل السنة ترك عند الكفار! يعني إلى هذا الحدِّ مع أنه مجاهد مقاتل في سبيل الله! يُعرض عليه: هل يقول بقول المعتزلة في القرآن أم لا؟ فإذا قال بقولهم فادّوه، وإذا لم يقل بقولهم أبقوه أسيراً عند الكفار، وصلت الأمور إلى هذا الحدِّ، يقول الإمام أحمد لفقهاء بغداد: اتقوا الله ولا تشقوا عصا المسلمين حتى يستريح برّ أو يُستراح من فاجر، قيل له: ألسنا في فتنه؟ قال: بلى، ولكنها فتنه خاصة، فإذا وقعت الفتنة العامة انتهكت الحرمات وعطلت السبل^(١)، والخبران في السنة رواهما الخلال رحمه الله تعالى، لأجل ذلك يؤكد أهل العلم على مثل هذا، وقل من يفقه هذا ولا سيما من المتحمسين والمتسرعين والمتعجلين، ويسهل جداً أن تسمع أن هذا ما هو إلا نوع من تخدير الناس! وهذا نوع من تسكين الناس! ونوع من المحاباة للحكام! وأن هؤلاء حكام سلطان! هذا الكلام يشمل السلف! يشمل حتى أنس بن مالك، جاء في بعض الروايات أن الحجاج قتل مئة ألف من ظلّمه وتعدّيه^(٢)، وجاء في خبرٍ ذكره ابن حجر رحمه الله تعالى في الفتح أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا أراد أن يعاقب الجاني حلق رأسه - يعني نوع من التعزير ويوقفونه ويشخصون هكذا للناس -؛ فلما جاء زياد بن أبيه صار يضرب في الجنايات بالسياط - يعني ضرباً عنيفاً - فلما جاء بشر بن مروان صار يُسمّر في يد الجاني مسماً؛ فلما جاء الحجاج

(١) السنة لأبي بكر بن الخلال (١/ ١٣٤).

(٢) الترمذي (٢٢٢١) عن هشام بن حسان، وصححه الشيخ الألباني في "هداية الرواة" (٥٩٣٩).



قال: "هذا كله لعب" (١)! كل هذا الذي قبلي من ضرب المسمار في يده وغيره، فصار يستعمل السيف مباشرة في الجنايات - يعني في الأخطاء - السيف مباشرة حتى صار القتل بهذا العدد الكبير، يقول أنس لأهل البصرة في صحيح البخاري: "اصبروا" (٢) أنس من علماء السلطان! أنس لم يسلم حتى من الحجاج، وتضرر من الحجاج ومن أذيته، وجاء في بعض الروايات أن الحجاج هو الذي قتل عبد الله بن عمر رضي الله عنهم؛ بطريقة قالوا: إنه أمر رجلاً أن يأخذ رمحاً بجانبه وجعل على رأس الرمح سماً؛ ففي أثناء مشي ابن عمر ضربه بالرمح فتوفي ابن عمر رضي الله تعالى عنه من أثار تلك الضربة، وذلك أن عبد الملك قال للحجاج: الأمير عليك في الحج هو عبد الله بن عمر، لأن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عالم من علماء الصحابة، فقال: أنت أمير على البلد وأمير الحج لكن أمير عليك أنت ابن عمر، إذا أمرت أن تنفر في الوقت الفلاني تنفر، إذا أمرت بأن تطوف بالناس وتمضي بالناس بهذه الطريقة، فجاء في خاطر هذا المبير كما قال صلى الله عليه وسلم: «يُخْرَجُ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابٌ وَمُبِيرٌ» (٣) الكذاب هو المختار بن أبي عبيد - وهو الذي ادعى النبوة -، والمبير - يعني المهلك للناس -، وقد أهلك الناس، بل قالت أسماء رضي الله عنها للحجاج إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُخْرَجُ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابٌ وَمُبِيرٌ» (٤) أما الكذاب فقد رأيناه وأما المبير فلا أخاله إلا إياك، ومع ذلك كان الصحابة يأمرون بالصبر، لأجل أن يبقى للمسلمين جماعة، ولأجل ألا ينفرط الأمر، ولأجل أن المظلمة الواقعة من الحاكم لا تستمر، إما أن يهديه الله عز وجل ويؤوب ويتوب ولا سيما إذا نُصِحَ، أو أن يتوفى ويبدل الله عز وجل الأمة بخير منه كما قلنا، لما أراح الله الأمة من الوثائق العباسي وأتى الله تعالى بالمتوكل، المتوكل رحمه الله على السنة، وجاء كما قال الشاعر: "في فتنة يجبط فيها المقبل المدبر" (٥)، فكتب في الخلافة - على مستوى الخلافة - بإماتة قول المعتزلة، الذي امتحن به من قبله الخلفاء الثلاثة فيه! ونصر - قول أهل السنة، وأذل الجهمية والمعتزلة إذلاً شديداً وعلى رأسهم عدو الله أحمد بن أبي دؤاد - الذي هو رأس الفتنة

(١) فتح الباري لابن حجر (١٣ / ٢٠).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) صحيح مسلم (٢٥٤٥) من حديث أسماء رضي الله عنها مرفوعاً.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) منسوب لعلي بن الجهم يمدح المتوكل.



- وصادر أمواله حتى افتقر وأذله وأهانته، وانتهت الفتنة، وانطفأ الاعتزال، وظهرت السنّة ظهوراً قوياً جداً في زمن بني العباس بعد المتوكل رحمه الله تعالى، فلأجل ذلك كان الإمام أحمد يقول: "اصبروا حتى يستريح برّ أو يُستراح من فاجر"^(١)، وهذه مأثورة عن عدد من السلف؛ أنّ الأبرار يستريحون وأنّ الفاجر المتسلط سيُستراح منه، لكن تبقى الجماعة، ويبقى الكيان، ويبقى للأمة وجود حتى لا يعبث بها، فلأجل ذلك نصوا هنا في كتب الاعتقاد على ما ذكرنا.

قال: "فإن ابتليت فقدم نفسك ومالك دون دينك، ولا تُعن على الفتنة بيد ولا لسان" الفتنة: الدخول فيها يكون بأحد طريقين: إما بالقول أو بالفعل، أما باللسان فخطط تدبر وأشعار تنظم وجماهير تجمع ويخطب فيهم خطباً حماسية؛ حتى تجد الضجيج والصراخ والصياح وتجذ الناس قد وصلوا إلى مرحلة من الهيجان لو قيل لهم: اقتلوا لقتلوا! لو قيل لهم: دمروا لدمروا! بسبب هذه الأشياء الحماسية هذه التي تحرك الناس، وقد قال عليه الصلاة والسلام في الفتنة: «اللسان فيها أشد من السيف»^(٢)! لأن اللسان في الفتن؛ السيف قد يكون معك أنت تمضي لتقتل أحداً فقد يقتلك هذا الذي لقيته ولم تقتل أحداً أو تقتل رجلاً أو رجلين حتى يقتلك آخر، لكن اللسان يحرك آفاً من الناس؛ فيهلك بعضهم بعضاً، فيعمل اللسان أشد من السنان والسلاح «اللسان فيها أشد من السيف»^(٣)، ولهذا لما وقع القتال بين المسلمين خرج سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه إلى البرية وبدأ وأخذ أغناماً وبقي في البرية فجاءه ابنه عمر فلما رآه سعد توسم فيه أنه سيحدثه ليدخل في الفتنة فأول ما رآه قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب، فلما أتى قال: يا أبت؛ الناس يختصمون في الملك؛ وانت أعرابي في غنمك! يقول: لماذا لا تذهب! تهرب وأتى لهذا الغرض، وأول ما رآه قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب، ثم قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله يحب العبد الغني الخفي التقي»^(٤) وأبى أن يشترك رضي الله تعالى عنه في القتال كما هو معلوم من حاله، ولهذا لا يُعان ولا يساعد في الفتن لا باللسان أو بالمؤلفات والكتب أو بالخطب أو بالأشعار ولا باليد بحمل السلاح أو دفع

(١) سبق تخريجه.

(٢) ضعيف. الترمذي (٢١٧٨). ضعيف الجامع (٢٤٧٥).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) صحيح. مسند أحمد (١٥٢٩)، وصححه الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تحقيق المسند.



الأموال، لأنَّ الفتنةَ يجب الإمساكُ فيها والكفُّ عنها وعدم التهادي فيها، والأصل أن يُحرص على إطفائها، تجد الناصح للأمة أحرص ما يكون على أن يطفأ الفتنة، لأنها كالحريق الذي اشتعل في بيتك، الحريق الذي اشتعل في بيتك أول ما تبدأ فيه في محاولة إطفائه، الجماعة مثل بيتك، فإذا وقع فيها شرٌّ وفتن واضطراب فأنت تحرص قدر المستطاع على إطفاء الشرِّ إن كنت ناصحاً وعلى علم وتقوى وورع، ولأجل هذا تجد علامة الناصح أنه لا يهيج الرعية على الحاكم، وفي الوقت نفسه لا يهيج الحاكم على الرعية، هذا الناصح الصادق، يعني إذا أتى إلى الرعية يقول: اصبروا؛ والله عزَّ وجلَّ قد أمرنا بهذا؛ ونحن لا بدُّ أن نحفظ الكيان؛ ولا بدُّ من التصبر التي دلت عليه النصوص الكثيرة، ويأتي الحاكم فيقول: اتق الله؛ الناس في رقبتك؛ التصرف هذا غير سوي وغير صحيح؛ أنا أقوله لك ولا أحد يسمع؛ لكن هذا التصرف في غير محله؛ ارحم الرعية؛ هؤلاء كلهم في ذمتك، ولهذا قال بعض أهل العلم: إذا أتينا الحكام كنا للرعية عند الحكام؛ وإذا أتينا الرعية كنا للحكام عند الرعية، يعني هو ناصح فيأمر الحاكم بالرفق والتؤدة والرحمة بالرعية وإطفاء الفتنة، إذا جاء عند الرعية تجده يأمرهم بالصبر والسمع والطاعة بالمعروف؛ وأن يحفظ للولاية حقها، فتجده مصلحاً مع الحاكم ومع المحكوم معاً، أما أن يأتي للرعية يهيجها أو يأتي للحاكم فيقول: تسلط عليهم وزدهم! هذا لا يكون من الناصحين بلا شك، ولأجل هذا هو حريص على النصح للطرفين قدر المستطاع لأنَّ هذه أمتة وهي جماعة المسلمين وهو حريص على إطفاء الشرِّ - الواقع فيها، أطلنا هذه الإطالة اليوم وبالأمس لأجل أن الحال يقتضي هذا، والحاجة الماسة تقتضي التطويل في مثل هذه المسائل؛ وأن تبرأ الذمة في بيان الحق وإظهاره؛ وبيان أن هذا هو قول أهل السنة والجماعة؛ وأنه ليس فكرة خرجت من أحد أهل العلم أو من فلان أو فلان في أي قرن من القرون! هذا مدلول النصوص، النصوص إذا أردت أن تتكلم أو تخطب أو تضع محاضرة في الفتنة تحار حيرة بأبها تبدأ، كثرة كاترة من النصوص والآثار الدالة - والله الحمد - على المنهج السويِّ الواضح، ولهذا من فضل الله والمنَّة ومن نعمة الله عزَّ وجلَّ البالغة واليسر الذي يجعله تعالى مع العسر الوارد في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^(١)، من نعمة الله عزَّ وجلَّ أن الله تعالى يبيِّن والنبيُّ صلى الله عليه وسلم يبيِّن طرق النجاة عندما تدلهم الأمور لتتضح المعاني لمن يخضع

(١) الشرح: ٥، ٦.



للنصوص وينحي هواه، أما من يسلك مسلك أحد الطرفين المرجئة والنواصب من المبالغين في الطاعة حتى في المعصية! أو من يسلك مسلك الخوارج والفوضويين ومن يريدوا أن يعيدوا الأمة إلى سنن أهل الجاهلية فإن هؤلاء لا يسمعون، وسبحان الله الهوى في هذا غالب، الهوى في هذا غالب، ترى أناساً تقدم بهم السنن حتى بعضهم أخذ حظاً من العلم، لكن سبحان الله إذا أتى هذا الأمر كأنها غشيت أبصارهم، للهوى العجيب الغريب في مثل هذه المسائل، فلأجل ذلك أطلنا لأن بعض المواضع تحتاج إلى شيء من الإطالة وفيها نوع من المعالجة لأحوال الناس، لكن حيننا نأتي إلى موضع من المواضع مثلما يتعلق بالكرسي كما سيأتي - إن شاء الله -، ما في أحد - والله الحمد - من أهل السنة عنده شبهة في الكرسي الذي قال الله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ (١) فتكلم عنه بشيء من الإيجاز، أما مثل هذه المسائل التي انبنى وترتب عليها فعلاً مواقف ودماء أزهقت وبلداناً دمّرت وأحوال إلى الله تعالى تُشكى؛ لا بُدَّ أن يركز وأن يُدقق في مثل هذه المسائل وأن يكون المتكلم واضحاً صريحاً صادقاً يبين الأمر حتى تبرأ الذمة وتتضح المعالم ويهلك من هلك عن بيّنة ويحیی من حي عن بيّنة، لأجل ذلك قال: "إنه لا بُدَّ أن تُجتنب الفتنة بعدم الإعانة" عدم الإعانة ولا الاشتراك لا بيد ولا بلسان، ولكن اكفف يدك ولسانك، هذا الذي يكون في الفتنة، بأن يكون عندك كف للسانك من أن تقول ويكون عندك كف من أن تمارس وتفعل ما يكون عوناً أو دخولاً مباشراً في الفتنة، وقد أخبر عليه الصلاة والسلام أن الفتن الناس فيها على أنواع قال: «القاعد فيها خيرٌ من القائم، والقائم فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي» (٢) يعني أن الناس فيها أحوال، منهم من يسعى ويركض ركضاً، ومنهم من يمشي فيها مشياً، ومنهم من هو واقف فيها، ومنهم من هو قاعد، يقول: هذه الأحوال، كل ما تقدم وزاد في الفتنة فإنه بالمقام الأشد والأفسد - نسأل الله العافية والسلامة - اكفف يدك ولسانك وهوأك.

(١) البقرة: ٢٥٥.

(٢) صحيح البخاري (٣٦٠١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.



والكفّ عن أهل القبلة؛ فلا تُكفّر أحدًا منهم بذنوب، ولا تخرجه من الإسلام بعمل؛ إلا أن يكون في ذلك حديث؛ فيروى الحديث كما جاء وكما روي، وتصديق به وتقبله، وتعلم أنه كما روي، نحو ترك الصلاة وشرب الخمر وما أشبه ذلك، أو يبتدع بدعة ينسب صاحبها إلى الكفر والخروج من الإسلام، وتتبع الأثر في ذلك ولا تجاوزه.

ولا أحب الصلاة خلف أهل البدع، ولا الصلاة على من مات منهم.

.....

تكلم بعد ذلك عن الكفّ عن أهل القبلة، أن تكفّ شرك عن أهل القبلة، قال صلى الله عليه وسلم: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»^(١) أن يسلم الناس من لسانه بتلفظه عليهم؛ وأن يسلم الناس من شرّه بمارسته للشرّ وإيصال الشرّ بيده.

والكفّ عن أهل القبلة لأنهم أهل الإسلام، وهم إخوانك ولهم عليك الحق العظيم، وهم أفضل أهل الأرض، أهل الأرض إما أن يكونوا من المسلمين وإما أن يكونوا من الكفار، الذين قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾^(٢) قال عز وجل: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٣)، فبقية من ليسوا من المسلمين هم من أهل الكفر، فأحق الناس ببرك وإحسانك وإيصال الخير هم أهل القبلة، هم أهل الإسلام، إخوانك الذين تدعو لهم ويدعون لك، تصلي عليهم ويصلون عليك، فكف عنهم، كف عن أهل القبلة، التكفير معناه الحكم بكفر أحد، هذا معنى التكفير، ولا تكفر أحدًا منهم بذنوب، والتكفير الحقيقة إنه يتناول بأسلوب تارة يكون علميًا - وذلك إذا كان المتكلم في مسائل التكفير من أهل العلم -، وتارة يتناول التكفير بأسلوب أبعد ما يكون عن العلم وعلامة ذلك في الآتي:

(١) صحيح البخاري (١٠) من حديث ابن عمرو رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) البينة: ٦.

(٣) الأنفال: ٥٥.



أولاً: أن بعض الناس يتحدث عن التكفير؛ وكأن التكفير لفظة خاطئة لا يصح أن يقال نهائياً! كأن الشرع أتى بالنهي عنها كما نهى عن ألفاظ الجاهلية، فلا يقوله عالم! التكفير حكم شرعي إذا وقع في موقعه فهو إخبار عن حكم الله عز وجل - مثل التفسيق -، كفره أي حكم له بالكفر، فسقه حكم له بالفسق، الله تعالى كفر في كتابه أصنافاً وفسق سبحانه وتعالى أصنافاً، فسق سبحانه وتعالى القاذف، القاذف شرعاً مفسق: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعْنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ (١) وأمر الله عز وجل فيهم بأمور ثلاثة: ﴿فاجلدوهم ثمانين جلدةً ولا تقبلوا لهم شهادةً أبداً وأولئك هم الفاسقون﴾ (٢) ما حكم القاذف؟ فسقه رب العالمين، فهو فاسق قطعاً، قال عز وجل: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ (٣)، ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾ (٤)، ما حكم النصارى؟ كفار بلا أدنى ريب، كفرهم رب العالمين؛ فإذا وقع التكفير في موقعه فإنه لا شك نوع من الحكم والإخبار عن حكم من أحكام الله تعالى لا يشك فيها، لكن لجهل كثيرين ممن يريدون مقابلة الخوارج صاروا يتحدثون عن التكفير كأن التكفير شرعاً منهي عنه إطلاقاً! حتى تجد كثيراً يقول: أهل التكفير والتفجير! ما علاقة التكفير بالتفجير؟ التكفير حكم شرعي؛ فإذا وقع في موقعه فإنه لا إشكال فيه، إنما الإشكال أن يقع في غير موقعه، فإذا وقع في غير موقعه على يد خارجي لا يعي ولا يفهم؛ هذا لا يعني ذلك أن يعاد إلى حكم الشرع فيبطل أصل التكفير! لدينا باب مستقل في كتب الفقه يسمى باب حكم المرتد، يذكر فيه الفقهاء أحوال من يرتدون، فإذا كفر أحدهم باليوم الآخر قال: لا يوجد جنة ولا نار! ما حكمه عند المسلمين جميعاً؟ حكمه أنه كافر، هل يقال: لا تطلق الكفر على هذا! سبحان الله كيف لا يطلق الكفر على هذا، كون هذا الشخص حديث عهد بالإسلام ينظر هل انتفت الموانع وقامت الشروط، هذه مسألة أخرى، نعم، لا يتسرع في التكفير، لكن إذا تحققت جميع الشروط وانتفت جميع الموانع وأقيمت الحجة على هذا الشخص بأن ثمة يوماً آخر؛ قال: لا يوجد يوم آخر! قرأنا عليه الآيات في كتاب الله وأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام الثابتة قال: أبداً لا يوجد يوم آخر! هل يقال: لا

(١) النور: ٢٣.

(٢) النور: ٤.

(٣) المائة: ١٧.

(٤) المائة: ٧٣.



تكفروه! لا يقول هذا عالم أصلاً، فالتكفير ليس لفظة - يعني قبيحة! - من مثل ألفاظ الجاهلية كالحلف غير الله ونحوه! التكفير حكمٌ من أحكام الله، إذا أوقعه العالم أو القاضي يوقعه عن علمٍ ويكون مخبراً عن حكم الله عز وجل، فكون الخارجي يتسرع ويكفر من سواه هذا أمرٌ مثل قتل الخارجي لمن خالفه؛ فهل يقال: القتل لا يجوز بتاتا لأجل أن الخوارج يقتلون! القتل هناك قتل قصاص، وهناك قتل تعزير، وهناك قتل الجهاد لأهل الكفر المحاربين، فكما أنه لا يقال: إنه لا يصح القتل نهائياً! كذلك لا يقال: إنه لا يصح التكفير نهائياً، إنما الإشكال أن يوقع التكفير على غير أهله، ولهذا قال: "ولا نكفر أحداً منهم" يعني من أهل القبلة "بذنب" هذه العبارة فيها تفصيل كما فصلها نفسه حرب رحمه الله تعالى، الذنوب تارة تكون بمقارفة الكبائر كشرب الخمر والفواحش - نسأل الله العافية والسلامة - ونحو ذلك فهذه بإجماع أهل العلم لا يكفر المسلم بها حتى لو مات وهو غير تائب منها، وفيها حديث أبي ذر رضي الله عنه لما بشر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم أن من مات لا يشرك بالله عز وجل شيئاً؛ فإنه يكون من أهل الجنة، فقال أبو ذر - مستغرباً ومستعظماً -: وإن زنا وإن سرق وهما - يعني وهما من الكبائر -؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وإن زنا وإن سرق» وقال في الثالثة: «وإن رغم أنف أبي ذر»^(١)، المسلم الذي يموت وهو من أهل التوحيد وقد قارف شيئاً من هذه الكبائر لا يكفر قطعاً، لكن تأتي عبارة "لا يكفر أحدٌ بذنب" قد يدخل فيها - كما سيأتي - عند بعض من يطلقونها؛ قد يدخلون فيها ترك الصلاة، ويأتي فيها تفصيل - إن شاء الله تعالى - ترك الصلاة، فإذا كان الإطلاق يراد به مقارفة الذنوب من الصغائر والكبائر؛ فإنه لا يكفر أحدٌ من المسلمين بها؟ فنعم، قال: "بإجماع أهل السنة" ثم استثنى رحمه الله قال: "لا تخرجه من الإسلام بعمل" يعني عمل من الأعمال كالزنى أو شرب خمر "إلا أن يكون في ذلك حديث؛ فيروى الحديث كما جاء وكما روي" فإذا جاء حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بأن من فعل هذا فإنه يكفر؛ فيروى الحديث كما جاء وكما روي، وتارة يكون الإطلاق - وهذا أمر مهم جداً - في النصوص؛ يكون الإطلاق للتكفير يراد به الكفر الأصغر وتارة يراد به الكفر الأكبر، مثال قوله صلى الله عليه وسلم: «سببُ المسلم فسوق وقاتله كفر»^(٢) الكفر هنا في

(١) صحيح البخاري (٥٨٢٧).

(٢) البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً.



القتال قطعاً يراد به الكفر الأصغر، والدليل نصوص كثيرة، منها قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ (١) فسماهم بالمؤمنين مع وقوع القتال ثم قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (٢) فسماهم أخوة مع وقوع القتال بينهم، فالكفر هنا أصغر، تأتي نصوص فيها إطلاقات للكفر يكون المراد بها الكفر الأكبر، ويأتي إن شاء الله بيانها عند الكلام على تارك الصلاة، "فيروى الحديث ويبيّن المراد منه" هل المراد الكفر الأصغر أم المراد الكفر الأكبر؟

"تروي الحديث وتصدق به وتقبله ولا تردّ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتعلم أنه كما روي نحو ترك الصلاة" ترك الصلاة كسلاً وتهاوناً لأهل العلم فيه قولان معروفان: أن تارك الصلاة كسلاً وتهاوناً قال بعضهم: إنه لا يكفر؛ وإنما هذا ذنب من الذنوب، وقوله عليه الصلاة والسلام: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة؛ فمن تركها فقد كفر» (٣)، يراد به الكفر الأصغر كما في حديث «سبأب المسلم فسوق، وقتاله كفر» (٤)، وعلى هذا بعض أهل العلم كالشافعي، أئمة أفذاذ خيار لا يشك في علمهم وديانتهم كالشافعي رحمه الله وغيره من أهل العلم، قال آخرون - كالإمام أحمد وعدد من الشافعية والحنابلة - قالوا: إن الكفر في حديث الصلاة تحديداً يراد به الكفر الأكبر، ودلوا على هذا بأدلة كثيرة جداً يطول المقام بسردها، ومن أهم الأدلة على هذا أن هذا هو المعروف عن الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم؛ أن المعروف عن الصحابة أن ترك الصلاة كفر، وحكى الإجماع على هذا عدد من أهل العلم، ممن حكى الإجماع على هذا الإمام محمد بن نصر المروزي رحمه الله في كتابه "تعظيم قدر الصلاة" وهو من أنفس وأنفع الكتب، تناول فيه مسألة الصلاة ومسألة الإيمان، كتاب نفيس للغاية، قالوا: إن محمد بن نصر المروزي رحمه الله تعالى عليه مع أنه من العلماء الأفذاذ ومن المحدثين المشاهير قالوا: إنه معتن عناية خاصة بذكر الخلاف، ويعتني بتتبع الأقوال، محمد بن نصر في كتابه هذا حكى أن جمهور المحدثين - وليس الإمام أحمد فقط - جمهور المحدثين وقت أحمد وقبل أحمد وبعد أحمد؛ أن جمهور المحدثين على أن تارك الصلاة يكفر،

(١) الحجرات: ٩.

(٢) الحجرات: ١٠.

(٣) صحيح. أبو داود (٢٦٢٣) من حديث بريدة رضي الله عنه مرفوعاً. صحيح الجامع (٤١٤٣).

(٤) سبق تخريجه.



ونقل رحمه الله تعالى أيضًا في كتابه هذا أن المعروف عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم هو تكفير تارك الصلاة ولم يجيء عن أحد منهم خلاف ذلك، وفيه الخبر عن جابر رضي الله عنه أنه لما سُئِلَ عن شيء من الأعمال تركه كفر قال: "الصلاة" (١)، وخبر عبد الله بن شقيق العقيلي رحمه الله لما قال: "لم يكن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يرون شيئًا من الأعمال تركه كفرًا إلا الصلاة" (٢) وحكى الإجماع على هذا أيضًا الإمام الجليل اسحق بن راهويه هذه الذي ذكرناها في مقدمة الرسالة (٣)، وهو أحد شيوخ الإمام حرب الكرماني رحمه الله تعالى، أخبر أن النبي عليه الصلاة والسلام قد صح عنه أن تارك الصلاة يكفر؛ وأن هذا هو رأي أهل العلم من لدن النبي صلى الله عليه وسلم يقول إلى يومنا - هذا اسحق رحمه الله -، اسحق من المعاصرين للإمام أحمد وهو شيخ الإمام حرب رحم الله الجميع، هذا هو المعروف، ودلت على هذا عدة نصوص، ويطول في الحقيقة المقام لسردها، لكن راجعها في كتاب الإيذان لشيخ الإسلام ابن تيمية، ولهذا ماذا يسمى المسلمون؟ يسمون بأهل القبلة، وماذا أيضًا؟ يسمون بأهل الصلاة، لأنه من المعلوم أن المسلمين من أهل الصلاة، وقد كان صلى الله عليه وسلم - كما في البخاري - إذا أغار على قوم انتظر؛ فإن سمع أذانًا وإلا أغار (٤)، لأن من شعارات المسلمين الصلاة، فإذا أذنوا فهم يصلون فيكف عنهم، إذا لم يقع فيهم الأذان معناه أنهم لا يصلون فكان يُغَيَّرُ صلى الله عليه وسلم عليهم، إلى غير ذلك من النصوص الدالة على هذا؛ وأن الصحيح من أقوال أهل العلم رحمهم الله جميعًا أن ترك الصلاة كفر - تهاونًا قطعًا -، أما إذا تركها جاحدًا بوجوبها هذا بالإجماع ما فيه إشكال أنه يكفر، ومن جميل ما ذكر شيخ الإسلام من الأدلة ومن أوضح - في المجلد السابع من كتاب الإيذان - جملة من الأدلة من ضمنها أن الموحدين إذا دخلوا النار؛ فإن النار لا تصيب منهم ماذا؟ مواضع السجود، لأن العاصي من أهل القبلة يصلي؛ فلا تمس النار مواضع السجود منه، أما الذي لا يصلي يقول شيخ الإسلام: فإن النار تأكله، كله لأن عدم صلاته دال على كفره، قال شيخ الإسلام: إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة (٢ / ٦٧٢).

(٢) صحيح. الترمذي (٢٦٢٢). الصحيحة (١ / ١٧٥).

(٣) تعظيم قدر الصلاة للمروزي (٢ / ٩٢٩).

(٤) صحيح البخاري (٦١٠) من حديث أنس رضي الله عنه.



يَسْتَطِيعُونَ^(١) وفيه الحديث الصحيح: "أن الله تعالى يكشف عن ساقه عز وجل؛ فمن كان من أهل الإيثار يُمكنه الله تعالى من السجود - وهي العلامة بين المؤمنين وبين ربهم - ومن كان من أهل النفاق في الدنيا؛ فإنه كلما أراد أن يسجد رياءً في الدنيا؛ فإنه كلما أراد أن يسجد صار ظهره - والعياذ بالله - طبقةً واحداً فخرَّ على قفاه"^(٢) يقول شيخ الإسلام: هؤلاء كانوا يصلون ويسجدون لكن نفاقاً فلم يتمكنوا من السجود مع أنهم كانوا يصلون؛ فما بالك بمن لم يكن يصلي أصلاً! يقول: لا يمكن من السجود، قال تعالى: ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالُونَ﴾^(٣) فكان تركهم للصلاة من أسباب عدم سجودهم والذي لا يسجد في ذلك المقام يهلك، وهكذا ما ذكره الله تعالى من ذكر الصلاة مع التصديق وترك الصلاة مع التكذيب: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى (٣١) وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى﴾^(٤) فجعل هذا ملازماً، فالمصدق مصلي، والمكذب متولي لا يصلي، وإذا سأل أهل اليمين أهل النار عن الذي سلكهم في سقر ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾^(٥) فبدءوا بأول جرم وأكبر جرم وهو الكفر ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصْلِينَ﴾^(٦)، فالصحيح الذي دلَّت عليه الأدلة أن ترك الصلاة كفر ومن لم يكفر تارك الصلاة من أهل العلم رحمهم الله تعالى فقد قال قولاً هو فيه مجتهد، وهو بإذن الله تعالى مأجور، لكن الصواب والقول الذي أجران أجر الصواب والاجتهاد هو قول من كفر تارك الصلاة، هذا هو الصحيح، لكن إذا لم يكفره عالم من العلماء وقال: الصواب عند قول أبي عبد الله؛ محمد بن ادریس الشافعي وهذا إمام جليل من أئمة المسلمين رحمه الله تعالى، وكونه لا يكفرهم؛ هذه مسألة من مسائل الخلاف الفقهي، لكن الصواب فيها والأدلة القوية الراجحة التي يطول جداً المقام لسردها وذكرها شيخ الإسلام - في المجلد السابع كما قلنا في الفتاوى - تدل على أن الصحيح أن تارك الصلاة يكفر، ولهذا

(١) القلم: ٤٢.

(٢) صحيح البخاري (٤٩١٩) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً.

(٣) القلم: ٤٣.

(٤) القيامة: ٣١، ٣٢.

(٥) المدثر: ٤٢.

(٦) المدثر: ٤٣.



حكى عليه الإجماع لأنه هو المعروف عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم أن ترك الصلاة كفر، ولهذا قال: "نحو ترك الصلاة".

يأتي سؤال الآن، لماذا ذكر حرب الكرماني رحمه الله تعالى مع ترك الصلاة شرب الخمر؟ مع أن شرب الخمر بإجماع أهل السنة لا يكفر صاحبه! السبب يعود مرة أخرى إلى ترك الصلاة، لأجل ذلك قال عبد الله بن عمر ورضي الله عنهما - كما نقله شيخ الإسلام في المجلد السابع - قال رحمه الله تعالى: "من شرب الخمر ممسياً أصبح مشركاً؛ ومن شربها مصبحاً أمسى مشركاً" فاستغرب ذلك السائل وقال للنخعي: ما وجه هذا الكلام؟ قال: لأنه يترك الصلاة^(١)، فليس تكفيره لشرب الخمر بالإجماع، لا يكفر، لأنه لو كان كافراً شارب الخمر لوجب قتله، ومعلوم أن له حداً؛ وأنه يُجلد الثمانين معناه أنه مسلم، لأنه لو كان مرتداً لما جُلد الثمانين وترك! لو كان مرتداً لقتل في شرب الخمر، هذا بالإجماع، ما في أحد من علماء السنة يقول: إن شرب الخمر أو الزنا كفر بالله عز وجل، لكن لأنه يؤدي إلى الكفر، قال: "فإذا شرب الخمر؛ فإنه لا يدري بصلاة ولا وضوء؛ فيستمر في غيئه حتى تخرج وقت الصلاة"، قال أهل العلم - وهو اختيار الشافعي رحمه الله تعالى - إن من يشرب الخمر ثم يتصرف تصرفات وهو مخمور قد زال عقله؛ يقول: نأخذه بكل تصرفاته، ولا يجعل شربه للخمر سبباً في إسقاط أحكام الله عنه، ولهذا اختار الشافعي رحمه الله أن السكران إذا طلق فإن طلاقه يمضي، فقيل له - رحمه الله تعالى -: إن الله تعالى يقول: ﴿لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾^(٢) فهذا يهذي لا يدري ما يقول! وإذا طلق ما يدري ما الطلاق! قال: ما نكافته بأنه إذا شرب الخمر وطلق؛ نقول: لا يمضي طلاقه!! قال: سأختار أن يمضي عليه الطلاق، وإذا قذف أن يقام عليه الحد، وإذا قتل قطعاً يقتل، إذا قتل أحداً وهو مخمور لا يقال: هذا مخمور! لا بد أن يقتل، قال الشافعي رحمه الله: فنجرها قاعدة، كل تصرفات المخمور يؤخذ بها، وإن كان من أهل العلم من يرى طلاق السكران أنه لا يمضي استدلالاً بقوله تبارك وتعالى: ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾^(٣) قالوا: وهذا لا يدري ما يقول، لكن فيما

(١) الإيمان لابن تيمية (ص: ٢٣٧).

(٢) النساء: ٤٣.

(٣) النساء: ٤٣.



يتعلق بشربه للخمير شربه للخمير في نفسه قطعاً ليس بكفر لا ريب، لكن لأنه سيؤول به إلى ترك الصلاة وترك الصلاة كفر؛ صار يُذكر شرب الخمر مع ترك الصلاة، لا لأن شرب الخمر كفر! ولكن لأنه سيؤدي إلى كفر، قال: فلا تُتَّيح له شرب الخمر ثم نقول: إذا ترك الصلاة؛ فإنه مخمور مسكين! ما نقول هذا الكلام، هو تسبب في أن يترك الصلاة، وإن كانت هذه المسألة قد تكون من المسائل بلا شك التي من مسائل الاجتهاد، لأنه إذا كان إذا أفاق يصلي؛ فتعود المسألة إلى تصرفات وأفعال السكران والكلام فيها، وهو إذا أفاق يصلي، فقد يقال: والله أعلم إنه ليس بتارك للصلاة، وهذا لا يعني أنه يعذر ويقال: هذا مسكين وشرب الخمر! لا بُدَّ أن يُقام عليه حدُّ الله، لكنَّ الله تعالى نهى أن تُقرب الصلاة قبل أن يُبَيِّتَ تعالى حكم الخمر ما نهى أن تُقرب الصلاة من قبل السكران، فلو أتى إلى المسجد يصلي لوجب أن لا يُمكن، لأنه يهذي ولا يدري، ولا تصح الصلاة منه أصلاً وهو سكران، ولأجل هذا ذكَّر حرب هذه المسألة، وقال عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما: "لأن أزني أحبُّ إلي من أن أشرب الخمر، إني إذا شربت الخمر تركت الصلاة، ومن ترك الصلاة فلا دين له" (١)، مثل هذه العبارات "أحبُّ إلي" لا تعني أن الزنى - معاذ الله - محبوب! لكن يقول: لو خيَّرت بين أمرين لكان عندي الزنا أيسر لأن الزاني لا يفقد عقله لكن شارب الخمر يفقد عقله، ويترتب على فقدانه لعقله أن يترك الصلاة، وبالتالي فإنه يكون بلا دين، وهكذا قول مسروق رحمه الله: "من شرب الخمر فقد كفر؛ وكفره: أن ليس له صلاة" (٢) يعني كفره لم يأت من مجرد شربه الخمر! وإنما بسبب أنه يتطرق إليه ترك الصلاة بسبب شربه الخمر، وهذا كله يؤكد على أن ترك الصلاة على الصحيح كفر، أما هذه المسألة بخصوصها فإن شارب الخمر بلا أدنى ريب ليس بكافر؛ وإنما تسبب في أن يترك الصلاة؛ فلاجل ذلك قالوا فيه ما قالوا.

ثم قال رحمه الله: "أو يتدع بدعة ينسب صاحبها إلى الكفر" نحتاج إلى الكلام بعض الشيء عن البدع، لأنه في الحقيقة الكلام فيه يقل، ويحتاج طالب العلم عندما يتكلم بالبدعة والحذر من البدعة أن يعرف ما معنى البدعة؟ وما أقسام البدعة؟ وما أحكام أهل البدع؟ حتى تكون الصورة عنده أوضح.

(١) السُّنَّةُ لأبي بكر بن الخلال (٤/ ١٥٠).

(٢) ضعيف مقطوع. النسائي (٥٦٦٥). صحيح وضعيف النسائي (٥٦٦٥).



فنعول: البدعة في اللغة هي الاختراع على غير مثال سابق، ولهذا قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١) يعني أن الله تعالى اخترعها من غير مثال سابق، أما من حيث الإطلاق الاصطلاحي لكلمة البدعة فعرفها الشاطبي رحمه الله تعالى في الاعتصام: "بأنها طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الطريقة الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله عز وجل"، فالبدعة طريقة من الطرق تُسلك - سواء قولية أو فعلية -، لكنها طريقة في الدين وليست في الدنيا! لأن عندنا مجموعة من المخترعات الحديثة، مثل هذا للاقط الآن تُعدُّ اختراعًا وتُعدُّ ابتداءً مثل هذه الكهرباء، مثل هذه المواصلات، مثل هذه الاتصالات، نحن نقول: البدعة طريقة في الدين وليست في الدنيا، لأن مخترعات الدنيا ما حكمها؟ كلها ما يطلق عليها أنها مباحة! المخترعات في الدنيا إما أن تكون نافعة وإما أن تكون ضارة، فإن كانت نافعة لا ضرر فيها؛ فإنها مباحة، مثل الكهرباء والاتصال والمواصلات، ولا نطلق أن المخترعات في الدنيا كلها مباحة، هناك الآن أجهزة تجسس، يأتي جار لا يتقي الله ويضع هذا الجهاز فيستمع ما يقوله جاره، أليس هذا اختراعًا؟ هل يجوز؟ إذن ما نطلق أن البدعة في الدنيا مباحة، نقول: البدعة الدنيوية إما أن تكون من المخترعات النافعة التي نفع الله عز وجل هذا النفع العظيم، وهي من أنواع النعم التي مكن الله تعالى منها؛ هذه لا شك أنه مباحة، وليس هذا موضع الكلام، لكن ما نطلق أن كل اختراع هو مباح! بل هناك اختراعات مباحة وهناك اختراعات غير مباحة، لأجل هذا قيدها بالدين، فقال: طريقة في الدين، لأن الدين كَمَلَّ قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(٢) فالزيادة عليه بدعة، أي زيادة في الدين تأتي بها تُحَدِّثُهَا فَإِنَّهَا اختراع مبتدع، طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الطريقة الشرعية، أنت إذا رأيت المبتدع وتعبده وإذا به يتشبه بالطرق الشرعية! ماذا يقصد؟ الغالب على الدهماء وعلى العوام من الواقعين في البدع الغالب عليهم أنهم يتقربون إلى الله؛ وأثمهم يريدون رضاه، ومع ذلك هل هم مبتدعة؟ نعم مبتدعة، لا شك أنهم مبتدعة، يقصد في السلوك عليها المبالغة في التعبد لله، لأن الواجب أن يسلك المسلك الصحيح؛ وأن يكون على هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا أن يخترع ويبتدع! هذا معنى البدعة.

(١) الفاتحة: ١١٧.

(٢) المائدة: ٣.



البدعة أقسامها، أقسام البدعة من حيث هي: هناك بدعة تسمى البدعة الحقيقية، وهي البدعة الصلعاء التي ليس لها أي مستند لا في الكتاب ولا في السنة نهائياً، مثل بدع الاحتفال بالموالد، مثل بدع نفي الصفات، مثل بدع الروافض التي لا تنتهي، هذه ليس لها أي مستند بتاتاً لا في كتاب الله ولا في سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، هذا التقسيم الأول.

التقسيم الثاني: البدع الإضافية، الأولى بدع حقيقية وهي الصلعاء، البدعة الإضافية: أصلها شرعي لكن أُضيفَ إليها إضافة جعلتها بدعة، هذا معنى كونها بدعة إضافية، مثال ذلك: الذكر الجماعي، الذكر بلا أدنى ريب أنه مشروع وأمور به، لكن ماذا فعل أهل الذكر الجماعي؟ أضافوا إضافة، بدلاً من أن يكون كل أحد يسيح الله ويمجد الله ويكبر كما كان الوضع زمن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم؛ صار يقف واحد ويقول: سبحان الله؛ فيسبحون، أو التلبية كما يحدث - للأسف - الآن في الحج والعمرة، يأتي بعض الأحيان ثلاثمئة أو أربعمئة شخص ومعهم واحد يقول: لبيك اللهم لبيك؛ فيلبون جميعاً، هذا معنى الجماعي، التلبية مشروعة بلا شك لكن كونها على هذه الصيغة الجماعية ابتداع، لأنه أُضيف إلى الشرع، هذا معنى كونه بدعة إضافية.

البدعة من حيث الحكم على صاحبها: البدعة إما أن تكون مكفرة - يعني يخرج بها صاحبها من الملة -، وإما أن تكون غير مكفرة - يكون صاحبها من المسلمين لكنه مبتدع -، مثال النوع الأول - البدع المكفرة - : بدع الباطنية من الدروز والنصيرية وأضرابهم، ونحوها من البدع التي عليها الروافض كتكفير الصحابة بالعموم ونحو ذلك مما ابتدعوه واخترعوه؛ هذا لا شك أنهم من البدع المكفرة.

النوع الثاني من البدع: البدع غير المكفرة، لأن صاحبها مسلم من المسلمين، لكنه اخترع هذه البدعة فصار حاله حال المبتدع من المسلمين، مثل الاحتفال بالمولد النبوي، المولد النبوي الاحتفال به لا أصل له وليس عليه دليل، وأول من اخترعه وابتدعه أعداء الله من بني عبيد المسمون بالفاطميين، وهم يدعون أنهم روافض، وواقعهم - كما قال شيخ الإسلام وغيره من أهل العلم - يظهرهم الرفض؛ وباطنهم الكفر المحض، لأنهم يسبون الأنبياء ويسبون الدين ولا يرون الصلاة والزكاة ولا يقرّون باليوم الآخر، هم كفرة بلا شك، هم أول من اخترع بدعة المولد، فقلدهم كثير من سدج وعوام المسلمين، يقول: نحن نحب رسول



الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! لست أحبُّ لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا من أبي بكر ولا من عمر ولا من عثمان وعلي ولا من المهاجرين والأنصار؛ ومع ذلك ما فعلوا هذه المخترعات.

ما حكم من يقع في مثل هذه الاحتفالات؟ نقول: إنه مبتدع من المسلمين، هذا معنى قولهم: إن الحكم على أصحاب البدع نوعان، إما أن تكون بدعة مكفرة وإما أن تكون بدعة غير مكفرة.

هنا يقول رحمه الله: "أو يبتدع بدعة يُنسب صاحبها إلى الكفر" يعني البدع المكفرة والخروج من الإسلام، عند ذلك يُحكم بكفره.

ثم قال رحمه الله: "واتبع الأثر في ذلك ولا تجاوزه" اتباعك للأثر يجعلك تسلم من البدع، لأن الواقعيين في البدع قد اتبعوا أهواءهم وما اخترعوه وخالفوا النصوص الجليلة في كتاب الله وسنة نبيه؛ فصاروا بذلك مبتدعة، هذا المعنى، إذا اتبعت الأثر هذا معناه أنك لا تكون مبتدعاً أبداً، وإن أطلق عليك أهل البدع أنك مبتدع! يعني على سبيل المثال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى حين دعا للتوحيد وحذر من صرف العبادة لغير الله والطواف بالقبور؛ قالوا: هذا مبتدع! من الذي قال: إنه مبتدع؟ المبتدعة، لأن المبتدع السنة عنده هي البدعة، فلا يُستغرب أن يطلق عن الشيخ وعلى ابن تيمية وعلى أحمد وعلى غيرهم أن يطلق عليهم أنهم مبتدعة، إذا كان المطلق مبتدعاً، لأن المبتدع البدعة عنده هي السنة والسنة عنده هي البدعة، متتسكس، فلاجل ذلك قال: "اتبع الأثر في ذلك ولا تجاوزه".

"ولا أحب الصلاة خلف المبتدع" لما جاء إلى هذا الموضوع لم ينسب هذه المسألة لمشايخه، لأنه في بداية الكتاب رحمه الله قال: "إن هذه العقيدة هي العقيدة التي عليها علماء الأمصار في الشام والعراق والحجاز" لما جاء إلى هذه المسألة ما قال: إن عموم العلماء يمنعون الصلاة خلف المبتدع! بل قال عن نفسه: لا أحب الصلاة خلف أهل البدع؛ ولا الصلاة على من مات منهم، أما أصحاب البدع المكفرة فلا شك أنه لا يصلي خلفهم ولا يصلي عليهم، أما من كان عنده بدعة غير مكفرة؛ فأهل العلم فيها على قولين اثنين: منهم من يقول: إنه لا يصلي خلفه ولا يُقر عينه وليس هذا أهلاً للإمامة؛ فلا تصح الصلاة خلفه، ومنهم من يقول: إنه من حيث كونه من المسلمين تصح الصلاة خلفه؛ وإن كان تقديمه للصلاة خطأ، بلا شك، ينبغي أن يُقدم للصلاة من يكون على الحق وعلى السنة، لكن من حيث صحة الصلاة تصح الصلاة خلفه، أما الصلاة على



من مات من أهل البدع فأما رؤوسهم والدعاة - طبعاً المقصود البدعة غير المكفرة - أما أهل البدع المكفرة فأمرهم واضح؛ لا يصلي عليهم ولا يصلى خلفهم، أما من كان من ذوي البدع غير المكفرة؛ فأما رؤوسهم والدعاة إلى الباطل والذين نشروا هذه الضلالات في الأمة؛ فهم أغلظ وأقبح من العامة - عوام أهل البدع -، ولهذا ينبغي عدم الصلاة عليهم - لا لأنهم غير مسلمين - لكن لأنهم ينبغي أن يذروا، ليس المقصود أن يذروا الميت! الميت إذا مات فإنه ينتهي زجرهم، ولكن يذروا أضرابهم، لأجل ذلك فإن سفيان الثوري رحمه الله تعالى لما مات ابن أبي رواد - وكان من المرجئة - وكان سفيان من علماء الأمة المشاهير؛ فتعمد رحمه الله تعالى أن يشق الصفوف متجهاً إلى جنازته؛ فقال الناس: جاء سفيان جاء سفيان؛ فتجاوز الجنازة عمداً ولم يصل عليها، فسئل عن ذلك قال: والله إني لأرى الصلاة على من هو دونه، يقول: الصلاة عليه أنا ما عندي فيها أي إشكال، بل من هو أسوأ حالاً منه أرى أنه يصلى عليه؛ لكن أردت أن يعلم الناس البدعة^(١)، يعني حتى يحذر الناس البدعة، لأن المبتدع إذا فكر في أمره فقال: علماء المسلمين وقضاة المسلمين؛ خيارهم وعبادهم؛ أهل التهجد؛ أهل الصيام؛ غداً لا يصلون عليّ لأجل ما أنا فيه من بدعة؛ هذه شقاء وبلاء، ما الذي يحملني على أن أكون في هذه البدعة، أو يكتم بدعته، فيجعل بدعته بينه وبين خاصته ولا يظهرها، فعند ذلك يُعامل بحسب الظاهر، فالحاصل أن الصلاة على المبتدع هي راجعة لكونه مسلماً، إذا كان مسلماً تصح الصلاة عليه، بل لأبد من الصلاة عليه الحقيقة، يعني ولو وجد مبتدع من أهل السنة ولم يوجد من يصلي عليه؛ هل يقال: يؤخذ ويرمى في المقبرة! يقال: انظر؛ مسلم أم غير مسلم؟ مسلم إذن لأبد أن يصلى عليه، وإن كان يصلي عليه بعضهم ولا يصلي عليه خيارهم، والدليل على هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم ربما ترك الصلاة على بعض المسلمين زجراً عن الباطل الذي وقع فيه من مات، مثال ذلك أتي للنبي صلى الله عليه وسلم برجل قد انتحر - والانتحار من كبائر الذنوب - فأبى صلى الله عليه وسلم أن يصلي عليه، لكن أمرهم أن يصلوا عليه؛ فصلوا عليه^(٢)، كون النبي صلى الله عليه وسلم لا يصلي عليه هذا فيه زجر لمن يفكر بالانتحار، هذا المعنى، وهكذا غير المبتدعة من الفاسق، الفاسق من المسلمين نصلي عليه ونذهب به إلى قبره

(١) سير أعلام النبلاء (٧ / ١٨٦).

(٢) في صحيح مسلم (٩٧٨) عن جابر بن سمرة رضي الله عنه، قال: "أُتي النبي صلى الله عليه وسلم برجل قتل نفسه بمشاقص، فلم يصل عليه".



ونقف على قبره وندعو له، لكن قد يكون الشخص مجاهرًا داعيًا إلى فسقه؛ فهذا الشخص قد تجاوز حدود الله عز وجل تجاوزًا عظيمًا أكثر من كونه يمارس هو الفسق، بل هو مظهر له مستعلن به، فقد يترك الأخيار والعلماء والسلاطين - السلاطين الحاكم يترك الصلاة عليه؛ والسلاطين كما قلنا الأصل أن من يصلي الحاكم - فيترك الصلاة عليه، لكن ما يقول: اتركوه وارموه في المقبرة! يقول: صلوا عليه لأنه من المسلمين، فإذا كان من المسلمين مبتدعًا أو فاسقًا لا تترك الصلاة عليه بالكلية، لكن من كان محل قدوة كولاية الأمور وأهل العلم ونحوهم لزجر غيره، أما هو الآن ميت لا يزجر، انتهى وضعه، لكن لزجر غيره أن ينتحر كما انتحر أو يتدع كما ابتدع أو يستعلن بفسقه كما استعلن، يفكر هؤلاء الذين يفعلون مثل فعله يقولون: غدا أنا أرجو دعوة المسلمين لي والصلاة علي وأن يذهبوا إلى قبوري إذا مت وأن يدعوا لي، سيكون هذا الإظهار للفسق هو السبب في أن يترك هؤلاء الأخيار الصلاة علي؛ حتى لو صلى علي عموم الناس، إذن أنا سأترك الاستعلان بهذا البلاء من بدعة أو فسق، وهذا مكسب كبير، هذا المقصود، لأن المقصود زجر غيره أن يفعل فعله، لكن من حيث الصلاة عليه لا شك أنه لا بد أن يصلى عليه ما دام من المسلمين حتى لو كان مبتدعًا، لا تترك الصلاة عليه، لا يرمى هكذا كأنه يهودي أو نصراني، لكن من باب الزجر لغيره، لأن النبي صلى الله عليه وسلم ترك الصلاة على رجل من المسلمين منتحر لزجر غيره، هذا فيه سنة بلا شك، ولذا كان كعب بن مالك رضي الله عنه - وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك - يقول: كان أشد ما أخشاه أن أموت ولا يصلي علي النبي صلى الله عليه وسلم (١) - لما تخلف عن غزوة تبوك - وهذا الذي يفكر فيه، أخشى أن يقع لي مثل هذا، ففيه مزية كونه يترك الصلاة عليه يعني ولي الأمر وأهل العلم والفضل لكن لا بد أن يصلى عليه ويدعى له، وحتى لو تركت الصلاة عليه تسأل الله تعالى حتى وأنت ساجد: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، اللهم جازه بالحسنات إحسانًا؛ وبالسيئات عفوًا وغفرانًا، لأنه أخ لك، فأنت ليس بينك وبينه عداوة شخصية، إنما كنت لله عز وجل مبغضًا لفعله؛ لكنك ترجو من الله عز وجل الصفح والغفران بصفته من المسلمين.

(١) صحيح البخاري (٤٦٧٧) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا.



والأعور الدَّجَالُ خارج؛ ولا شكَّ في ذلك ولا ارتياب، وهو أكذب الكاذبين

.....

الأعور الكذاب يريد به المسيح الدَّجَالُ، سماه الأعور لأنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أنه أعور عينه اليمنى، قال: «إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعُورٍ؛ وَإِنَّهُ أَعُورٌ عَيْنُهُ الْيَمْنَى»^(١)، والدَّجَالُ كما ثبت في الحديث هو أعظم الفتن على الإطلاق، ما هناك فتنة منذ أن خلق الله آدم إلى قيام الساعة أعظم أو أكبر من فتنة المسيح الدَّجَالِ - نعوذ بالله منه -، ولهذا حذرت منه جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قال عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا حَذَرَ أُمَّتَهُ الْأَعُورَ الدَّجَالَ، لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوْحٌ قَوْمَهُ»^(٢) وهو خارج في هذه الأمة قطعاً، لأنَّ جميع الأمم قبلنا لم يخرج فيهم هذا المسيح، والمسيح الدَّجَالُ من أعظم الفتن وهو من الأدلة على أن مَنْ يظهر من الخوارق العجيبة والغريبة لا يكونون بالضرورة على حق! وقد يظهر على بعض الناس بعض الأمور الخارقة والغريبة، فليس معيار الحق من الباطل أن تظهر خوارق على الشخص - كما يظنُّ العامة والدهماء والجهلة - ، لأنَّ الخوارق هذه قد تظهر على يد أناس من المحتالين أو السحرة أو مَنْ لهم صلة بالشياطين، وتظهر على يد الدَّجَالِ فَتنةً وابتلاءً.

هذا الدَّجَالُ يُمَكِّنُهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ بَابِ الْفِتْنَةِ مِنْ أُمُورٍ، مِنْ ضَمْنِهَا أَنَّهُ يَأْمُرُ كَمَا فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ - أَحَادِيثُهُ فِي الصَّحِيحِينَ فِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ - وَتَوْسَعُ فِيهَا مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى تَوْسَعًا بِالْغَا فِي كِتَابِ الْفِتَنِ، فَهُوَ أَكْثَرُ سَرْدًا لِسِيَاقِ أَحَادِيثِ الدَّجَالِ مِنَ الْبُخَارِيِّ رَحِمَهُمَا اللهُ.

أخبر عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ خَارِجٌ مِنْ خَلَّةٍ بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عِبَادَ اللهِ؛ فَابْتُوا»^(٣) وَأَخْبَرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يَأْمُرُ السَّمَاءَ فْتَمَطُرُ وَالْأَرْضَ فْتَنْبِتُ، وَيَمُرُّ بِالْخَرْبَةِ فْتَنْبَعُهُ كَنُوزِهَا كِيَعَاسِبُ النَّحْلَ^(٤) إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الْمَهَائِلَةِ الَّتِي تَفْتِنُ مَنْ لَمْ يَثْبِتْهُ اللهُ تَعَالَى، لَكِنَّ اللهُ - كَمَا قُلْنَا لَهُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَالْمَنْ - قَدْ جَعَلَ فِيهِ عِلَامَاتٍ دَالَّةً عَلَى كَذِبِهِ، مِنْ أَظْهَرِهَا أَنَّهُ أَعُورٌ

(١) صحيح البخاري (٤٤٠٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) صحيح البخاري (٣٠٥٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنه مرفوعاً.

(٣) صحيح مسلم (٢٩٣٧) من حديث النّوَّاسِ رضي الله عنه مرفوعاً.

(٤) صحيح مسلم (٢٩٣٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.



عينه اليمنى وهو يدعي الربوبية! الدَّجَالُ يبدأ فيدعي النبوة ثم يدعي الربوبية ويدعي أنه هو الرب، هو أعور عينه اليمنى، علامة دالة على أنه كاذب أنه أعور، هو يدعي الربوبية وأنه بيده التصريف وأنه كذا وكذا وعينه على هذه الحال! وهذا عيب واضح فيه، مَنْ عَوَّرَ عَيْنَهُ إِنْ كَانَ رَبًّا!! ولهذا قال عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعُورٍ»^(١) بل له عينان سبحانه وتعالى وله الكمال المطلق عز اسمه، ثم إنه يمكث في الأرض أربعين يوماً، يوم كَسَنَتْهُ مِنْ طُولِهِ وهو يوم حقيقي، حتى سأل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم: ذلك اليوم الذي كَسَنَتْهُ تكفيناً فيه صلاة يوم؟ قال: «لَا؛ اقْدِرُوا لَهُ قَدْرَهُ»^(٢) مما يدل على أنه طول حقيقي، ويوم كَشَهْرٍ وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ يَعْنِي كَأَسْبُوعٍ وَسَائِرُ أَيَامِهِ كَأَيَّامِكُمْ^(٣)، ثم يمكث في الأرض، جاء في الروايات أن أكثر مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ النِّسَاءُ^(٤) - نسأل الله العافية والسلامة - لِحَرْصِهِنَّ عَلَى الْغَرِيبِ وَالْعَجِيبِ، وجاء في بعض الروايات أن الرجل يرجع إلى بيته فيربط موليته رباطاً لكثرة مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ - نسأل الله العافية والسلامة - مِنَ النِّسَاءِ، في الروايات ما يدل على أنه يُبْتَلَى أَهْلَ الْإِيمَانِ فِي وَقْتِهِ ابْتِلَاءً عَظِيمًا، يَمُرُّ بِالْمُؤْمِنِينَ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ دَعْوَتَهُ وَيَأْبُونَ أَنْ يَقْبَلُوا قَوْلَهُ لَهْ فَيَصْبَحُونَ مَمْحُولِينَ^(٥) ليس بأيديهم شيءٌ مِنْ بَابِ الْإِبْتِلَاءِ، وَأَمَّا مَنْ كَانُوا مَعَهُ فَإِنَّ أَنْوَاعَ النِّعَمِ الَّتِي يَفْتَنُونَ بِهَا تُفْتَحُ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ يَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمْكُثَ فِيهَا الْمُدَّةَ الْمَحْدَدَةَ وَهِيَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا عَلَى الْوَضْعِ الَّذِي ذَكَرْنَا، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُنْزِلُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَكْمًا عَدْلًا لِيَحْكُمَ بِشَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَيَدْرِكُ الدَّجَالَ عِنْدَ بَابِ لُدٍّ^(٦) - بَابِ لُدٍّ فِي فِلَسْطِينَ - تَحْتَ احْتِلَالِ الْيَهُودِ الْآنَ، وَأَخْبَرَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ إِذَا وَقَعَتِ الْمَلْحَمَةُ الْعَظِيمَةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْكَافِرِينَ فَإِنَّهُ "مَا مِنْ حَجْرٍ وَلَا شَجَرٍ إِلَّا يَقُولُ: يَا مُسْلِمُ؛ هَذَا يَهُودِي خَلْفِي تَعَالَى فَاقْتُلْهُ إِلَّا الْغَرْقَدَ"^(٧) مع أن الغرقد مطيعٌ لله، لا تتصور أن الغرقد! هو كل شيء في هذه الدنيا مطيعٌ لرب العالمين مِنْ

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح مسلم (٢٩٣٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٣) صحيح مسلم (٢٩٣٧) من حديث النّوأس رضي الله عنه مرفوعاً.

(٤) مسند أحمد (١٧٩٠٠).

(٥) صحيح مسلم (٢٩٣٧) من حديث النّوأس رضي الله عنه مرفوعاً.

(٦) صحيح مسلم (٢٩٣٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٧) صحيح مسلم (٢٩٢٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.



طيور ودواب؛ ولكن جعله له الله تبارك وتعالى آية لأنه من شجر يهود، ولهذا هم يحرصون عليه جداً، اليهود الآن يحرصون على شجر الغرقد جداً، لأن أعداء الله يعلمون صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فيدركه المسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام، يدرك الدجال عند باب لُد فيقتله، وتنتهي وتنطفئ فتنته، وهو من الفتن الكبار - نسأل الله العافية والسلامة - الشديدة، ولا يثبت عندها إلا أهل الإيمان، ويين عليه الصلاة والسلام أيضاً أن "الدجال مكتوب بين عينيه كافر؛ يقرأه كل مؤمن كاتب وغير كاتب" (١) العبرة هنا ليست بتعلم القراءة والكتابة! العبرة هنا بالإيمان، فإذا كان من المؤمنين فإنه يقرأ أن بين عينيه كافر، وهذا من رحمه الله ومنتته، قلنا: إن من الفتن أيها الإخوة - والله الفضل والمن والحمد والشكر - يكون فيها دلالات ومخارج للمؤمنين للسلامة من الفتن، فأعظم الفتن هي فتنة الدجال كما قلنا ومع ذلك جعل الله فيه من الدلالات على كذبه وما يجعل المؤمن يبعد عن فتنته أن بين عينيه مكتوب "كافر"، وقال: إنه يقول إنه الرب! وأنه أعور عين اليمنى، وهو يدعي أنه الرب، إلى غير ذلك من الدلائل التي قد يطول المقام بها، لكن تجد أحاديث الدجال مفصلة في صحيح مسلم، ونقل النووي رحمه الله في رياض الصالحين جملة كثيرة منها، فأحاديث الدجال ثابتة ومعلومة، وسمي بالأعور الدجال لأجل العور الذي في عينه.

قال: "خارج لا شك في ذلك ولا ارتياب، وهو أكذب الكاذبين" نعم؛ لأنه يدعي - قبحه الله - أنه هو الرب، ويتبعه على هذا أعداد غفيرة جداً، وجاء أنه يتبعه في الحديث الصحيح يتبعه من يهود أصبهان في إيران "يتبعه من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالة" (٢) فيخرج في المشرق (٣)، ويتبعه عدد، في المشرق جاءت أحاديث كثيرة جداً دالة على أن الفتنة منه (٤)، ولأجل هذا كثير من الفتن الواقعة في الأمة كان كان مخرجها من المشرق، بدعة الرافضة؛ بدعة الباطنية؛ بدعة المعتزلة؛ بدعة الجهمية؛ بدعة الخوارج؛ بدعة من أضرروا بالأمة الضرر الشديد مثل أهل الفتك الخرمية وأضرابهم؛ كلهم - سبحانه الله - من جهة المشرق، ولا يزال المشرق فيه شيء كثير من الشر، وأخبر عليه الصلاة والسلام "أن الفتنة تخرج من هاهنا؛

(١) صحيح مسلم (٢٩٣٤) من حديث حذيفة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) صحيح مسلم (٢٩٤٤) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً.

(٣) صحيح مسلم (١٣٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٤) صحيح البخاري (٣٢٧٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنه مرفوعاً.



من حيث يطلع قرن الشيطان" (١) ولهذا كان كثير من الفتن آتية من جهة العراق وما بعده من جهات خراسان ونحو ذلك من الفتن التي وقعت، وهكذا الحروب والمهالك الكبيرة وقعت أيضًا من جهة المشرق، فالحاصل أن الدجال يخرج في المشرق ويتبعه عددٌ غفير من أهل المشرق، ثم يكون مسرعًا جدًا في الأرض كالرياح في سرعته، كالغيث استدبرته الرياح (٢)، يعني أنه سريع جدًا ويتمكن من وطأ الأرض كلها إلا مكة والمدينة؛ فإنها محمية منه (٣)، والعافية في ذلك - والله الحمد - بما أخبر به عليه الصلاة والسلام، قال: «ومن أدركه؛ فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف» (٤)، وهذا يدل على أن الالتزام والاعتصام بالقرآن والسنة أنه من أسباب النجاة من الفتن، يعني أعظم الفتن؛ أخبر عليه الصلاة والسلام أن العافية من فتنته تُقرأ عليه هذه الآيات العظام من سورة الكهف، والكلام فيه يطول، وصنّف فيه العلماء مصنّفات وذكره في غير الصحيحين بيانًا لما يقع بين يدي السائل من هذه العظام.

وعذاب القبر حق، يُسأل العبد عن ربه وعن نبيه وعن دينه، ويرى مقعده من الجنة أو النار، ومنكر ونكير حق، وهما فتانا القبر

.....

تكلم رحمه الله تعالى عما يكون بعد الموت، والذي يكون بعد الموت في القبر شيئان:

الشيء الأول: الفتنة، والمقصود بالفتنة سؤال الميت عن ثلاثة أمور: عن ربه وعن دينه وعن نبيه صلى الله عليه وسلم، وهذه يُسألها كلُّ أحد، فأما المسلم فيثبت ويحجب الجواب الحق ويسلم من الهول الذي يقع من آثار هذا السؤال، أما الفاجر والمرتاب - نسأل الله العافية - يقول: ها، ها لا أدري؛ سمعت الناس يقولون قولاً فقلته، فكان يقول في الدنيا: إن ربه الله ودينه الإسلام ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم؛ لكن لما جاء في الموضوع الهائل هذا ضاع وضلّ - نسأل الله العافية - - قال: إنه سمع الناس يقولون قولاً فقال.

(١) صحيح البخاري (٣٢٧٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) صحيح مسلم (٢٩٣٧) من حديث النّوأس رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) صحيح البخاري (١٨٨١) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) صحيح مسلم (٢٩٣٧) من حديث النّوأس رضي الله عنه مرفوعًا.



الأمر الثاني الذي يقع في القبر: هو النعيم أو العذاب، يفتح للمؤمن موضعاً يرى فيه مقعده من الجنة، ويأتيه من ريحها وطيبها، فلاجل ذلك إذا عَلِمَ النجاة وأنه من أهل الجنة قال: رب أقيم الساعة، يعني يريد أن يدخل الجنة، أما - والعياذ بالله - الهالك؛ فإنه يفتح له باب إلى النار، يأتيه من حرها وسمومها فيقول: رب لا تُقيم الساعة، مع شدة التعذيب الذي يناله، لأنه يعلم أنه إذا أقيمت الساعة؛ فإن وضعه أسوأ وأخبث من وضعه في القبر، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «القبر أول منزلة من منازل الآخرة؛ فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينجو منه فما بعده شر منه»^(١)، والنبي صلى الله عليه وسلم أمر المصلي أن يستعيز بالله من أربع «اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم؛ ومن عذاب القبر؛ ومن فتنة المحيا والممات؛ ومن فتنة المسيح الدجال»^(٢) لعظم هذه الأمور وهولها وكونها آتية لا شك فيها.

وبعد ذلك قال رحمه الله تعالى: "ومنكر ونكير حق" منكر ونكير هما ملكان عليهما صلوات الله وسلامه، يسألان العبد، وهما فتانا القبر، يسألانه عن ربه وعن نبيه وعن دينه، وهذا الأمر متفق عليه بين أهل السنة لا يخالف في هذا إلا حمقى المعتزلة وأضرابهم وإلا فهذا أمر متفق عليه بين علماء السنة، والنصوص فيه كثيرة جداً، ودل عليه القرآن، قال الله عز وجل في آل فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾^(٣) يعني في قبورهم، والدليل على ذلك بقية الآية: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾^(٤) فهذا العرض - نسأل الله العافية - - لهم على النار هو في قبورهم ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ ولو كان آل فرعون في الآخرة لا يُعْرَضُونَ على النار إلا في الغدو والعشي لكانوا أيسر - الناس في العذاب - يعني لو كانوا لا تنالهم النار إلا في الغدو والعشي؛ في الصباح وفي فترة العشي - فالأمر سهل بالنسبة إلى من يمكثون في النار أبد الآباد!! لكن المقصود أنهم يُعْرَضُونَ على النار في قبورهم، هذا المعنى، ولهذا قال في بقية الآية: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ فدل على أن العذاب الأول هذا المذكور في أول الآية غير العذاب الآتي لهم في الآخرة - نسأل الله العافية والسلامة -.

(١) حسن. الترمذي (٢٣٠٨) من حديث عثمان رضي الله عنه مرفوعاً. صحيح الجامع (١٦٨٤).

(٢) صحيح البخاري (١٣٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٣) غافر: ٤٦.

(٤) غافر: ٤٦.



وحوض محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حق، حوض تَرُدُّ عَلَيْهِ أُمَّتَهُ، وَلَهُ آيَةٌ يَشْرَبُونَ بِهَا مِنْهُ، وَالصَّرَاطُ حَقٌّ يُوضَعُ عَلَى سِوَاءِ جَهَنَّمَ وَيَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَالْجَنَّةُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ - نَسَأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ وَالْجِوَارَ -، وَالْمِيزَانَ حَقٌّ تُوْزَنُ بِهِ الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ كَمَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تُوْزَنَ بِهِ، وَالصُّورُ حَقٌّ يَنْفَخُ فِيهِ إِسْرَافِيلُ فَيَمُوتُ الْخَلْقُ، ثُمَّ يَنْفَخُ فِيهِ الْآخَرَى فَيَقُومُونَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ لِلْحِسَابِ وَفَصَلِّ الْقَضَاءِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَاللُّوْحَ الْمَحْفُوظَ حَقٌّ، تَسْتَنْسَخُ مِنْهُ أَعْمَالَ الْعِبَادِ بِمَا سَبَقَ فِيهِ مِنَ الْمَقَادِيرِ وَالْقَضَاءِ، وَالْقَلَمُ حَقٌّ كَتَبَ اللَّهُ بِهِ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ وَأَحْصَاهُ فِي الذِّكْرِ فَتَبَارَكَ رَبُّنَا وَتَعَالَى.

.....

ذَكَرْنَا هُنَا عِدَّةَ أُمُورٍ بَعْضُهَا مُرْتَبِطٌ بِمَوَاقِفِ الْقِيَامَةِ وَبَعْضُهَا مُرْتَبِطٌ بِمَا سَبَقَ وَخَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ وَالْقَلَمِ، وَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى الْكَلَامُ عَلَيْهَا الْآنَ.

يقول: "وحوض محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حق" الحوض هو مجمع الماء، وهذا الحوض العظيم الذي يكون في الآخرة إذا ورد الناس كما قال بعض السلف: يبعث الناس أشد ما كانوا جوعاً وعطشاً؛ فإذا وردوا بالقيامة فإن هذا الحوض العظيم يكون أمامهم، لا يَرُدُّهُ كُلُّ أَحَدٍ، بَلْ يَزَادُ عَنْهُ - نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ - الْمُرْتَدُونَ الَّذِينَ ارْتَدَوْا وَهُمْ الْوَارِدُونَ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ "إِنَّهُ يَزَادُ أَنْاسَ مِنْ أَصْحَابِهِ لَمَّا رَأَوْهُمْ وَعَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ نَادَتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ؛ فَأَقُولُ: أَصْحَابِي! فَيَقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ" (١) هُوَ لَاءَ قَوْمٍ أَسْلَمُوا وَأَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ زَمَنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَاتَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالظَّاهِرُ مِنْهُمْ الْإِسْلَامَ، لَكِنْهُمْ ارْتَدَوْا بَعْدَهُ كَمَا حَصَلَ مِنَ الْمُرْتَدِينَ وَتَرَكَوا الْإِسْلَامَ فَقَاتَلَهُمُ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ الثَّابِتُونَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى انْتَهَتْ وَانْطَفَأَتْ فَتْنَةُ الرَّدَّةِ، وَهُمْ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ "أَصْحَابِي، أَصْحَابِي" يَعْنِي الَّذِينَ ظَاهَرَهُمْ لَمَّا كُنْتُ حَيًّا ظَاهَرَهُمْ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، لِأَنَّ الصَّحَابِيَّ هُوَ مَنْ لَقِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُؤْمِنًا بِهِ وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ، مَاتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالظَّاهِرُ مِنْهُمْ هُوَ لَاءَ أَمَّهُمْ مُسْلِمُونَ فَقَالَ: أَصْحَابِي بِنَاءً عَلَى ذَلِكَ، وَلِهَذَا أَخْبَرْتَهُ الْمَلَائِكَةُ أَنََّّهُمْ لَا يَزَالُوا

(١) صحيح البخاري (٤٦٢٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنه مرفوعاً.



مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم يقول: فأقول: «سحقاً، سحقاً لمن بدّل بعدي، وأقول كما قال العبد الصالح يعني عيسى: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(١)»^(٢) يعني لا أدري ما الذي حدث بعدي، هذا المعنى، فالذي حدث أن هؤلاء ارتدوا فشنّ الغارة عليهم أبو بكر رضي الله تعالى عنه وأرضاه والصحابة حتى انطفأت الردة في الجزيرة العربية - والله الحمد والمنّ -.

فحوض نبينا صلى الله عليه وسلم لا يرده إلا أمته، جاء في بعض الروايات أنه يُزاد عنه حتى غير المرتدين - نسأل الله العافية - من بعض أهل الذنوب، كما روى النسائي وابن حبان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «هل سمعتم أنه سيكون أمراء؛ فمن صدّقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه، ولن يرد عليّ الحوض»^(٣) هؤلاء ليسوا كفاراً ولكنهم متملقون منافقون لهؤلاء الحكّام، غير صادقين، يعينونهم إذا ظلموا، وإذا كذبوا صدّقوهم، ولم ينصحوهم ولم يتقوا الله سبحانه وتعالى فيهم، ولهذا نحن دائماً ندعو للحكّام بأن يرزقهم الله البطانة الصالحة، لأنّ البطانة الصالحة كما قال عليه الصّلاة والسّلام: «إذا أراد الله بالإمام - أو بالخليفة - خيراً جعل له وزير صدقٍ إذا ذكّر أعانه، وإذا نسي - ذكّره»^(٤) فيُدعى لهؤلاء الحكّام بالتوفيق والسداد؛ وأن يقرب الله لهم البطانة الصالحة التي تعينهم على الخير، وهذا من حقهم على الأمة، من حق الحكّام على الأمة ذلك كما نصّ عليه أهل العلم كالإمام أحمد رحمه الله، يقول: "إني لأدعوا له في الليل والنهار، وأرى ذلك واجباً عليّ"^(٥) يعني يجب أن يُدعى للحكّام لأنّ في صلاحهم صلاح البلاد والعباد، كما قال الفضيل رحمه الله ابن عياض: "لو كان لي دعوةٌ مستجابة لجعلتها للسلطان"^(٦) قيل لم يا أبا علي؟ قال: "لأنّ صلاح السلطان به صلاح العباد والبلاد؛ وإذا دعوتُ لنفسي فإنّ دعوتي لا تجوزني" يعني

(١) المائة: ١١٧.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) مسند أحمد (٥٧٠١)، وحسنه الشيخ أحمد شاکر في تحقيق المسند.

(٤) صحيح. أبو داود (٢٩٣٢) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً. صحيح الجامع (٣٠٢).

(٥) السنّة لأبي بكر بن الخلال (١/ ٨٣).

(٦) شرح السنّة للبرهاري (ص ١١٣).



لا تتعداني، تكون في، أما الدعوة للسلطان فهي دعوة للأمة بأسرها؛ فيعود الخير فيها للجميع، فهؤلاء القوم يُسأل الله تعالى أن يزيحهم عن السلاطين؛ وأن يزيل عنهم بطانة السوء لأنهم إن كذبوا صدقوه؛ وإن ظلموا أعانواهم، فهؤلاء ليسوا بطانةً صالحة، يعاقبهم الله عقوبة بالغة على حالهم السيء في تعاملهم مع الحكام وعدم صدقهم وعدم نصحتهم لهم بأن يُجال بينهم وبين الورد إلى الحوض - نسأل الله العافية -، فدل على أن الحوض يُزاد عنه المرتدون ويزاد عنه أيضًا مثل هؤلاء مع أنه مثل هؤلاء غير مرتدين قطعًا لكنهم من العصاة.

هذا الحوض العظيم تواترت به الأحاديث، وأحاديثه كثيرة جدًا دلت بمجموعها على أن الحوض عرضه شهر يعني مسيرة شهر، وطوله مسيرة شهر، ماؤه أحلى من العسل، وأبيض، والكيان يعني الكؤوس التي فيه على عدد نجوم السماء، وهو شديد البياض، أحلى من العسل وماؤه شديد البياض، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا^(١)، يعني ليس مثل ماء الدنيا، ماء الدنيا تشرب وترتوي لكنك تعود مرة أخرى لتشرب، أما الحوض فماؤه يختلف؛ فإن من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا، وتواترت به الأحاديث، وذكرها علماء السنة، تجد أحاديث الحوض في البخاري ومسلم، وفي كتب الاعتقاد ترجموا على أحاديث الحوض، وجمعها الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في آخر كتابه "البداية والنهاية" جمع أحاديث كثيرة جدًا للحوض دلت على كثرتها وتوافرها - نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من الواردين له -، ترد عليه أمته، وله آنية، يعني هذا الحوض، يشربون بها منه.

ثم قال رحمه الله: "والصراط حق يوضع في سواء جهنم" الصراط هذا ينصب على متن جهنم، يمر الناس على الصراط على حسب أعمالهم، ولا يكون المرور هذا بحسب قوة الجسم - قوة الجسم هذا في الدنيا - وإنما المرور على حسب الأعمال، فمنهم من يمر كالطرف ويجاوز الصراط مباشرة، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كأجاويد الخيل، ومنهم من يركض ركضًا، ومنهم من يمشي - مشيًا، ومنهم من يزحف زحفًا، فهذه أحوال الناس على الصراط، وفي الصراط كلاليب معلقة، يعلم علام الغيوب من ستخطف، يمر أناس - نعوذ بالله من حالهم - فإذا مروا على الصراط خطفتهم ورُمي بهم إلى النار، ويكون

(١) يُنظر في الصفات السابقة صحيح مسلم (٤ / ١٧٩٢): "باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته".



مُضِيَّ النَّاسِ عَلَى حَسَبِ أَعْمَالِهِمْ، لِهَذَا مِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زَحْفًا، وَجَاءَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ "أَنَّ الرَّجُلَ يَقُولُ لِلرَّبِّ عِزٌّ وَجَلٌّ فِي مَرُورِهِ عَلَى الصَّرَاطِ: يَا رَبِّ أَبْطَأْتُ بِي" (١) يَعْنِي: يَزْحَفُ زَحْفًا، "قَالَ: مَا أَبْطَأْتُ بِكَ! أَبْطَأَ بِكَ عَمَلُكَ" نَسَأَلَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ، فَالْحَاصِلُ أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَنْجُو وَهُمْ عَلَى هَذِهِ الْأَحْوَالِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُجَدِّشُ وَيُصِيبُهُ مِنَ الْهُولِ وَالْفَزَعِ شَيْءٌ كَثِيرٌ لَكِنَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ يَنْجُو، مَنْ جَاوَزَ الصَّرَاطَ سَلِمَ مِنَ النَّارِ، أَمَا مَنْ سَقَطَ مِنَ الصَّرَاطِ فَإِنَّهُ تَحْتَهُ - نَسَأَلَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ - تَحْتَهُ النَّارُ فَيَقَعُ فِيهَا، لِهَذَا قَالَ: فَيَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ، "وَالْجَنَّةُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ" الْجَنَّةُ مِنْ وَرَاءِ الصَّرَاطِ - نَسَأَلَ اللَّهَ السَّلَامَةَ وَالْجَوَازَ -.

قَالَ: "وَالْمِيزَانُ حَقٌّ تَوَزَنَ بِهِ الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ" يَقُولُ اللَّهُ عِزٌّ وَجَلٌّ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ (٢) وَيَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ (٣) فَيُوضَعُ مِيزَانٌ لَهُ كَفَتَانِ، كَفَةٌ تَجْعَلُ فِيهَا الْحَسَنَاتُ وَكَفَةٌ تَجْعَلُ فِيهَا السَّيِّئَاتُ، فَمَنْ رَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ بِحَسَنَةٍ وَاحِدَةٍ نَجَا، وَمَنْ رَجَحَتْ سَيِّئَاتُهُ وَلَوْ بَسِيئَةً وَاحِدَةً كَانَ مِنَ الْمَالِكِينَ إِلَّا أَنْ يَتَلَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى بِرَحْمَتِهِ، وَهُوَ مَوْقِفٌ هَائِلٌ مِنَ الْمَوَاقِفِ الْعَظِيمَةِ الْمَهَالَةِ الَّتِي يَرَى الْإِنْسَانَ فِيهَا أَعْمَالَهُ، وَيَرَى الْكِفَةَ؛ هَلْ سَتَرَجَحَ كَفَةُ الْحَسَنَاتِ أَوْ تَرَجَحَ كَفَةُ السَّيِّئَاتِ؟ هَذَا مِنَ الْمَوَاقِفِ الْعَظِيمَةِ الْمَهَالَةِ الَّتِي تُشِيبُ عِنْدَهَا الرُّؤُوسَ - نَسَأَلَ اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ -.

ثُمَّ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: "وَالصُّورُ حَقٌّ" وَالصُّورُ سُئِلَ عَنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا الصُّورُ؟ فَقَالَ: «قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ» (٤) وَالَّذِي يُنْفَخُ فِيهِ هُوَ اسْرَافِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، يَقُولُ اللَّهُ عِزٌّ وَجَلٌّ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (٥)، فَإِذَا نُفِخَ فِي هَذَا الصُّورِ؛ فَإِنَّ الْجَمِيعَ يَصْعَقُ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ لَهُ أَنْ لَا يَصْعَقَ، ثُمَّ يُنْفَخُ أُخْرَى

(١) صحيح. المستدرک (٨٥١٩)، وقال الذهبي: (على شرط البخاري ومسلم).

(٢) الأنبياء: ٤٧.

(٣) الأعراف: ٨.

(٤) صحيح. أبو داود (٤٧٤٢) من حديث ابن عمرو رضي الله عنه مرفوعاً. الصحيحة (١٠٨٠).

(٥) الزمر: ٦٨.



فإذا هم قيامٌ ينظرون؛ فيفصل بين الخلائق عند ذلك، فيأتي الخلائق إلى رب العالمين: ﴿وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^(١) فيقفون الموقف الطويل في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم يقضى بين العباد.

يقول: "فيقومون لرب العالمين للحساب والقضاء، والثواب والعقاب، والجنة والنار".

ثم قال: "واللوح المحفوظ حق" اللوح المحفوظ تقدم الكلام عليه عند الكلام في القدر، وهو الذي سماه الله تعالى بأَمِّ الكتاب: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٢)، وسماه تعالى بالذكر بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(٣) الذكر كما رجح ابن جرير رحمه الله تعالى يراد به اللوح المحفوظ، قد كتب فيه كل شيء، والله تعالى على كل شيء قدير وذلك عليه تعالى يسير، حق يقرب به أهل الإيمان وأهل الإسلام لدلالة النصوص عليه.

"تستنسخ منه أعمال العباد بما سبقت فيه من المقادير" فالمقادير سابقة كما تقدم، ويستنسخ من هذا اللوح المحفوظ أعمال العباد وما سيصنعون، وهذا اللوح المحفوظ كتب فيه كل شيء فتنسخ الملائكة عليهم الصلاة والسلام من اللوح المحفوظ.

ثم قال رحمه الله تعالى: "والقلم حق" القلم أيضاً على حال لا يعلمه إلا علام الغيوب سبحانه وتعالى، لما خلق الله الخلق أمر القلم، قال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بَكْتَابَةَ الْمَقَادِيرِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ»^(٤)، والله عز وجل على كل شيء قدير، لا يحيط ولا يحصي ولا يعلم أمر هذا القلم إلا رب العالمين سبحانه وتعالى.

"كتب الله به مقادير كل شيء وأحصاه في الذكر" والذكر قلنا: إنه هو اللوح المحفوظ، فتبارك ربنا

وتعالى.

(١) الصافات: ٢٤.

(٢) الرعد: ٣٩.

(٣) الأنبياء: ١٠٥.

(٤) صحيح. أبو داود (٤٧٠٠) من حديث عبادة رضي الله عنه مرفوعاً. صحيح الجامع (٢٠١٨).



والشفاعة يوم القيامة حق، يشفع قومٌ في قومٍ فلا يصيرون إلى النار، ويخرج قومٌ من النار بعدما دخلوها بشفاعة الشافعين، ويخرج قومٌ من النار برحمة الله بعدما لبثوا فيها ما شاء الله، وقومٌ يُجَلَّدون في النار أبدًا، وهم أهل الشرك والتتبيب والجحود والكفر بالله عزَّ وجلَّ، ويُذبح الموتُ يوم القيامة بين الجنة والنار.

.....

ذَكَرَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى مَا يَتَعَلَّقُ بِالشَّفَاعَةِ، وَالكَلَامِ فِي الشَّفَاعَةِ مَهْمٌ لِلغَايَةِ، لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْوَاقِعِينَ فِي الشَّرِكِ يَقَعُونَ فِي الشَّرِكِ بِاسْمِ الشَّفَاعَةِ، بَلْ حَتَّى مَنْ كَانَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ إِنَّمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مَعْبُودَاتِهِمْ طَلَبًا لَشَفَاعَتِهَا، فَيُحْتَاجُ إِلَى الْكَلَامِ عَنِ الشَّفَاعَةِ وَالتَّوَسُّعِ فِيهَا نَظْرًا لِأَهْمِيَّةِ تَبْيِينِهَا، فَيَقَالُ:

أَوَّلًا: الشَّفَاعَةُ لِلَّهِ تَعَالَى، الَّذِي يَمْلِكُ الشَّفَاعَةَ هُوَ اللهُ وَحْدَهُ لَا سِوَاهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾^(١)، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ﴾ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾^(٢) فَكَمَا أَنَّ الْأَمْرَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَصْرِفُهُ كَمَا شَاءَ؛ فَالشَّفَاعَةُ لَهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يَمْلِكُهَا، ثُمَّ إِنَّهُ يَأْذِنُ بِالشَّفَاعَةِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِشُرُوطٍ وَفِي وَقْتٍ، فَالشَّفَاعَةُ مَوْضِعُهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(٣) وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾^(٤) حَيْثُ تَقَعُ الشَّفَاعَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِذَا عَلِمْنَا أَنَّ الشَّفَاعَةَ لِلَّهِ تَعَالَى؛ فَلَا بُدَّ أَنْ نَعْرِفَ شُرُوطَهَا، الشَّفَاعَةُ لِأَبَدٍ فِيهَا مِنْ شَرْطَيْنِ اثْنَيْنِ دَلَّتْ عَلَيْهِمَا النُّصُوصُ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الشَّرْطُ الْأَوَّلُ: إِذْنُ اللهِ تَعَالَى بِالشَّفَاعَةِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(٥)، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُشْفَعَ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى حَتَّى يَأْذِنَ اللهُ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَمْلِكُهَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَمَا دَامَ اللهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي

(١) الزمر: ٤٤.

(٢) الروم: ٤.

(٣) البقرة: ٢٥٥.

(٤) طه: ١٠٩.

(٥) البقرة: ٢٥٥.



يملكها كما في قوله: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾^(١) فلا يمكن أن يتقدم أحدٌ ليشفع، ولا يصح أن يتقدم أحدٌ ليشفع إلا إذا أذن رب العالمين سبحانه وتعالى.

الشرط الثاني: أن يرضى الله تعالى عن المشفوع له، ولا يرضى الله إلا عن أهل التوحيد، أما أهل الشرك فهم أبعد ما يكون عن الشفاعة، فأسعد الناس - كما قال صلى الله عليه وسلم -: «أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله - خالصًا من قلبه»^(٢) هؤلاء هم أسعد الناس بالشفاعة، ودل على شرط الرضا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾^(٤) هذه الآية في سورة النجم جمعت الشرطين معًا، شرط الإذن وشرط الرضى ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ هذا شرط الإذن، ﴿وَيَرْضَى﴾ أن يرضى عن المشفوع له سبحانه وتعالى.

أنواع الشفاعة:

النوع الأول: الشفاعة العظمى، وهي الشفاعة الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم، لا يتقدم لها أحدٌ سواه، وذلك أن الناس في ذلك اليوم العظيم - يوم القيامة - حيث تُدنى الشمس بمقدار ميل، وتأخذ الناس الشدائد من جهات عدة، فيقولون لآدم عليه الصلاة والسلام: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته؛ ألا ترى ما بنا؟ اشفع لنا إلى ربك، يعني اشفع عند الله عز وجل أن يفصل بين الخلائق وأن يريحهم من هذا الموقف العظيم الهائل، فيعتذر آدم ويذكر الخطيئة التي وقع بها، ويأمرهم أن يذهبوا إلى نوح، فيذهبون إلى نوح يقولون: سمالك الله عبدًا شكورًا، وأنت أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض؛ اشفع لنا إلى ربك؛ فيعتذر، ويأمرهم أن يذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إلى إبراهيم ويطلبون منه الشفاعة فيعتذر ويحيلهم إلى موسى، ثم يعتذر موسى، ويحيلهم إلى عيسى، ثم يعتذر عيسى ويحيلهم إلى محمد صلى الله عليه وعليهم وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، فإذا أتوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وطلبوا منه الشفاعة؛ هل

(١) الزمر: ٤٤.

(٢) صحيح البخاري (٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) الأنبياء: ٢٨.

(٤) النجم: ٢٦.



يشفع؟ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلمُ الناسِ بالله، لا يمكنُ أن يشفع مباشرة! لأنه لا بُدَّ مِنَ الإِذْنِ بالشفاعة: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (١)، فيذهب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويخْرُجُ تَحْتَ الْعَرْشِ سَاجِدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جاء في بعض الروايات أنه يمكثُ جمعة، يعني يمكثُ أسبوعًا ساجدًا عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (٢)، ويفتح اللهُ عليه فيحمدُ ربه بمحامد لم يكن يعرفها قبل ذلك، ثم يأتيه الإِذْنُ "يا محمد، ارفع رأسك" يعني من هذا السجود "وقل يسمع، واشفع تُشَفِّعُ" فلما جاء الإِذْنُ ارتفع عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فقال: "أمتي يا رب؛ أمتي يا رب" (٣) صلوات اللهُ وسلامه عليه، فيأذن اللهُ تعالى بفصل القضاء في الموقف، وهذا هو المراد بالمقام المحمود الذي قال اللهُ: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ (٤) فإنه يحمدُه عليه الخلائق جميعًا على أن اللهُ تعالى قَبَلَ شفاعته ففَصَلَ بين العباد في ذلك اليوم العظيم، هذه الشفاعة خاصة به عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

ومن الشفاعة الخاصة أيضًا شفاعته في أبي طالب، فإنَّ أبا طالب مات على الكفر بلا شك، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (٥) فيشفعُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي طالب لا ليخرجَ من النار! لأنه هالك كافر؛ لكن ليخفف عنه من عذابها، فيخرجُ من دركاتها إلى ضحضاح من نار، يجعل - نسأل اللهُ العافية والسلامة - تحت أخمص قدميه جمرة يغلي منها دماغه بعد أن خُفِّفَ عنه - نعوذُ بالله من النار ومن حال أهلها -.

هناك شفاعات أخرى يشترك فيها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغيره، ومنها الشفاعة التي أنكرها أهل الضلال من المعتزلة وأضرابهم مع تواتر الأحاديث بها، وهذه أنكرها الخوارج، وهي الشفاعة في العصاة الذين دخلوا النار، العصاة من الموحدون الذين دخلوا النار وهم من أهل التوحيد يبقون في النار ما شاء اللهُ أن يبقوا فيها - نسأل اللهُ العافية والسلامة - ثم إنَّ اللهُ يأذن بالشفاعة، فإذا أذن بالشفاعة تشفع الأنبياءُ

(١) البقرة: ٢٥٥.

(٢) صحيح. ابن حبان (٦٤٧٦) من حديث أبي بكر الصديق رضي اللهُ عنه مرفوعًا. التعليقات الحسان (٩ / ٢١١).

(٣) صحيح البخاري (٧٥١٠) من حديث أنس رضي اللهُ عنه مرفوعًا.

(٤) الإسراء: ٧٩.

(٥) التوبة: ١١٣.



والملائكةُ والصالحون ويشفع الأفرأط - الصغار - في آبائهم، هذه أصناف أربعة تشفع، وجاء في حديث أنه صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللعائين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة»^(١) - نسأل الله العافية والسلامة - لأنه لا يشفع إلا الصالحون، واللعانون - أصحاب اللعن والشتائم - هؤلاء قد أبعادوا عن الصلاح، فتشفع الملائكةُ والأنبياءُ والصالحون ويشفع الأفرأط في آبائهم بإذن الله تبارك وتعالى؛ فيخرج هؤلاء العصاة من النار، وهم من أهل التوحيد ومن أهل الصلاة - كما قلنا - ممن يعرفون في النار بأن النار لا تأكل مواضع السجود منهم؛ فيخرجون من النار بعدما امتحشوا وصاروا حمماً، ثم يُخرجون إلى الجنة بعد أن عوقبوا في النار على حسب ما وقع منهم من الجرائم والذنوب، إلى غير ذلك من أنواع الشفاعة.

فيقول: "الشفاعة يوم القيامة حق، يشفع قوم" وهم كما قلنا: الملائكة والأنبياء والصالحون والأفرأط "في قوم" يعني من الموحيدين، فلا بُدَّ فيها من الشرطين، شرط الإذن وشرط أن يرضى الله عن المشفوع فيه كما قال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾^(٢).

"يشفع قوم في قوم فلا يصيرون إلى النار" هذا نوع من الشفاعة، أناس قد استوجبوا النار ليدخلوها فيُشفع فيهم فلا يدخلون النار، نوع آخر أناس قد دخلوا النار يُشفع فيهم فيخرجون من النار، ولهذا قال في الصنف الذي بعده: "ويخرج قوم من النار بعدما دخلوها بشفاعة الشافعين".

قال: "ويخرج قوم من النار برحمة الله بعدما ينبتهم فيها ما شاء الله" هؤلاء يخرجون برحمة الله عز وجل بعد انتهاء الشفاعة، بعد أن تنتهي الشفاعات يُجرجهم سبحانه وتعالى ويقول: «شفعت الملائكةُ وشفعت الأنبياءُ وشفع الصالحون؛ ولم يبق إلا رحمة أرحم الراحمين»^(٣).

قال: "وقوم يُخلدون في النار أبداً" من هم هؤلاء؟ هم الكفار، يبقون في النار أبداً الآباد، لا يخرجون منها نهائياً، قال تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾^(٤)، وهؤلاء هم أهل الكفر والشرك الذين يموتون عليه

(١) صحيح مسلم (٢٥٩٨) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) النجم: ٢٦.

(٣) صحيح مسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً.

(٤) البقرة: ١٦٧.



﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾^(١)، فَمَنْ مات على الكفر؛ سواء أكان كفراً أصلياً ككفر اليهود والنصارى بعد أن بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم وأبوا اتباعه فإن هؤلاء كفار، أو كان مرتدّاً بأن ارتد من الإسلام إلى الشرك والكفر، أو كان من المشركين من عباد الأوثان وأضرابهم، أو كانوا ممن ليس لهم دين كالملاحدة وأضرابها، هؤلاء جميعاً يكونون من أهل النار الماكثين فيها - نسأل الله العافية والسلامة - أبد الآباد، ولهذا قال: "وهم أهل الشرك والتكذيب والجحود والكفر بالله". قال: "ويذبح الموت يوم القيامة بين الجنة والنار"، ينادي مناد بين الجنة والنار فيعرض الموت فيقال: يا أهل الجنة أتعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، فيقال: يا أهل النار؛ فيقال: نعم، يقول صلى الله عليه وسلم: «وكلهم قد رآه» يعني قد ماتوا ورأوا الموت، فيذبح بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، فتعظم فرحة أهل الجنة بقائهم ومكثهم الأبدى، وتشتد حسرة أهل النار، ولهذا فسر النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحُسْرَةِ﴾^(٢) المراد بالحسرة حين يذبح الموت بين الجنة والنار قال صلى الله عليه وسلم - بقية الحديث - : «وأهل الدنيا في غفلاتهم»^(٣) والله المستعان.

- يقول بعض الناس: الأصل في القتال بين الطائفتين مقاتلة الباغية بنص الآية وعدم اعتزال الفتنة؟ هذا إذا اتضحت المسألة واتضح الباغي من غيره، ثم إن الله لم يأمر بالقتال ابتداءً! قال: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا﴾^(٤) الأصل أن يصلح بينهما ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾^(٥).

- يقول: الذين لم يبلغهم الدين ما مصيرهم يوم القيامة؟

(١) المائة: ٧٢.

(٢) مريم: ٣٩.

(٣) صحيح البخاري (٤٧٣٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً بنحوه.

(٤) الحجرات: ٩.

(٥) الحجرات: ٩.



إذا لم يبلغهم الدين نهائياً؛ فإن الله تعال حَكَمَ عدلٌ، ولا يكون تقصيرنا نحن المسلمين في عدم إبلاغ هؤلاء وتركهم حتى يهلكوا وما عرفوا حقاً من باطل؛ لا يكون نوع عذاب وعقاب لهم! بل هذا تقصيرنا نحن، والله حَكَمَ عدل سبحانه، ففي القيامة - على الصحيح - هؤلاء يمتحنون في عرصات القيامة، يمتحنون يوم القيامة، جاء في الحديث "أن الله تعالى يرسل من يأمرهم بدخول إلى النار؛ فمن أطاع؛ فإنه ينجو، ومن عصى يقول الله: عصيتني هاهنا ففي الدنيا ستكون أكثر عصيانياً"^(١) أو كما قال سبحانه.

- يقول ما المقصود بحديث «إِنَّ اللَّهَ يُخْرِجُوا أَقْوَامًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ»^(٢)؟

هذا الحديث لا تدخل فيه الصلاة، ليس المقصود أنهم لم يعملوا خيراً قط نهائياً بما فيها الصلاة! للدلالة التي قلنا على أن المراد بهم أهل الصلاة، لكنه إنسان مقصر وليس من أهل الخير وبعيد عن الخير؛ لكنه من المصلين من أهل الإسلام.

- يقول: كيف يُجمع بين أحاديث الصراط والآيات في سورة الزمر أن المجرمين يساقون زمراً وستفتح

لهم أبواب النار؟

أظن أن ثمة مبحثاً في هؤلاء هل هم يعرضون أو مباشرة يؤمر بهم إلى النار فوراً.

- يقول: هل يصح قول: نُحِسُّ فلاناً من أهل الجنة أو النار؟

لماذا يا أخي نقول: نُحِسُّ!! متى صارت الجنة والنار بالإحساس وبالظن والخرص؟؟ بل نقول عموماً:

نرجو للمحسن ونخاف على المسيء، أما أن نُحِسُّ! يعني قد نحسن الظن مثلاً بإنسان، نرجو له الخير، لكن

لا نقول: هذا فلان - كما تقول العامة - فلان هذا أو فلانة هذه المرأة الطيبة المعروفة بالصيام والقيام وماتت

عن سنّ طويل في طاعة الله هذه من أهل الجنة إن شاء الله! كل أحد يمكن أن يكون من أهل الجنة إذا شاء

الله، يمكن كل أحد أن يكون من أهل النار إذا شاء الله، ما لهذا معنى! لكن نقول: نرجو أو ادعوا، وهذا

الأفضل والذي ينفع أن تقول: نسأل الله أن يجعله في الجنة، أما أن تقول: أحس! أو فلان من أهل الجنة إن

(١) صحيح. مسند أبي يعلى (٤٢٢٤) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً. الصحيحة (٢٤٦٨).

(٢) صحيح مسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً.



شاء الله! قل: يرجى له، كما قال أهل السنة: نرجو للمحسن، نرجو له الخير، نرجو أن يغفر الله له، نرجو أن يغفر الله له، نرجو أن يتقبله الله، أما أن تقول: إنه من أهل الجنة! فلا يصلح هذا.

- يقول: إذا كفر العلماء المتغلب؛ فهل تصح له البيعة أم يخرج عليه؟

إذا قيل: إنه كافر؛ فالكافر لا يمكن من حكم المسلمين ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾^(١)، لكن الشأن في القدرة، قد يتغلب ويعجز الناس عنه؛ لا يتمكنون من دفعه، ويضبط البلاد ويتمكن منها، هذه حال ضرورة، وإلا الأصل كما قال عليه الصلاة والسلام: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا؛ عِنْدَكُمْ فِيهِ مِنَ اللَّهِ بَرَهَانٌ»^(٢) فإذا رُئي الكفر البواح الصراح البين عندنا فيه برهان - لا ظن وحرص وتوقع - وإنما عندنا أدلة ورجوع لأهل العلم وفتوى لأهل العلم بتكفير هذا السلطان؛ هذا الذي يخرج عليه، لكن بشرط القدرة، أما إذا كان الناس غير قادرين؛ فإذا خرجوا عليه أبادهم، فلا يخرج عليه في مثل هذه الحالة بلا شك، جميع الأحكام في الشرع مناطة بالقدرة، ولا تكون الأحكام هكذا دون قدرة.

- يقول: هل ترى أن كل هؤلاء الفرق والجماعات أو أكثرها هي منبع من أصول كافرة كاليهودية والنصرانية والمجوسية؛ وكلهم يريد إضعاف المسلمين حتى يسهل السيطرة عليهم كما هو معروف عن الرافضة وداعش وغيرها؟

أن يقال: جميع الفرق من غرس الكفار واليهود والمجوس! هذا غير صحيح، أسباب نشأة الفرق - لعله يأتي إن شاء الله تعالى الكلام عليها - نوعان: أسباب داخلية من داخل الأمة نفسها، وأسباب خارجية كانت سبباً في نشأة بعض الفرق، فالقول بأن كل الفرق بثها اليهود والنصارى والمجوس غير صحيح، لكن هناك فرق قطعاً كان وراءها اليهود وكان وراءها مجوس وكان وراءها نصارى - لعل هذا يأتي إن شاء الله بشرح مفصل -، لكن هناك فرق نشأت عن جهل ونشأت عن تقليد ونشأت عن غلو؛ فلا يقال: إن كل الفرق أنشأها أعداء الإسلام في الخارج ودسوها في الأمة! لأن هناك فرقاً نشأت بسبب الجهل والتقليد الأعمى والغلو.

(١) النساء: ١٤١.

(٢) صحيح البخاري (٧٠٥٦) من حديث عبادة رضي الله عنه مرفوعاً.



- يقول: القتل شبه العمد؛ اذكر لنا مثالاً لذلك، وماذا يترتب عليه؟

القتل قلنا: إنه ثلاثة أنواع، قتل العمد كأن يأخذ سلاحاً ماضياً مثل السيف ويضربه في موضع محدد، أو يطلق عليه الرصاص حتى يهلكه.

القتل شبه العمد: أن يضربه بما لا يُعتاد أن يُقتل، قد يصيب منه مقتلاً، يعني يضربه مثلاً بعصا لا يقتل مثلها عادة؛ فيقدر الله أن يموت من هذه الضربة، أما لو ضربه بمثلث يعلم أنه إذا ضرب به الإنسان رخص رأسه ونحو ذلك فإنه قتل عمد، لكن لو ضربه بما لا يقتل عادة، يعني قد يرمى الإنسان بحصاة كبيرة فيشدخ رأسه ولا يموت، ولكن في بعض الأحيان يموت، هذا معنى شبه العمد، فيه الدية المغلظة، ولا يُقتل، لأن الجاني لم يرد القتل، وليس قتله عمداً، والدليل أنه لم يستعمل الآلة التي يقتل مثلها، وليس قتله خطأ، ففي هذه الحالة يكون حكمه بين العمد وبين الخطأ؛ فيكون عنده الدية، لكنها مغلظة، ليست كدية الخطأ! بل تغلظ عليه الدية.

- يقول: هل يوجد في هذا الزمن من هو على مذهب المرجئة أو الجبرية؟

نعم، على سبيل المثال: الأشعرية، فالأشعرية في باب الإيهان مرجئة، وهكذا الماتريدية، والأشعرية أيضاً في باب القدر جبرية.

- يقول: كيف المرجئة في الولاية؟ أرجو التوضيح.

لعلك تراجع الدرس حتى ما نعيده.

- هل بايع علياً أبا بكر وعمر وعثمان؟

إي والله بايعهم، وهو أفقه وأعلم وأورع من أن لا يبايعهم، لو لم يبايعهم؛ ماذا يكون؟ خارجاً عن البيعة، يموت وليس في عنقه بيعة! هو أجل وأكرم من ذلك، بل أول من بايع عثمان علياً، لأنه كان الأمر بين عثمان وعبد الرحمن وعلي؛ فلما قال عبد الرحمن لعلي: "إني لم أر الناس يعدلون بعثمان أحداً" (١) بايعه عبد الرحمن وبايعه علي - رضي الله عن الجميع -.

- يقول: من زعم أن السرقة وشرب الخمر ليس بقدر من الله؛ كيف يضارع قول النصرانية؟

(١) صحيح البخاري (٧٢٠٧).



لأنه قول النصارى، سوسن النصراني الذي تلقى منه مَعْبُدٌ كان هذا قوله.

- يقول: هل رسمُ ذوات الأرواح يعتبر من التصوير وهل هو جائز؟

لا غير جائز، بإجماع أهل العلم رسم ذوات الأرواح لا يحلُّ، إنما الخلاف في التصوير بالآلة، هو الذي صار فيه نقاش للمتأخرين، أما أن يأتي إنسان فيرسم صورة طائرًا بما فيه الروح أو يرسم صورة إنسان! ما يجوز هذا قطعًا، لا يحلُّ.

- يقول: مَنْ الذي قتلَ عثمان بن عفان رضي الله عنه؟

الذي قتله الخوارج، وظنوا أنهم أمرون بالمعروف وناهون عن المنكر! ولعل الله ييسر- فيها محاضرة - أسأل الله أن ييسرها، وهي مُعَدَّة منذ مدة -، لأن الحاجة إليها كبيرة في الحقيقة، وطريقة قتل عثمان فيها عبرة، لأن عددًا من الذين قتلوا عثمان ليسوا كفارًا! وإنما من عامة الناس الذين هاجوا، وإن كان في قتله عثمان أناسٌ أخبر رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنهم منافقون كما في حديث: «إِنَّ اللَّهَ قَمَّصَكَ قَمِيصًا؛ فَإِنْ أَرَادَكَ الْمُنَافِقُونَ عَلَى خَلْعِهِ فَلَا تَخْلَعْهُ»^(١) فيدل على أن هناك من هؤلاء مَنْ هم منافقون، والخوارج أيها الإخوة يندسُّ فيهم منافقون منذ القدم، هذا الحديث فيه دلالة على أن في قتله عثمان منافقين، والخوارج يندسُّ فيهم أناسٌ لأنهم أهل طيش وأهل جهل؛ فيندسُّ فيهم أناسٌ يصيحون ويهتفون ويظهرون الشدة كما تظهر الخوارج؛ فيحسن بهم الظنَّ الخوارجُ ويجرضونهم، وهذا واقع الخوارج منذ القدم إلى يومك هذا.

- يقول: ما معنى قولك «الخلافة في قريش»^(٢) ذكره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرًا لا مخبرًا؟

يعني لم يخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الخلافة في قريش إلى قيام الساعة، لأنه لو أخبر بهذا لكان خبرًا حقًا ولا يتخلف بتاتًا، لكن يأمر الأمة بالألّا تباع إلا قرشيًا، هذا المعنى في إمرة المؤمنين تحديدًا، وتقدم الكلام عليه بالأمس.

- يقول: كثير من المحسوبين على أهل السُّنَّة والسلفية إذا سمعوا عالمًا أو داعية يُذَكَّرُ بأهمية طاعة ولاة

أمور المسلمين ولو كانوا فسقة لأنه جامي!! هل من نصيحة؟

(١) صحيح. الترمذي (٣٧٠٥) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا. صحيح الجامع (٣٠٤١).

(٢) صحيح. مسند أحمد (١٢٩٠٠) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا. صحيح الجامع (٢٧٥٧).



يا أخي لا تنظر إلى التسميات، نحن نذكر في الصغر كان التعبير بين الصغار، وكان الناس يقولون للصغار: اسكت يا فلان، الآن للأسف هذا التعبير صار بمثابة الموضة - كما يُعبّر -، وصار يُشنع على أناس باسم تسمية معينة، إذا شُنع على هؤلاء بتسمية معينة قام أولئك فشنعوا بتسمية مقابلة، وصار الشاب الصغير متحيراً، ما معنى هذه التسمية؟ لماذا هؤلاء الخطباء والدعاة يقولون كذا؟ ثم هؤلاء لماذا يُعبرون هذا بكلام؟ في الحقيقة هذا أوجد إشكالاً كبيراً جداً وأشمت بأهل السنة الأعداء، هذا غلط، لا يصح مثل هذه التسميات كالنبذ! قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾^(١)، كيف يتناذب مسلم! هذا الرجل سُنيٌّ مثلك، يعني كونه يأمر بطاعة ولاة الأمور؛ حق أو باطل؟ حق، إذا قال: أطيع في المعصية! قل: هذا من المرجئة، فأنت الآن خرجت عن أن تكون أصلاً من أهل السنة، لكن هل هناك أحد يقول الآن: اسمعوا وأطيعوا في معصية؟ ما أعلم على وجه الأرض أحداً يقول هذا من المنسوبين للسنة، لكن المرجئة والنواصب أمرهم آخر، فلماذا يُسمي الناس بعضهم بهذه التسميات، ولماذا يتناذبون؟ ثم هذا التناذب مثلما قلت: هذا ينبذ هذا بلفظ ثم أولئك يقابلونه بنبذ آخر؛ فصار كأنه فعل الأطفال مع بعضهم، ينبغي أن يترفع أهل العقل والديانة والعلم عن مثل هذا، المسألة حق وباطل، إما أن يكون هذا الكلام حقاً؛ فهو على طريقة أهل السنة، وإما أن يكون باطلاً فيبين دون تسمية يا أخي، ما الحاجة؟ أليس سُنيّاً مثلك؟ أليس الله أمرك أن تصلي عليه؟ هل تقول: إنه لا يُصلي عليه! لا، تقول: أنا أصلي عليه، تصلي خلفه؟ نعم أصلي خلفه، سُنيٌّ لماذا تعيره؟ هو نفسه لماذا يُعيرك؟ إما أن يقول باطلاً فنقول: هذا القول باطل، وليس بصحيح، خالف فيه أهل العلم، وإما أن يكون قوله صواباً؛ فترك الباطل الذي أنت عليه، أما أن يجلس الناس يُعير بعضهم بعضاً ثم هذا يُعير هذا بنبذ وذاك يقابل بنبذ! هذا ليس من السلفية بتاتاً! نحن نعرف أن سنة وشيعة ومبتدعة وثابتون، ما الأسماء الجديدة هذه بين أهل الدين؟ لماذا صار يسمي بعضهم بعضاً؟ فبدل أن تسميه؛ حدِّ الخطأ، قل: فلان يقول: كذا وهو خطأ، والدليل على خطئه كذا، أما أن تسميه ويسميك وتسبون هذه الحيرة الآن في عوام المسلمين في كهولهم وشبابهم وصغارهم وكبارهم! ما هذه التسميات الجديدة! لاشك أنه إثمهم كبير الحقيقة، لأنه يُسبب إرباكاً عظيماً للناس، وفيه من غيبة بعضهم بعضاً وأكل الحسنات كما قال الشاعر: "يشاركك المغتاب



في حسناته، ويعطيك أجري صومه وصلاته، فيا أيها المغتاب زدني؛ فإن بقي ثواب صيام أو صلاة فهاته" (١)،
يعني الأعمال تضيع على هذه المساكين، يصلي الواحد منهم الليل ويصوم النهار ثم يبذرها إذا أصبح، عقول
عجيبة، لا حاجة لتسمية! هو سُنيٌّ وأنت سُنيٌّ رغم أنفك وأنفه، لا تستطيع أن تخرجه من السنة! قلنا عدة
مرات وكُرِّرَ هذا الكلام: السنة ليست جنسية تسحبها البلد من أحد! البلدان إذا غضبت على أحد سحبت
منه الجنسية وقالت: هذا الرجل لا يتبعني؛ أي تصرف منه محسوب عليه وليس على بلده، لأن الرجل عنده
كذا وكذا، لكن السنة ما أحد يستطيع أن يسحبها من أحد، ما تقدر تسحب السنة من أحد إلا إذا خرج من
السنة بأمر واضح جلي، أما أن يقول قولا وتتنازعون في مواقع التواصل وفي الإعلام! إلى متى تستمر هذه
العقول الرديئة؟ حدّد، قل: هو قال كذا وهو مخطئ، وهو يُحدّد يقول: هو قال كذا وهو مخطئ، وإن تحيرتما
ترتفعا إلى من هو أعلم منكما من علمائنا الراسخين وابتسوا المسألة أمامه، واركوا عنكم هذه التسميات
التي لا خير لكم فيها لا في دينكم ولا في دنياكم.
سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

(١) مجموعة القوائد الزهديات لعبد العزيز بن محمد السلان.



المجلس الرابع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ؛ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِشَيْخِنَا وَلِلْحَاضِرِينَ وَالسَّامِعِينَ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ.

قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

وَقَدْ خُلِقَتِ الْجَنَّةُ وَمَا فِيهَا، وَخُلِقَتِ النَّارُ وَمَا فِيهَا، خَلَقَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ خَلَقَ الْخَلْقَ لَهُمَا، لَا يَفْنِيَانِ وَلَا يَفْنَى مَا فِيهِمَا أَبَدًا، فَإِنْ احْتَجَّ مُبْتَدِعٌ أَوْ زَنْدِيقٌ بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(١) وَبِنَحْوِ هَذَا مِنْ مِثْلِهِ الْقُرْآنَ! فَقُلْ لَهُ: كُلُّ شَيْءٍ مِمَّا كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْفَنَاءَ وَالْهَلَاكَ هَالِكٌ، وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ خَلَقَهُمَا اللَّهُ لِلْبَقَاءِ لَا لِلْفَنَاءِ وَلَا لِلْهَلَاكِ، وَهُمَا مِنَ الْآخِرَةِ لَا مِنَ الدُّنْيَا!

وَالْحُورُ الْعِينُ لَا يَمُتْنَ عِنْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ وَلَا عِنْدَ النَّفْخَةِ وَلَا أَبَدًا، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَهُنَّ لِلْبَقَاءِ لَا لِلْفَنَاءِ، وَلَمْ يَكْتُبْ عَلَيْهِنَّ الْمَوْتَ، فَمَنْ قَالَ خِلَافَ هَذَا فَهُوَ مُبْتَدِعٌ مُخَالَفٌ وَقَدْ ضَلَّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ.

.....

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ وَبَعْدَ.

ذَكَرَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْخِلَافِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ مَعَ الْمُعْتَزَلَةِ، فَإِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ اسْتَدَلُّوا بِالنُّصُوصِ الْجَلِيَّةِ الظَّاهِرَةِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَدْ خُلِقَتَا؛ وَأَنَّهُمَا مَوْجُودَتَانِ الْآنَ، هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى.

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَّةُ فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ: أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ جَعَلَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ بَاقِيَتَيْنِ أَبَدَ الْأَبَادِ لَا تَنْقُضِيَانِ وَلَا تَفْنِيَانِ أَبَدًا.

أَمَّا الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: وَهِيَ أَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ وَأُعِدَّتَا؛ فَالْأَدْلَةُ عَلَى هَذَا كَثِيرَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ الْجَنَّةَ قَالَ: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٢) وَلَمَّا ذَكَرَ النَّارَ قَالَ: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾^(١)،

(١) القصص: ٨٨.

(٢) آل عمران: ١٣٣.



وإعدادهما دالٌّ على أنَّهما موجودتان مهياًتان، وتقدم أن من أدلة عذاب القبر قولُ الله تعالى عن آل فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾^(٢)، فدلَّ على أن آل فرعون يُعْرَضُونَ - والعياذ بالله - بالغدو والعشي على النار، وهذا يقتضي - أن النار موجودة، ولهذا قال بعدها: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾^(٣) وهكذا النصوص التي مرَّت معنا في أمر القبر؛ وأنَّ العبد يُفْتَحُ له موضع إلى ما أعدَّ الله له - سواء من مقعده في الجنة أو مقعده في النار - فيأتيه من ريح الجنة وطيبها - إن كان من أهل الجنة -، ويأتيه من عذاب النار وسمومها - إن كان من أهل النار -، إضافةً إلى ما تكاثرت به الأحاديث من أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام عن أحوال أهل الجنة وأهل النار من أمثال قوله عليه الصلاة والسلام في المرأة التي حبست هرة لها - لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض - وراها صلى الله عليه وسلم في النار^(٤)، ورأى صلى الله عليه وسلم عمرو بن لحي سيد خزاعة يجرُّ قصبه - أي: أمعائه - في النار^(٥)، إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي أخبر بها عليه الصلاة والسلام مما يدلُّ على أن الجنة والنار موجودتان بلا شك، وقد ثبت عنه عليه الصلاة والسلام في غير ما حديث أنه رأى الجنة بعينه صلى الله عليه وسلم ورأى النار بعينه كما في خبر صلاة الكسوف؛ فإنه عليه الصلاة والسلام عُرِضَتْ عليه الجنة والنار، رأى عليه الصلاة والسلام قِطْفًا من عنبٍ فتقدم صلى الله عليه وسلم، وعُرِضَتْ هذه النار فتراجع عليه الصلاة والسلام، وأخبرهم عن سبب تقدمه وسبب تراجعته بعد ذلك^(٦)، إلى أحاديث كثيرة دالة على أن الجنة والنار موجودتان بلا شك.

المعتزلة - قاتلهم الله - نفوا الأمرين، نفوا ما يتعلق بنعيم القبر وعذابه، وبالتالي نفوا أن يكون المرء في قبره يُفْتَحُ له ما يرى به مقعده من الجنة أو مقعده من النار، والمعتزلة طائفة من أضلِّ عباد الله وأفجرهم

(١) البقرة: ٢٤.

(٢) غافر: ٤٦.

(٣) غافر: ٤٦.

(٤) صحيح البخاري (٣٣١٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنه مرفوعاً.

(٥) صحيح البخاري (٤٦٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٦) صحيح البخاري (٧٤٥) من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها مرفوعاً.



وأجرئهم على النصوص، المتأمل لما ردوا من النصوص يتعجب من هؤلاء القوم مما فيهم من الجرأة على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وجرأتهم ليست فقط على نصوص السنة! بل حتى على نصوص القرآن، تجد عندهم من الأقوال الضالة والزائغة ما هو مخالف لصريح كتاب الله عز وجل في أبواب عديدة جداً في التوحيد وفي اليوم الآخر وفيما يتعلق بالغيبيات، كثيراً ما يجترئون عليها ويدخلون في عقولهم فيها، مع شيء من قلة الأدب حتى في التعامل مع النص، وقلنا: إن أهل العلمانية والليبرالية يعجبون بالمعتزلة لجرأتهم هذه، والحق أن الجرأة على النصوص من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم داء كبير الخطورة، ودال على قلة تعظيم الله عز وجل في قلب الإنسان، ولهذا ابتلي المعتزلة - كما في تراجم بعضهم - ابتلوا بالجرأة على الكبائر - نسأل الله العافية والسلامة -، لأن من لم يعظم الله عز وجل ولم يعظم كلامه وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم يبتلى بالكبائر، لذا تجد في تراجم بعضهم عجائب - مع أنه رؤوس المعتزلة -! تجد منهم من يشرب الخمر، وتجد من عنده مجون، وقلة حياء وصفاقة، وهذا كالعقوبة المعجلة، لأن هذه الجرأة على النصوص وعدم التأدب مع كلام الله عز وجل وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم يصاب معه المرء بداء عضال عظيم جداً في قلبه، فإن المؤمنين كما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾^(١)، هذا هو حال المؤمنين، وبين عز اسمه أن الإيثار لا يتحقق للمرء إلا إذا كان على هذا الوصف من قوله عز وجل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٢)، فإذا كان الإنسان كلما لم يرق له شيء من هذه النصوص تجراً عليها وجادل فيها! هذا ليس من فعل أهل الإيثار والتقوى، إنما يفعل هذا عادة أهل الكفر، قال الله عز وجل في شأن الكفار: ﴿يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾^(٣) هذه هي طريقة أهل الكفر، أما أن يأتي مسلم يجادل هكذا قوله عز وجل: ﴿وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾^(٤) الأصل أن هذا لا يكون من مسلم! إنما يكون من كافر، لكن الذي ابتلوا من المنتسبين للإسلام بهذا الداء وجد فيهم هذا الشر

(١) النور: ٥١.

(٢) النساء: ٦٥.

(٣) غافر: ٣٥.

(٤) غافر: ٥.



ووجدت فيهم هذه الجرأة، ولهذا تتعجب، هذه المخالفة ليست فقط في أبواب الجنة والنار! أو في أبواب اليوم الآخر! بل في أبواب عدة كثيرة جداً، فيما يتعلق بالتوحيد، فيما يتعلق بالنبوة، فيما يتعلق حتى بالصحابة رضي الله عنهم، عندهم وعند غيرهم من المتكلمين جرأة على هذه النصوص، فلأجل ذلك يأتون بعجائب من الأقوال وفضائح، بعضها شديد شنيع جداً، حتى قال ابن المبارك: "إننا لنجرأ أن نحكي قول اليهود والنصارى؛ ولا نجرأ أن نحكي قول الجهمية" (١) فإن فيه شيئاً من الصفاقة والجرأة وقلّة الأدب مع رب العالمين ومع نبيه عليه الصلاة والسلام، فالجنة والنار لا شك أنّهما موجودتان؛ وأنّهما معدّتان كما أخبر تعالى.

المسألة الثانية المتعلقة بدوام الجنة والنار وعدم فنائهما: دلّت على ذلك نصوص كثيرة في كتاب الله عزّ وجلّ ذكرّ تعالى فيها الخلود الأبدي للفريقين ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ (٢) قالها تعالى في أهل الجنة وقالها تعالى في أهل النار، ومعنى الخلود طول المكث، فخلودهم فيها أبديّ، قال عزّ وجلّ في أهل النار: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ (٣) ممن هم أهل الكفر، وإذا قلنا: إنّ من كانوا من المسلمين العصاة من الموحدين ممن وقعوا في الكبائر؛ فإنّهم يخرجون من النار، فهؤلاء ذكرّ الله في شأنهم الخلود الأبديّ المستديم؛ وذلك أنّ الله تعالى جعل الجنة والنار - كما ذكرّ المصنف رحمه الله تعالى - جعلها للبقاء لا للفناء، أما الدنيا وما فيها - سواء من المتّع أو من الشدائد - فإنّها تنقضي وتفتني، لأنّ الدنيا بأسرها تفتني، أما اليوم الآخر فليس فيه فناء نهائياً، فمن دخل الجنة فإنّ يبقى فيها لا يخرج منها، ينعم فيها ولا يبأس، ويفرح فيها فلا يحزن، ومن دخل النار؛ فإنّ كان من عصاة الموحدين فإنّه يمكث فيها ما شاء الله تعالى أن يمكث - كما شرحنا عند الكلام على الشفاعة - ثم يخرج بإذن الله ورحمته وفضله بعد أن يأذن تعالى بالشفاعة ويخرج سبحانه وتعالى من شاء أن يخرج من النار بعد ذلك، ولا يبقى في النار إلا من قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ» (٤) وهم الكفار الذين خلودهم أبديّ لا يخرجون منها أبداً، هذا الصحيح الذي لا إشكال فيه، وهو الأمر الذي يجب أن يُعتقد وأن يُدان الله تعالى به، فأهل الجنة وأهل النار باقون فيها بعد أن يستقر من يخرج من

(١) السنّة لعبد الله بن أحمد (١/ ١٧٤).

(٢) النساء: ٥٧.

(٣) البقرة: ١٦٧.

(٤) صحي البخاري (٤٤٧٦) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً.



النار من الموحدين ويستقروا في الجنة؛ فإن المكث يكون فيها أبدياً، والمكث الأبدي ليس متصوراً معه انقضاء أصلاً! لأنه لو عمّر إنسان عمراً طويلاً كأن يعمر ألف سنة كما عمّر نوح وكما عمر آدم عليه السلام؛ فإن هذه الألف تنقضي، لو عمّر ما عمّر فإنها تنقضي لأنها مربوطة في الدنيا، أما الآخرة فليس لأهلها زوال ونهاية، هم مستمرّون في هاتين الدارين - فريق في الجنة وفريق في السعير - أبد الآباد بلا انقضاء نهائياً، ولهذا قال تعالى في أهل النار: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾^(١)، يعني لا يصيبه الموت كما كان في الدنيا، وحياته أشدّ الحياة في النار - نسأل الله العافية - من هذا العذاب المستديم، وهكذا أهل الجنة قد آمنوا كما تقدم في الحديث أنه يذبح الموت بين الجنة والنار، وبالمناسبة الذبح يكون للموت لا للملك الموت! في الفقرة السابقة الذبح ليس لنفس مَلَكِ الموت وهو الذي يقبض الأرواح! وإنما للموت نفسه، يؤتى بالموت في صورة كبش أملح ويُجعل بين الجنة والنار ويقال: «يا أهل الجنة فيشرّبون، ويقال: يا أهل النار، فإذا نظر الجميع، قيل: هل تعرفون هذا؟ قال صلى الله عليه وسلم: فيقولون: نعم - وكلهم قد رأوه - فيذبح الموت»^(٢) نفس الموت، الموت حقيقة وجودية بإذن الله عز وجل، خلقه الله كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾^(٣)، فالموت هذ ذبح، فإذا ذبح فمعنى ذلك أنه ليس هناك مجال لأن يسلم أهل النار من النار بالهلاك، لأن الإنسان في الدنيا قد يواجه شقاء وعناء وصعوبات فيأتيه الموت فينقضي وينتهي ما كان يعانیه من هذا الشقاء، أما أهل النار؛ فإنه إذا ذبح الموت تقطعت آمالهم لأنهم غاية ما يأملون أن يموتوا: ﴿وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كِثُونَ﴾^(٤)، هذا المراد بهاتين المسألتين وهو أن الجنة والنار خلقتا وليستا - كما تقول المعتزلة - لم تخلقا بعد! بل خلقتا وأعدتتا، وهما موجودتان، وأهل القبور تفتح لهم إلى الجنة من النعم، يفتح لهم إلى مقعده في الجنة، وإذا كان ممن يعذب فإنه يفتح له إلى مقعده من النار، ويأتيه - كما قلنا - الأول من طيب الجنة ويريحها ويأتي الثاني من عذاب النار وسمومها، لهذا قال رحمه الله: "وقد

(١) طه: ٧٤.

(٢) صحيح البخاري (٤٧٣٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً.

(٣) الملك: ٢.

(٤) الزخرف: ٧٧.



خُلِقَتِ الْجَنَّةُ وَمَا فِيهَا" يعني مِنَ النِّعَمِ كُلِّهِ لَا يَنْقُضِي وَلَا يَفْنِي، "وَخُلِقَتِ النَّارُ وَمَا فِيهَا، خَلَقَهَا اللَّهُ ثُمَّ خَلَقَ الْخَلْقَ لَهَا" يعني أَنَّ الْخَلْقَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ (١).

ثم قال: "لا يفنيان" هذه المسألة الثانية، المسألة الأولى في قوله "وقد خلقت الجنة وما فيها" ردًا على المعتزلة في قولهم إنهما لم تخلق.

المسألة الثانية أنهما لا تفنيان، الجنة والنار لا تفنيان، "لا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبدًا".

ثم قال: "فإن احتج مبتدع أو زنديق بقول الله تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (٢)" المبتدع

يعني عنده بدعة - كما سبق في شرح البدعة ومعناها -، الزنادقة حركة وجدت في زمن بني أمية - بعض الزنادقة - ثم تعاظمت واشتدت في زمن بني العباس، والزنديق مقتضى المراد بكلمة الزنديق أنه المنافق الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر، والكلمة فيما يظهر فارسية في أصلها لكثرة في من أظهروا الإسلام ممن كانوا في البلاد المفتوحة وصاروا يكيدون لأهل الإسلام في الداخل، واشتد خطرهم وعظمت باطلهم؛ فتتبعهم - كما قلنا - بنو أمية، قتلوا منهم عددًا غير قليل من الزنادقة، ثم تكاثروا جدًا في زمن دولة بني العباس، حتى إن الخليفة المهدي رحمه الله - وهو من خيار بني العباس - الخليفة المهدي والخليفة الرشيد رحمهما الله من أحسن خلفاء بني العباس، وضع المهدي رحمه الله تعالى ديوانًا خاصًا بالزنادقة، سماه ديوان الزنادقة، قتل فيه أكثر من أربعة آلاف زنديق، مما يدل على كثرة الزنادقة، لأن الموتورين والمقهورين من الذين كانوا من أهل الديانات الباطلة من فرس أو روم أو غيرهم دخلوا في الإسلام في الظاهر وصاروا يكيدون لأهلهم ويظهرون ما يظهرون من كونهم حريصين على الإسلام وذوي مبدأ صادق في الاعتصام بالإسلام ثم يبتون شيئًا من الزنادقة، وتتبعهم - كما قلنا - الخليفة المهدي، وكان من عجيب ما وقع أن أحد الشعراء اتهم بالزنادقة ثم أتى به إلى الخليفة المهدي رحمه الله؛ فاعتذر ببيت شعر عفا عنه به ثم لما تأمل بيت الشعر الثاني قتله به، بيت الشعر الأول الذي قاله قال: "ما يبلغ الأعداء من جاهل؛ ما يبلغ الجاهل من نفسه" يقصد نفسه أنه

(١) الشورى: ٧.

(٢) القصص: ٨٨.



كان جاهل حين حصل منه ما حصل ثم قال: "والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في رمثه" (١) في البيت الأول لما قال: ما يبلغ الأعداء من جاهل؛ ما يبلغ الجاهل من نفسه؛ يعني يُحِطُّ نَفْسَهُ فَعَفَا عَنْهُ، لَمَّا وُلِّيَ قَالَ: أَلَسْتُ تَقُولُ: وَالشَّيْخَ لَا يَتْرُكُ أَخْلَاقَهُ حَتَّى يُوَارَى فِي رِمْتِهِ - يَعْنِي فِي قَبْرِهِ - إِذْنُ أَنْتَ لَنْ تَتْرَكَ أَخْلَاقَكَ! مَا دَمَتَ الْآنَ اعْتَرَفْتَ - وَهُوَ رَجُلٌ كَبِيرٌ - نَسَأَلُ اللَّهَ حَسْنَ الْخَاتِمَةِ؛ مَا دَمَتَ الْآنَ تَقُولُ فِي شَعْرِكَ الَّذِي تَعْتَذِرُ بِهِ: أَنَّ الشَّيْخَ - يَعْنِي الشَّيْخَ الْكَبِيرَ الْمَقْصُودَ بِهِ - لَا يَتْرُكُ أَخْلَاقَهُ يَعْنِي لَا يَتْرُكُ طَبَائِعَهُ حَتَّى يُوَارَى فِي رِمْتِهِ أَيْ فِي قَبْرِهِ فَأَمْرٌ بِهِ فَقِتْلٌ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَمْثَالِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ أَبِي الْعَوْجَاءِ وَمُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ الْمَصْلُوبِ مِنَ الزَّنَادِقَةِ وَأَضْرَابِهِمْ كَثُرَ.

فيقول: "إن احتج مبتدع أو زنديق بقول الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (٢) وبنحو هذا من متشابه القرآن" فالقرآن نوعان - الآيات فيه - كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ (٣) الآيات المحكمات هي الآيات البيّنة الواضحة المعنى، والآيات المتشابهات هي الآيات التي لا يتضح معناها إلا إذا رُدَّتْ إلى المحكم من القرآن، فإذا رُدَّتْ الآيات المتشابهة في معناها إلى الآيات المحكمة تبينت، ماذا يفعل أهل الزيغ؟ كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ (٤) يبحثون عن المتشابه الذي يُحَقِّقُونَ مِنْ خِلَالِ أَلْفَاظِهِ مَقُولَاتِهِمُ الْبَاطِلَةَ وَيَتْرَكُونَ الْمَحْكَمَ الْبَيِّنَ الْجَلِيَّ، فَلَا يَرُدُّونَ الْمُتَشَابِهَ إِلَى الْمَحْكَمِ، ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ، ماذا يفعل الراسخون؟ قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ (٥) ثم استأنف وقال: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ (٦) المحكم والمتشابه، فيؤمنون بالمحكم وبالمتشابه جميعاً، ويعملون بالمحكم ويردّون المتشابه إلى المحكم، إذا رُدَّ المتشابه إلى المحكم تبين المتشابه واتضح معناه، أما إذا رُكِّزَ على المتشابه

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص: ٢٠٤).

(٢) القصص: ٨٨.

(٣) آل عمران: ٧.

(٤) آل عمران: ٧.

(٥) آل عمران: ٧.

(٦) آل عمران: ٧.



وحده فإن ذلك يُوجد الفتنة ويُوجد التشويش عند الناس، فمن علامات أهل الزيغ البيّنة - وهذه من الفتن العظيمة في وجود المتشابه القرآن - أن صاحب الزيغ تجده دائماً يبحث عن المتشابه، والمحكم البين يبعد عنه! لأن المحكم البين لا يحقق به بدعته لأنه ضده، أما المتشابه فإنه لا يرضى بأن يُردّ إلى المحكم حتى يتضح ويُفسّر بتفاسير الصحابة والتابعين وقبل ذلك بتفسير النبي صلى الله عليه وسلم، لأن النبي صلى الله عليه وسلم بين عدداً من آيات القرآن، إنما يتبع المتشابه، لأجل ذلك قال: "وبنحو هذا من متشابه القرآن"، إذا احتج - يعني أحد من هؤلاء - بهذه الآيات وهي قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(١) لإرادة الاستدلال بها على أن الجنة والنار تفنيان؛ فقل له: "كل شيء مما كتبت الله عليه الفناء والهلاك هالك" هذا المعنى، يقول: هذه الآية المراد بها ليس المعنى أن الله يهلك كل شيء! إنما المراد إهلاك كل شيء مما كتبت عليه الفناء، أما الجنة والنار فهل كتبت عليهما الفناء أو البقاء؟ كتبت لهما البقاء، فبناء عليه قال: "والجنة والنار خُلقتا للبقاء لا للفناء ولا للهلاك"، "وهما من الآخرة لا من الدنيا" هذا أمر آخر، يؤكد ويعزز به ما قال، قال: الجنة والنار إنما خلقت لتبقى وتستديم، ثم إنها من الآخرة؛ والآخرة معلوم أنها مستديمة، فالذي يفنى الله تعالى جعل الفناء للدنيا وأهلها، فلاجل ذلك قال: إن احتجاجهم بـ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(٢) الاستدلال بالإطلاق العام هذا وعدم إدخال الأفراد الداخلة فيه؛ بل إدخال الأفراد الداخلة فيه وإدخال ما لا يدخل فيه، نعطيك مثلاً على هذا: يقول أهل العلم رحمهم الله: إطلاق كل شيء يكون بحسبه، فمثلاً قول الله تعالى عن ملكة سبأ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٣) ما المراد بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾؟ نفس قوله هنا ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(٤) نفس العبارة "كل شيء" موجودة هنا فيما ذكر الله تعالى عن ملكة سبأ ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ما المقصود؟ هل المقصود أنها أوتيت أمور الدنيا والآخرة؟ "كل شيء" أو المقصود أوتيت من كل شيء مما يؤتاه أهل الملك، هذا المعنى، والدليل على هذا أنها لم تؤت ما أوتي سليمان نفسه عليه الصلاة والسلام، وإنما المقصود أنه كان عندها من أبهة الملك ومما فيها من مثلما ذكر الله عز وجل

(١) القصص: ٨٨.

(٢) القصص: ٨٨.

(٣) النمل: ٢٣.

(٤) القصص: ٨٨.



من العرش العظيم الذي لها ونحو ذلك، أوتيت مما يؤتاه أهل الملك، هذا المعنى، ولذا إطلاق كل شيء هنا هو بحسبه، وليس المراد أنها أوتيت من كل شيء مطلقاً، خالف كذلك هنا قوله تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ أي مما كتَبَ اللهُ عليه الفناء، والجنة والنار إنما خُلِقَتَا للبقاء لا للفناء.

ثم قال رحمه الله تعالى: "والحور العين لا يَمْتَنُّ" الحور العين من معين الجنة، ولما كانت الجنة لا تفتنى؛ فكذلك الحور العين ليست مما يفتنى، لأنها من الجنة؛ وخلقت أيضاً للبقاء كما تقدم، فاستدل بنفس الدليل، ولهذا قال: "والحور العين لا يَمْتَنُّ عند قيام الساعة ولا عند النفخة، لأن الله تبارك وتعالى خَلَقَهُنَّ للبقاء لا للفناء، ولم يكتب عليهنَّ الموت" إذن المعنى في قوله ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ كل شيء هالك مما كتب الله تعالى عليه الهلاك.

ثم قال: "فمن قال بخلاف ذلك فهو مبتدع مخالف قد ضلَّ عن سواء السبيل" من أهل العلم الحقيقة من اختار أن النار وحدها دون الجنة تفتنى، واستدلوا بأدلة منها: أن الله تبارك وتعالى لما ذَكَرَ خلود أهل الجنة قال: ﴿عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْدُودٍ﴾^(١) أي غير مقطوع؛ ولما ذَكَرَ خلود أهل النار قالوا: إِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾^(٢) بعد أن ذَكَرَ ما يتعلق بخلود أهل النار قال: إنه نوع استثناء، يعني أن الأمر فيهم مَرَدُّهُ إلى الله، واستدلوا أيضاً بأثار وردت عن بعض السلف رضي الله عنهم وأرضاهم مقتضاها أن النار تفتنى ولا تستمر ولا تبقى كبقاء الجنة، أما بقاء الجنة فهذا بدون أدنى تردد عند الجميع أن الجنة لا تفتنى نهائياً وأن أهلها خالدون فيها خلوداً لا انقضاء معه، يمكنون بها أبد الآباد، أما النار فقالوا: إِنَّ عَذَابَ أَهْلِهَا يَبْقَى مُدَّةً هَائِلَةً متطاولة بدلالة قوله تبارك وتعالى لما ذَكَرَ عذابهم: ﴿لَا يَبِثْنَ فِيهَا أَحْقَاباً﴾^(٣)، فهي آلاف السنين التي لا يحصيها إلا الله، قالوا: لكنها تنقضي، ولأجل ذلك فما كل من قال بفناء النار نقول: إنه زنديق مبتدع! لأن من أهل السنة من قال بهذا القول، لكن ما مقدار هذا القول؟ الحق أن هذا القول ضعيف وأنه ليس بصواب، هذا الذي لا شك فيه، لأن ظاهر النصوص دالة على أن الحالة في الجنة والنار واحد من جهة الخلود،

(١) هود: ١٠٨.

(٢) هود: ١٠٧.

(٣) النبأ: ٢٣.



والآيات الدالة على خلود أهل الجنة ذُكِرَ فيها الخلود الأبدي كما ذُكِرَ في أهل النار الخلود الأبدي، والاستثناء الوارد في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾^(١) هذا ذُكِرَ حتى في أهل الجنة؛ فما المراد بالاستثناء؟ قالوا: إنَّ المقصود أنَّ الله خلق أهل الجنة للجنة وخلق أهل النار للنار؛ فهم ماكثون فيها أبداً إلا ما شاء الله في المدة التي تسبق الجنة والنار وهي الدنيا، لأنَّ أهل الجنة خلقوا للجنة وأهل النار خلقوا للنار فهم باقون فيها، فالاستثناء قالوا: ليس المقصود بالاستثناء إلا المدة التي قبل دخولهم الجنة ودخولهم النار، فإذا دخلوها فإنهم باقون فيها أبد الآباد، فالاستثناء عائد على الدار الدنيا التي لا يدخلون الجنة حتى تنقضي الدنيا وتأتي الآخرة.

الحاصل أنَّ الذي لا إشكال فيه - وهو الذي عليه جماهير أهل السُّنَّة - أنَّ الجنة والنار لا تغنيان أبد الآباد؛ وأنه لا انقضاء بتاتاً لنعيم أهل الجنة ولا انقضاء لعذاب أهل النار، وقلنا: إنَّ المقصودَ غيرُ عصاة الموحدين، لأنَّ عصاة الموحدين ينقضي عذابهم بإذن الله عزَّ وجلَّ ثم يكونون من أهل الجنة، أما الذين حبسهم القرآن - كما قال عليه الصلاة والسلام - وهم أهل الكفر الذين يموتون على الكفر والشرك فهوَّلاء لا شكَّ أنهم باقون في النار أبد الآباد التي لا تنقضي ولا تنقطع نهائياً - نسأل الله العفو والعافية -.

وخلق الله سبع سماوات بعضها فوق بعض؛ وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض، وبين الأرض العليا والسماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام، والماء فوق السماء العليا السابعة، وعرش الرحمن عزَّ وجلَّ فوق الماء، والله عزَّ وجلَّ على العرش، والكرسي موضع قدميه، وهو يعلم ما في السماوات السبع وما في الأرضين السبع وما بينهن وما تحتهن وما تحت الثرى وما في قعر البحار ومنبت كل شعرة وكل شجرة وكل زرع وكل نبت ومسقط كل ورقة وعدد ذلك كله وعدد الحصى والرمل والتراب ومثاقيل الجبال وقطر الأمطار وأعمال العباد وآثارهم وكلامهم وأنفاسهم وتمتمتهم وما توسوس به صدورهم، ويعلم كل شيء لا يخفى عليه من ذلك شيء.

(١) هود: ١٠٧.



وهو على العرش فوق السماء السابعة ودونه حُجُبٌ مِنْ نَارٍ وَنُورٍ وَظِلْمَةٌ وَمَا هُوَ أَعْلَمُ بِهَا، فَإِنْ احتج مبتدع أو مخالف أو زنديق بقول الله عز وجل: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(١) وبقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٢) وبقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾^(٣) ونحو هذا من متشابه القرآن! فقل: إنما يعني بذلك العلم، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ على العرش فوق السماء السابعة العليا يعلم ذلك كله، وهو بائن من خلقه لا يخلو من علمه مكان.

.....

ذَكَرَ رحمه الله تعالى ما يتعلق ببعض مسائل الخلق، ومنها هذه السموات العظام وهذه الأرضين العظام. فقال رحمه الله تعالى: "خلق الله سبع سموات بعضها فوق بعض وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض" هذا دلٌّ عليه القرآن والسنة قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾^(٤) يعني ومن الأرض سبع مثل السموات السبع، فالسموات السبع والأرضين السبع خُلِقَتْ على حالة ودلالة عظيمة هائلة قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾^(٥) فخلق الله تعالى هذه السموات بعضها فوق بعض، وبين كل سماء وسماء مسافة هائلة - كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى - .
الأرضين سبع، نحن على الأرض العليا، السماء التي نراها هذه هي السماء الدنيا، السماء الدنيا فوقها بقية السموات، والأرض التي نحن عليها تحتها بقية الأرضين، لأجل ذلك قال رحمه الله تعالى: "وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض" كما قال في السموات "بعضها فوق بعض".
قال: "وبين الأرض العليا" يعني التي نحن عليها "والسما الدنيا" يعني هذه التي نشاهدها "مسيرة خمسمئة عام" دلٌّ على هذا أكثر من حديث.

(١) ق: ١٦.

(٢) الحديد: ٤.

(٣) المجادلة: ٧.

(٤) الطلاق: ١٢.

(٥) غافر: ٥٧.



التقدير بالأزمنة هذا كثير في النصوص وفي كلام السلف، المسيرة يعني المدة التي تُقطع فيها المسافة، فمثلاً بين المدينة وبين مكة مسيرة تسع ليالٍ، لما خرج عليه الصلاة والسلام حاجاً من المدينة مكث حتى وصل إلى مكة تسع ليالٍ، وكانت النصوص وكلام السلف يقدرون يأتي فيها تقدير الأماكن بحسب الأيام وبحسب الأشهر وبحسب السنين، ففي الحديث "أن بين الأرض - التي نحن عليها هذه - وبين السماء الدنيا مسيرة - يعني مسيرة ومسافة - خمسمئة سنة" يعني لو أن إنساناً سار، وتارة تطلق النصوص ويراد بالمشيرة المسيرة التي هي المشي، وتارة يراد بالمشيرة المسيرة التي هي الركوب على الإبل والذهاب، المقصود أن بينها مسافة طويلة جداً يستغرق قطعها خمسمئة سنة بين الأرض هذه التي نحن عليها وبين السماء الدنيا، ثم بين السماء الدنيا وبين السماء التي تليها مسيرة خمسمئة سنة، وهكذا السماء الثانية بينها وبين الثالثة مسيرة خمسمئة سنة؛ حتى السماء السابعة، بعد السماء السابعة يأتي ماء هائل لا يُحيط بعظمته إلا رب العالمين، بين السماء السابعة وبين هذا البحر أو الماء الهائل هذا بينه أيضاً مسافة ومشيئة خمسمئة سنة، ولهذا قال رحمه الله: "والماء فوق السماء العليا السابعة" وبين الماء هذا وبين العرش أيضاً مسيرة خمسمئة سنة، ثم قال: "وعرش الرحمن فوق الماء" (١) كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ (٢)، والله تبارك وتعالى على العرش، فهو سبحانه وتعالى في العلو - عز اسمه ولا إله إلا هو - وعرشه تعالى أعلى المخلوقات وأعظم هذه المخلوقات، قال الله تبارك وتعالى في شأن الكرسي - كما سيأتي إن شاء الله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ (٣) والكرسي كما ورد عن ابن عباس (٤) وأبي موسى (٥) رضي الله عنهما هو موضع قدمي الرب سبحانه وتعالى، الكرسي وسع السموات والأرض، وجاء في الحديث «أن السموات السبع في الكرسي - يعني بالنسبة للكرسي - كدراهم سبعة ألقيت في ترس» (٦) الدرهم صغير، الدرهم يكون من فضة وأكبر منه الدينار الذي

(١) ضعيف. أبو داود (٤٧٢٣) من حديث العباس رضي الله عنه مرفوعاً. الضعيفة (١٢٤٧).

(٢) هود: ٧.

(٣) البقرة: ٢٥٥.

(٤) صحيح. التوحيد لابن خزيمة (٢٤٨ / ١) عن ابن عباس موقوفاً، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله كما في التعليق على الطحاوية (ص ٥٤).

(٥) الأسماء والصفات للبيهقي (٧٥٨).

(٦) ضعيف. تفسير الطبري (٥٧٩٤). قال الذهبي رحمه الله في كتابه (العلو للعلي الغفاري) (ص ١٠٠): (هذا مرسل، وعبد الرحمن ضعيف)، وانظر أيضاً

الضعيفة (٦١١٨).



الذي يكون من ذهب، فأخبر عليه الصلاة والسلام أن السموات السبع كسبعة دراهم أقيت في ترس، الكرسي بالنسبة للعرش كحلقة أقيت في فلاة^(١)، الفلاة هي البرية الواسعة، والحلقة هي هذا الشيء الدائري مثل الساعة، هذا يسمى حلقة، لأنه نوع من الشيء المستدير، الكرسي بالنسبة إلى عرش الرب سبحانه وتعالى كحلقة أقيت في فلاة، الفلاة هي البرية الواسعة، إذا ألقى فيها حلقة ماذا تكون نسبة الحلقة بالنسبة إلى البرية؟ لا شك أنها نسبة يسيرة، فالكرسي بالنسبة إلى عرش الرب سبحانه وتعالى كالحلقة التي أقيت في فلاة، السموات السبع في الكرسي كسبعة دراهم أقيت في ترس، مما يدل على عظمة العرش، وثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس؛ فإنه أعلى الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة وسقفه عرش الرحمن»^(٢) يعني أن عرش الرب سبحانه وتعالى فوق السماء السابعة لأنه قال أن العرش هو سقف يعني فوق السماء السابعة، «إذا سألتم الله فسلوه الفردوس؛ فإنه أعلى الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة، وسقفه - أي سقف الفردوس - عرش الرحمن»^(٣) فدل على أن العرش أعلى المخلوقات على الإطلاق وهو أعظم المخلوقات وهو أيضاً أول ما خلق الله تبارك وتعالى على الصحيح.

هذه المخلوقات الهائلة العظيمة دالة على عظمة من خلقها سبحانه، ولهذا قال تعالى مبيناً للإنسان حقيقة الحال: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٤) فهذه السموات كما قال تعالى: ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءِ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغَطَّشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضِحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾^(٥) الآيات، فالسموات والأرضين أعظم من خلق الإنسان، والسموات بالنسبة إلى الكرسي كدراهم سبعة أقيت في ترس، والكرسي بالنسبة إلى العرش كحلقة أقيت في فلاة، هذا كله يدل على عظمة من خلق هذه المخلوقات سبحانه وتعالى، وهذه المخلوقات الهائلة التي لا يحيط بها إلا من خلقها سبحانه وتعالى قد خلقت على حال من العظم والشدة، ومن أجل ذلك فإن النبي

(١) صحيح. تفسير الطبري (٥٧٩٤). رواه ابن أبي شيبة في كتابه (العرش) (٤٣٢). الصحيحة (١٠٩).

(٢) صحيح البخاري (٢٧٩٠) من حديث أبي رضي الله عنه مرفوعاً.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) غافر: ٥٧.

(٥) النازعات: ٢٧ - ٣٠.



صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي أَوَّلِ الْوَحْيِ رَأَاهُ عَلَى هَيْئَتِهِ وَخَلْقَتِهِ قَدْ سَدَّ عِظْمُ خَلْقِهِ الْأَفْقَ بِأَسْرِهِ^(١)، فَلَأَجَلَ ذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَتِمَّاكَ فَخَرَّ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ عِظْمَةُ الْمَخْلُوقِ فَعِظْمَةُ الْخَالِقِ الَّذِي خَلَقَهُ يُسْتَفَادُ مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّ عِظْمَةَ الْمَخْلُوقِ دَالَةٌ عَلَى عِظْمَةِ مَنْ خَلَقَ هَذَا الْمَخْلُوقَ.

فَالْمَقْصُودُ بِهَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي أَعْلَمَنَا اللهُ تَعَالَى بِهَا أَنْ تُعْتَقَدَ وَأَنْ تُعْلَمَ عِظْمَةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَإِنَّ هَذِهِ كُلُّهَا دَالَةٌ عَلَى عِظْمَةِ الْمَخْلُوقِ، أَنْتَ يَا ابْنَ آدَمَ نَقْطَةُ صَغِيرَةٍ فِي الْأَرْضِ، وَالْأَرْضُ سَبْعٌ، وَالسَّمَاوَاتُ السَّبْعُ بِالنِّسْبَةِ لِلْكَرْسِيِّ كَدِرَاهِمٍ سَبْعَةٌ أَلْقِيَتْ فِي تَرَسٍ، وَالْكَرْسِيُّ بِالنِّسْبَةِ لِلْعَرْشِ كَحَلْقَةِ أَلْقِيَتْ فِي فَلَائِةٍ، مَاذَا يَكُونُ مَقْدَارُ الْإِنْسَانِ؟ مَقْدَارُ الْإِنْسَانِ ضَعِيفٌ، مَاذَا يَكُونُ فِي هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الْهَائِلَةِ؟ بَلْ عَدَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي خَلَقَهَا اللهُ تَعَالَى حَتَّى مِنَ الْحَيَوَانَاتِ أَعْظَمُ وَأَشَدُّ خِلْقَةً مِنَ الْإِنْسَانِ وَأَشَدُّ وَهِيَ تَفْتَكُ بِالْإِنْسَانِ وَمَعَ ذَلِكَ كَرَّمَ اللهُ هَذَا الْإِنْسَانَ وَأَرْسَلَ لَهُ الرِّسْلَ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِ الْكُتُبَ وَأَمَرَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَنَهَاهُ وَزَوَّدَهُ بِالْعَقْلِ لِيُطِيعَ اللهُ تَعَالَى وَلِيَعْلَمَ عِظْمَةَ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَيُحْمَدَهُ، فَلَأَجَلَ ذَلِكَ ذَكَرَ اللهُ لَنَا هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الْهَائِلَةَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي يَتَبَيَّنُ بِهَا عِظْمَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَيَتَبَيَّنُ بِهَا ضَعْفُ الْإِنْسَانِ، مَا وَضَعَ الْإِنْسَانَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا؟ نَقْطَةُ فِي مِحْيطِ هَذِهِ الْأَرْضِ، وَالْأَرْضُ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّهَا أَعْظَمُ وَأَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُكْتَشَفَ كُلُّ مَا عَلَيْهَا؛ وَإِنْ قَالُوا: صُورْنَاهَا مِنَ الْأَعْلَى! وَإِنْ قَالُوا: أَحْطَنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا! يَسْتَحِيلُ اسْتِحَالَةً تَامَةً أَنْ يُحَاطَ بِالْأَرْضِ، الْأَرْضُ أَكْبَرُ بِكَثِيرٍ مِمَّا يَظُنُّهُ الْإِنْسَانُ - وَإِنْ طَارَ فِي السَّمَاءِ وَرَأَى الْأَرْضَ مِنَ الْأَعْلَى - فَإِنَّ الْأَرْضَ أَكْبَرُ، الدَّلِيلُ عَلَى هَذَا أَنَّ ثَمَّةَ أُمَّةٍ كَبِيرَةٍ عَظِيمَةَ هَائِلَةَ مَوْجُودَةٌ فِي الْأَرْضِ بِنَصِّ الْقُرْآنِ وَهُمْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّاسِ هَذَا الرَّدْمُ الَّذِي بَنَاهُ ذُو الْقَرْنَيْنِ، هَذِهِ الْأُمَّةُ هَائِلَةٌ، إِذَا خَرَجَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ لَا يَدَانِ - أَيُّ لَا طَاقَةَ - لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، وَثَبَتَ فِي الْأَحَادِيثِ أَنَّهُمْ يَمُرُّونَ عَلَى بَحِيرَةٍ طَبْرِيَّةٍ فَيَشْرَبُونَهَا؛ فَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُ: قَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ! وَيَأْمُرُ اللهُ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لِأَنَّهُ يَخْرُجُونَ فِي زَمَنِ عِيسَى - فِي قَوْلِهِ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ خُرُوجَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ: ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾^(٢)

(١) صحيح البخاري (٣٢٣٥) من حديث عائشة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) الأنبياء: ٩٦.



إذا خرجوا على تلك الهيئة أوحى الله إلى عيسى عليه الصلاة والسلام بعد أن يقتل الدجال أوحى الله "إني أخرجت عبادًا لي لا يدان - أي لا طاقة - لأحد بقتالهم؛ فحرّز عبادي إلى الطور" (١) فيخرجون، أمة هائلة لا يحصيها إلا الله عز وجل، بعد أن ينهدم السد كما قال الله عز وجل عن ذي القرنين: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ (٢) أين هذه الأمة؟ يأجوج ومأجوج أين هم؟ في الأرض بنص القرآن، وهم بين سدين أي بين جبلين، قد جعل الردم دونهم ودون الناس، فأين هذه الأمة الهائلة التي إذا خرجت كانت من الكثرة الكاثرة وشرب بعضهم - لا كلهم - بحيرة طبرية بأسرها؟ لا يحيط بها إلا الله عز وجل، لا يحيط لها إلا الله عز وجل، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٣)، فالأرض أكبر بكثير من أن يحاط بها، وإن قيل: إنها صوّرت، ولا يزال الإنسان يكتشف إلى اليوم مواضع في الأرض لم يكن يعلم بها، إلى عهود ليست ببعيدة إلى قرون قريباً ما كان يُعرف أرض تدعى أمريكا نهائياً، وظلت هذه الأرض بها من البشر من لا يعرف عنهم المؤرخون شيئاً - لا من مؤرخي العرب ولا من مؤرخي العجم - ولا يُدرى بهم، ثم هي موضع كبير جداً لم يُكتشف إلا في القرون الأخيرة، جاءت الرحلات وجاءت مسألة الطيران وجاءت مسألة التصوير الجوي ومع ذلك فالأرض أكبر، الأرض أكبر من أن يُحاط بها، وإن قالوا: إنا قد أحطنا بكل شبر بالأرض؛ فهذا غير صحيح ولا يصح أن يُعتقد، لأنهم إذا قالوا هذا نقول: بيننا وبينكم هذه الأمة يأجوج ومأجوج؛ أخبرونا أين موضعهم؟ موضعهم بنص القرآن في الأرض، لأن ذي القرنين ذكر الله مساره حتى بلغ مغرب الشمس وحتى بلغ مطلع الشمس، وذكر سبحانه وتعالى وجهته وأنه كان يلق أناساً من البشر حتى قيل له: إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض؛ فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً لأنهم كانوا يفسدون في الأرض، ذكر ابن كثير - والله أعلم بصحته - قال ابن كثير: إن الترك يُعدّون من يأجوج ومأجوج، وقال: إنهم كانوا يخرجون للغزو من الموضع الذي فيه يأجوج ومأجوج ثم لما رجعوا وإذا بذئ القرنين قد وضع السد؛ فحِيلَ بينهم وبين بقية هاتين القبيلتين - يأجوج ومأجوج -!

(١) صحيح مسلم (٢٩٣٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) الكهف: ٩٨.

(٣) الإسراء: ٨٥.



فلأجل ذلك صاروا خارج السَّدِّ^(١)، هذا على قول من يرى أنهم يعودون إلى يأجوج ومأجوج، الحاصل أنهم بشر، وأنهم عدد كبير هائل، وأنهم كانوا مفسدين في الأرض كما بين الله عز وجل، وأنهم على وجه الأرض، وأنه جيل بينهم وبين الخروج بأن يجعل بين السدين - بين الجبلين - جعل هذا الردم الذي حال بينهم وبين الإفساد الذي كانوا يفسدونه في الأرض، وهم أمة كبيرة هائلة لا يحيط بها إلا الله عز وجل.

حاصل الأمر أن مخلوقات الله سبحانه وتعالى لا يحيط بها إلا من خلقها عز اسمه لا إله إلا هو؛ وأن علم الإنسان يظل قاصراً، لأجل ذلك تُذكر هذه المخلوقات العظيمة من الكرسي والعرش وما يتعلق بالسماء، السموات السبع والأرضين السبع بين عظمة من خلقها سبحانه وتعالى.

لما ذكر أن الله تعالى في العلو؛ وأنه فوق جميع عباده سبحانه وتعالى كما قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾^(٢) بين أنه مع كونه في العلو - عز اسمه لا إله إلا هو - فإنه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة، فقال: "وهو يعلم ما في السموات السبع وما في الأرضين السبع وما بينهن وما تحتهن وما تحت الثرى وما في قعر البحار ومنبت كل شعرة وكل شجرة" يعني أنه يعلم سبحانه وتعالى الأمور بتفاصيلها كما قال سبحانه في الآيات التي ذكرنا: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٣) يعني أن علمه تبارك وتعالى حتى بالتفاصيل، ولأجل ذلك فهو يعلم سبحانه وتعالى ما يكون في النفوس من الخطرات التي تخطر على خاطر الإنسان كما قال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(٤).

ثم قال: "ومنبت كل شعرة وكل شجرة وكل زرع وكل نبت ومسقط كل ورقة وعدد ذلك كله" يعني أنه قد أحاط به تعالى علماً "وأعمال العباد وآثارهم وكلامهم وأنفاسهم" الإنسان له أنفاس معينة يعلمها الله

(١) البداية والنهاية (٢/ ١٣٠)، إلا أن ابن كثير رحمه الله قد ذكر ذلك بصيغة التمريض فقال رحمه الله: "يقال: إنهم هم الترك أبناء عم يأجوج ومأجوج".

البداية والنهاية (٢/ ١٢٨).

(٢) النحل: ٥٠.

(٣) الأنعام: ٥٩.

(٤) ق: ١٦.



تعالى، لهذا ما يسمى بالسكته القلبية - التي هي الموت المفاجئ هذا - الإنسان ليس فيه مرض وليس فيه أيّ داء ولم يُقتل؛ وإنما فجأة هلك! انتهى الأجل، لأنّ له أنفاساً محددة لا يمكن أن يزيد نفساً واحداً، انتهت أنفاسه وانقضى رزقه وانقطع أجله فمات دون أن يكون هناك أيّ سبب ظاهر لموته من مرض أو قتل أو غيره، انتهى أجله، لأنه حتى الأنفاس معدودة.

"ويعلم سبحانه وتعالى عددَ الحصى - والرمل والتراب ومثاقيل الجبال" يعني بالتفاصيل "وقطر الأمطار" وحتى الأمطار "وعدد الرمل وأعمال العباد وكلامهم وأنفاسهم وتمتمتهم" التي ليس بالضرورة أن تكون معلومة أو مسموعة، حتى التتممة والشيء اليسير من الكلام غير المسموع بل ويعلم ما توسوس به صدورهم ويعلم كل شيء لا يخفى عليه شيء من ذلك، عَلَّمَهُ عَلَى التَّفْصِيلِ وهو على العرش فوق السماء السابعة، يعني تجمع بين كونه تعالى يعلم هذا العلم العظيم وبين كونه تعالى فوق السماء السابعة ولهذا لما جاء رجل ليعتق - معاوية بن الحكم رضي الله عنه - أراد أن يعتق جارية فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إيتني بها فقال لها: «أين الله؟» قالت: في السماء، قال: «من أنا» قالت: رسول الله عليه الصلاة والسلام، قال: «أعتقها؛ فإنها مؤمنة»^(١)، سأله أين - وأين: سؤال عن المكان - يعني أين ربك سبحانه وتعالى؟ فعلم أن ربه سبحانه وتعالى في السماء، وشهدت للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرسالة؛ فلأجل ذلك قال: «أعتقها؛ فإنها مؤمنة» ذات عقيدة سوية، هذا المعنى.

"وهو على العرش فوق السماء السابعة ودونه حجب - سبحانه وتعالى - من نار ونور وظلمة وما هو أعلم بها" سبحانه عز اسمه، لما سأل أبو ذر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رأيت ربك؟ قال: «نورٌ أنى أراه!» سبحانه وتعالى، لما عرج بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سأله: هل رأيت الله تعالى حين عرج بك إليه عز وجل؟ قال: «نورٌ أنى أراه!»^(٢)، وأخبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن "حجاب الرب سبحانه وتعالى هو النور لو كشفه - يعني هذا الحجاب - لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه طرفه من خلقه"^(٣) سبحانه وبحمده، فعظمة

(١) صحيح مسلم (٥٧١) من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) صحيح مسلم (١٧٨) من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً.

(٣) صحيح مسلم (١٧٩) من حديث أبي موسى رضي الله عنه مرفوعاً.



رب العالمين وكبر وكبرياء وجبروت هذا الرب سبحانه وتعالى تُبَيِّنُهَا صفاته، ولهذا عَلِمَ الأَسْمَاءُ والصفات من أعظم ما يكتسب به المرء معرفة بالله عز وجل وتعظيمًا له سبحانه، إذا علمت أنه تعالى يعلم ما توسوس به نفسك، هذا فيه تنبيه لك إلى أنك - وإن كان الناس المحيطون بك من حولك لا يعلمون عنك شيئًا - فإن الله مطلع على هذا الذي يدور في خاطرك؛ فانتبه، لهذا قال الله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾^(١)، الذي في نفسي ما تدري عنه أنت، والذي في نفسك لا أدري عنه، فقد تشتمل النفوس على أمور خبيثة، فيقول عز وجل مبيِّنًا أن هذا الذي يكون في النفوس أنه تعالى يعلمه ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾^(٢) ما رتب على الأمر بالعلم؟ الحذر، لأنه قد يكون في نفس الإنسان شيء من السوء والخبث لا يعلم به الناس حتى يقبض ويموت، لا يدري به أحد حتى أقرب الناس إليه، فيخبره تبارك وتعالى أنه مُطَّلِعٌ على ما في نفسه، وأعجب من هذا أن الله تعالى ليس مطلعًا على ما تعلمه أنت من نفسك ولا يعلمه الناس! بل الله أعلم بك منك أنت، الله تعالى أعلم بك منك "اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت؛ وما أسررت وما أعلنت؛ وما أنت أعلم به مني"^(٣) وهو سبحانه وتعالى أعلم بالعبد من نفس العبد، هذا كله يوجب الخوف ومراقبة رب العالمين، ولهذا علم الأَسْمَاءُ والصفات من أعظم ما يورث القلوب تقوى الله سبحانه وتعالى ومراقبته، ودل عليه مثلما ذكرنا هذه الآية: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾^(٤) هذه عقيدة أن الله يعلم ما في النفوس، ما الذي نستفيده؟ ما الأثر؟ ﴿فَاحْذَرُوهُ﴾، لأنه قد يكون كل من حولك يمدحك ويشني عليك ويرى أنك على أحسن حال؛ لكن يكون في نفسك أمور لا يحيط بها إلا الله عز وجل؛ فيقول رب العالمين: احذر! لا ينفعك من حولك إذا كانوا لا يطلعون لأنهم لا يعلمون غيبك؛ وإنما يعلم غيبك رب العالمين، هذه كلها توجد في العبد تعظيم الرب سبحانه وتعالى وتقواه ومراقبته.

(١) البقرة: ٢٣٥.

(٢) البقرة: ٢٣٥.

(٣) صحيح البخاري (١١٢٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا.

(٤) البقرة: ٢٣٥.



ثم قال رحمه الله: "فإن احتج مبتدع أو مخالف أو زنديق بقول الله تبارك وتعالى اسمه: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(١) "الجهمية - قاتلهم الله - يقولون: إن الله تبارك وتعالى في كل مكان! نسأل الله العافية، كلمة فظيعة جدًا، وزعموا أن لديهم أدلة دالة على هذا، كون الله على العرش هذا جليًّا واضح في القرآن في سبع آيات من القرآن، والعرش كما ذكرنا بأدلته فوق السماء السابعة، وهو أعلى المخلوقات، فالله تبارك وتعالى في السماء كما قال في الجارية التي أعتقها النبي صلى الله عليه وسلم، والرب سبحانه وتعالى ذكر أنه في العلو، والأدلة على العلو قال أهل العلم: تبلغ أكثر من ألف دليل، وكل هذه الأدلة في أنواع وصلها ابن القيم رحمه الله إلى واحد وعشرين نوعًا، ذكرها في الصواعق، وذكرها في النونية، النوع يشتمل على عدد من النصوص.

مثلاً النوع الأول الدال على أن الله تعالى في السماء: التصريح بأن الله تعالى في السماء قال تعالى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾^(٢) ثم قال: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾^(٣) وفي حديث الجارية لما سأها النبي صلى الله عليه وسلم: «أين الله؟»^(٤) قالت: في السماء، وقال عليه الصلاة والسلام: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء»^(٥)، وقال: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»^(٦) إلى غير ذلك، يعني النوع الأول: التصريح بأن الله في في السماء وتحت عدد من الأدلة.

النوع الثاني: التصريح بالفوقية، وهو في ثلاث آيات من القرآن: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾^(٧) في موضعين من الأنعام، و﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾^(٨) فهذه ثلاثة أدلة^(١) فيها التصريح بالفوقية إلى غير ذلك من النصوص الدالة على الفوقية.

(١) ق: ١٦.

(٢) الملك: ١٦.

(٣) الملك: ١٧.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) صحيح البخاري (٤٣٥١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا.

(٦) صحيح الترمذي (١٩٢٤) من حديث ابن عمرو رضي الله عنه مرفوعًا. الصحيحة (٩٢٥).

(٧) الأنعام: ١٨.

(٨) النحل: ٥٠.



وهكذا التصريح بعروج الأشياء إلى الله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾^(٢) سبحانه وتعالى، وحديث المعراج معراج النبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء صريح وجلي أنه عُرِجَ به إلى السماء الدنيا ورأى فيها آدم وعُرِجَ به إلى السماء الثانية والثالثة والرابعة ورأى في الخامسة هارون وفي السادسة موسى وفي السابعة إبراهيم، قال: «ثم ارتفع بي إلى مستوى أسمع به صريف الأقلام»^(٣) عليه الصلاة والسلام أقلام الكتبة التي تكتب قدر الله عز وجل، ففرض الله عليه خمسين صلاة، ثم هبط فمرَّ بموسى عليه الصلاة والسلام في السماء السادسة، فسأله موسى: كم فرض الله عليك؟ قال: خمسين، قال: إنَّ أمتك لا تطيق ذلك؛ فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فعرج به جبريل إلى الرب سبحانه وتعالى حتى جعل الله تعالى الصلوات خمسًا، السماء السادسة ينزل إليها من السماء السابعة، صريح الحديث وجلي وفي غاية الصراحة على أن الله تعالى فوق السموات، موسى في السماء السادسة وإبراهيم في السابعة، موسى لما مرَّ النبي صلى الله عليه وسلم هبط من عند ربه تبارك وتعالى يسأله كم فرض عليك ربك؟ قال: خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك، فعُرِجَ به عليه الصلاة والسلام مرة أخرى وصارت السماء السادسة بالنسبة لما فوقها نزول، فارتفع به جبريل مرة أخرى وسأل ربه التخفيف^(٤)، صريح، كل هذه الأدلة على أن الله تعالى في العلو، لا يُشك في هذا، وهكذا أنواع الأدلة، هذه ذكرها أهل العلم إنها تبلغ ألف دليل؛ وأنها في واحد وعشرين نوعًا، يعني النوع الواحد من التصريح بأن الله تعالى في السماء تحتوي عددًا من الأدلة، التصريح بالعروج إليه تبارك وتعالى تحته عدد من الأدلة، إذا جمعت أدلة هذه الأنواع كلها وإذا بها تبلغ أكثر من ألف دليل، فتأتي مثل هذه الآية يقول: هذه من مثابه القرآن، قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾^(٥) هل المراد أن الله تعالى ليس في السماء وإنما هو في الأرض معنا؟ لا شك أن هذا ليس بمراد، لأن النصوص جلية وصریحة بأن الله تعالى على عرشه فوق السموات العلاء، لهذا يقول مثل هذه النصوص: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ

(١) هنا قال الشيخ - حفظه الله -: "ثلاثة أنواع فيها" وظاهر أنه سبق لسان من الشيخ، وصوابه ما أثبتناه كما هو المناسب للسياق. والله أعلم.

(٢) المعراج: ٤.

(٣) صحيح البخاري (٣٤٩) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) صحيح البخاري (٣٨٨٧) من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٥) الحديد: ٤.



سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴿١﴾ ونحو هذا من متشابه القرآن، كونه من متشابه القرآن يُرَدُّ إلى المحكم الدال على أن الله تعالى في العلو، فيكون المعنى - كما بين السلف - المعنى أنه معهم بعلمه عز وجل، ودل على هذا آية سورة المجادلة: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢) وفي أول آية: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ (٣) فالموضوع في العلم، ولهذا قال السلف لمن استدل بهذه الآية قال: اقرأ ما قبلها: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ فالموضوع في علم الله: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (٤) ثم قال: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ أي بعلمه، ثم ختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فأول الآية في العلم وآخر الآية في العلم، فإذا رُدَّتْ هذه النصوص المتشابهة إلى النصوص المحكمة اتضح معناها وتجلَّى معناها.

يقول رحمه الله: "فقل - يعني جواباً على من استدل بهذه الآيات -: إنما يعني بذلك العلم، لأن الله تبارك وتعالى على العرش فوق السماء السابعة العليا" وهذا أمر عرفته حتى الجارية التي سألتها النبي صلى الله عليه وسلم: «أين الله؟» فقالت: في السماء (٥).

"يعلم ذلك كله سبحانه، وهو بائن من خلقه" يعني ليس بمختلط بخلقه؛ أنه في الأرض! كما تزعم الجهمية - قاتلهم الله - بل الله في السماء، تصريح جلي بأن الله فوق السماء، فوق السموات كلها على العرش، أما أن يقال: إن الله معنا في الأرض! فهذا من أعظم القول نكارة وقباحة.

"لا يخلو من علمه مكان" أي أنه فوق سمواته تبارك وتعالى بذاته "بائن من خلقه" يعني ليس بمختلط بخلقه، أما علمه فعلمه لا يخلو منه تبارك وتعالى مكان كما تقدم في كلامه على كونه يعلم ما في السموات وما

(١) المجادلة: ٧.

(٢) المجادلة: ٧.

(٣) المجادلة: ٧.

(٤) المجادلة: ٧.

(٥) سبق تخريجه.



في الأرضين وما في البحار ومنبت كل شعرة وكل شجرة، كل هذا بعلمه سبحانه وتعالى لا يعزب عنه شيء،
أما الله فكما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للجارية «أين الله؟» فقالت في السماء^(١).

والله عزَّ وجلَّ عرش، وللعرش حملة يحملونه، وله حدٌّ، والله أعلم بحدِّه.

والله على عرشه عزَّ ذِكْرُهُ وتعالى جدُّه ولا إله غيره.

والله عزَّ وجلَّ سميع لا يشك، بصير لا يرتاب، عليم لا يجهل، جواد لا يبخل، حلیم لا يعجل، حفيظ لا ينسى، يقظان لا يسهو، رقيب لا يغفل، يتكلم ويتحرك، ويسمع ويبصر- وينظر ويقبض ويبسط، ويضحك ويفرح، ويجب ويكره، ويبغض ويرضى، ويغضب ويسخط، ويرحم ويعفو ويغفر، ويعطي ويمنع، وينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا كيف شاء وكما شاء ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٢).

وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ويوعياها ما أراد.

وخلق آدم بيده على صورته.

والسموات والأرضون يوم القيامة في كفه وقبضته.

ويضع قدمه في جهنم فتنزوي.

ويُخرج قومًا من النار بيده.

وينظر أهل الجنة إلى وجهه ويزورونه فيكرمهم ويتجلى لهم فيعطاهم.

ويعرض عليه العباد يوم الفصل والدين؛ فيتولى حسابهم بنفسه؛ لا يوئى ذلك غيره عزَّ ربنا وجلَّ، وهو

على ما يشاء قدير.

ذَكَرْنَا هُنَا جُمْلَةً مِنَ الْأُمُورِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالرَّبِّ أَيْضًا بِدَأْمَا بِقَوْلِهِ: مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْعَرْشُ، تَقْدِمُ

الْكَلَامِ عَلَيْهِ، وَذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْعَرْشَ فِي مَوَاضِعَ فِي كِتَابِهِ وَأَخْبَرَ أَنَّ لَهُ حَمَلَةً: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ

(١) سبق تخريجه.

(٢) الشورى: ١١.



حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴿١﴾، هؤلاء الحملة يحملون العرش بإذن الله تبارك وتعالى، والعرش هو سرير الملك، وليس مثل عرش المخلوق! بل عرش لا يحيط بعظمته كما تقدم إلا الله تبارك وتعالى، والله تعالى مستغن عن العرش وعن كل الخلق، ومعنى استوائه تعالى على العرش هو علوه وارتفاعه تعالى على هذا العرش العظيم، وليس استواؤه على العرش تعالى استواء محتاج كما يحصل للمخلوق! فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى كُرْسِيِّهِ يَكُونُ اسْتِوَاءَ مَحْتَاجٍ، أما الرب سبحانه وتعالى فهو مستغن عن كل شيء، كل المخلوقات محتاجة إليه تعالى.

ثم قال: "وله حملة" كما تقدم في الآية ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾ ﴿٢﴾ يعني من الملائكة، جاء في وصفهم وعظيم خلقتهم أمور دالة على عظمة هؤلاء المخلوقين، وجاء في بعض الأحاديث «أُذِنَ لِي أَنْ أَتَحَدَّثَ عَنْ أَحَدِ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةَ سَبْعِمِئَةِ سَنَةٍ» ﴿٣﴾، فلا يحيط بمخلوقات الله هذه العظام هذه الهائلة إلا الله عز وجل، وتقدم أن النبي عليه الصلاة والسلام لما رأى جبريل رآه على هيئته له ستمئة جناح قد سد الأفق ﴿٤﴾، النبي صلى الله عليه وسلم لما رآه رُعباً وسقط على الأرض في أول ما أتاه بالوحي، فمخلوقات الله تعالى لا يحيط بها إلا هو عز اسمه.

ثم قال: "وله - أي الله تعالى - حد"، هذا مما يُجال علمه إليه، ولهذا قال: "والله أعلم بحدّه" فإن الرب تبارك وتعالى لا يدرك الخلق حدّه تعالى، وما جاء عن بعض السلف من إثبات الحدّ وبعضهم من نفي الحدّ المقصود به نفي حدّ يعلمه المخلوق، هذا المنفي، أما المثبت من الحدّ - كما أثبتته هنا رحمه الله وغير واحد من أهل العلم - المقصود أن له حدّاً يعلمه تعالى، وبه نعلم أنه إذا نفي الحدّ فالمقصود نفي علم المخلوقين بحدّ الله قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ ﴿٥﴾ فلا يحيط بحدّ رب العالمين أحد

(١) غافر: ٧.

(٢) غافر: ٧.

(٣) صحيح. أبو داود (٤٧٢٧) من حديث جابر رضي الله عنه. الصحيحة (١٥١).

(٤) صحيح البخاري (٣٢٣٥) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً.

(٥) طه: ١١٠.



سبحانه وبحمده، وبه يَتَبَيَّنُ أَنَّ المقصود بإثبات الحدِّ إثباتُ حدِّ يعلمه ولهذا قال: "وله حدُّ الله أعلم بحدِّه"
وأما المخلوقون فلا يحيطون برب العالمين - بحدِّه سبحانه وتعالى ولا بغيره - .

ثم قال: "والله تعالى على عرشه عزَّ ذِكْرُهُ وتعالى جدُّه ولا إله غيره" والمقصود بـ "تعالى جدُّه" عظمة
الرب سبحانه وتعالى.

ثم ذَكَرَ جملةً من الصفات ونفي ما يضادها، فقال: "الله تبارك وتعالى سميع" أي يسمع سبحانه وتعالى
الأصوات "لا يشك، بصير" أي أنَّ المبصرات يبصرها سبحانه وتعالى لا يرتاب، أما أنت يا مخلوق فقد
تسمع وتشك، تقول: ما أدري أنا سمعتُ أو لا، وقد تبصر الشيء وترتاب، هل هو كذا أو كذا، لهذا أثبت
أنَّ الله تعالى سميع لا يشك، بصير لا يرتاب "عليم لا يجهل، جواد لا ييخل" سبحانه وتعالى "حليم لا
يعجل، حفيظ لا ينسى" ثم قال: "يقظان" هذا الإطلاق توسع فيه رحمه الله من باب الإخبار لا من باب أنَّ
الله تعالى يسمى باليقظان، يقول أهل العلم: باب الأخبار أوسع من باب التسمية، يعني أنَّ الإخبار عن
الرب سبحانه وتعالى أوسع من باب التسمية، التسمية أنَّ تسمي الله باسم، فلا تسم الله تعالى إلا بما سمى به
نفسه، أما الإخبار عن الله تبارك وتعالى كالإخبار بأنَّ الله تعالى "شيء" كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ
شَهَادَةً﴾^(١) هذا من باب الإخبار لا من باب التسمية، لأنَّ التسمية معناها أنَّ يسمى الله تعالى بهذا الاسم،
والأسماء الحسنی يُتَعَبَّدُ لله تبارك وتعالى بهذه الأسماء، وَيُعَبَّدُ البشر في التسمية بها، فتسمي ابنك بعبد الرحمن،
عبد الكريم، عبد الوهاب، عبد الرب، عبد الله ونحو ذلك، قالوا: فهذه الأسماء يُقْتَصَرُ فيها على ما جاءت
فيه النصوص، أما الأخبار فتكون أوسع، لكن لا ريب أنَّ تسمية الله تعالى ووصفه سبحانه وتعالى بما ورد
هو الذي ينبغي وهو أبعد عن أيِّ إشكال قد يترتب على التسمية التي لم تَرِدْ.

ثم قال "يقظان لا يسهو، رقيب لا يغفل، يتكلم ويتحرك" قوله رحمه الله تعالى: "يتحرك" لا شك أنَّ
الرب تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا وأنه يجيء يوم القيامة للقضاء بين العباد، فهل يقال: إنَّ الله
يتحرك؟ الحركة من أهل العلم كالإمام حرب كذلك عثمان بن سعيد الدارمي وأمثالهما رحمهما الله يقولون:
إنه لا بُدَّ من إثبات الحركة لأنك إذا لم تثبت الحركة؛ فمعنى ذلك أنك لم تثبت نزولاً حقيقياً، وبعضهم ينفي

(١) الأنعام: ١٩.



الحركة ويقول: نسمي النزول شيئاً ثانياً من أفعال الله، ينزل نزولاً حقيقياً، يجيء في القيامة مجيئاً حقيقياً، ومنهم من يمتنع من إطلاق لفظ الحركة لأنه غير مأثور، نقول: لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم، جاءنا لفظ النزول نقول: ينزل، جاءنا لفظ المجيء للفصل بين العباد في القيامة نقول: يجيء، على ظاهره؟ نعم على ظاهره، حقيقي أو مجازي؟ نقول: حقيقي بلا شك، ولا يقال في صفات الله مجازي، لا يقول هذا إلا المعتزلة وأضرابهم، بل هو نزول حقيقي إلى سماء الدنيا، وهكذا مجيء الرب سبحانه، قالوا: ولكن ما دام لم يرد وباب الصفات باب يتلقى فقط من النصوص؛ فإننا نثبت اللفظ كما ورد؛ فنقول: ينزل نزولاً يليق به، يجيء في القيامة مجيئاً يليق به، وإذا أثبتنا نزولاً حقيقياً قالوا: لم نحتج أن نقول: إنه يتحرك، لأننا نقول إنه نزول حقيقي لا كما يدعي هؤلاء الذين يزعمون أن المقصود به غير ظاهره! فنحن نثبت لله تعالى على ما يليق به، ونقتصر على اللفظ الوارد.

ثم قال رحمه الله تعالى: "يسمع ويبصر وينظر ويقبض ويبسط" سبحانه "ويضحك ويفرح، ويجب ويكره" كل هذا مما ورد في النصوص من كونه يسمع ويبصر سبحانه وتعالى، كونه ينظر كونه يقبض سبحانه ويبسط ويضحك كما دلت عليه أيضاً عدد من النصوص، "يفرح ويجب ويكره ويبغض ويرضى ويسخط ويغضب ويرحم ويعفو ويغفر ويعطي ويمنع" كل هذا مما وردت به النصوص، وإذا جاءت النصوص بالإخبار عن الرب سبحانه وتعالى بوصف أو بفعل أو باسم؛ فالواجب أن يخضع لكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم.

ثم قال: "وينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا كيف شاء وكما شاء" دل على نزول الرب إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل عدد من النصوص، وثلث الليل له شأن عظيم ينبغي أن يكون للمسلم منه نصيب، وألا يفوته هذا الوقت الشريف العظيم إلا لعذر لا حيلة له فيه، لكن ينبغي له أن يحرص وأن يسعى إلى القيام لله عز وجل في هذا الوقت العظيم؛ فإن الرب تعالى ينزل إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل فيقول: «هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ وذلك كل ليلة»^(١) فينبغي أن يكون عند المسلم همة وأن يترك عنه الكسل والنوم إلى أن يؤذن الفجر، فقم لو عشر دقائق، لو ربع ساعة، وتساءل الكريم المنان

(١) صحيح مسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.



سبحانه وتعالى صلاح حالك وصلاح حال أمتك وشفاء مرضك وأن يرزقك ويتولاك ويثبتك ويحسن عاقبتك ويصلح ذريتك، لا تبقى نائماً ورب العالمين يقول: "هل من سائل؟ هل من مستغفر؟" فأسأله غفران ذنوبك وصلاح حالك، فشأن الثلث الأخير من الليل شأن عظيم جداً، وبكل أسى وأسف حال الكثير من الناس في الثلث الأخير من الليل عكس ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن الفطن النبيه، فكثير منهم نائمون، وهؤلاء نقول: فاتهم الخير فقط، لكن الإشكال في هؤلاء الذين يسهرون إلى آخر الليل يثرثرون وينظرون إلى ما حرم الله ويسمعون ما حرم الله، لو تصور الواحد منهم واستحضر عظمة كون الله يقول: "هل من مستغفر؟ هل من سائل؟ وهو صادم غافل! لما قرأت عينه، لكن الغفلة هي التي تغلب على القلوب في هذا الحال، كيف يأتي الإنسان يدخل عليه هذا الوقت الشريف العظيم وهو في حال من الثرثرة أو الضحك أو اللعب أو في حال - والعياذ بالله - مما هو أسوأ من هذا من النظر إلى ما حرم الله في هذه الشاشات التي ابتلي الناس بها إلى أواخر الليل وفيها ما فيها من الشر العظيم وصور محرمة وكلام محرم وأصوات الموسيقى والأغاني مما حرمه الله عز وجل، أعمار تضع! فيا ضيعة الأعمار تمضي سهلة! فينبغي أن يكون عند الإنسان همة، وهذه الصفات أيها الإخوة التي عن الرب عز وجل قلنا: إنها لها ارتباط كبير بالإيمان، إذا علمت أن ربك تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الأخير أن تبذل هذا الوقت، فلا تجعل هذا الوقت وقت لعب وضحك! وأحرص على أن يكون لي فيه نصيب من الليل.

الإمام أحمد رحمه الله استضاف أحد أهل الحديث - وكان مسافراً - فلما جاء عند الإمام أحمد من سفره هياً له الإمام أحمد رحمه الله هياً له الماء على أساس أنه سيقوم من آخر الليل ويصلي، فلما جاء الإمام أحمد رحمه الله ليوظنه بعد أن أذن الفجر وإذا بالماء لم يستعمل! فقال الإمام أحمد رحمه الله: رجل من أهل الحديث - يعني يتعلم الحديث - ولا تصلي من الليل^(١)!! قال: إني مسافر، والسفر مجهد، أتى على البعير وربما أتى على قدميه، فلما نام؛ قال أحمد رحمه الله: وإن كان!! يعني وإن كنت مسافراً، حج مسروق فما نام إلا ساجداً، يعني أنه تحامل على نفسه وصلى من آخر الليل ومن شدة السهر والإعياء لما سجد نام، يقول: لا تترك آخر الليل من الصلاة بحجة أنك مسافر! فإن مسروقاً حج، والذي يأتي إلى الحج يكون مسافراً بالعموم الأغلب، يعني

(١) مناقب الإمام أحمد (ص: ٢٧٣).



الذين يحجون ولا يسافرون هم فقط أهل مكة، الحج فيه مواقف وفيه طواف وفيه مجموعة من المواقف في منى وفي عرفات؛ فيكون الحاج متعباً مجهداً، يقول: حجّ مسروقٌ فما نام إلا ساجداً، يعني أنه غلبه النوم، قام وصلى لكن غلبه النوم؛ فنام ساجداً، أما الإنسان المستريح الذي أشبع الله بطنه وأرواه عزّ وجلّ من ظمأ وهو في أمن وفي عافية ينبغي له أن لا يرضى لنفسه بالنصيب الضعيف، ويقوم من الليل ولو ربع ساعة ولو عشر دقائق، لا يبقى هكذا! لأنّ كون الرب سبحانه وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا ينبغي أن يحرك في القلوب الهمة في القيام ولو مدة يسيرة.

ثم قال رحمه الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١)، يعني ما ذكرته من الصفات التي مضت من كونه تعالى يسمع ومن كونه رقيباً وكونه ينزل إلى السماء الدنيا؛ كل هذا فيه أنه ليس كمثل شيء، فتشبهت الله عزّ وجلّ دون أن تمثله سبحانه وتعالى بالخلقين.

ثم قال: "وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء" وهذا من عظمته، لا إله إلا هو، كل القلوب بين أصبعين من أصابعه، والأصابع مما ثبتت لله تعالى، وهي أصابع عظيمة قد ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه «يضع الرب سبحانه وتعالى السموات على إصبع؛ والأرضين على إصبع؛ والماء والثرى على إصبع؛ وسائر الخلق على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»^(٢) فأصابع حقيقية لرب العالمين، من عظمة هذه الأصابع أنه تعالى يضع الأرضين على إصبع، والسموات على إصبع، قلوب العباد بين أصبعين من أصابعه العظيمة - سبحانه وتعالى - يقلبها كيف يشاء، ولهذا يقول المؤمن: "يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك" ويسأل الله تعالى بهذه الأصابع العظيمة أن يثبتته وأن لا يزيغته في الزائغين.

(١) الشورى: ١١.

(٢) صحيح مسلم (٢٧٨٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنه مرفوعاً.



قال: "وخلق آدم بيده" بنص القرآن قال تعالى لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي﴾^(١)، فالله خلق آدم بيده، وأمر ملائكته أن يسجدوا لآدم إكرامًا له لأنه خلقه بيديه سبحانه وتعالى، وهذا شأن ليس باليسير، فلذلك أمر الله تعالى الملائكة أن تسجد لآدم.

"وخلق آدم بيده على صورته" هذا الحديث طاشت فيه أحلام أناس كثيرين، والأمر فيه كما قال ابن قتيبة: هذا الحديث كغيره، يعني ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»^(٢) هذا الحديث كغيره من نصوص الصفات، معلوم أن آدم ليس مثل الله قطعًا بنص قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٣)، لكنّ المعلوم من الحديث أن الله خلق آدم على صورته أي: سميعًا، بصيرًا، له وجه، ويثبت له الصورة سبحانه وتعالى، فلأجل ذلك قال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»^(٤)، ولم يقل صلى الله عليه وسلم: إن آدم مثل الله! ولا يمكن أن يقول هذا صلوات الله وسلامه عليه لأن الله يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، وإنما المقصود أن الرب تبارك وتعالى سميع بصير ثبت له الصورة سبحانه وتعالى ويثبت له الوجه، هذا المعنى، وقوله "خلق آدم على صورته" أي على صورة الرب سبحانه، وليس المقصود على صورة آدم! لأن هذا لعيب بالأحاديث، لأن بعضهم قال: إن الله خلق آدم على صورة آدم، قال الإمام أحمد: ماذا يكون مدلول الحديث؟؟ خلق آدم على صورة آدم^(٥)؟؟ بل المقصود على صورة الرب نفسه سبحانه وتعالى، ولهذا جاء في الحديث الآخر «خلق آدم على صورة الرحمن»^(٦) سبحانه وتعالى، ولا إشكال في هذا الحديث إلا كثرة الجلبة حوله والتسرع في فهمه، فإنه لا أحد يمكن أن يقول: إن آدم مثل الله! لا يقوله أحد، لا يقوله مسلم، ما يقول هذا إلا من وقعوا في التمثيل من خبثاء الفرق الضالة، أما قولنا "إن الله خلق آدم على صورته" فالرب سبحانه وتعالى له وجه، وله عينان سبحانه وتعالى، ويثبت له تبارك

(١) ص: ٧٥.

(٢) حديث (إن الله تعالى خلق آدم على صورته) رواه البخاري (٦٢٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) الشورى: ١١.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) يُنظر الإبانة الكبرى لابن بطة (٧/ ٢٦٦).

(٦) الحديث بلفظ (على صورة الرحمن) رواه ابن خزيمة في التوحيد (٨٥ / ١)، ولكن قال الشيخ الألباني رحمه الله في مختصر صحيح البخاري (٢ / ١٧٨):

(منكرٌ لا يصحُّ، فيه أربع علل، ولذلك ضعفه ابن خزيمة وغيره)، وانظر تفصيل الكلام في الضعيفة (١١٧٦).



وتعالى السمع والبصر - عزَّ اسمُه، لا إله إلا هو - كما ورد في الأحاديث، ولكن وجهه ليس كوجه المخلوق، وسمعه ليس كسمع المخلوق، وبصره ليس كبصر المخلوق، لأنَّ من المعلوم أنَّ الصفة التي لله ليست كالصفة التي للإنسان: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١)، نفس الآية دالة على أنَّ الله تعالى بصير لكنه ليس كالمبصرين! وهكذا الوجه العظيم لله تبارك وتعالى، تقدم الحديث الذي فيه أنَّ الله تعالى «حجابه النور، لو كشفه؛ لأحرقن سبحات وجهه ما انتهى إليه طرفه من خلقه»^(٢) هل هذا الوجه العظيم الجميل يمكن أن يشبهه وجه؟ فيقال: إنَّ وجه المخلوق مثل وجه الله!! معاذ الله، لكن المقصود أنَّ الله خلق آدم على صورته سميعاً بصيراً، لله وجه حقيقي، والله بصر حقيقي، وتثبت للرب عز وجل الصورة، هذا المعنى، وليس المقصود التمثيل لأنه منفي بنص الآية كما تقدم.

ثم قال رحمه الله: "والسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي كَفِّهِ وَقَبْضَتِهِ" كما تقدم في الحديث، وكما ذَكَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾^(٣) وذكَّرَ تعالى قبضه للسَّمَوَاتِ - عزَّ اسمُه - ﴿وَالْأَرْضِ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتِ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾^(٤) وأخبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ «الله يَضَعُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهْزَنُ» فيقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟^(٥) فهذا كله مما يُثبت لله كما سمعت في الآية وكما سمعت في الحديث، دلت عليه عليه هذه النصوص، فيوم القيامة السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُونَ فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ، وفيه إثبات الكف لله سبحانه وتعالى، وفيه إثبات أنه يقبض سبحانه وبحمده.

(١) الشورى: ١١.

(٢) صحيح مسلم (١٧٩) من حديث أبي موسى رضي الله عنه مرفوعاً.

(٣) الزمر: ٦٨.

(٤) الزمر: ٦٧.

(٥) سبق تخريجه.



"ويضع قدمه في جهنم فتزوي" قال الله عز وجل: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾^(١) نعوذ بالله منها، يقول صلى الله عليه وسلم: «لا يزال يُلقى في النار؛ وتقول هل من مزيد؟ حتى يضع الجبار عليها قدمه فتنزوي وتقول: قط، قط»^(٢) أي حسبي، حسبي، أي أنها وعدت بأن تملأ فيضع الجبار عز وجل بعد أن يرمى فيها من يرمى من أهل النار يضع قدمه العظيمة عليها فتنزوي وتقول: قط قط، أي حسبي حسبي، يعني: يكفيني يكفيني، لأنها - نسأل الله العافية - تقول: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾؟ فيثبت لله تعالى القدم على ما يليق بجلالته وعظمته كما ثبت له بقية الصفات؛ كما ثبت له العلم والاستواء والنزول والمجيء لفصل القضاء بين العباد يوم القيامة، كل هذا يثبت لله مع اعتقاد أن الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٣) ويُخرج قوماً من النار بيده، وتقدم الكلام على إخراج من يكون من بعد الشفاعات، يُخرج ناساً سبحانه وتعالى، يقول: «شفعت الملائكة، وشفعت الأنبياء، وشفعت الصالحون، ولم يبق إلا رحمة أرحم الراحمين»^(٤).

"وينظر أهل الجنة إلى وجهه" يعني أنه وجه حقيقي، وهو الذي ورد في الدعاء العظيم: «أسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقاءك»^(٥) الحديث، فله تعالى وجه عظيم حقيقي، وهو أعظم نعيم أهل الجنة الجنة أن ينظروا إلى وجه الكريم المنان سبحانه وتعالى، ولهذا إذا نظروا إلى وجهه تعالى ذهلوا عن كل النعيم الذي هم فيه، فإنهم يرونه تبارك وتعالى، يرون وجهه الكريم سبحانه وتعالى، فالنعيم الذي هم فيه مع عظمة ما هم فيه من الحبرة والفرحة الشديدة إذا رأوا رب العالمين ذهلوا عن كل نعيم هم فيه، فأعظم نعيم في الجنة على الإطلاق أن يرى وجه الكريم سبحانه وتعالى.

(١) ق: ٣٠.

(٢) صحيح البخاري (٤٨٤٨) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً.

(٣) الشورى: ١١.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) صحيح النسائي (١٣٠٥) من حديث عمار رضي الله عنه مرفوعاً. صحيح الجامع (١٣٠١).



"وينظر أهل الجنة إلى وجهه، ويزورونه فيكرمهم، ويتجلى لهم فيعطيههم" كل هذا مما يكون لأهل الجنة، والأدلة على الرؤية كثيرة جدًا في كتاب الله كقوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (١)، وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ قوله تبارك وتعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (٢) فقال: «الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى» (٣) والأحاديث في هذا كثيرة، أفردها أهل العلم رحمهم الله تعالى بالتصنيف كالدار قطني رحمه الله تعالى في كتابه "الرؤية" وجمعها ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه الذي صنفه عن الجنة وهو "حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح" وأوردها المصنفون، ذكرها اللالكائي رحمه الله تعالى في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" في سياقين، السياق الأول فيما ورد من كتاب الله وفُسر- بالنصوص النبوية وآثار الصحابة والتابعين من الآيات التي هي من الآيات الدالة على الرؤية - وهي كثيرة في القرآن -، ثم ذكّر سياقًا أورد فيه عددًا من الروايات عن الصحابة والتابعين مرفوعة للنبي صلى الله عليه وسلم بإثبات الرؤية كقوله عليه الصلاة والسلام: «إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته» (٤) إلى غير ذلك من النصوص، وهكذا آثار كثيرة جدًا عن الصحابة وعن التابعين، ذكّر ابن القيم أن الذي يرويه عن الصحابة ثلاثون من الصحابة، وإذا روى هذا الحديث ثلاثون من الصحابة فمعناه أنه سيرويه أعداد غفيرة جدًا من التابعين، لأن الصحابي قد يروي عنه العشرة والعشرون من التابعين وهكذا، فهو أمر متواتر معلوم لا يشك فيه إلا أهل التجهم.

"ويُعرض عليه العباد يوم الفصل والدين، فيتولى حسابهم بنفسه لا يولي ذلك غيره" لأنه تعالى هو الذي يحاسب العباد بنفسه، ويحاسب العباد على هيئة عظيمة وهو أنه يحاسبهم جميعًا في وقت واحد، لا إله إلا هو، فلا يشغله - عز اسمه - حساب هذا عن هذا، وهذا كما نقرر دائمًا أن صفات الله لا تقاس، لأنك تعلم أن القاضي إذا ترفع إليه عدد من الناس فإنه لا يستطيع أن يقضي بينهم حتى يسمع من هذا؛ وإذا تكلم خصمه أسكته، قال: دَعَّ هذا حتى أسمع، قال: دَعَّ هذا، لا أستطيع أن أسمعك وأسمعه! ثم يلتفت إلى الخصم

(١) القيامة: ٢٢، ٢٣.

(٢) يونس: ٢٦.

(٣) صحيح مسلم (١٨١) من حديث صهيب رضي الله عنه مرفوعًا.

(٤) صحيح البخاري (٥٥٤) من حديث جرير رضي الله عنه مرفوعًا.



الثاني ويطلب منه أن يتكلم، فلا يستطيع أن يستوعب وهم جميعاً يتكلمون، أما الرب سبحانه وتعالى فيحاسب العباد دفعة واحدة لا إله إلا هو، كما أنه سبحانه يسمع دعواتهم وهم بالملايين في أرضه تعالى، يسمع دعواتهم، بل ومن في السماء كما قال تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١) كلهم يسألونه تعالى، فيَعْلَمُ سبحانه وتعالى ما الذي يدعو به هذا بلغته، وما الذي يدعو به ذلك بلغته، مع كونهم في وقت واحد، وكونهم بالألوف التي لا تحصى، فلا يشغله هذا عن هذا، فكذلك في القيامة يحاسبهم - عزَّ اسمُه - جميعاً، سئل ابن عباس رضي الله عنهما: كيف يحاسب الله تعالى العباد جميعاً؟ يعني مرة واحدة! فقال: "كما أنه يرزقهم جميعاً"^(٢) سبحانه وتعالى، أنت تعلم أن الرزق هذا الذي يصلك لا يمكن أن يصلك إلا إذا أوصله الله، والله يرزقك ويرزق هذا وهذا، ورزقك لما أوصله إليك لم يشاغب تعالى برزقك عن رزق غيرك، وهكذا ما يتعلق بصفات الرب لا تقاس، وهذا أمر مهم جداً، السبب في ضلال المعطلة من الجهمية والمعتزلة والأشعرية والماتريدية وسلفهم الكلابية وغيرهم ممن نفى: أنهم قاسوا صفات الرب على صفات المخلوق! فلما قاسوها هذا القياس استعظموا أن تثبت الصفات، أما الذي يعلم أن الله تعالى صفات الله تليق بجلاله وعظمته لا تشابه صفات المخلوق؛ فإنه يعلم أنها لا تقاس، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في القيامة: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُنَادِ الْعِبَادَ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرَّبَ»^(٣) لا يقاس، لأنه من المعلوم أن الصوت القريب منك إذا كنت تتكلم يسمع الصوت بوضوح؛ والبعيد لا يسمع نهائياً، ثم الذي بينها يسمع تارة وتارة، هذا في صوت العبد، أما صوت الرب فلا، يقول صلى الله عليه وسلم: «يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرَّبَ»^(٤) كلهم يسمعونه كأنهم جميعاً في موضع واحد، وهذا لأن صوت الرب سبحانه يليق به، ولا يُقاس بصوت المخلوق، وهكذا جميع الصفات.

(١) الرحمن: ٢٩.

(٢) أوره شيخ الإسلام رحمه الله في مجموع الفتاوى (٥/ ٢٤٦)، ولم أعثر على تخريج الأثر.

(٣) صحيح البخاري (٩/ ١٤١) معلقاً من حديث جابر بن عبد الله بن أنيس.

قال الشيخ الألباني رحمه الله في الصحيحة (٧/ ٧٥٧): (وهو حديث صحيح، علقه البخاري في صحيحه، ووصله في أفعال العباد (ص: ٨٩)، وفي الأدب

المفرد (٩٧٠) وغيره، وقواه الحافظ ابن حجر، وقد خرجته في ظلال الجنة في تخريج السنة (رقم ٥١٤).

(٤) سبق تخريجه.



ثم قال رحمه الله: "عز ربنا وهو على ما يشاء قدير" الرب عز وجل كلُّ شيء يشاؤه فإنه يقدر عليه، وهو يقدر على كل شيء سواء شاء أو لم يشأه، فهو تعالى الشيء الذي لم يشأه ولم يقدره هو قادر عليه سبحانه وتعالى، فالله تعالى حين قَدَّرَ أن يموت فلان اليوم قد شاء أن يموت، لو أراد تعالى لما مات اليوم ولما مات قبل ذلك أو بعد ذلك، فهو على كل شيء قدير، والإطلاق في القرآن أكثر على كل شيء قدير، ولكنه تبارك وتعالى يشاء الأشياء كما تقدم في موضوع القَدَر؛ أنه يشاء الأمور، يعلمها ويكتبها ويشاؤها سبحانه وتعالى، ويخلق الأشياء جميعاً فلاجل ذلك قال: "وهو على ما يشاء قدير"، وجاء في الحديث القدسي: «ولكني على ما أشاء قدير»^(١)، فهو على ما يشاء قدير وهو على كل شيء قدير جميعاً، وهو على ما يشاء قدير كما دلَّ الحديث وكما دلَّ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾^(٢) وهو أيضاً على كل شيء قدير، أي أن الأشياء التي شاءها هو قادر على ألا تكون، ولهذا قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾^(٣) يعني أن الله قادر على أن لا يفعلوا ما فعلوه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾^(٤) إلى غير ذلك ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾^(٥) إلى غير ذلك من النصوص الدالة على أنه تعالى على كل شيء قدير.

والقرآن كلام الله تكلم به؛ ليس بمخلوق، فمن زعم أن القرآن مخلوق؛ فهو جهمي كافر، ومن زعم أن القرآن كلام الله ووقف؛ ولم يقل: ليس بمخلوق؛ فهو أكفر من الأول وأخبت قولاً، ومن زعم أن ألفاظنا بالقرآن وتلاوتنا له مخلوقة؛ والقرآن كلام الله فهو جهمي خبيث مبتدع، ومن لم يكفر هؤلاء القوم والجهمية كلهم فهو مثلهم.

وكلم الله موسى تكليماً منه إليه، وناوله التوراة من يده إلى يده، ولم ينزل الله عز وجل متكلماً عالماً، فتبارك الله أحسن الخالقين.

(١) صحيح. مسند أحمد (٣٨٩٩)، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تحقيق المسند.

(٢) الشورى: ٢٩.

(٣) الأنعام: ١١٢.

(٤) محمد: ٤.

(٥) الأنعام: ١١٢.



.....

ذَكَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَا يَتَعَلَّقُ بِكَلَامِ اللَّهِ، وَهَذَا الْمَوْضُوعِ الْعَظِيمِ مِنَ الْمَوْضُوعَاتِ الَّتِي صَمَدُ أَهْلِ السُّنَّةِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ صَمُودًا كَبِيرًا أَمَامَ مَقُولَةِ كَفْرِيَّةِ هَائِلَةٍ أَرَادَ الْمُعْتَزِلَةَ وَالْجَهْمِيَّةَ أَنْ يَفْشُوها فِي الْأُمَّةِ، وَاسْتَعَانُوا بِالسُّلْطَةِ وَالْقُوَّةِ فِي زَمَنِ بَنِي الْعَبَّاسِ، حَيْثُ اسْتَوْلُوا عَلَى عَقْلِ الْمَأْمُونِ وَالْمُعْتَصِمِ وَالْوَائِقِ، وَقَالَ هَؤُلَاءِ الْخُلَفَاءُ الثَّلَاثَةُ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ بِمَقُولَتِهِمْ، وَإِلَّا فَالْأَصْلُ أَنَّ بَنِي الْعَبَّاسِ الْأَصْلُ فِيهِمْ أَنَّهُمْ عَلَى السُّنَّةِ، يَعْنِي اعْتِقَادَهُمْ اعْتِقَادَ أَهْلِ السُّنَّةِ، مِثْلَهُمْ مِثْلُ بَنِي أُمِيَّةٍ، لَكِنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ أَضَلَّاهُمُ الْجَهْمِيَّةُ، وَلَمْ يَكْتَفُوا بِإِضْلَالِهِمْ؛ بَلْ أَضَلُّوهُمْ وَاسْتَعْمَلُوا قُوَّتَهُمْ وَقُوَّةَ الدَّوْلَةِ لِيُجْرُوا فِي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقُولَةَ بَشْعَةِ عَظِيمَةٍ حَاصِلِهَا وَمُؤَدَاهَا أَنْ يُؤَدَّى بِالْأُمَّةِ إِلَى الْكُفْرِ الْبَوَاحِ - نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ - لِأَنَّهَا مَقُولَةٌ كَفْرِيَّةٌ كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهَا.

فَنَقُولُ: أَوَّلًا الْمَوْضُوعُ يَحْتَاجُ إِلَى بَسْطِ وَشَيْءٍ مِنَ التَّوْضِيحِ وَالتَّفْصِيلِ.

أَوَّلًا: كَلَامُ اللَّهِ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ، وَصِفَاتُ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ اللَّهِ، وَمَا دَامَتْ صِفَاتُ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ فَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ مَخْلُوقَةً! لِأَنَّ الَّذِي مِنْ أَوْصَافِ اللَّهِ لَا يَكُونُ أَنْ مَخْلُوقًا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠) أَمْوَاتٌ غَيْرٌ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (١) فَأَبْطَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عِبَادَةَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ لَوْجُودِ النِّقْصِ وَالْعَيْبِ فِيهِ؛ وَهُوَ أَنَّهُ يُخْلَقُ وَلَا يُخْلَقُ، وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ يُخْلَقُ كَمَنْ لَا يُخْلَقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٢) فَالربُّ تَعَالَى هُوَ الْخَالِقُ، وَلَيْسَ مِنَ الرَّبِّ شَيْءٌ مَخْلُوقٌ، بَلْ هُوَ الَّذِي يَخْلُقُ مَا سِوَاهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَإِذَا قِيلَ: إِنَّ صِفَاتِ اللَّهِ مَخْلُوقَةٌ فَالْمَقُولَةُ عَظِيمَةٌ جَدًّا، يَتَرْتَبُ عَلَيْهَا عَدَمُ اسْتِحْقَاقِ اللَّهِ الْعِبَادَةَ - نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ -، لِأَنَّ اللَّهَ بِمِ ابْطَلِ عِبَادَةَ مَنْ دُونِهِ؟ بِكَوْنِهِ يُخْلَقُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ (٣) كَيْفَ يُعْبَدُونَ وَهُمْ عَلَى هَذَا الْحَالِ! لَا يَخْلُقُونَ بَلْ هُمُ الَّذِينَ يُخْلَقُونَ، وَلَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَمْرَ عِبَادَتِهِ وَاسْتِحْقَاقِهِ لِلْعِبَادَةِ قَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي

(١) النحل: ٢٠، ٢١.

(٢) النحل: ١٧.

(٣) النحل: ٢٠.



﴿حَلَقَكُمْ﴾ (١) قوله تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ فيه تعليل وبيان للسبب لماذا نعبده؟ لأنه خلقنا، فالمخلوق يعبد ربه الذي خلقه، وكل شيء فهو مخلوق، والله هو الذي خلقه سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (٢).

فأراد الجهمية - أخزاهم الله - أن يقولوا: إن صفات الله مخلوقة، إذا قيل: إن من الله تعالى ما هو مخلوق! تطرق إشكال كبير، وهو أن الرب إذا كان - نسأل الله العافية والسلامة، نعوذ بالله من مقالة الكفر - إذا كان منه شيء مخلوق؛ فالمخلوق قد أبطل الله تعالى عبادته بنص قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ (٣) فكيف يعبد هؤلاء وهم يُخْلَقُونَ، فالله هو الخالق وليس من الله تعالى شيء من صفاته مخلوق، فتقول الجهمية: إن صفات الله مخلوقة! ومنها صفة الكلام! ولما كان القرآن كلام الله قالوا: إن القرآن مخلوق، هذه المقولة بلا أدنى شك وياجتماع أهل السنة كفر لا يشك فيه، ويترتب عليها ما لا يعلمه كثير من الذين لا يفقهون مدلولات الخلاف العقدي، حتى إن بعض من لا يفقه في الأزمنة الأخيرة هذه انتقدوا الإمام أحمد وأئمة السنة فقالوا: عرضوا أنفسهم للسجن وللتعذيب بل وللقتل لأجل مقولة من المقولات التي كان يسعهم ألا يخوضوا فيها ويتركوا المسألة ويتركوا الخوض فيها من الأساس! نقول: هذا لأنك لا تعي ولا تفهم ولا تدري ما الذي يترتب على هذا الخلاف، مثل من يقول: الشيعة هؤلاء إخواننا وأحباؤنا ليس بيننا وبينهم خلاف! نقول: لا تدري ماذا يعني مذهب الشيعة؟ مذهب الشيعة القائم على تكفير الصحابة رضي الله عنهم؛ يترتب عليه الطعن المباشر في القرآن، لأن القرآن لم ينقله إلى الأمة إلا الصحابة، ويترتب عليه الطعن المباشر في السنة، ويترتب عليه الطعن المباشر في جميع الأحكام لأنهم هم الذين رووها، فإذا كفر من نقل القرآن؛ فإنه يطعن بالقرآن، لأن من نقله لا يقال: ليسوا ثقات! بل يقال: ليسوا من المسلمين! فلأجل ذلك يُسهل في الخلاف مع الرافضة من لا يفقه ما الذي يترتب على الخلاف معهم، ولهذا قال أبو زرعة رحمه الله: "إذا رأيت الرجل يقده بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق،

(١) البقرة: ٢١.

(٢) الزمر: ٦٢.

(٣) النحل: ٢٠.



فإن هذا القرآن إنما أداه إليك هؤلاء الشهود - يعني الصحابة - وإنما أرادوا أن يقدحوا في شهودنا ليقدحوا في ما شهدوا به وهو القرآن^(١) فيترتب عليه مثل هذا.

الخلاف العَقْدِي لا يدري كثير من الناس ما الذي يترتب على الخلاف العَقْدِي، ولهذا تجد أنه متكئ ينتقد الإمام أحمد، ينقد ابن تيمية، ينتقد ابن عبد الوهاب، ينتقد أئمة السُّنَّة، يقول: لماذا يُشددون! لأجل ذلك انظر الخذلان الذي وقع لعدد من هؤلاء الذين لا يفقهون، ولعله من مُعَجَّل عقوبة الله تعالى لهم، عدد من الذين انتقدوا الآن الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله قالوا: إن الإمام - ولا يسمونه الإمام -، يقولون: محمد بن عبد الوهاب حين تكلم عن موضوع القبور وما يقع عندها: إن ما قرره فيها فيه مبالغة! هات المبالغة ماهي؟ قالوا: ما يقع عند القبور من سؤال أهلها ودعائهم هذا خطأ وليس بصحيح ولا نُقْرَه؛ لكنه ليس بشرك! نقول: تدري ما يترتب على كلامك هذا لو كنت تفقه؟ إذا كان صرف العبادة لهذه القبور بالذبح ودعاء أهلها والطواف بهم وسؤالهم الحاجات - التي لا يسألها إلا الله عز وجل - إذا لم يكن هذا شركاً؛ ما الذي يترتب على هذا بالنسبة لجناب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ يترتب عليه أنه قاتل أبناء عمه من قريش وسفك دماءهم وهم ليسوا مشركين! لأن الذي يقع عند القبور بالذبح لها هو الذي كانت تمارسه قريش بالذبح لللات لأنه كان معظماً - كان يُلْتُ السويق للحجاج - فعظموه وعظموا قبره؛ فإذا كان الذبح لللات ليس بشرك! وإذا كان دعاء اللات ليس بشرك! فالنبي صلى الله عليه وسلم سفك دماء أناس ليسوا بمشركين!! فإذا قلت: لا؛ أولئك مشركون، لماذا هم مشركون؟ لأنهم عبدوا غير الله، وهؤلاء الذين عند القبور؛ ماذا يفعلون؟ أليسوا يذبحون لأصحاب القبور؟ أليس يجثو الواحد منهم ساجداً لصاحب القبر يسأله الجنة ويتعوذ به من النار؟ الآن حاصل هذا وقبل هذا، فأحد أمرين: إما أنهم مشركون رغم أنفك، وإما أن كفار قريش ليسوا بمشركين، وإذا كان كفار قريش ليسوا بمشركين؛ فرسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل بني عمه وسفك دماءهم واستحل أموالهم!!

والله أناس لا تفقه ولا تعي بالذي يترتب على هذا، الشرك شيء واحد، إذا صُرِفَت العبادة لعيسى أو لجبريل؛ فإنها كفر بنص القرآن قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ

(١) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ص: ٤٩).



بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١﴾ فسمى عبادة الملائكة والأنبياء كُفْرًا، والنصارى بإجماع أمة محمد صلى الله عليه وسلم كفارًا، يعبدون شجرًا أو حجرًا؟ يعبدون نبيًا كريمًا من أولي العزم عليه الصلاة والسلام؛ ومع ذلك هم كفارٌ، فإذا كان من يعبد المَلَكَ والنَّبِيَّ كافرًا؛ فكيف بمن يعبد الصالح والولي؟ هذا إذا كان وليًا، من باب أولى أن من كان يُكْفَرُ بنص القرآن بعبادته للمَلَكِ وللنَّبِيِّ؛ معلوم أنه إذا عبد رجلًا ممن دونهم أنه يكون كافرًا، فإذا كان ما يقع عند القبور من سؤال أهلها؛ وهذا والله إنه من الخذلان العظيم، ولعله انتقام من رب العالمين لأئمة السُّنَّة كالشيخ محمد حيث وقع هؤلاء المتهورون بهذه الكلمات، وهي كلمة يجب أن يُستتاب قائلها منها، إذا قال أحدٌ: إنَّ الذبح لأصحاب القبور ودعاءهم من دون الله عز وجلّ وسؤالهم الحاجات التي لا يُسألها إلا الله - كما يسألون الآن - ويسجدون لأصحاب القبور سائلين أصحاب القبور أن يشفوهم من مرضهم؛ وأن يردوا عليهم غائبهم؛ وأن ينقذوهم في القيامة من النار!! إذا كان هذا ليس بشرك؛ تطرق من هذا أن الأنبياء أنكروا ما ليس بشرك!! وأن النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاتل كفار قريش وهم ليسوا بمشركين!! ما معنى قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ (٢) ماذا يكون معنى هذه التسميات في القرآن؟ فإذا غيّر وزلزل معنى الشرك حصل خطرٌ كبير جدًّا، ولأجل ذلك انظر لما غيّر اسم المؤمن، المؤمن في الإطلاق الشرعي ليس هو الذي يُقَرُّ بوجود الله فقط! لأن هذا موجود عند كفار قريش: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ (٣)، وهو مما يُقَرُّ به اليهود والنصارى أن الله تعالى ربهم، فلما زلزل معنى الشرك قيل هذا، لما زلزل معنى الإيمان سمعنا في هذه الأزمنة من يقول: اليهود والنصارى مؤمنون! بل يقول أعداء الله: إن اليهود والنصارى من أهل الجنة! بهذه الصراحة في الوقاحة والجرأة على أحكام الله، إذا كانوا من أهل الجنة؛ جهاد الأمة باطل كله! منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح وفتوح البلدان كان خطأ، أناس والله لا تفقه ما الذي يترتب على هذه الكلمة، إذا زلزل المعنى الشرعي لهذه المصطلحات الكبار - الكفر والإيمان والنفاق والشرك -؛ لا يدرون بالذي يترتب عليه، لأنه

(١) آل عمران: ٨٠.

(٢) البينة: ١.

(٣) الزخرف: ٨٧.



لَمَا قَالُوا: إِنَّ مَا يَقَعُ عِنْدَ الْقُبُورِ لَيْسَ هُوَ شَرِكٌ مَخْرُجٌ مِنَ الْمِلَّةِ - وَإِنْ دَعَا غَيْرَ اللَّهِ -! وَحَتَّى يَكُونُوا بِمِثَابَةِ الْمُنْصَفِينَ قَالُوا: نَحْنُ نَقُولُ: هَذَا خَطَأٌ، الْعَقِيدَةُ لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ اسْمُهُ خَطَأٌ إِلَّا وَيُجَدَّدُ، خَطَأٌ هُوَ بَدْعَةٌ مِنْ بَدْعِ مَنْ هُوَ مَنْسُوبٌ لِلْإِسْلَامِ أَوْ خَطَأٌ هُوَ كُفْرٌ وَشُرْكٌ يَرْتَدُّ بِهِ الْمَرْءُ؟ أَمَا تَتَلَاَعَبُ! لَا تَتَلَاَعَبُ، لَا يَصِحُّ هَذَا الْكَلَامُ، تَقُولُ: إِنَّ هَذَا خَطَأٌ! نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ خَطَأٌ، قَدَّرَ هَذَا الْخَطَأَ، أَهْوُ بَدْعَةٌ وَصَاحِبُهَا مِنْ أَهْلِ الْبَدْعِ الْغَيْرِ مَكْفُورَةٌ كَمَا قُلْنَا؟ أَوْ بَدْعَةٌ وَصَاحِبُهَا هُوَ مِنْ أَهْلِ الْبَدْعِ الْمَكْفُورَةِ؟ فَيَأْتُونَ إِلَى الْقُبُورِ وَيَدْعُونَ أَهْلَهَا صِرَاحًا وَلَهُمْ كُتُبٌ فِيهَا دَعَاوَاتٌ، يَسْأَلُونَ أَصْحَابَ الْقُبُورِ، وَيُحْجُونَ الْقُبُورَ، هُنَاكَ كُتُبٌ تَسْمَى "حَجَّ الْمَشَاهِدِ" يُحْجُونَهَا كَمَا تَحْجُ مَكَّةُ! وَمَجْمُوعَةٌ مِنَ الدَّعَاوَاتِ يَسْأَلُونَ فِيهَا أَصْحَابَ الْقُبُورِ الْجَنَّةِ! وَأَنْ يَنْجُوهُمْ مِنَ النَّارِ! وَأَنْ يَرُدُّوا غَائِبَهُمْ! وَأَنْ يَهْدُوا قُلُوبَهُمْ! مَاذَا بَقِيَ لِلَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ؟ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ هَذَا شَرَكًا أَنْكَرَهُ الْإِمَامُ الْمَجْدِدُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ يَفْعَلُهُ الْمُشْرِكُونَ زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَاتَلَهُمْ لِأَجْلِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْأَمْرَ يَتَطَرَّقُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ لَا إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ! وَلَكِنَّ الْأَمْرَ كَمَا قَالَ اللَّهُ عِزٌّ وَجَلٌّ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾^(١)، وهؤلاء الذين شنوا الغارة على هذا الإمام المجدد رحمة الله تعالى عليه في مثل هذه الأزمنة تجدد الخذلان صريحًا وواضحًا جليًا في كتاباتهم، فشنوا الغارة على الإمام محمد بن عبد الوهاب، ثم صاروا يسهلون الكلام مع الرافضة - شاتمى أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم - وقاذفي أم المؤمنين! هكذا الضلال، وهكذا الزيف، ثم سهّلوا الأمر مع البهائيين، وهم طائفة بإجماع الأمة - وكتبوا يهنئونهم بأعيادهم - بإجماع الأمة طائفة كافرة، ليست من أهل الإسلام، يعني مثل الطائفة القاديانية لأنها طائفة جديدة قائمة على الكفر أصلاً، يفتي علماء المسلمين أنهم ليسوا أصلاً من المسلمين ولا يدخلون في عدادهم! فتسلطوا على محمد بن عبد الوهاب وسلط الله عز وجل عليهم أن يفتحوا قلوبهم للرافضة وللبهائية، ويسهلوا الأمر حتى مع العلمانيين والليبراليين، هكذا من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور، وبعضهم كما قال ابن القيم رحمه الله: "أو لا تقولوا إن ثم حزازة... وتنفس الصعداء من حزان" ^(٢)، بعض الناس عنده مسائل شخصية، فما عنده مسألة شرك ولا غيره، إنما هي مسائل جاهلية قبلية

(١) النور: ٤٠.

(٢) الكافية الشافية (ص: ٩٠).



أو متعلقة ببلدان يبغض هذا البلد أو يبغض الشيخ محمد رحمه الله تعالى أو يبغض قبيلته أو نحو ذلك؛ فقلبوا المسألة هذا القلب، ولأجل هذا كثير من كتاباتهم كتابات جاهلية، أما أن يأتي إنسان يقول: هذا الذي يقع عند القبور ليس بشرك! هذا من العظائم التي يترتب عليها أن من كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أنهم ليسوا بمشركين، ولهذا الإمام المجدد رحمه الله كتابه "كشف الشبهات" من أحسن وأفضل من يناقش به من مثل هؤلاء، حيث توسع رحمه الله تعالى في المناقشة معهم، ما معنى الشرك؟ ما معنى العبادة؟ ما الذي كان يصرفه المشركون؟ هل المنهي عنه أن تصرف هذه العبادة للأصنام وللأحجار أو ينهي أن تصرف لأي مخلوق؟ المقصود: النهي عن أن تصرف لأي مخلوق، حتى من الملائكة؟ حتى من الملائكة والأنبياء، سمي الله تعالى عبادة الملائكة والأنبياء كفرًا؛ فكيف بعبادة غيرهم؟

حاصل الأمر أن الخلاف العقدي في أحيان كثيرة لا يدري كثير من الناس بالذي يترتب عليه، ومنه الخلاف الآن مثلاً في موضوع الديمقراطية، وقبله في موضوع الاشتراكية، كثير من المسلمين جرت عليهم الاشتراكية، وصاروا يعظمون - نسأل الله العافية - حتى "لينين" و"ماركس" وأمثالهم، لا يدرون بحقيقة هؤلاء، ماذا تعرفون عنهم؟ وهم يصلون هؤلاء المسلمون - بعضهم يحدثنا بهذا بأنفسهم - يقول: نصلي ونصوم ولكننا مع المد الاشتراكي، قال: لا والله ما كنا ندري أنهم يقولون بالأشياء الإلحادية هذه، وإنما صور لنا مسائل عامة، يصور لهم ماذا؟ حقوق العمال، وأن الطوائف الكادحة المسحوقة يجب أن تأخذ حقوقها، الفقراء ونحو ذلك، فيتكلمون في هذا الجانب، ثم يقولون: مادام الأمر كذلك فالإسلام دين - هكذا قالوا - اشتراكي، لأن الإسلام أتى بحقوق العمال وحقوق الضعفاء، ويتركون الأساس الذي بُني عليه المذهب الملعون هذا وهو أنه قائم على الإلحاد، وهو الذي في كتب منظري المذهب مثل "ماركس" و"لينين" وأمثالهم؛ فيعطونك نسخة مصغرة، ومثل هذا الوثن الحاصل الآن المسمى بالديمقراطية، الديمقراطية كما قلنا عدة مرات - وفيها محاضرة مستقلة -، الديمقراطية عند الديمقراطيين أنفسهم يقولون: لا تكن إلا في جو علماني، ولهذا قلنا عدة مرات: إن الذين لا يفقهون يلعنون العلمانية ويمدحون الديمقراطية، ومنظري الديمقراطية يقولون: إن الديمقراطية لا يمكن أن تجري إلا في الجو علماني، ولهذا يقول: يجب أن تعلمن العقول والمؤسسات، تعلمن يعني يكون الطابع علمانيًا، بعد ذلك تأتي الديمقراطية، لأن الوجه الحقيقي



للديمقراطية هو العلمانية، فيأتيك من يمدح الديمقراطية، لم تمدح الديمقراطية؟ قال: لأن الإسلام فيه شورى والديمقراطية فيها انتخابات! هذا حدّ عقله ولا يدرون بالمدلولات - سواء في المذاهب الحديثة أو في الخلاف العَقْدِيّ مع الروافض ومع مثل هذه المسألة التي يقولون بخلق القرآن، نعوذ بالله أو من يقول بهذه الأمور الشركية -، الخلاف العَقْدِيّ خطير جدًّا، قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى: "تناظروا في شيء إذا أخطأ فيه أحدكم قيل له: أخطأت - وهو الفقه - ولا تناظروا في شيء إذا أخطأ فيه أحدكم قيل له: كفرت!"^(١) يقول: بعض الخلاف العَقْدِيّ كُفْرٌ، انتبهوا واحذروا، لهذا قال رحمه الله تعالى: لو أن رجلاً قال: إن دية الرجل بيضة لكان أكثر ما يقع أن يضحك منه، لأنه معلوم أن الرجل ديته ليست بيضة، يضحك الناس منه، لو أنك قسمت تركة قسمة خاطئة ردّها الناس عليك، قيل: هذه القسمة غير صحيحة، لكن هل أحد يكفرك؟ يقول: لا أحد يكفرك، يقولون: إنك لا تعرف الفقه ولا تدري، لا تدخل نفسك ولا تقحمها، الخلاف العَقْدِيّ أمره يؤول للضلال والكفر في كثير من الأحيان، فلأجل ذلك هؤلاء الذين أتوا ليكونوا في زعمهم "موضوعيين" كما يُعبّرون عن أنفسهم؛ وأناس ليسوا من ذوي الأفق الضيق مثل أحمد بن حنبل وأمثاله! يقولون: هؤلاء ضيقو أفق، جاء للمأمون وغيره يقول بخلق القرآن أو غير خلق القرآن! ما الذي يجعلك تحوض بهذا الغمار وتتعذب! هكذا يقولون في أئمة السُّنَّة! نقول: أنت لا تدري بالمدلول الخطير لهذه الكلمة الذي بيّناه الآن، إذا قيل: إن القرآن مخلوق والقرآن كلام الله فمعنى ذلك أن كلام الله - وهو صفته - مخلوق، بالتالي المخلوق لا يستحق العبادة، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾^(٢) ولهذا الخلل في جانب من التوحيد ينعكس في جانب آخر، فمن هنا قال تعالى: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾^(٣) فأنتم تعبدون من خلقكم وأوجدكم من العدم فهو يستحق أن يُعبد، فإذا قيل: ربنا منه شيء مخلوق! ما الذي يترتب عليه؟ هذا الاستحقاق للرب للعبادة! لأن المخلوق قطعاً لا يستحق العبادة، ولهذا أبطل الله تعالى في سورة النحل بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا

(١) تبين كذب المفتري (ص: ٣٤٣).

(٢) النحل: ١٧.

(٣) البقرة: ٢١.



وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴿١﴾ يعني كيف يعبدون وهم بهذا الحال؟ إذا قيل: كذلك الله صارت هذه الآية يدخل في عمومها - نعوذ بالله - رب العالمين! فلماذا وقف الإمام أحمد رحمه الله تعالى وأئمة السُّنَّة لأنهم يعلمون أن الموضوع موضوع كفر أو الإسلام، ولهذا كان الإمام أحمد لما قيل له: إن عُرِضَتْ على السيف ترجع؟ لأنَّ العرض على السيف إكراه؛ والإكراه بنص القرآن يعذر به صاحبه، يقول: لا، يقول حتى لو قتلت أنا لن أرجع؛ لأنَّ الأمر أمرٌ كفرٍ وإسلام، فإذا لم أصمد أنا وأخذتُ بالرخصة؛ فإنَّ معنى ذلك أنَّ الأمة قد ستضللُّ، ولهذا - والله الحمد والمنن - كانت عاقبة هذا الموقف العظيم كبيرة جدًّا؛ وهو أنه من أكبر فناء المعتزلة، وما رفع الإمام أحمد سيفًا ولا سفك دمًا! لكن بقوة العلم، لأنَّ أهل العلم منصورون بالسُّنَّان وبالْحجَّة والبيان، فهذه المسألة: لماذا يُعظَّمُ أهل العلم منها؟ لما ذكرته لك، لأنه يترتب عليها عدم استحقاق الرب للعبادة - نسأل الله العافية والسلامة -، أمرٌ خطيرٌ وبشعٍ للغاية أن يُقال أنَّ القرآن مخلوق، لأنَّ القرآن كلام الله، وكلام الله صفته، فإذا كان القرآن مخلوقًا فكلام الله مخلوق وهو صفته، وإذا كان من صفات الرب عز وجل شيء مخلوق؛ فكيف يُعبد الربُّ ويستحق العبادة وهو الذي يقول: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ﴾ ﴿٢﴾ يعني يقول الملحد: كذلك رب العالمين منه شيء مخلوق! فما الذي يجعل هذه الآية تسقط عبادة المخلوقين ولا تسقط عبادة الرب؟ لهذا قال الإمام أحمد إنَّ المسألة مسألة كفر أو إسلام، ولهذا أجمع أهل السُّنَّة على كُفْرٍ مَنْ قال بخلق القرآن، وحكى إجماعهم اللالكائي رحمه الله تعالى عليه والطبراني، وسرد اللالكائي رحمه الله تعالى أسماء أكثر من خمسمئة من علماء السُّنَّة في الشام وفي الحجاز وفي مصر - والعراق وخراسان وفي الثغور وساقهم رحمه الله تعالى كلهم متفقون على أن مَنْ قال: إنَّ القرآن مخلوق؛ فإنه يكون كافرًا، لأنَّهم يدركون خطورة هذه الكلمة، ولهذا نعيم بن حماد رحمه الله يقول: "احذروا قولهم إنَّ القرآن مخلوق، فإنِّي كنتُ جهميًّا وأعي معنى هذه الكلمة" ﴿٣﴾، يقول: الكلمة هذه خطيرة، يعني مسألة كفر أو إسلام، كنتُ في السابق من الجهمية فهداني الله للسُّنَّة يقول: فأنا أعي وأدري خطورة هذه الكلمة، فلاجل

(١) النحل: ٢٠.

(٢) النحل: ٢٠.

(٣) سير أعلام النبلاء (٥٩٧ / ١٠).



ذلك نصَّ علماءُ السُّنَّةِ على أن مَنْ قال: إنَّ القرآنَ مخلوقٌ؛ فإنَّه يكفر، وحكاه ابن القيم رحمه الله تعالى وذكره في النونية، فقال مبيِّنًا إجماع أهل السُّنَّةِ على كُفْرِ مَنْ قال: إنَّ القرآنَ مخلوقٌ: "ولقد تقلَّد كفرهم خمسون في عشرٍ من العلماء في البلدان" خمسون في عشرة خمسمائة "واللالكائي الإمام حكاه عنهم بل قد حكاه قبله الطبراني" (١) يقول: حكوا هذا التكفير من قِبَلِ علماء السُّنَّةِ - فيمن قال: إنَّ القرآنَ مخلوقٌ - حكوه عن هذا العدد الكبير من علماء السُّنَّةِ، ولهذا أئمة السُّنَّةِ صمدوا وصبروا ومات منهم من مات في السجن، وعُذِّب منهم من عُذِّب، وقُتِل منهم من قُتِل، وأبى كثير منهم أن يقول: إنَّ القرآنَ مخلوقٌ! لأنَّهم قالوا: إن جرت هذه المقالة في الأمة؛ فمعنى ذلك أننا سنتسبب في دخول الكفر في الأمة، ثم يأتي إنسان متكئ على أريكته لا يدري بالخلاف العقدي يقول: رحم الله الإمام أحمد! سامح الله الإمام أحمد! كان ينبغي ألا يدخل نفسه في هذا الأمر! لأنك لا تدري ما الخطر والخلل الكبير الذي سيرد على الأمة، والآن هذا الوقت - سبحان الله - وقت انتقاد السابقين، يأتي إنسان لم يُقدِّم للأمة شيئًا؛ ولو مات ما بكاه إلا أهله، ولم تدر عنه أمة محمد صلى الله عليه وسلم؛ ثم يأخذ علماء السُّنَّةِ ينتقد هذا! ويذمُّ هذا! وييدي وجهةً في هذا! أنت الآن ماذا فعلت للأمة؟ أنت وعشرة آلاف من أمثالك لا تعدُّون واحدًا من علماء السُّنَّةِ، ولو هلكتم دفعةً واحدة ما درت بكم أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ما لكم أي تأثير، ما لكم في أمة محمد صلى الله عليه وسلم أي قدم صدق، ليتها تسلم من كلامكم وتكفون عن التصريحات والكتابات، ما منكم إلا الشر - والسوء، ثم يأتي أحدُهم ينتقد الإمام أحمد وينتقد ابن تيمية وينتقد ابن عبد الوهاب وينتقد علماء السُّنَّةِ! هؤلاء رحمة الله تعالى عليهم الذين جعل الله لهم من المقام العلي في الأمة ومن التأثير الكبير، يعني انظر إلى ما حصل من موضوع الشرك وكيف اندثر - والله المن والفضل - في عدد كبير من البلدان، والذي يقول: إنَّه ما كان يوجد شرك في الجزيرة العربية! نقول: خسئت، يردُّ عليك حديث في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تقوم الساعة حتى تصطك أليات نساء دوس على ذو الخلصة، وذو الخلصة - يقول الراوي - طاغية دوس الذي كانوا يعبدونها في الجاهلية» (٢) وأعيدت عبادة ذو الخلصة، وأدرك عبادة ذي الخلصة تلاميذ الشيخ محمد في

(١) الكافية الشافية (ص: ٤٢).

(٢) صحيح البخاري (٧١١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.



الدولة السعودية الأولى ودمر منها ما دمر بالمساحي والفؤوس ثم بقيت منه بقية دمرت زمن الملك عبد العزيز رحمه الله تعالى من أكثر من مائة سنة بالديناميت؛ ولا تزال صخور ذو الخلصة موجودة إلى الآن، يقول: ما في شرك! ما في شرك والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تقوم الساعة حتى تصطك أليات نساء دوس على ذي الخلصة»^(١)!! ذو الخلصة الذي كانوا يعبدونه في الجاهلية، بم ترجم البخاري رحمه الله على هذا الحديث؟ قال: "باب تَعْيِيرِ الزمان حتى تُعبد الأوثان"^(٢) وترجم عليه ابن حبان بقوله "باب ظهور علامات الجاهلية في أهل الإسلام"^(٣) ثم يقول: ما في شرك! سبحان الله بهذه السهولة وهذا التأثير العظيم! ثم يُقال: أبدأ ما في الأمة شرك! ما في الأمة شرك؟؟ الآن بعض المزارات الموجودة في كثير من البلدان قبل الشيخ محمد بن عبد الوهاب وزمن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وإلى اليوم وهي تُزار ويُشرك بالله عندها، موجودة الآن ولها تاريخ ولها كتب، مبنية من أكثر من مئات السنين، يُذبح عندها لصاحب القبر، ويُدعى صاحب القبر، ويُسجد له، ويُطلب منه ما لا يُطلب إلا من الله ويقولون: ما في شرك! زمن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ما كان في شرك! ما في شرك والحديث في الصحيحين؟؟ وأبى الله إلا أن يجعل تدمير ذي الخلصة على يد من تقولون: إنه ليس في زمنه شرك! ثم هذا الذي صار في الأمة من انبعاث عدد كبير من أبنائها لتبني الشيوعية والإلحاد ما هو؟ هذا ليس بشرك؟ ليس بكفر؟ من الذي تبني المذاهب الإلحادية في الشرق والغرب؟ هذا من أبناء الأمة، وتبنوا هذه المقالات في الوجودية وفي الشيوعية وفي الفكر العفن الفلسفي الغربي موجود وعدد من كتبهم يدافعون عنها - نسأل الله العافية - حتى شابت شعورهم وماتوا على هذا! وهم يؤيدون وينشرون في الأمة الشيوعية، الشيوعية ليست بكفر؟ هل هناك أحد يقول: ليست بكفر؟ سبحان الله العظيم، يعني تتعجب من هؤلاء الناس، حديث ثوبان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقوم الساعة حتى يلحق حيي من أممي بالمشركين، وحتى يعبد قبائل من أممي الأوثان»^(٤) حديث صحيح، الحاصل أن إدراك الخطر في الخلاف العقدي هو الذي يجعل الإنسان يعي خطورة هذا الخلاف،

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح البخاري (٩ / ٥٨).

(٣) صحيح ابن حبان (١٥ / ١٤٩).

(٤) صحيح. أبو داود (٤٢٥٢) من حديث ثوبان رضي الله عنه مرفوعاً. صحيح الجامع (٧٨٥).



ولماذا يُؤكِّد علماءُ السُّنَّةِ هذا التأكيد؟ ولماذا يَكْفُرُونَ مَنْ قال: إنَّ القرآنَ مخلوقٌ؟ لِمَا ذكرناه لك، أما الذي يتكئ ولا يدري بحقيقة الخلاف أدخلنا عليه انتقاد أئمة السُّنَّةِ، ولهذا قال: "والقرآن كلام الله، تكلم به ليس بمخلوق، فمن زعم أن القرآن مخلوق فهو جهمي كافر" لأنَّ المقولة أصلها من الجهمية، وهذا قلنا بإجماع أهل السُّنَّةِ.

"ومن زعم أن القرآن كلام الله ووقف" وهم يسمون بالواقفة، مجموعة من الجهمية لما نصر الله عز وجل السُّنَّةَ على يد المتوكل رحمة الله تعالى عليه؛ أظهروا الورع والتقوى، قالوا: ما نقول القرآن مخلوق ولا غير مخلوق! نقف، نقول: القرآن كلام الله، هل الخلاف في كون القرآن كلام الله أو في كون هذا القرآن الذي هو كلام الله مخلوق أو غير مخلوق؟ الخلاف في هذه المسألة، فلماذا سموا بالواقفة، فتفطن لهم علماء السُّنَّةِ ولهذا قالوا: إنهم أحبُّ، لماذا؟ لأنَّ الذين قالوا: إنَّ القرآن مخلوق كُفِّرَهم ظاهرٌ وجليٌّ وقولهم اندثر، ومحا الله تعالى هذا القول - وله الحمد والمن - ولم يقل به إلا شذاذ الآفاق الذين لا يعلمون شيئاً، تجده مثلاً عند الإباضية وأضرابهم ومن لا تأثير لهم، لكن هذا القول انمحي، أتى هؤلاء بطريقة فيها نوع من التحايل، لهذا قال الإمام أحمد: الجهمية طوائف، منها من يقول: إنَّ القرآن كلام الله مخلوق، ومنهم من يقول: إنَّ القرآن كلام الله ويقف^(١)، لأنهم لما غلبوا قال: نقول: القرآن كلام الله، نقول: أنتم قبل الخلاف وبعد الخلاف تقولون: القرآن كلام الله، خلافتنا معكم هل هو مخلوق أو غير مخلوق؟ ولهذا قال: من وقف ولم يقل: ليس بمخلوق؛ فهو أكفر وأخبث من الأول قولاً، لماذا؟ لأنه يمكن أن يجري كلامه في العامة دون أن يدري، لكن وجد بعض المحدثين الذين ظنوا أن هذا من الورع، قالوا: ما ندخل في هذا الموضوع، لأنَّ أيضاً ما أدركوا، هؤلاء قال أهل العلم: إنه لا بُدَّ أن يُعلِّموا وأن يُبين لهم مدلول هذه الكلمة، ولماذا نُصِّرُ أن القرآن ليس بمخلوق؟ لا بُدَّ من النص، لأنَّ كلام الله مُنزلٌ غير مخلوق، لأنه قد لا يدري، قد يكون مهتماً مثلاً بروايته وحفظه لكن

(١) هنا كلام الشيخ - حفظه الله - كأن فيه استدراكاً على نفسه، واللفظ كما في الشريط هو: "لهذا قال الإمام أحمد: الجهمية ثلاثة طوائف، منها من يقول: إنَّ القرآن هو كلام الله، ومنهم من يقول: إنَّ القرآن كلام الله مخلوق، ومنهم من يقول: إنَّ القرآن كلام الله ويقف" ولعل الصواب هو ما أثبتناه، وهو ظاهر للمتأمل. والله أعلم.



لا يدري بالمدلول، قال: لا بُدَّ أَنْ يُعَلَّمَ وَيُعْرَفَ وَيُفْهَمَ، ولهذا بعض مَنْ كان يقول بهذه الكلمة ويرى عدم الخوض بها لما عَلَّمَ انتبه، قال: ما كنت أدري أَنَّ هذا هو مرادهم!

قال: "وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْفَاعِلَ بِالْقُرْآنِ وَتَلَاوَنًا لَهُ مَخْلُوقَةٌ؛ وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ فَهُوَ جَهْمِيٌّ خَيْثُ مَبْتَدَعٌ" الجهمية أيضًا أرادوا أَنْ يَأْتُوا إِلَى مَقُولَتِهِمْ بِطَرِيقَةٍ مَلْفُوفَةٍ، فَقَالُوا: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ لَكِنْ الْفَاعِلُ بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقَةٌ، كَلِمَةُ "اللفظ" ماذا تعني؟ أتعني معنى واحداً أو معنيين؟ معنيين، قد تعني الشيء الذي يتلفظ به وهو القرآن نفسه، وقد تعني كلامك وصوتك، فَأَتُوا مِنْ هَذِهِ الزَاوِيَةِ كَمَا أَتُوا مِنْ زَاوِيَةِ الْوَقْفِ وَالْوَرَعِ حَتَّى يَتَوَصَّلُوا بِهِ إِلَى قَوْلِهِ مِنْ جَدِيدٍ، فَقَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: هَذَا نَوْعٌ مِنَ التَّجْهِمِ ابْتِدَاعٌ، بَلْ تَقُولُ: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ مُنْزَلٌ غَيْرٌ مَخْلُوقٌ، وَكُلُّ أَحَدٍ يَعْلَمُ أَنَّ الْعَبْدَ مَخْلُوقٌ وَأَنَّ صَوْتَهُ مَخْلُوقٌ؛ لَكِنَّ الْقُرْآنَ الَّذِي يَقْرَأُهُ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، فَأَتُوا مِنْ هَذِهِ الزَاوِيَةِ فَقَالُوا: الْفَاعِلُ مَخْلُوقَةٌ، الْفَاعِلُ مَنْ أَيِّ نَاحِيَةٍ؟ الْفَاعِلُ مَصْدَرٌ، لَفْظٌ يَلْفِظُ لَفْظًا، هَلْ تَقْصِدُ الْمَتَلَفَّظَ بِهِ وَهُوَ الْقُرْآنُ أَوْ تَقْصِدُ صَوْتَكَ؟ فَلَمَّا كَانَتِ الْكَلِمَةُ مُحْتَمَلَةً نَهَى أَهْلُ الْعِلْمِ أَنْ يُفْتَحَ هَذَا الْبَابُ حَتَّى لَا يَدْخُلَ الْجَهْمِيَّةُ مِنْهُ مِنْ جَدِيدٍ، وَقَالُوا: هَذَا نَوْعٌ ابْتِدَاعٌ، هُوَ يَرِيدُ الْجَهْمِيَّةُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَى الْأُمَّةِ مِنْ زَاوِيَةٍ وَمِنْ بَابٍ آخَرَ.

ثم قال: "وَمَنْ لَمْ يَكْفُرْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ وَالْجَهْمِيَّةِ كُلِّهِمْ فَهُوَ مِثْلَهُمْ" يعني أَنَّهُ إِذَا وُضِّحَ لَهُ أَنَّ هَذَا هُوَ الْمَدْلُولُ الْخَطِيرُ وَأَبَى قَالَ: "فَإِنَّهُ يَكُونُ مِثْلَهُمْ" لَكِنَّ مِثْلًا ذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ أَنَّ مِثْلَ هَؤُلَاءِ يُعَلَّمُونَ، لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ مَا يَسْتَوْعِبُ وَلَا يَدْرِي، مِثْلًا ذَكَرْتُ قَبْلَ قَلِيلٍ عَنْ أَحَدِ حَدِثْنَا عَنِ الْإِسْتِرَاكِيَّةِ يَقُولُ: كُنَّا نَصَلِّي وَنُصُومُ ثُمَّ أَدْرَكْنَاهُمْ وَلَعْنَاهُمْ، مَا كُنَّا نَعْرِفُ الْإِسْتِرَاكِيَّةَ بِهَذَا الْوَضْعِ! كُنَّا نَصُومُ وَنَصَلِّي فِي شَبَابِنَا وَنَحْنُ نَقُولُ: إِسْتِرَاكِيَّةٌ؛ مَا نَدْرِي! فَبَعْضُ النَّاسِ قَدْ يَتَّبِعُونَ كَلَامًا أَوْ قَوْلًا وَهُوَ لَا يَدْرِي بِهِ فَلَا يُسْتَعَجَلُ عَلَيْهِ، نَقُولُ: هَذَا الْقَوْلُ وَهَذَا الْكَلَامُ وَهَذَا الْمَذْهَبُ حَاصِلُهُ كَذَا وَكَذَا؛ أَتَقُولُ بِهِ؟ بَعْضُ الْأَحْيَانِ يَرْتَعِبُ، يَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ كَيْفَ أَقُولُ مِثْلَ هَذَا الْكَلَامِ وَأَنَا مِنَ الْمُصَلِّينَ! كَيْفَ تُوَجِّهُ لِي أَصْلًا هَذَا الْكَلَامِ؟ نَقُولُ: هَذَا هُوَ الْمَذْهَبُ الَّذِي تَتَّبِعُهُ لَكِنَّكَ لَا تَدْرِي، وَهَذَا يُعَلَّمَ هَؤُلَاءِ.



ثم قال رحمه الله: "وكلم موسى تكليماً كما قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (١)" وقول الله تعالى "تكليماً" هو تأكيد بالمصدر لبيان أنه تكليم حقيقي؛ وأن الله تعالى كلمه كلاماً حقيقياً.

قوله "وناوله التوراة من يده إلى يده" جاء هذا عن بعض التابعين لكن لا يُعلم محفوظاً عن النبي صلى الله عليه وسلم (٢)، يعني هو موجود عند أهل الكتاب وجاء عن بعض التابعين وربما التابعون الحقيقة تلقوه عن أهل الكتاب، يعني حكوه عنهم، فنحن نقول: مثل هذه الأمور الأصل أنه لا يُؤخذ أمرها إلا من نص النبي صلى الله عليه وسلم، وأما كون الله عز وجل أنزل التوراة على موسى فهذا لا إشكال فيه، لكن هل ناوله إياها بيده؟ من يده إلى يده؟ هذا لا شك أنه يحتاج إلى دليل.

ثم قال: "ولم يزل الله متكلماً عالماً، فتبارك الله أحسن الخالقين" لماذا قال: "ولم يزل الله متكلماً؟" ليرد على الكلابية ومن ورثهم من الأشعرية والماتريدية ممن يقولون: إن الله تبارك وتعالى تكلم بما أراد ثم لم يتكلم! بل يقال: الله تكلم، ويتكلم بما شاء سبحانه كيف شاء ومتى شاء، وسيكلم أهل الجنة بنص القرآن، وسيكلم أهل النار بنص القرآن، ويكلم ملائكته، فيتكلم ولا يزال يتكلم بما شاء كيف شاء - سبحانه وتعالى - فتبارك الله أحسن الخالقين.

- يقول أخ: هل الماسونية وبروتوكولات صهيون أحكمت قبضتها على العالم؛ فيحذر منها وأنه يمهد للعالم لقبوله؟

إخواننا الكرام؛ العالم له رب عزيز ذو انتقام قوي قادر، تتقاصر أمام عظمتة سبحانه وتعالى هذه الدول التي تسمى عظمى، ما ينبغي المبالغة، بعض الناس الآن يبالغ مبالغة غير جيدة أبداً في تصوير قوة هؤلاء وأنهم يستطيعون، عبيد من عباد الله؛ ولا يستطيع الواحد منهم أن يحرك ساكناً إلا بإذن رب العالمين، هذه المبالغة الآن في تصوير قوة الكفار؛ وأن هؤلاء قد أحكموا قبضتهم! يا أخي والله ما أحكموا قبضتهم حتى داخل بلدانهم، فالمبالغات هذه في أمر الكفار وكون هؤلاء مما انفلت الزمام؛ وأن العالم يديره لا والله،

(١) النساء: ١٦٤.

(٢) يُنظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٢ / ٥٣٣).



العالم له رب، هو الذي يدبره سبحانه وتعالى، لكن لما تخلى الناس الآن عن القيام بما أوجب الله تبارك وتعالى سلط الله عليهم هؤلاء، فإذا رجعت الأمة الرجوع الحقيقي لربها نصرها الله، فهذه المبالغات الآن في تصوير عظمة الكفار وما هم عليه وما يمكن أن يفعلوا بالأرض وأهله! كل هذا باطل غير صحيح، وهو من الإرجاف، المرجفون قال بعض المفسرين: هم الذين يقولون: جاءكم الأعداء وجاءكم العُدَد، لا ينبغي مثل هذا الكلام، الأمة ينبغي أن يَبْتَثَّ فيها وجوب الرجوع إلى رب العالمين سبحانه وتعالى؛ وأن الله تعالى ناصر دينه، قال صلى الله عليه وسلم: «لِيَبْلُغَنَّ هَذَا الدِّينَ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ»^(١) يعني الأرض كلها، لهذا ما ينبغي هذه المبالغات وتوهيم الناس، يقال: الذي أوصل الأمة إلى هذه الحال هو كما قال تعالى: ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾^(٢) فإذا رجعت الأمة إلى ربها فإن الله ينصرها بلا شك.

- يقول: أين ذَكَرَ الإمام أحمد أنه يدعو للإمام الحاكم؛ لأنه هناك مَنْ يُشَكِّكُ في ذلك وأنه لم يصح إلا عن الفضيل بن عياض؟

هذا الذي يشكك مسكين لا يدري، هذا ثابت عن الإمام أحمد يرويه الخلال في السُّنَّةِ^(٣)، وثابت عن الإمام أحمد في رسالته للمتوكل، حتى إنه قال في رسالته للمتوكل: "رضي الله عنك" لأن بعض الناس عنده تحفظ! أنت الآن تقول: الله يرضى عليك، تقول: لا تقل: رضي الله عليك! هي واحدة، دعا للمتوكل رحمه الله لأنه أعز به السُّنَّةُ وكتابه موجود منقول، وليس هذا فقط عن الفضيل بن عياض! عن الفضيل بن عياض وعن أئمة السلف، وأعطيك هذا الخبر عن عبد الله العُمري رحمه الله - وهو من أكثر السلف قوة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان الخلفاء يتحملون منه لأنهم يعلمون صدقه - حتى إنه لما أتى بالرشيد وصار يعظه - الرشيد الخليفة العباسي وهو من أقوى خلفاء بني العباس - كان يتلقى كلامه بقوله: نعم يا عم، نعم يا عم - يعني تأدبًا واحترامًا له -، فوصل الرشيد خبرًا أن العُمري يدعو عليه! فسأل موسى - وزير الرشيد - سأل العُمري عن ذلك فقال: يُنمَى إلى أمير المؤمنين أنك تدعو عليه؛ بم استحللت ذلك؟

(١) صحيح. المستدرک (٨٣٢٦) من حديث تميم رضي الله عنه مرفوعًا، وقال الذهبي: (على شرط البخاري ومسلم).

(٢) الروم: ٤١.

(٣) السُّنَّةُ لأبي بكر بن الخلال (١/ ٨٣).



قال: "والله إني ما قلت: اللهم أنه قذى في عيوننا لا تطرفه عليه! ولكنني قلت: اللهم إن كان تسمى بالرشيد ليرشد فأرشدته، وإن كان تكنى به لغير ذلك فخذ بيده، اللهم إن له حقاً على كل مسلم لقربته لرسول الله صلى الله عليه وسلم" (١) وذكر ما كان يدعو به، يقول: ذاك الظن بك، هذا المظنون بك، ولما قال رجل لابن الشخير ادع على الحجاج؟ قال: ادع له بالصلاح (٢)؛ فإن صلاحه خير لك، وعلماء السنة ينصون في كتب العقيدة على الدعاء للحكام أن يوفقهم الله؛ وأن يسددهم؛ فيظن أنه ما ورد إلا عن الفضيل بن عياض! لأنه لا يدري بالنصوص والأخبار الكثيرة جداً عن السلف في الدعاء لهؤلاء الحكام بالتوفيق والتسديد، وكتاباتهم موجودة ومروية حتى بالسند.

- يقول: على هذه الطريقة لن ينتهي شرح الكتاب!

لننظر أنا وأنت؟ إن شاء الله، بإذن الله ينتهي بحول الله، هناك مواضع يا إخوة يحتاج إلى الإطالة فيها، وهي ما يكون فيها شبهة؛ وما يكون فيه نوع من الحاجة لربطها بالناس، لكن المواضع الأخرى نرى إن شاء الله - بيني وبينك - بإذن الله تعالى سترى الكتاب بحول الله ينتهي إن شاء الله.

- يقول: كنت من المحافظين يومياً على القيام، وأصبت هذه الفترة بفتور!

يقول صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو: «يا عبد الله؛ لا تكن مثل فلان! كان يقوم الليل فترك قيام الليل!» (٣) فالذي قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا الرجل أقوله لك، لا تكن هكذا يا أخي، ما دمت قد أكرمك الله بلذة مناجاته وقيام الليل؛ فلا تترك مثل هذا الأمر، وقيام الليل ليس أمراً عسراً، تربط المنبه على ما قبل الفجر بربع ساعة، بثلاث ساعة، بنصف ساعة؛ ما أعانك الله عليه، الناس تتفاوت في هذا ولهم أعمال، تقوم وتصلي من الليل، لو عجزت؛ الحمد لله، إذا صليت العشاء وصليت الركعتين يبدأ القيام، لو صليت بعد العشاء قبل أن تنام يسمى قياماً هذا، ففترة القيام من بعد صلاة العشاء إلى الفجر كله يسمى قياماً، فصل أول الليل ونم وقم عند الفجر.

(١) سير أعلام النبلاء بنحوه (٧/ ٣٦٣).

(٢) الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ١٩٩) والمسئول هو يزيد بن عبد الله بن الشخير.

(٣) صحيح البخاري (١١٥٢) من حديث ابن عمرو رضي الله عنه مرفوعاً.



- يقول: هل من منهج السُّنَّةِ والجماعة في الأسماء والصفات طريقة النفي وتعداد النفي في الصفات التي بها النص كما سلف عن المؤلف؟

الأصل أن النفي يكون بإجمال كقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(١)، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(٢)، لكن النفي الذي ذَكَرَهُ رحمه الله لبيان الوصف، كما قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾^(٣) فهو يذكر النفي في بيان الوصف نفسه، فنقول: هو حي لا يموت سبحانه وتعالى، قيوم لا ينام، عزيز لا يفوته أحد، هذا ما فيه إشكال، وليس هو النفي الذي تفعله المعطلة.

- يقول: ما صحة القول بأن البخاري يرى بأن ألفاظنا في القرآن مخلوقة؟

البخاري رحمه الله تعالى لم يفهم قوله من قبل الكثيرين، البخاري على نفس طريقة أهل السُّنَّةِ والجماعة رحمهم الله تعالى، وليس من القائلين بمثل هذا القول، لكنه أسيء فهم قوله، وبين ذلك بالتفصيل في كتابه "خلق الأفعال".

- يقول: هل المظاهرات ضد الحكومة نوع من الخروج المذموم شرعاً؟

إن كان الصحابة والتابعون خرجوا زمن بني أمية وزمن بني العباس فاخرج، وإن كانت لم تأت هذه الطريقة إلا من آثار التأثير بالثورة الفرنسية فلا تخرج، المظاهرات لا شك أنها غير مشروعة، لكن يأتي أمر: بعض البلدان تنص الأنظمة فيها على جواز المظاهرات تكون مباحة؟ الدين ليس ألعوبة! إذا أباحوه أبحناه؟ أحد أمرين: إما أن المظاهرات أمر بالمعروف ونهي عن المنكر فلا ننظر أباحوه أو لم يبيحوه، وإما أنها تقليد للكفار وتأس بهم وفتح باب للتشبه العظيم بهم وفوضى عارمة؛ فلو قالوا: تظاهروا! قلنا: لا يجوز أن نتظاهر ونعصيكم في هذا، بعض الناس عندهم مسألة يقول: إذا كانت الأنظمة تمنع؛ فالمظاهرات ممنوعة، وإذا كانت تُتيح؟ لو صارت الأنظمة تُتيح أن يُحرق الإنسان نفسه كما يحدث من المحتجين، قال: من أراد أن يُحرق نفسه ليظهر نوعاً من المعارضة؛ هل يفعل ذلك؟ تزهق النفس؟ أمور ما تكون ألعوبة ننظر: أباحوها

(١) الشورى: ١١.

(٢) الإخلاص: ٤.

(٣) الفرقان: ٥٨.



أو لم يبجحوها؟؟ المظاهرات إما أنها أمرٌ بالمعروف ونهيٌ عن المنكر فليس لهم أن يمنعوها، وإما أن المظاهرات تأسس للكفار ولم يكن عليه السلف الصالح رضي الله عنهم - هي وأنواع الاعتصامات، جاءت مع بعضها - الإضرابات الاعتصامات المظاهرات، تجد هذا الفكر الفرنسي في الثورة الفرنسية وفي أضرابها أنها نوع من الضغط على الحكومة، إما أنها على وجه شرعي؛ فتقبل، نقول: ننظر في فعل السلف الصالح رضي الله عنهم هل فعلوها؟ ما فعلوها، بل هذا تشبه بالكفار، ولو قال النظام: إنها تباح، لا تباح، لأن النظام إذا أباح ما لا يحل لا يصلح، مثل هذه الشبهة لا وجه لها بتاتا.

- يقول: مبايعة علي لأبي بكر في البداية والنهاية؟

نعم ثابتة في الصحيحين^(١)، ليس فقط في البداية والنهاية.

- يقول: الذين يقولون بالقتال في الفتن يقولون: من نزل عنه اجتناب القتال في الفتن من الصحابة

حوادث فردية لبعض الصحابة والكثير شاركوا!

غير صحيح، الذين اعتزلوا الفتنة من الصحابة كثير جداً رأسهم سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة وسلمة بن الأكوع وعدد غير اجتنبوها، فقول: حوادث فردية ليس بسليم، والذين رأوا القتال مع علي رضي الله عنه اجتهدوا فرأوا أن القتال مع علي هو الصواب، والذين أرادوا إنما أرادوا قتل قتلة عثمان^(٢) ولم يكن أحد لا يريد علياً من حيث هو! أو لا يريد بيعته! هذا غير موجود، لكن أرادوا قتال القتلة، وقلنا: إن القتلة انضموا إلى عسكر علي، فكان القتال أصلاً يراد به القتلة، فرأوا أن الصواب مع هؤلاء أو مع هؤلاء، وكلهم كما يقول أهل العلم: مجتهدون، منهم من أصاب فله أجران، ومنهم من أخطأ فله أجر واحد.

- يقول: سبب ظهور الفتن عزوف العلماء وطلاب العلم عن الخروج للناس والاختلاط بهم!

والله يا شيخ ما أعرف أحداً أشد اختلاطاً بالناس من العلماء، كثير من الناس يتكئ ويقول: تقصير

العلماء! بعض العلماء ماتوا وما شعبوا من أهلهم، يعني انظر في سيرة الشيخ ابن باز رحمه الله، بقاؤه مع أهله

(١) سبق تخريجه.

(٢) هذه الجملة فيها تصرف يسير لأن الجملة تركيبها متداخل من الشيخ حفظه الله.



فترة محدودة، والباقي؟ كله للناس في الدروس، وفي دار الإفتاء يأتيه للناس، وفي المسجد يتبعه الناس حتى يدخل بيته، ثم فاتح بيته رحمه الله تعالى، ثم بالكاد يجد فترات محددة للراحة هو والشيخ ابن جبرين والمشايخ الموجودين الآن، بالعكس هم من أكثر الناس من فتح أبوابه للناس، هل هم يمنعون الناس؟ صل مع الواحد منهم وتجده، كنا نذهب إلى الشيخ رحمه الله تعالى عليه في الأوقات التي ما فيها دروس ونصلي معه ونجلس بجانبه ونسأله ما نريد، نذهب معه في الطريق في سيارته إلى بيته، تقصير العلماء! ما أدري ما معنى تقصير العلماء؟؟ أناس تجاوزوا الثمانين وهم لا يزالون على رأس العمل، لا لأنهم يريدون العمل! بل يتمنون الراحة، لكنهم يأتون ويباشرون أعمالهم ثم يستقبلون الناس في بيوتهم وفي مساجدهم ويأتي إليهم الناس بدون موعد سابق، تقصير العلماء!! ماذا يراد على العلماء أن يفعلوا؟ بقي شيء واحد هو الذي يمكن أن يقال أنهم قصرُوا فيه وهو هداية القلوب، ولم يتمكنوا منها لا هم ولا غيرهم، فهم يذلون ويعظون ويؤلفون وينصحون ويقابلون الناس ويأتون إلى الناس، الكلام هذا غير صحيح.

- هل هناك علاقة بين ما يحدث في العراق والشام من إبادة وبين خروج الدجال - خاصة السياسة العالمية -؟

لا تربطوا يا إخواننا الكرام مواضع يعني أحداث مثل هذه بأشراط الساعة، هذا خلل كبير حصل من عدد من الناس، هل ندري كم بيننا وبين خروج الدجال؟ لا أحد يدري، هل لهذه الأحداث؟ أنت لو رأيت الحرب العالمية ماذا ستقول؟ الحرب العالمية اجتاحت الأرض، مات فيها أكثر من خمسين مليون إنسان، ستقول: بعدها الدجال سيأتي بسنة، أنت ما تدري، كونه يربط بين أحداث وأشراط الساعة؛ سيأتي كذا، سيخرج أجوج ومأجوج، سيخرج الدجال، سينزل المسيح، كل هذا غير صحيح، ولو رأيت ماذا فعلت التتار عام ستمئة وست وخمسين؟ أبادوا في بغداد مليون وثمانمائة ألف، وأسقطوا الخلافة العباسية بأسرها، حدث هائل وكبير جدًا، ممكن يأتي إنسان ويقول: أبداً الدجال سيخرج! هذه أمور غيبية لا يعلمها حدّها إلا رب العالمين سبحانه وتعالى.

- يقول: إذا خيف على العبد من ولي الأمر؛ هل يجوز الدعاء على هذا الولي؟



السؤال ليس بواضح، إنما إذا خاف الإنسان من أن يتسلط يسأل الله عز وجل أن يهديهم وأن يكف عنه شرهم وشر غيرهم "أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها" تشمل الجميع، فتستعيذ بالله عز وجل من الشر وأي مصدر في محله، لكن أن تدعو عليهم فهذا ليس بسليم!

- يقول: هل يأجوج ومأجوج تحت الأرض؟

لا غير صحيح، بنص القرآن على الأرض، لأنهم كانوا يؤذون الناس، ووصلهم ذو القرنين ووضع بينهم وبين الناس السد.

- يقول: هل بدعة الخوارج مكفرة أم مفسقة؟

اختلف العلماء في الخوارج، هل هم كفار أم ليسوا بكفار، من أهل العلم فمن يرى أن الخوارج يكفرون، ويستدل على هذا بنصوص مثل قول النبي عليه الصلاة والسلام: «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»^(١)، واستدلوا بأن هذا ورد حتى عن أبي أمامة - وهو صحابي رضي الله تعالى عنه وأرضاه -، وظاهر صنيع البخاري في صحيحه أنه يرجح هذا القول، قال: "باب قتال المحاربين وأهل الردة"^(٢) ثم أورد أحاديث الخوارج في هذا الكتاب، لكن الصحيح الذي عليه جمهور أهل العلم - وهو الذي عليه علي رضي الله عنه الذي ابتلي بهم -، وعليه - كما يقول شيخ الإسلام - أكثر أهل العلم، أكثر أهل العلم أن الخوارج ليسوا بكفار، وإنما صار عندهم تنطع وزيادة، وأما شيخنا الشيخ ابن باز رحمه الله فكان يرى كفرهم، وحصل أكثر من مناقشة معه رحمه الله تعالى، وكان يستدل بقول النبي عليه الصلاة والسلام «قتيلهم شر قتيل تحت أديم السماء»^(٣)، والحديث الحقيقة شديد للغاية، أديم السماء تحتها عدد من القتلى من الكفار، من كفار اليهود والنصارى والملاحدة والوثنيين، فقول النبي صلى الله عليه وسلم "شر قتيل" يقول الشيخ رحمه الله: "هذا لا يقال إلا في كافر" لأن تحت أديم السماء قتلى من الكفار، فكان يرجح رحمه الله تعالى هذا

(١) صحيح البخاري (٣٦١٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) لم أعر على هذا التوبيخ بلفظه! ولكن لعل الشيخ - حفظه الله - أراد "باب قتل الخوارج والملحد بعد إقامة الحجة عليهم". صحيح البخاري (٩/١٦).

(٣) صحيح الترمذي (٣٠٠٠) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً. صحيح وضعيف الترمذي (٣٠٠٠).



القول، وهكذا يستدل بقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ»^(١)، لأنَّ الذي يَمْرُقُ يمكن أن يعود، لكن في الحديث «ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ» قال: هذا يدلُّ على أنَّهم يخرجون من الملة، هو يرجح هذا رحمه الله تعالى، هو قول قوي بالمناسبة، يعني لا يُقال: قول باطل وضعيف! لا، في الحقيقة أنه قول قوي، لكنَّ الراجح بإذن الله تعالى ما ذكره شيخ الإسلام من أنَّ الأقوى - وهو الذي عليه تعامل علي بن أبي طالب رضي الله عنه معهم - أنَّ الأقوى أنهم ليسوا بكفار، لأنهم لو كانوا كفارًا لما جاز لعلي أن يتركهم، لأنهم لما ذهبوا إلى حروراء تركهم، فلو كانوا مرتدين ما ترك المرتدين، تركهم حتى قتلوا عبد الله بن خباب، فلما قتلوا عبد الله بن خباب أتى إليهم ولم يقل: أنتم كفار! قال: أعطوني قتلة عبد الله، فأبوا، قالوا - تعرف الخوارج فيهم فوضى - :كلنا قتلناه! فشنَّ الغارة رضي الله عنه وأرضاه عليهم وأبادهم إبادة عظيمة في النهروان^(٢)، فالصحيح أنهم ليسوا بكفار، لكنهم تشددوا وتنطعوا، وهذه عاقبة البعد عن العلم وفهم النصوص الفهم الغير السوي؛ وإحسان الإنسان الظن بنفسه وبعده عن العلماء؛ أن الله يسلم عليه الغلو والزيادة والمبالغة، فكان من آثار هذا ما حصل لهم - نعوذ بالله من الزيغ والخروج عن السنة - .

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

(١) صحيح البخاري (٧٥٦٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) صحيح. مصنف ابن أبي شيبة (٣٧٨٩٣)، وصحح إسناده الشيخ أكرم ضياء العمري في "عصر الخلافة الراشدة".



المجلس الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم اغفر لنا ولشيخنا وللحاضرين والسامعين وجميع المسلمين قال المؤلف رحمه الله تعالى:

والرؤيا من الله وهي حق، إذا رأى صاحبها شيئاً في منامه مما ليس هو ضغثٌ فقَصَّها على عالمٍ وصدقَ فيها وأولها العالمُ على أصل تأويلها الصحيح ولم يُحَرَّفْ؛ فالرؤيا وتأويلها يومئذ حق، وقد كانت الرؤيا من الأنبياء وحياً، فأَيُّ جاهلٍ ممن يطعن في الرؤيا ويزعم أنها ليست بشيء! وبلغني أن مَنْ قال هذا القول لا يرى الاغتسال من الاحتلام، وقد روي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أنَّ رؤيا المؤمن كلام يكلم به الرب عبده»^(١)، وقال: «الرؤيا من الله»^(٢) وبالله التوفيق.

.....

الحمد لله وصلى الله وسلم على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد ذكر رحمه الله تعالى ما يتعلق بالرؤيا، والمراد بها ما يراه المرء في منامه، وقد جاء عنه عليه الصلاة والسلام تقسيم الرؤى التي في المنام إلى ثلاثة أقسام فقال: «الرؤى ثلاث: فرؤيا من الله، ورؤيا مما يُحَدِّثُ به المرء نفسه، ورؤيا تحزين من الشيطان»^(٣).

فالرؤيا التي من الله عز وجل إذا كانت للأنبياء عليهم الصلاة والسلام فهي نوع من أنواع الوحي، لأن من أنواع الوحي الذي يوحى الله عز وجل للأنبياء أن يرى النبي رؤيا في المنام، وليست رؤيا الأنبياء مثل رؤيا غيرهم بلا أدنى شك، لأن رؤيا الأنبياء نوع من الوحي، ولهذا فإن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما رأى في المنام أنه يذبح ابنه اسماعيل: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾^(٤) بِمَ أَجَابَ

(١) ضعيف. ابن أبي عاصم (٤٨٦) من حديث عبادة رضي الله عنه مرفوعاً. ضعيف الجامع (٣٠٧٨).

(٢) صحيح البخاري (٥٧٤٧) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٣) صحيح مسلم (٢٢٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٤) الصافات: ١٠٢.



اسماعيل؟ ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾^(١)، فالنبي إذا رأى رؤيا فإنه يؤمر في الرؤيا، ورؤياه حق، يستحيل أن تكون من الشيطان، وليست من الأضغاث التي لا معنى لها، بل هي وحي من الله، الرؤيا التي يراها المؤمن في المنام إذا كانت من الله يقول صلى الله عليه وسلم: «إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المؤمن تخطأ» يعني في آخر الزمان «وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا»^(٢) لأن الرؤيا تارة تصدق وتارة لا تصدق «فأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا» من يتحدث بالصدق ويجانب الكذب هذا هو الذي رؤياه أصدق الرؤى.

أما النوع الثاني من الرؤى: فهو مما يحدث به المرء نفسه، قد يعد الإنسان العدة لسفر مثلا ويتهيأ لذلك ويكون قد اهتم لأمر السفر؛ فإذا نام رأى في المنام أنه يسافر وأنه سافر وأنه يعد العدة للسفر ونحو ذلك، فهذه من حديث النفس مما كان يحدث به المرء نفسه ثم نام فرأه.

النوع الثالث: الرؤى التي تكون من الشيطان، وهي الحلم الذي يريد الشيطان أن يحزن به المرء، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام في الرؤى: «الرؤى ثلاث» قال فيها: «رؤيا تحزين من الشيطان»^(٣) الشيطان يحرص على أن يحزن المؤمن كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٤) فهو حريص على أن يحزنه في المنام وفي اليقظة لأنه عدو، هذه الرؤيا التي من الشيطان تارة تكون للتحزين وتارة تكون تلاعبا من الشيطان، جاء في صحيح مسلم أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله؛ رأيت كأن رأسي يتدحرج وأني أتبعه، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقال: «لا يحدثن أحدكم بتلاعب الشيطان به»^(٥) وخطب بذلك عليه الصلاة والسلام، ونهى أن يتحدث المرء بتلاعب الشيطان به، فإذا رأى المرء مثل هذه الرؤى التي من الشيطان فإنه يشرع له أن لا يحدث بها؛ لأنها نوع تحزين ونوع تلاعب.

(١) الصافات: ١٠٢.

(٢) صحيح مسلم (٢٢٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) المجادلة: ١٠.

(٥) صحيح مسلم (٢٢٦٨) من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعا.



إذا عرفتَ أنَّ الرُّؤى على هذا التقسيم يبقى السؤال في طريقة التعامل معها، أخبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ الرُّؤيا التي يحبها المؤمن قال: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَجِبُ؛ فَلِيُحْمَدِ اللَّهَ وَلِيُحَدِّثَ بِهَا مَنْ أَحَبُّ» (١) يُحَدِّثُ بِرُؤْيَاهُ مَنْ أَحَبُّ مِنَ الرُّؤْيِ الطَّيِّبَةِ الْحَسَنَةِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَأَرْفَعُهُ أَنْ يَرَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ عَلَى هَيْئَتِهِ الْحَقِيقِيَّةِ، لِأَنَّ مَنْ قَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَالُ: صِفْ مَنْ رَأَيْتَهُ، فَإِذَا وَصَفَهُ الْوَصْفَ الْمَعْرُوفَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ يَكُونُ قَدْ رَأَى النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ.

النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ ثَبَتَ عَنْهُ أَنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِهِ، فَلَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِصُورَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَدًا، مَنَعَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ، لَكِنْ أَنْ يَرَى الْإِنْسَانُ أَحَدًا يَقُولُ لَهُ: إِنَّهُ هُوَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَيْسَ عَلَى صُورَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! هَذَا كَثِيرٌ، هَذَا كَثِيرٌ فِي تَلْعَبِ الشَّيْطَانِ، لَكِنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَأْتِيَ الشَّيْطَانُ فِي صُورَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ، وَلَكِنْ تَأْتِيهِ صُورَةُ شَخْصٍ آخَرَ، كَمَا يَقُولُ بَعْضُ مَنْ لَا يَفْهَمُونَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ حَلِيقُ اللَّحْيَةِ! مُسْتَحِيلٌ هَذَا، هَذَا لَيْسَ رَسُولُ اللهِ قَطْعًا، الشَّيْطَانُ يُعْبَثُ بِهِ، لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَبَتَ عَنْهُ أَنَّهُ كَثَّ اللَّحْيَةِ؛ وَكَانَ لَا يَمَسُّ مِنْ لَحْيَتِهِ شَيْئًا عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ - لَا مِنْ طَوْلِهَا وَلَا مِنْ عَرْضِهَا - عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ (٢)، فَكَوْنُهُ يَرَى شَخْصًا حَلِيقًا يَقُولُ: إِنَّهُ رَسُولُ اللهِ! فَهُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ يَتَلْعَبُ بِكَ كَمَا قَالَ بَعْضُ مَنْ كَتَبُوا وَقَالَ أَنَّهُمْ رَأَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَلِيقًا، يُقَالُ: إِنَّ صِدْقَتَ! فَإِنَّكَ لَمْ تَرَ إِلَّا شَيْطَانًا، وَإِلَّا يَسْتَحِيلُ أَنْ يَرَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا فِي هَيْئَتِهِ، وَكَانَ مَنْ يَقُولُ: إِنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَالُ لَهُ دَائِمًا: لَهُ صِفَةُ رَسُولِ اللهِ، صِفَةُ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي رَأَيْتَهُ، فَإِذَا وَصَفَهُ بِالْوَصْفِ الْمَعْرُوفِ عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ قِيلَ رَأَيْتَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنْ يَرَى رُؤْيَا حَسَنَةً طَيِّبَةً كَأَنَّهُ يَرَى أَنَّهُ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَنَحْوَ ذَلِكَ فَيُحَدِّثُ بِهَا مَنْ أَحَبُّ، أَمَا إِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ؛ وَقَلْنَا: إِنَّ الشَّيْطَانَ حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَحْزَنَ الْإِنْسَانَ وَأَنْ يَرِيهِ مَا يُنْكَدُ عَيْشَهُ وَيَجْعَلُهُ يَغْتَاطُ مِمَّا رَأَى وَيَكْثُرُ التَّفْكِيرُ - وَهُوَ الْحَمْدُ وَالْفَضْلُ وَالْمَنْ - جَاءَ الْعِلَاجُ النَّبَوِيُّ لِمِثْلِ هَذِهِ الرُّؤْيَى - وَهِيَ كَثِيرَةٌ جَدًّا - تَأْتِي النَّاسَ؛ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ هُوَ الْعَدُوُّ لَهُمُ الَّذِي يَحْزَنُهُمْ وَهُمْ مُسْتِقْظُونَ يَأْتِي وَيَحْزَنُهُمْ وَهُمْ نَائِمُونَ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ

(١) صحيح مسلم (٢٢٦١) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) انظر موسوعة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١٧١٨٦).



والسَّلَام: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ؛ فَلْيَتَفَلَّحْ عَنِ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ وَمِنْ شَرِّ مَا رَأَى، وَلْيَنْقَلِبْ عَلَى جَنْبِهِ الْآخَرَ، وَلَا يَحْدِثْ بِهَا أَحَدًا فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ»^(١) مهما كانت الرؤيا التي رأيتها، حتى لو ترى أنك تُرمى في النار! وتُضرب! وتُقتل! وأنت تُوثق بالحبال ونحو ذلك! وأنت تُرمى من على الجبال، كل هذا لا يحدث به أحدًا نهائيًا، تتعوذ بالله من الشيطان ومن شَرِّ ما رأيت، وتتفل ثلاثًا عن يسارك وإن كنت نائمًا عن جنبك الأيمن غيرٍ ونَمَّ على جنبك الأيسر، وجاء في بعض الروايات أنه يُشَرع له أن يصلي ركعتين^(٢)، فبذلك لا تضرُّه، ولهذا قال أحد الصحابة رضي الله عنه - أظنه أبو قتادة أو غيره - قال: كنت أرى الرؤيا فتمرضني - يصيبه المرض - حتى سمعتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول وذكر الحديث: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ؛ فَلْيَتَفَلَّحْ عَنِ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ وَمِنْ شَرِّ مَا رَأَى، وَلَا يَحْدِثْ بِهَا أَحَدًا فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ»^(٣)، وهذا النوع كَثُرَ في الناس، ولكن مَنْ تعامل معه التعامل السليم لم يضره كما أخبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما مَنْ عبث بهم الشيطان وأراهم أحوالًا معينة كما وقع لكثير من أهل التصوف، الرؤى عند أهل التصوف الواحد منهم يرى لَعَبَ الشَّيْطَانِ به ثم يطبق! حتى ذكر الشيخ حمود التويجري رحمه الله ونقل في كتابه "القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ" أن قومًا من هؤلاء الجهلة في الهند أو باكستان أراهم الشيطان في المنام أنهم يذبحون أبناءهم؛ فقاموا بذبح أبناءهم! قالوا: إن إبراهيم رأى في المنام أنه يذبح ابنه فذبحوا أبناءهم! هذا من عجائب الجهلة، قلنا: إن رؤيا الأنبياء وحي من الله عز وجل أما أن يريك الشيطان أنك تذبح ابنك! لا يحل ذبح الابن، كون الله يوحى لإبراهيم عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى: ﴿قَدْ صَدَّقَتِ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(٤) فهذه مقامات الأنبياء الله عليهم الصلاة والسلام، ونحو ذلك مما ذكروا عن المتصوفة الشيء الكثير من هذا، حتى ذكروا أن عبد القادر الجيلاني رأى في المنام نورًا هائلًا وقال: يا عبد القادر إني أسقطت عنك الصلاة! يقول: فقلت: احسأ يا شيطان، فقال: لقد أضللت بهذا

(١) صحيح البخاري (٣٢٩٢) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) صحيح. الترمذي (٥٠١٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا. صحيح الجامع (٣٥٣٣).

(٣) صحيح البخاري (٧٠٤٤)، وجملته: "وأنا كنت لأرى الرؤيا تمرضني" نسبتها لأبي قتادة رضي الله عنه.

(٤) الصافات: ١٠٥.



سبعين عابداً^(١)، يأتي في المنام يقول: أنتم وصلتم مرحلة وأنا ربكم سقطت عنكم الصلاة، هل يمكن هذا؟ مستحيل ما يمكن أن تسقط الصلاة عن أحد وهو يعقل، فيضلون ويظنون أن الله تعالى أبلغهم مقاماً عالياً وأن الصلاة لا تجب عليهم! ونحو ذلك من الأحوال، وهكذا تعلق كثير من الناس الآن بالرؤى بحيث يظن الواحد منهم أن هذه الرؤى التي يراها - وقد تكون من الشيطان، والغالب أنها من الشيطان - يرتبون عليها أموراً كثيرة، يترتب عليها مثلاً أن فلاناً هذا يبغضه، وأنه ينوي أن يقتله أو يضره أو نحو ذلك، ومن طريف ما وقع أن شريكاً رحمه الله تعالى رأى أحد خلفاء بني العباس بالمنام رؤيا وأتبع شريكاً وقال: ما أراني إلا قاتلك، إني رأيتك في المنام كذا وكذا، فقال: وتستباح دماء المسلمين برؤيا تراها! فهذا يقع لأناس يظنون أن الواحد منهم إذا رأى الرؤيا يتعلق بعضهم بها، وربما رتب عليها تطبيقاً لما رأى وخالف الشرع، هذا كله من الجهل العظيم، فإن الرؤيا ليست تُغَيِّرُ الشرع، بل كل رؤيا فيها أمرٌ بمخالفة الشرع أو إحلالٍ لما حرم الله؛ يُقَطِّعُ قطعاً بأنها من الشيطان، هذه من الشيطان بلا أدنى تردد.

حاصل الأمر أن الرؤى على هذا التقسيم، فالذي ذكره النبي عليه الصلاة والسلام ولا يحل أن يخرج عن ما بين النبي صلى الله عليه وسلم بشأنها، واهتم العلماء بها وبما جاء بها في الروايات، وللشيخ حمود التويجري رحمه الله تعالى كتاباً في الرؤيا وهو من أحسن ما صنف في الرؤى، واهتم بها العلماء كما قلنا وبوبوا عليها، فالبخاري رحمه الله تعالى في صحيحه - أحد الكتب الموجودة في الصحيح كتاب الرؤيا^(٢) - اهتم بها، وكان النبي عليه الصلاة والسلام إذا صلى الفجر يقول: «هل رأى أحدٌ منكم رؤيا؟»^(٣) فإن رأى أحدٌ منهم رؤيا فقصها فعبرها النبي صلى الله عليه وسلم له لكنه التعبير السليم الصحيح، وبعض من يتصدر لتعبير الرؤى لا يحسنون التعبير، وربما أيضاً زعموا للرأي أنه يبغضه فلان؛ وأن فلاناً سيفعل به كذا وكذا من الضرر، تكون رؤيا من الشيطان، فتعبير الرؤى ليس لكل أحد، ولهذا لما قيل لمالك رحمه الله تعالى في الرجل يرى الرؤيا التي يكن في تعبيرها شيء من الضرر على الرأي يُغَيِّرُ تعبيرها أو نحو ذلك؟ قال: معاذ الله^(٤)!

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ١٩٦).

(٢) الذي في صحيح البخاري (٩/ ٢٩): "كتاب التعبير".

(٣) صحيح البخاري (١٣٨٦) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه مرفوعاً.

(٤) التمهيد لابن عبد البر (١/ ٢٨٨).



لأنه تلاعب بوحى الله، لأن الرؤى يقول عليه الصلاة والسلام: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات، الرؤيا الصالحة يراها المؤمنون أو ترى له»^(١).

فحاصل الأمر أن الرؤى فيها هذه النصوص التي ضبطتها، فمن الناس من يبالغ فيها ويقلب دينه رؤى! ويجعل تصرفاته مبنية على هذه الرؤى، حتى إنه ربما خالف الشرع كما نقلنا عن المتصوفة، لأن الواحد منهم يقول: رأيت رؤيا، ومنهم من يهون من شأن الرؤى ويسخر بها ويرى أنها ليست بشيء ولا يرفع بها رأسا! وهذا أيضا مخالف بلا شك لما وردت به النصوص، النصوص التي وردت بالتفصيل الذي ذكرناه في شأن الرؤى وأقسامها وفي شأن التعامل معها؛ ومن تصدق منه الرؤيا ممن لا تصدق منه الرؤيا، ونحو ذلك قد قص الله تعالى في كتابه رؤيا صاحبي السجن ليوسف عليه الصلاة والسلام وأنه عبَّرها لهما، ورؤيا يوسف نفسه عليه الصلاة والسلام لما رأى أنه يسجد له أحد عشر كوكبا والشمس والقمر وقع تعبيرها وقال في آخر السورة ﴿يَأْتِبْتَ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ﴾^(٢)، فتأويل الرؤى ووقوعها هذا لا شك أنه علم من العلوم؛ فلا يخوض فيه أي أحد، والباب الآن منفتح بصورة عارمة وشديدة جدا لمن يعرف ولن لا يعرف، كثير من الذين يتصدرون للرؤى لا يعرفون طريقتهما، ولا يحسنون التعبير البتة، ومن أشهر من كان من السلف اشتهر بتعبير الرؤى أبو بكر رضي الله عنه وكذلك ابن سيرين، كان ابن سيرين يقول: إني لأعبر الرؤيا بالقرآن والحديث^(٣)، يعني ينظر في بعض الأحيان في ما يكون في ألفاظ الرؤيا ويعبرها باللفظة الواردة في كتاب الله أو في سنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

الحاصل أن الرؤى لها هدي ولها طريقة وسنة؛ فليست ألعيب! ولا يخوض فيها خائض، وإنما لها مدلولات حقيقية، وذكر الله تعالى أيضا رؤيا الملك الذي عبَّرها يوسف عليه الصلاة والسلام، وأنه كان من آثار هذا التعبير أن سلم الناس من السنوات السبع العجاف التي ذكر الله، ونحو ذلك مما فيه هذه النصوص

(١) صحيح. مسند أحمد (٢٤٩٧٧) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعا. الإرواء (٨/١٢٩).

(٢) يوسف: ١٠٠.

(٣) لم أعثر عليه.



التي ضبطتها، لهذا قال رحمه الله: "والرؤيا من الله وهي حق" يعني النوع الأول من هذا من الله لا شك أنه حق.

"إذا رأى صاحبها شيئاً في منامه مما ليس هو ضغث" الضغث جمعه أضغاث، كما قال الله تعالى: ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾^(١) قال ابن جرير رحمه الله تعالى في الأضغاث: جمع ضغث، أصله الحزمة من الحشيش، يشبه بها، وهي الأحلام المختلطة التي لا تأويل لها، فالأضغاث أخلاط، رؤيا كاذبة لا حقيقة لها، فإذا رأى في منامه رؤيا من الله عز وجل وليست من أضغاث الأحلام هذا أولاً، ثانياً أن يقص الرؤيا على عالم لا على جاهل، لأنه إذا قصها على جاهل ربما فسرها هذا الجاهل تفسيراً غير صحيح، فإذا قصها على عالم يحسن التعبير وصدق هذا العالم فيها وأولها على أصل تأويلها الصحيح؛ لأن تعبير الرؤى قلنا إنه نوع من العلم، علم لا يخوض فيه إلا من يحسنه، ولم يحرف فالرؤيا وتأويلها حينئذ حق، تكون الرؤيا في هذه الحال ويكون التأويل المطابق للصواب حق، ومع ذلك ينبغي أن يعلم أن تعبير الرؤى قد يصيب المعبر وقد يخطأ، حتى إنه وقع لأبي بكر رضي الله عنه - وهو من أعلم الناس بالرؤى - لما رأى رجل رؤيا وقصها على النبي صلى الله عليه وسلم طلب منه صلى الله عليه وسلم أن يتولى أبو بكر نفسه التعبير؛ فأذن له عليه الصلاة والسلام ذلك، فلما عبرها أبو بكر طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يخبره أصاب أم أخطأ؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً»^(٢)، فدل على أنه حتى المعبر يمكن أن يخطئ في التعبير، ولهذا تجد الرؤيا الواحدة في بعض الأحيان يعبرها أحد المعبرين تعبيراً فلا تقع، ويعبرها آخر - ربما كان أعرف منه - فتقع كما عبر الآخر، والحاصل أن الرؤى ينبغي التوسط فيها، فالتعلق الشديد بها على النحو الحاصل من بعض الناس بحيث يجعل كل ما يقع في منامه كأنه نوع واحد! مع أن التقسيم الشرعي لها جعلها ثلاثة أقسام، والتعلق الشديد بها والخوف المبالغ فيه منها؛ وتوقع وتربص الإنسان في كل لحظة بأنه رأى تلك الرؤيا وأنها واقعة وأنه سيقع كذا وكذا! كم هي الرؤى التي رآها الناس وفيها أخطار بالغة للرأي أو أخطار

(١) يوسف: ٤٤.

(٢) صحيح البخاري (٧٠٤٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنه مرفوعاً.



كبيرة جدًا محدقة بالناس ولم تقع! كثير، كثير جدًا مما يراه الناس ولا يقع، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: «وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً»^(١) وصدق الرؤى مرتبط بصدق الحديث.

يقول: "وقد كانت الرؤى من النبيين وحي" وهذا ذكرناه، ثم قال: "وأبي جاهل أجهل ممن يطعن في الرؤيا ويزعم أنه ليست بشيء" هذا قلنا الصنف المعاكس المقابل الذي يزعم أن الرؤيا ليست بشيء؛ وأنها هي كلها أضغاث أحلام! وهذا غلط بالغ - كما قلنا -، لأن الرؤى على التقسيم الشرعي ثلاثة أقسام، وقوله "إنها أضغاث أحلام جهل منه" من أكثر من وجه:
أولاً: أن رؤيا الأنبياء وحي فلا يقال في رؤيا الأنبياء هذا.

الأمر الثاني: أن هذه العبارة "أضغاث أحلام" قلها الناس للملك - كما في سورة يوسف - لما قال لما ذكر أنه يرى في المنام ﴿سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعَ عِجَافٍ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ - وَأُخْرَى يُابِسَاتٍ﴾^(٢) سألهم تعبيرها فقالوا: أضغاث أحلام! لما عبرها يوسف عليه الصلاة والسلام عبرها تعبيراً سلم الله تعالى به الناس من الضرر الذي كان سيحيط بهم من السنين السبع العجاف، فليست أضغاث أحلام على كل حال، وليست حقاً على كل حال، وليست من الشيطان على كل حال، بل هي على التقسيم الذي ذكرناه، تارة تكون هكذا، وتارة تكون هكذا، وتارة تكون هكذا.

ثم قال: "وبلغني أن من قال هذا القول" يعني أن الرؤيا ليست بشيء - لا يرى الاغتسال من الاحتلام، شذوذات الأقوال لدى الفرق الضالة كثيرة، ولا يستغرب الحقيقة من الأقوال الشاذة عند الرافضة أو عند الجهمية أو المعتزلة، لأن شذوذهم في العقيدة ظاهر جلي، ومخالفتهم الصريحة لاعتقاد أهل الحق بين، كونهم يخالفون في مسائل أخرى من المسائل الفقهية ليس بغريب عليهم، ولهذا قال: "إن الاغتسال لا يجب من الاحتلام"! لأنه إذا احتلم ورأى المنى في ثيابه؛ فإنه لا يلزمه الغسل، هذا قول مخالف مخالفة تامة للنصوص، ولما لعله محل إجماع عند المسلمين، فإذا رأى الإنسان أثر المنى فإنه يلزمه أن يغتسل، حتى لو لم يتذكر الرؤيا، وإذا رأى رؤيا ولم ير من آثار ذلك خروج المنى فإنه لا يلزمه، لأن النبي صلى الله

(١) سبق تخريجه.

(٢) يوسف: ٤٣.



عليه وسلّم يقول: «الماء من الماء»^(١) يُغتسل من المني بالماء إذا رُوِيَ المني، أما أن يحتلم ويرى ما يستوجب الاغتسال من آثار المني ثم لا يغتسل ويقول: هذا مجرد حلم لا أساس له! هذا معناه أنه يصلي بلا طهارة - نسأل الله العافية والسلامة - كما قلنا هؤلاء الفرق الضالة من مثل آراء عمرو بن عبيد وآراء واصل بن عطاء وآراء الروافض غريبة جداً في مسائل الفقه، تجد لهم أقوالاً غاية في البعد والسوء، لكن مع ذلك يقال: ما هم فيه من ضلال الاعتقاد أعظم، فليست المسألة فقط مقصورة على هذا، لكن الداء الأعظم في ضلالهم العقدي - نسأل الله العافية والسلامة -.

أما ما جاء في الحديث أن «رؤيا المؤمن كلام يكلم به الربُّ عبده»^(٢) هذا اللفظ ضعّفه الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في الفتح، وفي سنده عند الطبراني من لا يُعرف، فالظاهر أنه لا يثبت عن النبيّ صلى الله عليه وسلّم.

ومن السنّة الواضحة اليّنة الثابتة المعروفة؛ ذكُرَ محاسن أصحاب رسول الله كلهم أجمعين، والكفّ عن ذكر مساوئهم التي شجرت بينهم، فمن سب أصحاب رسول الله، أو أحداً منهم، أو تنقّصه، أو طعن عليهم، أو عرّض بعيبيهم، أو عاب أحداً منهم بقليل أو كثير أو دقّ أو جلّ مما يتطرق به إلى الوقعة في أحد منهم؛ فهو مبتدعٌ رافضيٌّ خبيثٌ مخالفٌ لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، بل حُبُّهم سنّة، والدعاء لهم قُرْبَة، والافتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة.

وخيرُ الأمة بعد النبيّ أبو بكر، وخيرهم بعد أبي بكر عمر، وخيرهم بعد عمر عثمان، وقال قوم من أهل العلم وأهل السنّة: وخيرهم بعد عثمان علي، ووقف قوم على عثمان، وهم خلفاء راشدون مهديّون، ثم أصحاب رسول الله بعد هؤلاء الأربعة خيرُ الناس، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم، ولا أن يطعن في واحد منهم بعيب ولا نقص ولا وقعة؛ فمن فعّل ذلك فالواجب على السلطان تأديبه وعقوبته، ليس له

(١) صحيح مسلم (٣٤٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) سبق تخريجه.



أَنْ يَعْفَوْ عَنْهُ، بَلْ يَعَاقِبُهُ ثُمَّ يَسْتَتِيهِ؛ فَإِنْ تَابَ قُبِلَ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَتُبْ أَعَادَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ، ثُمَّ خَلَدَهُ الْحَبْسَ حَتَّى يَتُوبَ وَيَرِاجِعَ، فَهَذَا السُّنَّةُ فِي أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

.....

ذكر هذا الأمر العظيم المتعلق بالصحابة رضي الله عنهم والاعتقاد فيهم، ولاحظ أنه قال: "ومن السنة" ينبغي أن يعرف أن كلمة السنة إذا أطلقها علماء العقيدة؛ فإنهم لا يعنون بالسنة المعنى الشائع عند علماء أصول الفقه، لأن السنة عند علماء أصول الفقه هي ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه، أما إذا قلنا في العقيدة: السنة كذا؛ فمعناه الاعتقاد الحق الذي من خالفه فهو مبتدع، ولهذا الإمام أحمد وغيره كانوا يقولون: السنة عندنا ثم يبدؤون في ذكر أمور الاعتقاد من القدر والصفات ونحوها، فقوله "من السنة" أي العقيدة التي إذا خالف فيها المرء فإنه يكون مبتدعاً، وهي عقيدة واضحة بيّنة ثابتة معروفة، هكذا وصفها، يعني أنها على هذا النحو من الجلاء والوضوح.

"ذكر محاسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم أجمعين، والكف عن ذكر مساوئهم والذي شجر بينهم" هذا الموضوع يحتاج إلى شيء من الإطالة والتبيين وبسط الأمر، لأن ثمة خطراً كبيراً يتطرق إلى الاعتقاد تشنه الرافضة ويشنه مجموعة ينبغي أن نعلم أنهم من المرتزقة، واعلم أن الرافضة منذ أمد بعيد يشتركون ذم أناس ينتسبون للسنة فيكونون في وسط السنة كأنهم من أهل السنة وهم قد اشترت ذمهم وصاروا يتحدثون بالشبه عن الصحابة رضي الله عنهم؛ ولا يظهر منهم أنهم رافضة في الظاهر عند العامة! ولكن سيأتينا إن شاء الله تعالى أن من سلك هذا المسلك فإنه يعد رافضياً - في التعريف الشرعي -، وقد ذكر شيخ الإسلام أن سبط ابن الجوزي - ليس الحافظ نفسه ابن الجوزي المعروف - ولكن ذكر أن سبطه كان يصانع الفرق، يعني كان يكتب كتابات للفرق وكان يصانع الرافضة، المصانعة تدل على نوع من المداهنة، والمداهن يريد شيئاً، ولهذا ذكر الشعبي رحمه الله قال: لو أرادت أن يملأ الخشبية - يعني الرافضة - بيتي ذهباً وفضة لفعلوا؛ على أن أكذب على علي^(١)، لأنهم يريدون أحداً أن يكذب على علي ويقول: قال علي رضي الله عنه كذا! ويؤسس لكلامهم الباطل، يقول: يملؤون بيتي ذهباً وفضة، ولا يزال إلى الآن عملاء

(١) السنة لعبد الله بن أحمد (٢/ ٥٥٠).



الروافض إلى يومك هذا يُظهرون أنهم من أهل السُّنَّةِ ويقولون بنفس قول الرافضة؛ فيجري خطرهم على عوام المسلمين أكثر من خطر الرافضة، وتتطرق الشُّبُهَة إلى عامة أهل السُّنَّةِ أكثر من تطرقها إلى الرافضة، ولهذا تجد أن الرافضة يُثنون على أشخاص معينين ويمدحونهم، بل يقولون: إن هؤلاء كأنهم شيعة، وصدقوا، أما في هذا فصدقوا، لأنهم يردُّون الشبه التي تريد الشيعة أن ترداد في أوساك أهل السُّنَّةِ لكن يكونون كأنهم منّا؛ وكأنهم يتحدثون حديث طالب العلم الذي ربما يُظهر أنه منصف؛ وأنه إنما يريد الحق؛ وإنما حرصه ودأبه على السُّنَّةِ؛ وربما نقض الرافضة من باب المصانعة واللعب وذر الرماد في العيون وكأنه ليس برافضي، لهذا لا بُدَّ من البحث في الحقيقة لهذا الموضوع الخطير جداً، والتبيين له بجملة من المسائل التي تُبين وتوضح، حتى نصل في نهاية المطاف إلى الحكم فيمن تعرَّض للصحابة رضي الله تعالى عنهم بالتفصيل.

أول فقرة ينبغي أن تُذكر هي تعريف الصحابي، الصحابي تعريفه - الذي عليه جماهير أهل العلم من أهل الفقه والأصول والاعتقاد - : أن الصحابي هو من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به ومات على ذلك، من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به ومات على ذلك، قولنا: من لقي النبي صلى الله عليه وسلم يُخْرِجُ مَنْ لَمْ يَلِقَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَشْرَفْ بِالْمَجِيءِ إِلَيْهِ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِ وَلِقْيَاهُ - وَإِنْ كَانَ مُعَاوِرًا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، يعني قد يُسَلِّمُ الواحد في البادية ولا يُقَدِّمُ على النبي عليه الصلاة والسلام فلا تثبت له الصحبة في مثل هذه الحال لأنه لم يلق النبي صلى الله عليه وسلم، ولقياه للنبي سواء أكانت برؤية بأن يراه ولو بأدنى وقت أو إذا كان أعمى بأن يكون حاضراً - كما كان من كان مكفوفاً من الصحابة رضي الله عنهم فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم بعينه - ، المهم أن يكون لقي النبي صلى الله عليه وسلم، مؤمناً به: هذا القيد الثاني، لأنه قد يلقى النبي صلى الله عليه وسلم أناس ليسوا بمؤمنين كاليهود أو كفار العرب من كفار قريش وغيرها فهؤلاء لا يسمون صحابة، ليسوا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وأيضاً يخرج بهذا القيد يخرج المنافقين، المنافق في الواقع ليس من الصحابة حتى لو قيل: إنه مسلم في الظاهر؛ وأطلق عليه اسم صحبة في الظاهر! فإنه لما أطلق عليه اسم الإسلام؛ والصحابي هو من لقي النبي صلى الله عليه وسلم رُتِبَ على هذا بحسب الظاهر أنه من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لكن في الواقع ليس من الصحابة لأنه كافر، المنافق النفاق الأكبر هو عند الله كافر لأن الله مطلع على قلبه،



لكن في الدنيا يُعامل بأحكام المسلمين، يتزوج المسلمة، ويرث أخاه المسلم، يرث المسلم - وإن لم يكن على دينه بحسب الظاهر -، يدفن مع المسلمين، يُصلى عليه، يغسل، لأنه مسلم في الظاهر، أما عند الله عز وجل فإنه كافر، المنافق حقيقته كُفْرٌ، لكن رب العالمين أمرنا أن نتعامل بحسب الظاهر، بل عاملهم النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه بحسب الظاهر، فإذا وجدت في الحديث أن أناساً من أصحاب رسول الله كان فيهم نفاق فالمقصود أنه لما حُكِمَ لهم بالإسلام حُكِمَ لهم بالصحة تبعاً لذلك، لكن في الظاهر، ومن أهم الأدلة في الحقيقة التي تدل على أن المنافقين ليسوا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن تستحضر - هاتين الآيتين، يقول عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ (١) فحُكِمَ الله أن المؤمنين حقاً هم المهاجرون والأنصار، المنافق إذا تاب يقول عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢) إذا تاب المنافق زمن النبي صلى الله عليه وسلم من نفاقه فإنه يكون مع المؤمنين، من هم المؤمنون؟ المؤمنون بينهم الله عز وجل بقوله في المهاجرين والأنصار: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ (٣)، فالمهاجرون والأنصار - بنص القرآن - هم المؤمنون حقاً، والمنافق إذا تاب يكون مع المؤمنين حقاً، فدل على أنه قبل أن يتوب كان ليس مع المؤمنين، وبالتالي ليس معدوداً في الصحابة، فإذا جمعت الآيتين هاتين عرفت أن المنافق لا يستحق أن يُوصف بالصحة إلا في الظاهر، كما أنه يُوصف بالإسلام في الظاهر، أما حقيقة الصحة فهي من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به، ومات على ذلك بأن يثبت، أما لو ارتد كما حصل للمرتدين فإنهم لا يُعدون من الصحابة، لا بد أن يموت على الإسلام وأن لا يرتد، فهو لاء كما نص أهل العلم الذين شرفوا برؤية النبي صلى الله عليه وسلم ولو أدنى وقت ولو ساعة أو أقل من الساعة، هؤلاء أفضل الأمة على الإطلاق، حتى قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: "إن من رأى النبي أدنى رؤية أفضل من الجيل الذي يأتي بعده من التابعين؛ ولو لقوا الله عز وجل بكل الأعمال الصالحة"،

(١) الأنفال: ٧٤.

(٢) النساء: ١٤٥، ١٤٦.

(٣) الأنفال: ٧٤.



لأنَّ مَنْ شَرَّفَهُ اللهُ تَعَالَى بِصَحْبَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ شَرَّفَهُ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ، وَالصَّحَابَةُ - كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: "قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللهُ لَصَحْبَةِ نَبِيِّهِ" (١) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَعْنِي كَوْنُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعِثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ كَانُوا ذَلِكَ الْوَقْتَ الَّذِي كَانَ زَمَنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَاذَ اللهِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ اِعْتِبَاطًا! هُوَ لَآءِ اِخْتِيَارًا مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى، اخْتَارَهُمُ اللهُ لِيَشْرُفُوا بِصَحْبَةِ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: "إِنَّ اللهُ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَرَأَى قَلْبَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلَ الْقُلُوبِ، وَنَظَرَ فَرَأَى أَفْضَلَ الْقُلُوبِ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ؛ فَأَوْلَئِكَ قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللهُ لَصَحْبَةِ نَبِيِّهِ" (٢) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هَذَا مَعْنَى الصَّحْبَةِ، إِذَا عَرَفْتَ مَعْنَى الصَّحْبَةِ تَبَيَّنَ لَكَ بَقِيَّةُ الْكَلَامِ الْآتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، فَالصَّحَابِيُّ هُوَ مَنْ لَقِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُؤْمِنًا بِهِ وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ.

الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ الْآيَاتُ الْوَارِدَةُ عَنْهُمْ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرَةٌ جَدًّا جَدًّا، وَسَنَذَكُرُ جُمْلَةً - إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى - مِمَّا يُفِيدُ طَالِبَ الْعِلْمِ عَنْ مَوْضُوعِ الصَّحْبَةِ فِي الْقُرْآنِ، مَوْضُوعِ الصَّحْبَةِ فِي الْقُرْآنِ مَوْضُوعٌ بِالْغِ الْأَهْمِيَّةِ، وَهُوَ الْمُرْتَكِزُ الْأَكْبَرُ لِلرَّدِّ عَلَى الرَّافِضَةِ وَعَلَى كُلِّ مَنْ يَقْدَحُ فِي الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فَنَقُولُ: مِنْ أَسْمَاءِ الصَّحَابَةِ الَّتِي سَمَّاهُمْ بِهَا اللهُ تَعَالَى بِهَا الدَّالَّةُ عَلَى صِدْقِهِمْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَعَلَى إِيْمَانِهِمْ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى عَنِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ (٣) فَشَهِدَ لَهُمُ بِالْإِيْمَانِ وَأَنَّهُ إِيْمَانٌ حَقٌّ، لِذَلِكَ تَسْمِيَةُ اللهِ تَعَالَى مَنْ اِنْتَقَلَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْمِيَتِهِمُ بِالْمُهَاجِرِينَ وَقَرْنَ الْهَجْرَةَ بِالْفَقْرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ (٤) هَلِ الْفَقْرُ مَدْحٌ؟ الْفَقْرُ هَذَا أَتَاهُمْ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ تَرَكَوا دُنْيَاهُمْ لِأَجْلِ دِينِهِمْ فَصَارَ مَدْحًا فَقَالَ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ (٥) إِذَا أُخْرِجَ الْإِنْسَانُ مِنْ دِيَارِهِ وَمِنْ مَالِهِ مَاذَا يَكُونُ؟ يَكُونُ فَقِيرًا، هَذَا الْفَقْرُ أَتَاهُ لِأَنَّهُ آثَرَ دِينَهُ عَلَى دُنْيَاهُ، فَلهَذَا قَرَنَ اللهُ تَعَالَى بَيْنَ

(١) سيأتي تحريجه.

(٢) جامع بيان العلم وفضله (١١١٨).

(٣) الأنفال: ٧٤.

(٤) الحشر: ٨.

(٥) الحشر: ٨.



الفقر هنا والهجرة لأن الفقر هنا نشأ عن احتسابهم وتقديمهم دينهم على دنياهم: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ (١).

رب العالمين يعلم غيب القلوب، هذا الذي خرج من داره وماله ما مقصده؟ ما هدفه؟ أمر قلبي، لا يعلم ماذا يريد، قال تعالى: ﴿يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ (٢) فحكّم الله على قلوبهم بأن مقصدهم ابتغاء رضوان الله تعالى وفضله، ﴿وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ (٣) يعني أنهم قد أكرمهم الله بصلاح القلوب وإخلاصها، ثم إنهم نصروا دين الله عز وجل ولم يقتصروا على الإخلاص وحده، بل جاءوا للنصرة لدين الله عز وجل، فلما كانوا بالمقام الأعلى قال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (٤)، فسمى المهاجرين بالصادقين، وهذا الاسم الثالث، والصادقون من هم؟ قال الله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ (٥) فحكّم الله بأن الصادقين هم الذين ينجون في الآخرة، وحكم الله للمهاجرين بأنهم الصادقون وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (٦) والصادقون بنص القرآن هم المهاجرون، يعني المهاجرون من الصادقين، ولما قالت الأعراب: آمنا قال تعالى: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٤) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (٧)، اجمع الآيات هذه تعرف أن المهاجرين من آمن بالله ورسوله ولم يرتب وجاهدوا في سبيله وأنهم ينجون بنص القرآن في الآخرة ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ (٨) لأن الله تعالى سمي المهاجرين بالصادقين، من الأسماء التي سمي الله تعالى بها

(١) الحشر: ٨.

(٢) الحشر: ٨.

(٣) الحشر: ٨.

(٤) الحشر: ٨.

(٥) المائدة: ١١٩.

(٦) التوبة: ١١٩.

(٧) الحجرات: ١٤، ١٥.

(٨) المائدة: ١١٩.



الصحابية الأنصار، الأنصار أُطْلِقَ عَلَيْهِمْ هَذَا الْاسْمَ لِأَنَّهُمْ نَصَرُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَوْوَهُ وَأَوْوَا الْمُؤْمِنِينَ، وَرَمَتَهُمُ الْعَرَبُ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَهَذَا فِي مَعْرَكَةِ الْأَحْزَابِ دَاهَمَتِ الْعَرَبُ الْمَدِينَةَ، وَالْأَنْصَارُ قَوْمٌ لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَابَةٌ نَسَبٌ لِأَنَّ الْأَنْصَارَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ لَيْسُوا مِنْ قَرَيْشٍ، لَكِنَّ اللَّهَ مَنْ عَلَيْهِمْ وَأَكْرَمَهُمْ بِاتِّبَاعِ هَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ فَسَمَّاهُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِالْأَنْصَارِ، لِهَذَا فِي الْبُخَارِيِّ أَنَّ أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ هَذَا الْاسْمَ "الْأَنْصَارُ" اسْمٌ سُمِّيْتُمْ بِهِ أَمْ سَمَّاكُمْ اللَّهُ؟ قَالَ: "بَلْ سَمَّانا اللَّهُ" (١)، هَذَا الْاسْمَ سَمَّى اللَّهُ تَعَالَى بِهِ أَهْلَ الْمَدِينَةِ الَّذِينَ آوَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ تَعَالَى فِي شَأْنِ هَؤُلَاءِ الْأَنْصَارِ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيْمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (٢) يَعْنِي مِنْ قَبْلِ الْمُهَاجِرِينَ: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣) وَهَذَا الْاسْمُ الْخَامِسُ، بَيَّنَّ تَعَالَى أَنَّ الْأَنْصَارَ مُفْلِحُونَ؛ وَأَنَّ الْمُهَاجِرِينَ صَادِقُونَ، وَالْمُفْلِحُونَ بِنَصِّ الْقُرْآنِ هُمُ حِزْبُ اللَّهِ ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٤)، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي سَمَّى اللَّهُ تَعَالَى بِهَا هَؤُلَاءِ الْأَخْيَارَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ، قُلُوبُهُمْ زَكَّاهَا اللَّهُ كَمَا قُلْنَا فِي قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَتَتَّعُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ (٥) ذَكَرَهَا تَعَالَى فِي الْمُهَاجِرِينَ وَذَكَرَهَا فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِ الْحَدِيثِ، وَأَهْلِ الْحَدِيثِ كَانُوا بَايَعُوا عَامَ الْحَدِيثِ وَهُمْ أَكْثَرُ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِئَةٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ أَيْضًا: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (٦) فَعَلِمَ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الصَّدَقِ وَالْإِخْلَاصِ فَأَكْرَمَهُمْ وَكَافَاهُمْ بِإِنْزَالِ السَّكِينَةِ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمُ الْفَتْحَ الْقَرِيبَ، وَلَمَّا كَانَتْ بَعْضُ

(١) صحيح البخاري (٣٠ / ٥).

(٢) الحشر: ٩.

(٣) الحشر: ٩.

(٤) المجادلة: ٢٢.

(٥) الحشر: ٨.

(٦) الفتح: ١٨.



المواقع عسرة وصعبة قال تعالى: ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾^(١) قالوا: هي خير؛ مكنهم الله تعالى بها مع صعوبتها، أحاط الله بها وأعانهم عليها - عز اسمه.

ولما كان هؤلاء الأخيار رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم أعظم من حقق التوحيد بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال عز وجل فيهم: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾^(٢) كلمة التقوى هي "لا إله إلا الله" فكانوا أحق بـ "لا إله إلا الله"، وهم أهل "لا إله إلا الله" ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾^(٣)، ما الذي وعد الله هؤلاء الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم؟ قسم الله عز وجل الصحابة إلى قسمين اثنين:

القسم الأول: من آمن قبل الحديبية، القسم الثاني من آمن بعد الحديبية، فقال عز وجل: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا﴾^(٤) ثم قال - ويا لعظم هذه الآية وما أشدها على الرافضة وعلى عملائهم - ﴿وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾^(٥)، الحسنى هي الجنة، الجنة، ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾^(٦) أهل الفتح المقصود بالفتح الحديبية ﴿مَنْ قَبْلَ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا﴾^(٧) فأثبت الله لمن آمن قبل الفتح ولمن آمن بعد الفتح أثبت لهم الدرجة العالية التي تكون للمؤمنين، لكن من آمن قبل الفتح أعظم بدرجته، أما الدرجة فلجميع، درجة عليية عند الله عز وجل ثم قال: ﴿وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾^(٨) فهم موعودون جميعاً

(١) الفتح: ٢١.

(٢) الفتح: ٢٦.

(٣) الفتح: ٢٦.

(٤) الحديد: ١٠.

(٥) الحديد: ١٠.

(٦) الحديد: ١٠.

(٧) الحديد: ١٠.

(٨) الحديد: ١٠.



بالجنة، وقال عز وجل في أكثر من موضع عن الصحابة رضي الله عنهم: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾^(١) فأخبر برضاه تعالى عنهم وبرضاهم عنه رضي الله تعالى عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أجمعين. لأجل ذلك كانت الآيات الواردة في أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام كثيرة جداً، ومن ذلك تسمية زوجات النبي صلى الله عليه وسلم بأمهات المؤمنين: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾^(٢) ما الذي يجعل عائشة وحفصة وخديجة وصفية لا نقول: قريبة! نقول: أمَّا لك أيها المؤمن إلى قيام الساعة، الذي يجعلها أمًّا رابطة أعظم من رابطة الأمومة المعروفة، الأمومة إما أن تكون من جهة النسب أو من جهة الرضاعة، إنها جهة الإيمان، فجعل الله تعالى أمومة زوجات محمد صلى الله عليه وسلم آتية من جهة الإيمان، وهي أشرف - جهة الإيمان - من النسب ومن الرضاعة، وربط الرب عز اسمه أمومتهم برسول الله فقال: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾^(٣) ثم قال: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾^(٤)، فكما أن النبي صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنين فزوجاته صلى الله عليه وسلم أمهات للمؤمنين، النبي صلى الله عليه وسلم ليس أولى بالكافرين! وزوجاته ليست أمهات للكافرين! ولهذا قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥) لا بالكافرين، ﴿أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾^(٦) أي أمهات للمؤمنين، ولهذا لما قيل لعائشة رضي الله عنها: إن رجلاً يقول: إن عائشة ليست أُمِّي! قالت: "صدق، أنا أم للمؤمنين ولست أُمًّا للمنافقين"^(٧)، الذي يقول: عائشة ليست أُمِّي! نقول "أنت صادق، أنت أعرف بنفسك، لكن أبشر أنك لست من أهل الإيمان، لأنك لو كنت من أهل الإيمان لقلت: أُمِّي، الرابطة التي جعلت زوجات النبي صلى الله عليه وسلم أمهات هي رابطة الإيمان بنص القرآن، ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾^(٨) فالذي يقول: أنا لا أرى فلانة منهن أمًّا لي! نقول: أنت أعلم بنفسك، لكنك الآن أفصحت أنك لست من المؤمنين،

(١) التوبة: ١٠٠.

(٢) الأحزاب: ٦.

(٣) الأحزاب: ٦.

(٤) الشريعة للأجري (٥/ ٢٣٩٤).

(٥) الأحزاب: ٦.



لأن زوجات محمد أمهات للمؤمنين بنص القرآن، فمن قال: إنهن لسن أمهات لي! نقول: أنت أدرى بنفسك، ولكن قد أفصحت أنك لست من المؤمنين، وإلا لو كنت من المؤمنين لكن أمهات لك.
عند ذلك نعرف حكم سب الصحابة رضي الله عنهم، سب الصحابة على درجات خمس، ذكرها شيخ الإسلام:

الدرجة - التي هي محل إجماع عند أهل اعلم رحمهم الله تعالى - : أن تفسيق الصحابة أو الطعن فيهم جميعاً أو الطعن في أكثرهم إلا خمسة يعددها الراضية يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: إن من فسق جميع الصحابة أو كفرهم جميعاً إلا نفراً قليلاً كافر كافر أجمع عليه المسلمون، ما السبب؟ هل من كفر أحداً كفر؟ السبب في هذا أن تكفير الصحابة أو تفسيقهم تكذيب صريح للنصوص التي سمعت ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾^(١) الصادقون، المفلحون، المهاجرون، الأنصار، رضي الله عنهم ورضوا عنه، فعلم ما في قلوبهم، وكانوا أحق بها - يعني بـ "لا إله إلا الله" وكانوا أحق بها وأهلها، الذي يكون أحق بـ "لا إله إلا الله" وأهل "لا إله إلا الله" يكون كافراً؟ الذين قال الله فيهم: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾^(٢) يأتي إنسان يقول: هم الكافرون حقاً!! هذا القائل يكون مسلماً؟ لا يكون مسلماً، قال شيخ الإسلام بإجماع أهل الإسلام وبإجماع علماء أمة محمد صلى الله عليه وسلم، لأن المسألة ليست تكفيراً للشخص أو تكفيراً لدولة أو تكفيراً حتى لملايين الناس فقط! إنما المسألة في المقام الأول تكذيب للقرآن الذي ذكر هذه الأسماء العظيمة للصحابة رضي الله عنهم وفيها البرهان الجلي على إيمانهم وصدقهم عليهم رضوان الله؛ ثم يأتي ليقول: إنهم كفرون حقاً! والله يقول: ﴿هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾^(٣)، يقول: إنهم ليسوا من أهل "لا إله إلا الله"!! والله تعالى يقول: ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾^(٤)، يقول: إنهم في النار!! والله تعالى يقول: ﴿وَكَلَّا وَعَدَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾^(٥) وهي

(١) الأنفال: ٧٤.

(٢) الأنفال: ٧٤.

(٣) الأنفال: ٧٤.

(٤) الفتح: ٢٦.

(٥) الحديد: ١٠.



الجنة، يقول: قد سخط الله عليهم وغضب!! والله يقول: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾^(١) فمن قال هذا فإنه يكفر، يقول شيخ الإسلام كفرة معلوماً أجمع عليه علماء المسلمين، بل قال رحمه الله: من لم يكفر هذا الصنف فإنه يكون كافراً، لأن هذا مكذب للقرآن، يعني أرايت لو أن إنساناً قال: الصلاة ليست واجبة والخمر مباح! لا شك أن هذه المقولة كفرية، لأن الخمر محرمة بنص القرآن، والصلاة واجبة بنص القرآن، فهذا يكفر، إن كان جاهلاً لا يعي ولا يدري كحديث عهد علم؛ أما أن يكون هذا من مسلم! فيستحيل أن يكون مسلماً، فإذا قال أحد: أنا أقول: إن الصلاة واجبة لكن هذا الذي قال: إن الصلاة ليست بواجبة؛ أنا لا أكفره، هذا أمر معلوم من الدين بالضرورة، أنت لا تكفره لجهله أو لكونه يحتاج أن يعلم هذا أمر؛ ولكن أن تقول: إن مثل هذا لا يكفر! هذا كفره صريح، ومن ذلك ما قال الله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾^(٢) النصارى مكفرون بنص القرآن، فمن قال: إنهم مؤمنون! فقد حكم لكفار كفرهم الله بالإيمان! الحاصل أن هذه الصورة كفر بالإجماع.

الصورة الثانية: من أبغض الصحابة غيظاً - اغتاظ منهم - فقد نص الله تعالى أمها لا تكون إلا من الكافرين، لما قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾^(٣) إلى أن قال الله سبحانه: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾^(٤) ثم قال: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾^(٥)، قال الإمام مالك رحمه الله وتلقى هذا منه - كما قال ابن كثير - أهل العلم وقاله غير مالك وأيدوه قال: من أبغض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأغاظوه فليس له نصيب في الفيء^(٦)، لأن الفيء قال تعالى - لما ذكر الفيء -: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾^(٧) الآية ثم قال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ

(١) التوبة: ١٠٠.

(٢) المائدة: ١٧.

(٣) الفتح: ٢٩.

(٤) الفتح: ٢٩.

(٥) الفتح: ٢٩.

(٦) تفسير ابن كثير (٨ / ٧٣).

(٧) الحشر: ٧.



المُهَاجِرِينَ ﴿١﴾ هذا الصنف الأول الذي يُعطى من الفيء ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ﴿٢﴾ هذا الصنف الثاني وهم الأنصار، ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ ﴿٣﴾ بعد المهاجرين والأنصار: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ ﴿٤﴾ الآية، هؤلاء أصحاب الفيء، ثلاثة أصناف، المهاجرون والأنصار والآتون بعد المهاجرين والأنصار على هذا السَّمْت وعلى هذا الهدي يقولون: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ ﴿٥﴾ أما الذين يغتاضون منهم؛ فهم بنص القرآن هم الكفار، وما الذي يجعل المرء يغتاض من أناس تركوا ديارهم وأموالهم وقاتلوا دون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى قُتِلَ منهم عددٌ دون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفتحوا مكة مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ثم لما ارتدَّ مَنْ ارتدَّ من أجلاف العرب قاتلوهم حتى أعادوا الجزيرة العربية إلى الإسلام، ثم انطلقوا في الأمصار وأسقطوا دولة الروم وفتحوها ودخلها الإسلام، وأسقطوا دولة الفرس ودخلها الإسلام، مَنْ يغتاض من هؤلاء؟ ما يغتاض إلا كافر، ولهذا قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الأنصار لا يجبهم إلا مؤمن، ولا ييغضهم إلا منافق» ﴿٦﴾.

حاصل الأمر أن هاتين الصورتين كفرٌ بدلالة النصوص القرآنية العظيمة على كفرٍ صاحبهم، ثم ذكر شيخ الإسلام ثلاثة أحوال، منها ما لا يبلغ إلى حدِّ الكفر كأن يتعرض لأحدهم بأن يقول: إنَّه كان يجب الدنيا أو كان بخيلاً أو نحو ذلك، قال شيخ الإسلام: مثل هذا يؤدب أدباً بالغاً ولا يُكفر، لأنَّه لم يتعرض للصحابة رضي الله عنهم من حيث هم، ولكن تعرض لبعضهم يقول: هذا كان بخيلاً؛ هذا كان كذا، وعدد مسائهم، فعند ذلك لا بدُّ من تأديبه، يقول رحمه الله تعالى: به نعلم أمراً مهماً جداً؛ أن الرافضة من أبعد الناس عن الدليل العلمي، ما السبب؟ لو قيل للرافضة: أعطونا الآيات من كتاب الله عزَّ وجلَّ الدالة على

(١) الحشر: ٨.

(٢) الحشر: ٩.

(٣) الحشر: ١٠.

(٤) الحشر: ١٠.

(٥) الحشر: ١٠.

(٦) صحيح البخاري (٣٧٨٣) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه مرفوعاً.



مكانة آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، يقولون لك: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمُوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (١)، ما المراد بالقرابي؟ قربي رسول الله صلى الله عليه وسلم في قريش كلها - كما فسرها ابن عباس رضي الله عنه - (٢)، آية أخرى - وهي سورة يرددونها دائماً -: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٣) نقول: من أهل البيت؟ ما المقصود بأهل البيت؟ يقول: آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، نقول ما الدليل؟ الله ما قال أهل بيت محمد صلى الله عليه وسلم! ما الدليل؟ عند ذلك يتوقف الرافضي - ولا يستطيع الجواب، لماذا؟ لأن هذه الآية جاءت في سياق زوجات النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ﴾ (٤) هذه أول الآية ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُرَدُّنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنْتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ وَأَسْرَحُكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ (٥) ثم قال: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ (٦) ثم قال: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾ (٧) إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ (٨) ثم قال: ﴿وَاذْكُرْنَ﴾ بنون النسوة ﴿مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ (٩) فمن أهل البيت؟ أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم قطعاً، أفيهم زوجاته؟ يقولون: لا! سبحان من أعمى قلوبكم، الآيات من أولها إلى آخرها في زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، وقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ مسبقاً بذكر زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ومتبوعاً بذكرهم، ثم تقولون: آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ليس منهن زوجاته! الله يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ من أهل البيت؟ أهل بيت محمد صلى الله عليه وسلم، نعم صحيح، يدخل زوجاته؟ يقولون: لا! السياق ذكّر

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) تفسير الطبري (٢١ / ٥٢٥).

(٣) الأحزاب: ٣٣.

(٤) الأحزاب: ٢٨.

(٥) الأحزاب: ٢٨.

(٦) الأحزاب: ٣٠.

(٧) الأحزاب: ٣٢.

(٨) الأحزاب: ٣٣.

(٩) الأحزاب: ٣٤.



أصلاً في زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكيف لا يدخلن فيه! ولهذا قال قتادة - يقول في السوق -
: إن زوجات النبي - يعني يجهر بهذا - في قوله عز وجل: ﴿الْحَيْثَاتُ لِلْحَيْثِينَ وَالْحَيْثُونَ لِلْحَيْثَاتِ
وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ (١) يقول: قوله تعالى ﴿وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ نزلت في عائشة حتى
يعلم الناس أن هذا خبر أريد به في الأساس عائشة رضي الله عنها أنها طيبة لأن زوجها طيب صلى الله عليه
وسلم، وهكذا أمهات المؤمنين، فكيف تكون هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ
الْبَيْتِ﴾ (٢) كيف يخرج منها زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم والسياق فيهن!! ثم نقول للرافضة:
أنتم ما عقيدتكم في القدر؟ أليست عقيدة المعتزلة؛ وأنتم تقولون: إن إرادة الله لا تتعلق أصلاً بفعل العبد -
كما تقدم شرحه -! والله يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ وأنتم قدرية كالمعتزلة فلا
تسلم لكم الآية! لأنكم تقولون: إن إرادة الله قد لا تقع، قد لا تتحقق، فما استفدتم منها، ما استفدتم من
هذا؟ الآيات الواردة في الصحابة فيها الجزم بأنهم في الجنة، وفيها الوصف لهم بالصدق والإيمان حقاً وأنهم
المفلحون إلى غير ذلك، وفيها الوعد بأن الله تعالى رضي عنهم ورضوا عنه، فتركون جميع هذه الآيات
الصريحة وتأتون لآية نزلت في زوجات النبي صلى الله عليه وسلم فتخرجون زوجات رسول الله صلى الله
عليه وسلم منها وتريدون الاستدلال! ولذا يقول شيخ الإسلام - وهذه قاعدة في حجج الرافضة - يقول:
الرافضة سدوا على أنفسهم طرق الاستدلال، حتى إن الرافضي مع الخارجي يعجز عن أن يجيب عن الشبه
التي يقولها الخارجي في علي رضي الله عنه، لماذا؟ لأن الرافضي يطعن في أبي بكر وفي عمر وفي عثمان - رضي
الله عنهم - ثم يريد الاستدلال على فضائل علي، الفضائل الواردة لأبي بكر وعمر وعثمان تدل على أنهم
أفضل من علي، فإذا ردت النصوص الواردة في أبي بكر وعمر وعثمان لم يستطع الرافضي - أن يستدل
بالنصوص الواردة في علي، لأن النصوص الواردة في أبي بكر وعمر وعثمان أكثر وأصرح وأقوى من
النصوص الواردة في علي رضي الله عنهم أجمعين، فإذا أبى انصياعاً للنصوص الواردة في أبي بكر وعمر
وعثمان لم يستطع مع الخارجي أن يجيب على شبهه في علي، قال شيخ الإسلام: وإنما يرد على الرافضي - وعلى

(١) النور: ٢٦.

(٢) الأحزاب: ٣٣.



الخوارج أهل السنة الذين يثبتون للأربعة ولعموم الصحابة رضي الله عنهم وآل البيت فضائلهم، أما أن يأتي رافضي ليرد على خارجي يعجز، لأنه يترك الآيات الصريحة، وهكذا هنا، الآن الرافضي يريد أن يستدل بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ (١) نقول: أنت لا تستطيع أن تستدل، يستدل بها السني الذي يتولى الصحابة والقراية معاً، أما أنت فالآية أصلاً في زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وذكر آل البيت لأن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم من آل البيت عليه الصلاة والسلام، فأنت تريد أن تستدل بهذه الآية: ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ (٢) وأن تبتريها من سياقها كله وتخرج زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، فأنت لا تستطيع أن تستدل، قال شيخ الإسلام مثل الرافضة في استدلالهم على فضائل علي وقدحهم في فضائل بقية الصحابة مثل النصارى في إرادتهم إثبات نبوة عيسى ورفضهم نبوة محمد صلى الله عليها وسلم، يقول شيخ الإسلام: الأدلة الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أعظم وأصرح من الأدلة الدالة على نبوة عيسى، فلما رد النصارى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لم يتمكنوا من الاستدلال على نبوة عيسى، من يستدل على نبوة عيسى؟ المسلمون الذين يثبتون نبوة محمد ونبوة عيسى عليهما الصلاة والسلام، أما أن يأتي أحد ليرد الأدلة الأعظم والأقوى ويأتي ليستدل بالأدلة التي هي دون هذه الأدلة؛ لا يستطيع ولا يتمكن لأنه يكون متناقضاً، يقال: قد رددت من الأدلة ما هو أصرح وتريد أن تستدل بالأدلة التي هي دونها في الصراحة، وإنما يستدل على الحق أهل الحق، لأنهم يجمعون جميع النصوص، فيستدل المسلم ويرد على اليهود قدحهم في عيسى، ويستدل السني ويرد على الخوارج قدحهم في علي، لأن طريقتهم في التعامل مع الأدلة طريقة علمية ليست طريقة انتقائية! أما هؤلاء القوم فلا يحسنون طرق التعامل مع الأدلة، ويكون الواحد يريد أن يستدل بالدليل الأقل صراحة نقول: الأدلة في الصحابة رضي الله عنهم يدخل قطعاً فيها الصحابة من آل البيت كعلي والحسن والحسين والعباس وابن عباس رضي الله عنهم لأنهم شرفوا بالصحبة، فدخلوا في عموم الآيات والنصوص التي فيها فضائل الصحابة، وزادوا مزية القراية، ولو لم يكونوا مؤمنين لما كانوا صحابة، وكانوا أقارب بدون صحبة، قريب النبي صلى الله عليه وسلم في زمنه ممن

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) الأحزاب: ٣٣.



لم يؤمن به لا يسمى صحابياً! كأبي طالب، استفاد من القرابة؟ لم يستفد، فلا يستفيدون من القرابة إلا بإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فيكون صحابياً قريباً، فيكون له فضل الصحبة وفضل القرابة، ولو كانت القرابة مجردة من الصحبة يعني في زمن النبي صلى الله عليه وسلم معناه أنه ليس بمؤمن وكان قريباً للنبي صلى الله عليه وسلم لما انتفع بالقرابة، ومن هنا فإن الرافضة لا تحسن الاستدلال ولا تستطيع أن تستدل بهذه النصوص، ويرددون هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(١) وهي مما ورد في زوجات النبي صلى الله عليه وسلم مما قبلها وبعدها، ويريدون أن يخرجوا زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم منها، حتى قال بعضهم جهلتهم: إن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ما يصح أن يدخلن في آله! فقليل لهم: لما جاءت الملائكة تبشر إبراهيم عليه الصلاة والسلام بإسحاق؛ من كان في البيت؟ إبراهيم وسارة، فقط، لم يأتهم ذرية، يعني لم يأت إبراهيم ذرية من سارة وإن كان أتاه من هاجر اسماعيل، يقول تعالى - لما ذكر تبشير الملائكة لإبراهيم وزوجه -: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ (٧٢) قَالُوا اتَّعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ^(٢) من في البيت؟ إبراهيم وسارة، كيف يقال: ليست من أهل البيت؟ زوجتك!، وهل زوجتك ليست من أهل بيتك! كيف تكون زوجتك ليست من أهل بيتك! أنت الآن تقول: أنا سأذهب إلى أهلي، تزوجت الآن ما أتاك ذرية ذهبت إلى أهلي، ذهبت مع أهلي، سافرت مع أهلي، من هم أهلك؟ زوجتك، ثم إذا رزقت ذرية فإنهم أهل لك، وهكذا، ولهذا في الحديث: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم»^(٣) وفي اللفظ الآخر: «اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته»^(٤) لأنهم أهل بيته، كيف لا تكون زوجتك من أهل بيتك؟ كيف لا يكون زوجات النبي صلى الله عليه وسلم من أهل بيته؛ والآيات فيهن؟ لكن الرافضة أناس لا يحسنون التعامل مع النصوص، ولا يعرفون طرق الاستدلال العلمي الصحيح، ويبقون حائرين، يعني يأتي الخارجي - مع خبث مقولته وخسة قوله ووقاحتها - فيحير

(١) الأحراب: ٣٣.

(٢) هود: ٧٢، ٧٣.

(٣) صحيح البخاري (١٤٣٤) من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٤) صحيح البخاري (٣٣٦٩) من حديث أبي حميد رضي الله عنه مرفوعاً.



الرافضي، يأتي الأمر ردًّا، لأنه إذا أراد أن يستدل بدليل على فضيلة عليٍّ قال: أنت الآن رددت الفضائل الدالة على فضيلة أبي بكر وعمر وهي أجلى وأصرح من الفضائل الدالة على فضيلة عليٍّ، خذ هذه الآية، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ﴾ (١) الصاحب عند أهل السنة وعند الشيعة في هذه الآية بالإجماع هو أبو بكر، فكيف يقول: إنَّ أبا بكر ليس من الصحابة؟؟ قال أهل العلم: من قال: إنَّ أبا بكر ليس من الصحابة يكفر، لأنَّ الله نصَّ على أنَّ أبا بكر هو صاحبه في الغار، كيف لا يكون أبو بكر من الصحابة - والصحابي هو من لقي النبيَّ صلى الله عليه وسلم مؤمنًا - كيف لا يكون مؤمنًا؟ والله أنزل عليه السكينة كيف لا يكون مؤمنًا: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (٢) والذي يكون الله معه ومع رسوله؛ كيف لا يكون مؤمنًا؟

الحاصل أن الأدلة كثيرة جدًا الدالة على فضائل الصحابة، الضرب لمقام الصحابة رضي الله عنهم لا شك أنه يؤدي إلى فصل الأمة عن سلفها، فإذا طعن في الصحابة سيُطعن في التابعين تلقائيًا فتبقى الأمة بلا سلف، وبالتالي إذا نُشر مثل هذا في الأمة فهذا في الحقيقة إنه نوع من الإفساد في الأرض أخبث من قطع الطريق، لأنه يؤدي إلى قطع آخر الأمة عن أولها؛ فتبقى الأمة كأنها لا سلف صالح لها! ولم يكن لها خيرية في السابقين لهم! ولهذا قال الشَّعْبِيُّ رحمه الله: قيل لليهود من أفضل أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وقيل للنصارى: من أفضل أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب عيسى، وقيل للرافضة: من أشر أصحاب أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد!! (٣) فعكسوا جميع أمور الاستدلال، وخالفوا النصوص الصريحة الجلية في القرآن ومنها قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ (٤)، هذه الآية لما نزلت من كان على ظهر الأرض من المؤمنين؟ الصحابة، فهم المخاطبون بها قطعًا، جعلهم الله خير أمة على الإطلاق، قال بعض المفسرين: الآية خاصة بالصحابة، ولا يدخل فيها بقية الأمة، لأنَّ المخاطب بها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، وقال آخرون من المفسرين: الآية قطعًا في الصحابة؛ لكنَّ الأمة تدخل تبعًا، فأن تجعل أمة محمدًا صلى الله عليه وسلم خير

(١) التوبة: ٤٠.

(٢) التوبة: ٤٠.

(٣) يُنظر: شرح الطحاوية لابن أبي العزِّ (ص: ٤٧٩).

(٤) آل عمران: ١١٠.



أمة وتقول: لكن أثمر الأمة من نزلت عليهم الآية!! هذا فعلٌ من لا يفقه ولا يعي ولا يعرف الاستدلال! كيف تكون الآية؟ تجعل هذه الأمة خير أمة والمخاطبون فيها شر الأمة!! مع أننا قلنا: إن بعض المفسرين قالوا: الآية أصلاً فيها في الصحابة تحديداً ولا يدخل فيها غيرهم، لأنهم الذين خوطبوا بالآية وقت الوحي، يقول الله تعالى: ﴿كُتِّمٌ﴾ يعني يا أصحاب محمد ﴿خَيْرُ أُمَّةٍ﴾ فالآيات فيهم لا تتجاوزهم، وقال آخرون: معنى الآية فيهم قطعاً، وهم سادة الأمة وأفضلها وهم خيرها لكن تدخل الأمة تبعاً، فالخيرية لا بد أن تثبت للصحابة أولاً، والخيرية تكون للأمة تبعاً، تكون لبقية الأمة تبعاً للصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

فالأمر عظيم في أمر الصحابة، وفيه تعلم أن المسألة بين أهل السنة والرافضة مسألة كبيرة جداً ومُدوِيَّة، وليست المسألة يسيرة وسهلة كما يريد أن يسهلها أهل التميع - ما يسمون بأهل التقريب -، لا يمكن أن يكون فيها تقريب بين أهل السنة والشيعة! إلا إذا اتقى الشيعة ربهم وتركوا باطلهم وعادوا إلى الحق، أما أن يقول الرافضي: إنكم ناصبة! ما معنى الناصبة؟ تناصبون آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم العدا، نقول: خست وكذبت، لا والله ما في أهل السنة من يناصب! وليس من أهل السنة مناصبة العدا لآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، بل آل بيت النبي نذكرهم بالصلاة عليهم في كل صلاة "اللهم صل على محمد وعلى آل محمد" كيف يكون أهل السنة معادون لآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وهم الذين يذكرون فضائلهم ويُعددون مناقبهم ويجعلونهم كغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم؛ وإنما المسألة مسألة مفاضلة بما فضل الله، قال: لا ينفعك هذا حتى تعادي الصحابة! فلن توالي القرابة حتى تشتم الصحابة وتكفرهم! فأما إذا أثبت على الصحابة وعلى القرابة فأنت عدو لآل البيت! نقول: هذه خزعلاتكم وفهومكم العوجاء كما كان جهلتكم السابقون؛ فهذا فهمكم الأعوج أنتم، فأما الذي دلت عليه النصوص فهو موالاتة القرابة والصحابة جميعاً، فقولكم: لا إلا بالبراء! يعني أنكم تريدون أن تترك الأمة أكثر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، بل الأقارب للنبي صلى الله عليه وسلم - من آل بيته - محدودون كما تعلم، أما القرابة القرشية فهم أكثر، لكن إن أردت أن تحصر الأمر على من يدخلون في من تحرم عليهم الصدقة آل علي وآل عباس وآل عقيل وآل جعفر هؤلاء محدودون قطعاً، ثم هل سلم منكم أنتم أهل البيت؟ أستم تشتمون العباس وابن عباس رضي الله عنهما؟ وإن أظهرنا أنهم لا يشتمونهم، لكن في نصوص كتبهم شتم ابن عباس والقول



السيء فيه! والقول السيء في العباس! أليست زوجات النبي صلى الله عليه وسلم بنص القرآن من آل البيت بنص القرآن وأنتم تشتمون زوجات النبي صلى الله عليه وسلم؟؟ فأنتم أعداء أهل البيت، وأنتم الشاتمون لآل البيت، كما أنكم تشتمون الصحابة فإنكم تشتمون آل البيت، من قال: إن آل البيت سلموا منكم أصلاً؟ لم يسلم منكم حتى آل البيت، فالعباس وذريته من آل البيت، ذرية علي رضي الله تعالى عنه من آل البيت، وهكذا من حرمت عليهم الصدقة كآل جعفر وغيرهم، فأنتم الآن ما سلم منكم لا الصحابة ولا آل البيت حتى، حتى زعموا - أخزاهم الله - أن بعض أبناء علياً قال - وحاشاه أن يقول - : إن عمى ابن عباس عقوبة له لمخالفته لعلي!! رضي الله عن الصحابة وآل البيت أجمعين، أنتم من تشتمون العباس، وأنتم من تشتمون ابن عباس، وأنتم تشتمون زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، وجميعهم من آل البيت، فلا سلم منكم الصحابة ولا سلم منكم آل البيت، فالواجب أن نتولى الجميع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وآل بيته وأن لا يفرق بينهم، ولهذا أهل السنة يعادون الناصبة ويخالفون طريقتهم، وهم الذين ناصبوا آل البيت العداء كالخوارج الذين كفروا علياً وقتلوه، ثم كمنوا له فقتلوه، ويجهرون إلى الآن كإباضية عمان وأضرابهم إلى الآن هم يجهرون بعداء علي رضي الله تعالى عنه وعداء أيضاً عثمان، فهؤلاء هم النواصب حقاً الذين كانوا يتولون آل البيت وقد تصدروا لسب آل البيت وسب علي رضي الله عنه، أما من يترضى على علي ويذكر محاسنه ويذكر فضائله، فكيف يكون سائباً له؟ يقول: لا تكون موالياً له حتى تشتم من قبله من الصحابة! هذه فهو مكم العوجاء التي لا تعي ولا تفهم، لهذا قال رحمه الله: "ذكر محاسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم أجمعين" يعني مثل هذه الفضائل التي ذكرنا، كم عدد الذين أسلموا على يد الصحابة؟ أظنهم ألوفاً؟ لا، ملايين، ليسوا ألوفاً يا أخي، لأنهم حين فتحوا بلدًا من البلدان الذي كان وثنيًا وصار عدد كبير من أهل البلد مسلمين، ثم ذريتهم أسلموا تبعاً آبائهم، ثم ذرايرهم إلى يومك هذا، ما الذي أدخل عليهم الإسلام؟ الصحابة، والعجيب الغريب أن الذي فتح إيران هو عمر رضي الله عنه، فله عليهم فضلٌ بإدخال الإسلام وإخراجهم من المجوسية، وإخراجهم من قذارة قبيحة كان يقع فيها المجوس، حتى كتب رضي الله عنه بمنع هذا في المجوس - وإن كان لهم عهد - وأنهم كانوا - قبحهم الله - يتزوج الواحد منهم محارمه، يتزوج الواحد منهم أمه وبنته وأخته - هذا في المجوس - فكتب - كما في البخاري - "أن



فَرَّقُوا بِنِ كَلِّ ذِي رَحْمٍ مِّنَ الْمَجُوسِ" (١) لَا تَتْرَكُوهُمْ وَلَا تَتَمَكَّنُوهُمْ، حَتَّىٰ لَوْ قَالَ: هَذَا دِينِي وَأَنَا مَعَاهِدٌ وَأَعْطِي الْجِزْيَةَ! قَالَ: لَا يُمْكِنُ أَنْ تُمْكِّنَ مِّنْ أَنْ تَنْكَحَ - يَا خَبِيثَ - أَنْ تَنْكَحَ أُمَّكَ، تَقُولُ: هَذِهِ أُمِّي وَزَوْجَتِي، هَذِهِ ابْنَتِي وَزَوْجَتِي، هَذَا مُسْتَحِيلٌ حَتَّىٰ لَوْ كُنْتَ تَزْعَمُ أَنَّهُ مِّنْ دِينِكَ فَانْتَهَىٰ نِكَاحَ الْمُحَارِمِ مِّنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ - سِوَا مَنْ كَانَ مِنْهُمْ أَسْلَمَ وَتَرَكَ هَذَا الْبَاطِلَ؛ أَوْ مَن بَقِيَ عَلَىٰ مَجُوسِيَّتِهِ - فَمَنْعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ مِّنْ هَذِهِ الْقُدَارَةِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِسْلَامَ عَلَيْهِمْ إِلَّا عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ الَّذِي هَدَىٰ فِي وَقْتِهِ الْجِزْيَةَ الْأَكْبَرَ فِي الْإِمَارَةِ الْفَارَسِيَّةِ، ثُمَّ أُجْهِزَ عَلَيْهَا فِي بَقِيَّةِ خِلَافَةِ عِثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْمَعِينَ.

الْحَاصِلُ أَنَّ سَبَّ الصَّحَابَةِ لَا يُمْكِنُ مِّنْ مُّؤْمِنٍ، الْوَاجِبُ ذِكْرُ مُحَاسِنِهِمْ كَمَا ذَكَرْنَا هُنَا، وَالْكَفُّ عَنْ مُسَاوِيهِمْ، هَلْ لِلصَّحَابَةِ مُسَاوِيٌّ؟ سَبَّحَانَ اللَّهِ، هَلْ هُنَاكَ بَشَرٌ يَسْلَمُ مِنَ الْخَطَا وَيَسْلَمُ مِنَ الذُّنُوبِ؟ مَا أَحَدٌ يَسْلَمُ مِنَ الذُّنُوبِ، اللَّهُ تَعَالَىٰ جَعَلَ الْعِصْمَةَ لِلرَّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أَمَا مَن سِوَاهُمْ فَيُصِيبُونَ وَيَخْطِئُونَ، الْوَاجِبُ أَنْ يُكْفَّ عَنِ التَّنْقِيبِ وَالْبَحْثِ فِي مُسَاوِيِّ الصَّحَابَةِ، فَلَانَ فَعَلَ كَذَا، وَفَلَانَ فَعَلَ كَذَا، هُوَ لَاءٌ يَبْحَثُونَ فِي مَا وَقَعَ مِّنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يَجْعَلُوا الْأُمَّةَ تَبْغُضَ عَلِيًّا، وَهُوَ لَاءٌ يَبْحَثُونَ فِي مَا وَقَعَ مِّنْ مُّعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَيُرِيدُونَ الْأُمَّةَ أَنْ تَبْغُضَ مُعَاوِيَةَ، يَقُولُ أَهْلُ السُّنَّةِ قَاعِدَةٌ: كُلُّ تَحْدِيدٍ عَلَى الصَّحَابَةِ فَإِنَّ صَاحِبَهُ يَكُونُ بِهِ مُبْتَدِعًا، يَعْنِي إِذَا أَرَادَ أَنْ يَبْغُضَ النَّاسَ مُعَاوِيَةَ أَوْ عَمْرُ بْنَ الْعَاصِ هَذَا ابْتِدَاعٌ، عَكْسُهُ مَن أَرَادَ أَنْ يَمْدَحَ مُعَاوِيَةَ وَعَمْرُ وَعَلِيَّ حِسَابَ عَلِيٍّ، فَهَذَا ابْتِدَاعٌ، لَا يَجِلُّ أَنْ تَتَّبِعَ مُسَاوِيَّ الصَّحَابَةِ وَمَا وَقَعَ مِنْهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مُعْصُومِينَ، وَلَكِنْ مَا وَقَعَ مِنْهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَغْمُورٌ فِي بَحْرِ حَسَنَاتِهِمْ، آمَنُوا مَعَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَجَاهَدُوا مَعَهُ وَذَادُوا دُونَهُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ -، وَحَمَلُوا الْإِسْلَامَ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَسْلَمَ عَلَىٰ أَيْدِيهِمُ الْأَعْدَادُ الْجَمَّةَ الْغَفِيرَةَ الَّتِي لَا يَحْصِيهَا إِلَّا اللَّهُ، نَشَرُوا الْعِلْمَ وَالْأَحْكَامَ، عَلَّمُوا النَّاسَ كِتَابَ اللَّهِ وَالْقُرْآنَ وَالسُّنْنَ، فَهَذِهِ مُحَاسِنُ عِظَامٍ، حَتَّىٰ إِنْ أَجَرَ الصَّحَابَةَ يَجْرِي إِلَى الْيَوْمِ، لِأَنَّهُمْ عَلَّمُوا الْقُرْآنَ التَّابِعِينَ وَالتَّابِعُونَ عَلَّمُوهُ مَنْ بَعْدَهُمْ وَمَنْ بَعْدَهُمْ عَلَّمُوا التَّابِعِينَ السُّنْنَ وَالْأَحْكَامَ، وَالتَّابِعُونَ عَلَّمُوهَا مَنْ بَعْدَهُمْ حَتَّىٰ وَصَلَتْ إِلَيْكَ، فَأَنْتَ الْآنَ حِينَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَنْ عِلْمُكَ؟

(١) صحيح البخاري (٣١٥٦).



شيخك، مَنْ عَلَّمَ شيخَكَ؟ شيخه، سلسل المسألة حتى تصل للصحابة رضي الله عنهم، ولهذا قال أهل العلم: إِنَّ أَعْمَالَ الْأُمَّةِ بِأَسْرَهَا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي دَلَّ عَلَى هَذَا الْهُدَى، الصَّحَابَةُ أَخَذُوهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ وَعَلَّمُوهُ مَنْ بَعْدَهُمْ، وَهَكَذَا رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ، فَالْوَجِبُ أَنْ يَكْفَ عَنْ مَسَاوِيهِمْ وَأَنْ تُنْشَرَ فِي الْأُمَّةِ مَحَاسِنُهُمْ، لِهَذَا قَالَ - وَدَقَّقَ فِيهَا قَالَ: "وَمَنْ سَبَّ" هَذَا النَّوْعَ الْأَوَّلَ "سَبَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" يَعْنِي عَمُومًا "أَوْ أَحَدًا مِنْهُمْ" لَا تَقُلْ: مَنْ سَبَّ مَعَاوِيَةَ أَمْرُهُ سَهْلٌ، أَوْ سَبَّ عَلِيًّا وَحْدَهُ أَمْرٌ سَهْلٌ! "سَبَّهُمْ جَمِيعًا أَوْ سَبَّ وَاحِدًا مِنْهُمْ أَوْ تَنَقَّصَهُ" بِأَنْ يَقُولَ: إِنَّ فِي دِينِهِ شَيْءٌ مِنَ الْخُلَلِ أَوْ فِي خُلُقِهِ أَوْ فِي كَذَا لِيُنْقَصَ مِنْ قَدْرِهِ "أَوْ طَعَنَ عَلَيْهِمْ" وَالطَّعْنُ عَلَيْهِمْ تَارَةٌ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - فِي دِينِهِمْ أَوْ فِي أَمَانَتِهِمْ أَوْ عَرَّضَ بَعِيهِمْ، التَّعْرِيزُ هُوَ التَّلْمِيحُ، يُلْمَحُ تَلْمِيحًا، لِأَنَّهُ تَارَةٌ يَسْبُ صَرِيحًا وَتَارَةٌ لَا يَجْرُؤُ عَلَى السَّبِّ الصَّرِيحِ لَكِنَّهُ يُعَرِّضُ تَعْرِيزًا، يَقُولُ: لَوْ عَرَّضَ - مَجْرَدُ تَعْرِيزٍ - بَعِيهِمْ أَوْ عَابَ أَحَدًا مِنْهُمْ بِقَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ أَوْ دِقًّا أَوْ جَلًّا، الدَّقِيقُ هُوَ الْيَسِيرُ جَدًّا وَالْجَلِيلُ هُوَ الْكَبِيرُ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِمَّا قَبْلَهُ، قَلِيلٌ أَوْ كَثِيرٌ أَوْ دِقٌّ أَوْ جَلٌّ مِمَّا يُنْطَرَقُ بِهِ إِلَى الْوَقِيعَةِ فِي أَحَدٍ مِنْهُمْ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ رَافِضِيٌّ خَبِيثٌ، وَهَذَا الَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ؛ أَنْ مَنْ تَعَرَّضَ لِأَيِّ مِنَ الصَّحَابَةِ فَهُوَ رَافِضِيٌّ، سَبَّحَانَ اللهُ، كَيْفَ تَقُولُ: إِنْ رَافِضِيٌّ؟ أَنَا سُنِّيٌّ، أَنَا لَا أَتَعَرَّضُ إِلَّا لِلْمَعَاوِيَةِ، أَمَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعِثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ أَنَا لَا أَتَعَرَّضُ لَهُمْ! نَقُولُ: قَرَّرَ أَهْلُ السُّنَّةِ - كَمَا تَرَى - أَنْ التَّعَرُّضَ لَهُمْ جَمِيعًا أَوْ التَّعَرُّضَ لِوَاحِدٍ مِنْهُمْ يُجِيلُ التَّعَرُّضَ إِلَى الْبِدْعَةِ وَيَجْعَلُهُ فِي الرَّافِضَةِ، وَنَقُولُ: هُنَا بِالرَّفْضِ، الرَّفْضُ دَرَجَاتٌ، الرَّافِضَةُ دَرَجَاتٌ، الْإِثْنَا عَشْرِيَّةُ رَافِضَةٌ، وَالْبَاطِنِيَّةُ رَافِضَةٌ، وَالزَيْدِيَّةُ الَّذِينَ يَسُبُّونَ مَعَاوِيَةَ يُعَدُّونَ رَافِضَةً، فَأَنْتَ وَإِنْ بَالِغَ الْبَاطِنِيَّةِ أَوْ بَالِغَ الْإِثْنَا عَشْرِيَّةِ أَوْ كُنْتَ دُونَ ذَلِكَ فَصِرْتَ عَلَى طَرِيقَةِ الزَيْدِيَّةِ الَّذِينَ يَقْدَحُونَ فِي بَعْضِهِمْ كَعِثْمَانَ وَمَعَاوِيَةَ هَذَا لَوْ وَاحِدًا اسْمُهُ الرَّفْضُ، تَارَةٌ يَزِيدُ وَيَقْتَحِمُ فِيهِ الْإِنْسَانُ هَذِهِ الْبَلَايَا وَتَارَةٌ يَكُونُ دُونَ ذَلِكَ، فَاسْمُ الرَّفْضِ يَشْمَلُ الْجَمِيعَ، نَعَمْ هُمْ دَرَجَاتٌ وَليْسُوا عَلَى حَدٍّ وَاحِدٍ، لَكِنَّ التَّعَرُّضَ لِأَيِّ صَحَابِيٍّ مِمَّا كَانَ هَذَا الصَّحَابِيٍّ وَمِمَّا بَدَرَ مِنْهُ وَمِمَّا وَقَعَ مِنْهُ التَّعَرُّضُ لَهُ يَجْعَلُ فِيكَ شَعْبَةً مِنَ الرَّفْضِ، وَهَذَا لَمَّا قِيلَ لِأَحْمَدَ رَحِمَهُ اللهُ: الرَّجُلُ يَذُمُّ مَعَاوِيَةَ أَوْ يَشْتُمُّ مَعَاوِيَةَ؛ أَيُصَلِّيْ خَلْفَهُ؟ قَالَ: لَا، وَلَا كِرَامَةَ، لَا يُصَلِّيْ خَلْفَهُ^(١)، مَا يَشْتُمُّ إِلَّا مَعَاوِيَةَ فَقَطْ! وَهَلْ شَتَمَ

(١) مسائل ابن هانئ (٦٠ / ١).



معاوية يسير؟؟ شتم معاوية سهل؟ معاوية رضي الله تعالى عنه وأرضاه يدخل في عموم قوله عليه الصلاة والسلام: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدَّ أحدكم ولا نصيفه»^(١) يدخل فيه لأنه من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فالحاصل أن المقام مقام كبير وليس مقام مجاملة ولا مداهنة، وجعل الله عز وجل بعض مسائل الاعتقاد أيها الإخوة تصفح عن منهج المتحدث فيها، فإذا رأيت الإنسان يداهن في أمر الرافضة فاعلم أنه ذو منهج فاسد، حتى لو كان في بقية مسائل الاعتقاد على أحسن ما يكون في الاعتقاد، لأن موضوع الصحابة موضوع كبير كما شرحنا بالأمس، موضوع خطير، إذا تطرق إلى القدح بالصحابة يتطرق إلى القدح في الإسلام بأسره، لأن الإسلام ما حملة للأمة إلا الصحابة، أنت الآن أتري القرآن مكتوباً في السماء والأحاديث النبوية تقرأها؛ أم وصلتك؟ من أوصلها؟ إننا أوصلها وبدأ نقلها في الأمة الصحابة رضي الله عنهم، فإذا قدح في المنيع في المصب الأول سقط كل ما نقل إلى الأمة، لهذا المقصود بتبر الأمة عن كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، كما قال أبو زرعة: "إذا رأيت الرجل يقدح في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق، إننا أراد القدح في شهودنا"^(٢) إذا قدح في الشهود قدح في المشهود به، يقول: "فهو مبتدع رافضي خبيث" ولهذا قال الإمام أحمد رضي الله عنه لما قيل له: إن رجلاً يشتم عثمان؟ قال: ما أراه على الإسلام^(٣)، يعني ظاهره الإسلام لكن نخشى أن يكون هذا الرجل ليس بمسلم، لأنه حين يقدح في صحابي جليل - وهو أفضل الصحابة بعد أبي بكر وعمر - إذن من بعدهم ماذا سيكون حالهم؟ هؤلاء القوم يكونون كما قال الإمام أحمد رحمه الله لما سئل عن من يشتم الصحابة قال: عنده خبيثة سوء^(٤)، هناك أمور مخبأة في هذه النفوس تظهر على الألسن وعلى ما يكتب الكاتب تدل على خبث الطوية فيمن يتحدث في هذا؛ كأن يعرض لسب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو القدح في سنته، تعريض وتلميح ولم يصرح، وهذا من خبث الطوية عند هذا الرجل، وإلا لو كان يوقر رسول الله صلى الله

(١) البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ص: ٤٩).

(٣) لم أعر عليه، ولكن في كتاب "السنة" للخلال (٣/ ٤٩٣) قال رحمه الله: "أخبرنا أبو بكر المروزي، قال: سألت أبا عبد الله عن من يشتم أبا بكر وعمر وعائشة؟ قال: ما أراه على الإسلام".

(٤) السنة لأبي بكر بن الخلال (٢/ ٤٤٧).



عليه وسلّم ويعي ويعلم قَدْرَهُ ما تَطْرُقُ إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشيءٍ من مثل هذه الأساليب، وهكذا الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

"لا قَبْلَ اللهِ صَرْفَهُ وَلَا عَدْلَهُ" قيل: إنَّ المراد بالصرْفِ الفريضة والعدل النافلة، وهو الذي يقول صاحب تحفة الأحوذِي: هو قول الجمهور، ويقول الأصمعي رحمه الله: الصرْفُ: التوبة، والعدل: الفدية، وقيل غير ذلك، يعني: لا قَبْلَ اللهِ تعالى منه أي أمرٍ يقدمه في مثل هذا، بل حُبُّهم سُنَّةٌ، لأنَّ النصوصَ دلت على هذا.

"والدعاء لهم قربة" لأنَّ الله أمرَ مَنْ يأتي بعدهم بالدعاء لهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾^(١) بعد أن ذكر المهاجرين والأنصار: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٢) فالغل الذي يوجد على الصحابة هو الذي قال الله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾^(٣) فلا يكون من مؤمن.

"والاقتداء بهم وسيلة" يعني وسيلة تُقربك إلى الله، أن تقتدي بهؤلاء الكرام رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم والأخذ بآثارهم فضيلة.

بعد أن قرَّرَ ذلك في الصحابة بدأ بذكر الخيرية، هل الصحابة على درجة واحدة في الفضيلة أم متفاوتون؟ فقال: "وخير الأمة بعد النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبو بكر، وخيرهم بعد أبي بكر عمر، وخيرهم بعد عمر عثمان، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم" هذا الأمر بالجزم بأن هؤلاء الثلاثة هم أفضل أصحاب النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا أمرٌ كان زمن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شائعاً، قال ابن عمر رضي الله عنهما: "كنا نقول زمن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أفضل أصحاب رسول الله أبي بكر ثم عمر ثم عثمان؛ فيبلغ ذلك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا يُنكره"^(٤) ولو كان أمراً باطلاً للزم النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ينكره،

(١) الحشر: ١٠.

(٢) الحشر: ١٠.

(٣) الفتح: ٢٩.

(٤) صحيح. أبو يعلى (٥٦٠٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنه مرفوعاً. ظلال الجنة (١١٩٣).



فالمعروف منذ زمن الصحابة زمن النبي صلى الله عليه وسلم أن أفضل هذه الأمة هؤلاء الثلاثة رضي الله تعالى عنهم.

يقول: "وقال قوم من أهل العلم ومن أهل السنة: وخيرهم بعد عثمان علي" وهذا الذي استقر عليه قول أهل السنة؛ أن أفضل الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، قالوا: ترتيبهم بالفضل حسب ترتيبهم في الخلافة، لأنه لما كان أفضلهم أبا بكر جعل هو الخليفة الأول، فلما كان عمر هو الثاني أوصى أبو بكر لعمر، فلما كان عثمان هو الثالث جعل عمر الأمر في أهل الشورى الستة فاختير عثمان رضي الله تعالى من بينهم، اختاره المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد، ثم لما قُتل عثمان رضي الله عنه بايعوا علياً رضي الله عنه وأرضاه، فهؤلاء أفضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يقول: "ووقف قوم على عثمان" اعرف المراد بقوله "ووقف قوم على عثمان" وقف قوم على عثمان من جهة الأفضلية، يعني يقولون: أفضل الأمة أبي بكر - بعد النبي صلى الله عليه وسلم - أبو بكر ثم عمر ثم عثمان، قالوا: بعد ذلك لا نفاضل بين الصحابة، نقول: كل الصحابة أفضل، هذا المعنى، وليس المعنى أنه يقف على عثمان وينال من علي! ليس هذا المقصود قطعاً؛ لأنه يكون ناصياً، وإنما المقصود أن بعض أهل العلم يقول: إن أفضل الصحابة رضي الله عنهم هؤلاء الثلاثة وبقية الصحابة الزبير وطلحة وأبو عبيدة وعلي؛ يقول: كلهم أفضل فلا ندخل في التفضيل بينهم، لكن الصحيح أن أفضل الصحابة - وهو الذي استقر عليه قول أهل السنة، وهو المعروف عنهم وعن جماهيرهم - أن أفضل الصحابة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، وهكذا يأتي بعدهم بقية العشرة المبشرين بالجنة، وأهل بدر أفضل من غيرهم، المهاجرون أفضل من الأنصار، الذين بايعوا قبل الفتح أفضل من الذين بايعوا بعد الفتح وهكذا.

قال: "لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم" لأنهم بشر يخطئون، فالذي لا يركز إلا على مساوئهم لا شك في خبثه وفساد اعتقاده، "ولا يطعن على أحد منهم بعبٍ ولا بنقصٍ ولا وقيعة"، قال قبل ذلك في الأربعة رضي الله عنهم: "وهم خلفاء راشدون مهديون" هذه التسمية جاءت من النبي صلى الله عليه وسلم



«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين»^(١) الذي سماهم بالراشدين هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهم خلفاء الأمة الراشدون، وهم أفضل الخلفاء، لا يكون بعدهم خلفاء أفضل منهم بتاتاً مهما بلغوا في العدل وغيره، لا يمكن أن يكون أحدٌ أفضلٌ من هؤلاء الأربعة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم. قال: "ثم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هؤلاء الأربعة خير الناس" بدلالة الآية التي قلنا: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾^(٢) وهكذا النصوص الكثيرة الدالة على أن الصحابة أفضل الأمة كقوله عليه الصلاة والسلام: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»^(٣)، وقوله: «أصحابي أمانة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»^(٤) إلى غير ذلك من النصوص الدالة على أن أفضل الأمة هم الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

يقول في من ذكر مساوي الصحابة وطعن على أحدٍ منهم: "فمن فعل ذلك" يعني خالف النصوص وطعن في أحدٍ من الصحابة "فالواجب على السلطان يعني على ولي الأمر تأديبه، إذا رُفِعَ الأمرُ إلى ولي الأمر من ملك أو أمير أو قاضٍ؛ فإنه يلزمه شرعاً أن يؤدِّبه وأن يعاقبه" ليس له أن يعفو عنه، معلوم أن الوالي والقاضي قد يعفو بعض الأحيان عن بعض أهل الجنايات، إما لكون هذه الجناية وقعت منه أول مرة، أو لوجود شبهة أو حاجة أدت إلى أن يعفى عنه - مما قطعاً ليس فيه حدٌ - لكن يقول: هذا خطأ - الذي وقع منه - ولم تكن له سابقة سوء، وربما كان عنده شيء من الجهل، أو ربما كان في خلقه شيء من التعكر والمزاج السيء وسوء التعامل؛ فنحن الآن قد أخذنا عليه التعهد بأنه لا يعود إلى مثلها، وإن عاد جعلناه نكالاً وأدبناه أدباً بليغاً، نعف عنه هذه المرة لكونه أول مرة وقعت منه، ولم يبدُ منه في سنين طويلة مثل هذا، هذا قطعاً مما ليس فيه حدود أو تعدد على الناس أو نحوه، يقول: أما موضوع الصحابة فلا يحل للحاكم ولا للقاضي أن يعفو فيه بتاتاً، يعني لا بد من الردع ولا بد من العقوبة، إذا قال: ثبت؛ نقول: تاب الله عليك، وهذا إن شاء الله من دلائل الخير إن صدقت، ولكم والله لتنالن العقوبة حتى تكون نكالاً وحتى يكون أصحاب محمد

(١) صحيح. الترمذي (٢٦٧٦) من حديث العرياض رضي الله عنه مرفوعاً. صحيح الجامع (٢٥٤٩).

(٢) آل عمران: ١١٠.

(٣) صحيح البخاري (٢٦٥١) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعاً.

(٤) صحيح مسلم (٢٥٣١) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعاً.



صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَقَامٍ لَا يَجْرُؤُ عَلَيْهِ أَحَدٌ بَعْدَ الْيَوْمِ، لِأَبْدٍ أَنْ تُؤَدَّبَ وَأَنْ يُفْشَى أَدْبُكَ، وَأَنْ تُعْظَمَ عَقُوبَتُكَ حَتَّى يَكُونَ أَمْثَالُكَ مِمَّنْ يَهْمُونَ وَيَتْرَبُصُونَ لِيُظْهِرُوا مَكْنُونَ خَبِيثٍ قُلُوبِهِمْ أَنْ يَحْسِبُوا أَلْفَ حِسَابٍ لِلْوُقُوعِ فِي صَحَابَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّ أَعْظَمَ مَنْ يُمْكِنُ أَنْ يُنَالَ بِالسَّبِّ مِنَ الْبَشَرِ الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ، لِهَذَا يَقُولُ: "لَيْسَ لَهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُ" هَذَا أَمْرٌ لَا يَسْتَوْجِبُ الْعَفْوَ، بَلْ لِأَبْدٍ فِيهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ وَالنِّكَالِ، بَلْ يَعَاقِبُهُ ثُمَّ يَسْتَتِيهِ، لِأَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ إِذَا أَتَى بِهِ يَقُولُ: أَتُوبُ وَأَنَا مُخْطِئٌ، نَقُولُ: هَذَا لِاحْتِقَاقٍ، لَكِنَّ الْعُقُوبَةَ لِأَبْدٍ أَنْ تَنَالَهَا لِعِظَمِ وَفِدَاةِ جُرْمِكَ؛ وَلِنَنكُلَ بِغَيْرِكَ أَنْ يَفْعَلَ فَعَلَكَ بَعْدَ ذَلِكَ نَسْتَتِيكَ، أَمَا أَنْ تَكُونَ شَامِتًا لِلصَّحَابَةِ ثُمَّ إِذَا قُبِضَ عَلَيْكَ تَقُولُ: أَتُوبُ! كَمَا وَرَدَ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللهُ أَنْ رَجُلًا اسْتَفْتَاهُ بِفَتْوَى وَكَتَبَ كِتَابَةً "إِنْ كَانَ هَذَا خَطَأً؛ فَإِنِّي أَتُوبُ مِنْهُ!" قَالَ: انظُرُوا إِلَى هَذَا الْخَبِيثِ! الْآنَ يَرِيدُ أَنْ يَقُولَ الْكَلِمَةَ وَأَنْ تَفْشُو فِي الْأُمَّةِ ثُمَّ يَقُولُ: إِنْ كَانَتْ خَطَأً فَسَأَتُوبُ! إِنْ كَانَ صَادِقًا يَأْتِي يَسْتَفْتِي فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَالَمِ هَلْ هَذَا خَطَأٌ أَوْ صَوَابٌ؟ أَمَا أَنْ يَقُولَ الْقَوْلَ وَيَكْتُبُ وَرَقَةً يَقُولُ: إِنِّي تَائِبٌ! كُلُّ أَحَدٍ يَرَى الْعُقُوبَةَ يَقُولُ: سَأَتُوبُ! فِي مِثْلِ الْأَحْوَالِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَبِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِالصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ الْعُقُوبَةُ لِأَبْدٍ مِنْهَا، يَقُولُ: "ثُمَّ يَسْتَتِيهِ لِاحْتِقَاقٍ، فَإِنْ تَابَ وَلَيْسَ لَنَا فِي تَوْبَتِهِ إِلَّا الظَّاهِرُ، إِذَا أَظْهَرَ التَّوْبَةَ قَبْلَ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَتَّبِعْ أَعَادَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ، يَعْنِي عَاقِبَهُ ثُمَّ عَاقِبَهُ مَرَّةً أُخْرَى ثُمَّ خَلَدَهُ الْحَبْسَ حَتَّى يَتُوبَ وَيَرَجِعَ" يَعْنِي يَبْقِيهِ فِي الْحَبْسِ، يَقُولُ: السَّجْنُ سَيَكُونُ مَوْضِعَكَ؛ وَإِنْ عِشْتَ فِيهِ مَا عِشْتَ، تُخَلَّدُ فِيهِ، يَعْنِي تَبْقَى فِيهِ دَائِمًا إِلَى أَنْ تَتُوبَ وَتَرْجِعَ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ، هَذَا قِطْعًا فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِالسَّبِّ الَّذِي فِيهِ الْعُقُوبَةُ الْمُعْتَادَةُ، أَمَا السَّبُّ الَّذِي هُوَ كُفْرٌ فِي الصُّورَتَيْنِ اللَّتَيْنِ ذَكَرْنَا؛ فَإِنَّ الْاِسْتِتَابَةَ مِنْهُ تَكُونُ اِسْتِتَابَةَ الْمُرْتَدِ؛ إِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ، هَذَا الْمَعْنَى، هَذَا الْكَلَامُ يَنْصَرِفُ فِي الصُّورِ الثَّلَاثَةِ الْأُخْرَى، أَمَا الصُّورَةُ الْأُولَى وَالصُّورَةُ الثَّانِيَةُ الَّتِي ذَكَرْنَا مِنْ سَبِّ الصَّحَابَةِ فَهَذِهِ يُسْتِتَابُ مِنْهَا نَعَمْ؛ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ لِأَنَّهَا ارْتِدَادٌ، أَمَا هَذَا الَّذِي يُسْتِتَابُ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا خُلِدَ فِي الْحَبْسِ هَذَا فِي مَا لَمْ يَبْلُغْ فِيهِ التَّكْفِيرَ الْعَامَّ لِلصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فَإِنَّ هَذَا قَلْنَا إِنَّهُ كُفْرٌ أَوْ كَانَ سَبُّهُ عَلَى سَبِيلِ الْغِيظِ.

يقول: "فهذه السنة" يعني هذه العقيدة التي خلفها بدعة في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم.



ويعرف للعرب حقها وفضلها وسابقتها، ويجبهم لحديث الرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حُبُّ الْعَرَبِ إِيمَانٌ وَبُغْضُهُمْ نِفَاقٌ»^(١)، وَلَا نَقُولُ بِقَوْلِ الشَّعْبِيَّةِ وَأَرَاذِلِ الْمُوَالِيِّ الَّذِينَ لَا يَجِبُونَ الْعَرَبَ وَلَا يُقَرُّونَ لَهُمْ بِفَضْلِ؛ فَإِنَّ قَوْلَهُمْ بَدْعَةٌ وَخِلَافٌ.

.....

هذا الكلام عن العرب، أولاً: ينبغي أن يُعلم أن التقوى كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(٢)، فالمدار على تقوى الله عز وجل، ومن يبلغ درجة بلال بن رباح الحبشي رضي الله عنه ممن أتى بعده - من غير الصحابة المقصود -، الأمر هنا في قولنا: إنَّ العرب لها حق ولها فضل ولها سابقة لأنَّ نبيَّ الأمة وأفضل الأنبياء على الإطلاق وسيد ولد آدم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من العرب، ولأنَّ الإسلام حملة أول ما حملة العرب، فعرب هذه الجزيرة هم الذين حملوا الإسلام وفتحوا به الأمصار، فلهم الفضل على البشر - جميعاً، حيث نشروا هذا الدين العظيم في الأعاجم في المشارق وفي المغارب وعانوا معاناة عظيمة من القتل في سبيل الله والأسر والجراح التي أصابتهم، كل هذا لينشروا هذا الدين، وليعلوا هذا الحق، فلا شكَّ إنَّ لهم فضلاً كبيراً، ولهذا قال: "ويعرف للعرب حقها وفضلها وسابقتها، ويجبهم" لأنَّ فيهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفيهم المهاجرون والأنصار والصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم الذين حملوا هذا الدين للأمة، فحبهم من هذه الجهة، أيضاً ثبت عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ، وَاخْتَارَ مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاخْتَارَ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاخْتَارَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، فَأَنَا خِيَارٌ مِنْ خِيَارٍ»^(٣) فبنو إسماعيل لهم شأن، فإنهم بني هذا النبيِّ الكريم عليه الصلوة والسلام إسماعيل، وهم خيار بشرط أن يكونوا من أهل الإيمان، لهذا قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سُئِلَ عَنْ أَفْضَلِ النَّاسِ؛ قَالَ: «عَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي؟» قالوا: نعم، قال: «خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَهُوا»^(٤)، الفقه والعلم والإيمان، فلهم هذه المزية، فكون الإنسان يبغض العرب هذا يدل على شرِّ عظيم؛ إذ كيف يبغض من

(١) ضعيف. الحاكم (٦٩٩٨) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً. ضعيف الجامع (٢٦٨٣).

(٢) الحجرات: ١٣.

(٣) صحيح مسلم (٢٢٧٦) من حديث وائلة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٤) صحيح البخاري (٣٣٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.



فيهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفيهم الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأيضاً التابعون، أعداد غفيرة جداً من التابعين من العرب رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، حملوا الإسلام وعلموا الأمة بأحكام، فكونه يبغض جنس العرب هذا شرٌّ، وقد يكون له دخيلة سيئة، لأنَّ جنس العرب فيهم رسول الله والصحابة، فكيف يبغض جنس العرب! أما ما ذكره من حديث «حُبُّ الْعَرَبِ إِيْمَانٌ وَبِغْضِهِمْ نِفَاقٌ»^(١) فالحديث فيه ضعف، السند هذا لا يثبت، لكن حُبُّ الْعَرَبِ لما ذكرناه من الأمور التي قلنا مما يتقرب به إلى الله عزَّ وجلَّ، والمقصود حُبُّ أَهْلِ الْإِيْمَانِ مِنْهُمْ، أما كفرتهم فتتقرب إلى الله ببغضهم كأبي جهل وكفرة قريش وأضرابهم فيبغضون في الله عرباً كانوا أو غيره، حتى أبو لهب مع أنه من بني هاشم وعم للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيتقرب إلى الله تعالى ببغضه، إنها المفروض حُبُّ الْعَرَبِ مِنْ أَهْلِ الْإِيْمَانِ.

قال: "ولا نقول بقول الشعوبية" العرب يطلق عليهم القبائل، قبيلة عربية، أما العجم فيطلق عليهم الشعوب، ومنه سمي هؤلاء بالشعوبية نسبة للشعوب، لذا قال: "لا نقول بقول الشعوبية وأراذل الموالى" هؤلاء يقولون يبغض العرب والخطُّ عليهم ولا يرون لهم فضلاً! وهذا ابتداء، كيف لا يكون لهم فَضْلٌ وهم الذين نزل القرآن بلغتهم، وبعثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ، وحمل الإسلام للبشرية أصحابه من العرب، فكيف يقال بمثل هذا الكلام الفاسد.

يقول: "فإنَّ قَوْلَهُمْ بَدْعٌ" ولاحظْ عبارته رحمه الله "ولا نقول بقول الشعوبية" لأنَّ الشعوبية مبدأ خبيث، قائم على بغض العرب، لما جاء إلى الموالى ما قال: "ولا نقول بقول الشعوبية والموالى" لأنَّ الموالى منهم مؤمنون متقون، قال: "وأراذل الموالى" وهذا حقيقة من التعبير الدقيق، ليس بينك وبين الموالى إشكال، إنما الإشكال بينك وبين الأراذل منهم، كما أنَّ الأراذل من العرب تتقرب إلى الله ببغضهم، فالقضية راجعة إلى الدين، لكنَّ الجنس من حيث جنس العرب لا شك أنه جنس قد شرفه الله تعالى بحمل هذه الرسالة التي ليس بعدها رسالة؛ وأنزل الله تعالى القرآن بلغة العرب فلهم هذه المزية، لكن ههنا أمرٌ مهمٌ جداً ليس المقصود هنا التفاخر على طريقة أهل القومية الذين يكون الواحد منهم في بعض الأحيان ملحدًا كالبعثيين والقوميين وأضرابهم ويتفاخرون بالعرب ونحن العرب والعروبة! ما شأنك أنت والعرب؟ حتى لو كنت

(١) سبق تخريجه.



عربياً في أصلك؛ لكنك خالفت خيار العرب وسيد العرب والعجم رسول الله وأتيت بهذه الأفكار الخبيثة؛ وصرت يا أحمق عبداً عند العجم وأنت لا تشعر! يعني هذه المقولات في الأعاجم استقدمتها من سفلة الشيوعيين وأضرابهم، لأن الفكر البعثي قائم على أساس من الاشتراكية وأضرابها، فأنت الآن تصيح وتهتف بالعرب؛ وأنت عدو العرب! وهكذا من يتفاخرون بعروبيتهم وهم أبعد الناس عن الالتزام بالإسلام، ينشرون في الأمة فكر الغرب والشرق، فنقول: أنت الآن لا تعي ما تفعل، أنت الآن مجرد خادم عند أعاجم الشرق أو الغرب، أتيت إلى العرب الذين أكرمهم الله بالرسالة فنفت فيهم سم هذه المذاهب وعدت عند هؤلاء حتى إنهم ينظرون إليك نظرة دونية على أنك مثل العميل الذي لا يساوي شيئاً؛ ثم تقول: العرب والعروبة!! أي عروبة وأي عرب تتحدث عنها؟ أنت الآن؛ ما أنت إلا خادم لمقالات العجم مقالات الشيوعيين والليبراليين وأضرابهم وما تتحدث عن العرب! حبُّ العرب يُحبون الله عزَّ وجلَّ إذا كانوا مؤمنين، ويغضون إذا كانوا من أهل الكفر والفجور؛ كما أن الموالي والأعاجم يُحبون الله عزَّ وجلَّ لإيمانهم ويغضون إذا كانوا من الكافرين، فلاجل ذلك ينبغي التوسط في هذه المسألة؛ وأن يُعلم أن كلام الإمام حرب رحمه الله تعالى ليس على طريقة القوميين ومن يعظمون شأن العرب ونحوهم على سبيل التوهين والإذلال للأعاجم؛ فإن هذا غير مراد ولا يجل وهو نوع من الجاهلية أصلاً، ولكن مراده الكلام على الشعوبيين الذين شنوا الغارة على العرب - كما سيأتي - وصاروا يتكلمون على أن العرب أراذل وسفلة وقليلو الحياء وسيئوا الأخلاق ونحو ذلك ويشنونها على العرب! هذه طريقة الشعوبيين، وكثير منهم زنادقة في الأصل، أراد أن يضرب الإسلام في شكل العرب وكأنه يعادي العرب، حتى إذا قيل هذا الإسلام نزل على من؟ على العرب الأراذل! والنبيُّ منهم! والكتاب النازل فيهم! فيتطرق في الحقيقة من قبل الزنادقة إلى القدح في الحقيقة بطريقة ملتوية على طريقة أهل النفاق والضلال، إذن يتوسط فيقال: العرب لهم فضلهم ومكانتهم؛ ومن فضلهم أن الله تعالى اختار اللسان العربي لينزل به القرآن العظيم الذي ليس بعده كتاب، وبعث الله أفضل نبي على وجه الأرض صلى الله عليه وسلم وهو سيد ولد آدم على الإطلاق من العرب، وأول من حمل الإسلام للأمة البشرية هم العرب، فهذه التي تحمل أي مسلم على محبة العرب، أما أن ننسى الإسلام ونركز على مجرد كونهم عرباً نقول: انظر إليهم في الجاهلية ماذا كانوا يفعلون؟ لولا أن الله شرفهم



بالإسلام لما كانوا شيئاً! لهذا قال عمر رضي الله عنه: "كنا أذل الناس وأحقر الناس حتى أعزنا الله بالإسلام؛ فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله" (١)، فالذي رفع من شأن العرب هو الإسلام، نعم؛ عندهم من حسن الأخلاق التي تلقوها من دين أبيهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام ومجموعة من مكارم الأخلاق ما هو ممدوح محمود؛ لكنهم بهذا وحده لا يساؤون شيئاً حتى أعزهم الله تعالى بهذا الدين وأكرمهم، ولهذا قال تعالى في القرآن: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ (٢) ماذا قال بعدها: ﴿وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ (٣) هذه أمانة، كون القرآن ينزل بلغتنا هذا يعظم علينا المسؤولية ويجعل العربي ينبغي أن يكون شامة في الناس يقتدى؛ إذ به هو من الأمة التي نزل عليها القرآن وسوف يسأل ونزل القرآن بلسانه، أما أن يتفاخر أن القرآن نزل بلساني وأنت أبعد الناس عن تطبيقه! ماذا استفدت؟ ماذا استفدت من نزول القرآن باللسان العربي إذا كنت على خلاف هذا القرآن العظيم؟ ماذا استفدت من كون النبي صلى الله عليه وسلم عربياً إذا كنت معادياً لسنته متجاهراً بالباطل والفساد!

فالحاصل أن المسألة لا تكون على طريقة الشعوبية التي تبغض الأعاجم؛ ولا على طريقة القومية التي تعظم وتفخم من شأن العرب ليحتقروا غيرهم! هذا لا شك أن هذين الطرفين باطلان؛ وإنما يكون الكلام فيه على التفصيل الذي ذكرناه.

وَمَنْ حَرَّمَ الْمَكَاسِبَ وَالتَّجَارَاتِ وَطَلَبَ الْمَالَ مِنْ وَجْهِهَا فَقَدْ جَهِلَ وَأَخْطَأَ وَخَالَفَ؛ بَلِ الْمَكَاسِبُ مِنْ وَجْهِهَا حَلَالٌ فَقَدْ أَحْلَاهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْعُلَمَاءُ مِنَ الْأُمَّةِ، فَالرَّجُلُ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ وَعِيَالِهِ وَيَبْتَغِي مِنْ فَضْلِ رَبِّهِ؛ فَإِنْ تَرَكَ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ لَا يَرَى الْكَسْبَ! فَهُوَ مُخَالَفٌ، وَكُلُّ أَحَدٍ أَحَقُّ بِمَالِهِ الَّذِي وَرَثَهُ أَوْ اسْتَفَادَهُ أَوْ أَصَابَهُ أَوْ اكْتَسَبَهُ لَا كَمَا يَقُولُ الْمُتَكَلِّمُونَ الْمُخَالَفُونَ.

.....

(١) البداية والنهاية (٧/ ٦٠) بنحوه.

(٢) الزخرف: ٤٤.

(٣) الزخرف: ٤٤.



ذَكَرَ هُنَا رَحِمَهُ اللَّهُ قَوْلًا قَالَ بِهِ بَعْضُ جَهْلَةِ الصُّوفِيَّةِ، يَقُولُونَ: إِنَّ الْمَكَّاسِبَ فِي الْأَرْضِ مُحْرَمَةٌ! مَا مَعْنَى ذَلِكَ؟ حُرْمَةُ الْبَيْعِ وَحُرْمَةُ الشِّرَاءِ! وَلَكِنْ أَنْ تَتَصَوَّرَ لَوْ حُرِّمَ الْبَيْعُ وَالشِّرَاءُ مَاذَا يَحْدُثُ؟ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَأْكُلَ وَلَا أَنْ تَشْرَبَ وَلَا أَنْ تَنْفِقَ عَلَى ذَرِيَّتِكَ! لَكِنْ هَذِهِ أَقْوَالُ الْجَهْلَةِ، وَالْجَاهِلُ يَقُولُ كَلَامًا؛ إِذَا حُرِّمَتِ الْمَكَّاسِبُ مَاذَا يَفْعَلُ؟ كَثِيرٌ مِنْ مَقُولَاتِ هَؤُلَاءِ الْمُتَّصِفَةِ وَأَضْرَابِهِمْ لَيْسَتْ مِنَ الْعِلْمِ بِسَبِيلٍ، لِأَنَّ مَنْ قَالَ: "حُرِّمَ الْمَكَّاسِبُ" يَعْنِي فِيهِ بِإِطْلَاقٍ "وَالتَّجَارَاتُ" بِإِطْلَاقٍ مَعَ صَرِيحِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ (١) فَكَيْفَ يَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ؟؟ إِنَّمَا يَقَالُ: كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ (٢)، الْمَكَّاسِبُ أَنْوَاعٌ مِنْهَا مَا يَكُونُ حَلَالًا وَمِنْهَا مَا هُوَ حَرَامٌ كَالرِّبَا وَأَنْوَاعُ الْبَيْعِ الَّتِي نَهَى الشَّرْعُ عَنْهَا، أَمَا أَنْ يَحْرِمَ الْمَكَّاسِبَ عَلَى الْإِطْلَاقِ! وَيَحْرِمَ التَّجَارَاتَ عَلَى الْإِطْلَاقِ! وَيَقُولُ: إِنَّ طَلْبَ الْمَالِ مِنْ وَجْهِهَا - يَعْنِي الشَّرْعِيَّةَ الصَّحِيحَةَ - هَذَا الْمُرَادُ مِنَ الْوَجْهِ الَّتِي أَحَلَّهَا الشَّرْعُ، يَقُولُ: تَارَةً يَقُولُونَ: طَلْبُ الْمَالِ هَذَا فِيهِ نَوْعٌ مِنْ عَدَمِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ؛ وَأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا كَانَ مُتَوَكِّلًا عَلَى اللَّهِ لَا يَطْلُبُ الْمَالَ! وَهَذَا كَمَا جَاءَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَإِذَا بِأَنَاسٍ قَدْ قَبِعُوا فِي الْمَسْجِدِ وَجَلَسُوا فِيهِ، قَالَ مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ الْمُتَوَكِّلُونَ، فَعَلَاهُمْ بِالذَّرَّةِ، وَأَخْرَجَهُمْ مِنَ الْمَسْجِدِ، قَالَ: أَنْتُمْ الْمُتَأَكِّلُونَ (٣)، يَعْنِي تَرِيدُونَ أَنْ تَبْقُوا وَمَنْ أَتَاكُمْ قَالَ: مَا شَاءَ اللَّهُ؛ هَؤُلَاءِ الْمُتَوَكِّلُونَ، أَطْعَمُوا الْمُتَوَكِّلِينَ، أَجْمَعُوا الطَّعَامَ لِلْمُتَوَكِّلِينَ، كُلُّ مَا أَتَى وَاحِدًا، تَرِيدُونَ أَنْ تَقْعُدُوا فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى يَأْتِيَكُمُ النَّاسُ بِالطَّعَامِ فَتَأْكُلُونَ وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ: نَحْنُ الْمُتَوَكِّلُونَ! بَلْ أَنْتُمْ الْمُتَأَكِّلِينَ، وَأَخْرَجَهُمْ، يَقْبَعُ الْوَاحِدُ مِنْكُمْ فِي الْمَسْجِدِ وَيَعْلَمُ أَنَّ السَّمَاءَ لَا تَمْطُرُ ذَهَبًا وَلَا فِضَّةً!! أَذْهَبَ وَاكْتَسَبَ مِنَ الْوَجْهِ الْمُبَاحَةِ، وَالتَّوَكُّلُ لَا يَنَافِي قَطْعًا فَعَلَّ السَّبَبَ، هَذَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَفْسِهِ بَاعَ وَاشْتَرَى، فَكَيْفَ يُحْرِمُ أَمْرَ فَعَلَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَعَلَهُ الصَّحَابَةُ، وَهَكَذَا بَعْضُهُمْ يَقُولُ: التَّجَارَاتُ مَا نَحْرَمُ أَصْلَ الْبَيْعِ؛ لَكِنْ نَقُولُ: الْأُمُورُ الْآنَ التَّبَسُّتُ وَاخْتَلَطَتْ وَصَارَتِ الْمَكَّاسِبُ فِيهَا إِشْكَالَاتٌ وَصَارَ الرِّبَا شَدِيدَ الْفُشُوِّ وَالْإِنْتِشَارِ وَالْمَعَامَلَاتِ الْمَشْبُوهَةِ كَثِيرَةً! نَقُولُ: لَوْ كَانَتِ الْمَعَامَلَاتُ الْمَشْبُوهَةَ بِالْمَلَّائِينَ أَتْرَكَهَا، وَابْحَثْ عَنْ

(١) البقرة: ٢٧٥.

(٢) البقرة: ٢٧٥.

(٣) شعب الإيمان (٢/ ٤٢٩) بنحوه.



معاملة واضحة جليّة بيّنة، لا تشتري إلا حلالاً ولا تبع إلا حلالاً، واترك عنك الحرام واترك عنك الربا والغرر وأنواع الغش والتدليس وأنواع البيوع التي لا تصلح، إذا باع كثير من الناس واشترى بالحرام؛ فبيع أنت واشترى بالحلال، أما أن تقول: المكاسب بأسرها حرّمت! هذا بالحقيقة يتطرق إلى نوع من القدح بالله من حيث لا يشعر هؤلاء الجهلة، لأن الله تعالى قد تكفل برزق عباده، فإذا كان تكفل برزق عباده وجعل المكاسب كلها حراماً؛ فماذا يفعل الناس برزقهم؟ فيترك الإنسان هذه المكاسب حتى يهلك ويموت؛ ويموت من تحت يده بدعوى أنها محرمة! إن كان كثير من المعاملات المحرمة؛ فهناك - والله الحمد - كثير وكثير من المعاملات الجليلة الواضحة المباحة التي فيها البركة وفيها الرزق الحلال، لكن الجاهل من المتصوفة والمخرفين وأمثالهم يقع عندهم مثل هذه الأمور، والعجيب أن طائفة من المتصوفة عندهم - حتى في كتبهم كما في اللمع وغيرها - عندهم ترك هذه المكاسب؛ ثم يتركون البيع الذي فيه عزة النفس، الآن إذا اشترت من أحد بضاعة وأعطيته المال؛ هل تنكسر نفسك؟ لا تنكسر نفسك، هو أعطاني سلعة وأنا أعطيته مالاً، هم يقولون بمثل هذا الكلام ثم يعظمون من شأن ماذا؟ من شأن التسول، يعظمون من التسول، يقول: على الإنسان أن يتسول أفضل له! لأن المتسول يكون تارة يأتي من ينهره ويأتي من يدفعه؛ يقول: فيعظم قدره، يا لله العجب! سبحان الله العظيم! ماذا يفعل الجاهل بأهله، وذكروا طريقة - هذا ذكره صاحب اللمع - لهم؛ أن الواحد منهم يقبعون ويجلسون في بيت، ثم يأخذ سلّة ويمر بأهل السوق ويعرفونه يقولون: هؤلاء المتصوفة وهؤلاء العبّاد هؤلاء الزهاد؛ فيأتي أهل السوق ويضعون في السلّة، هذا يعطيه خبزاً وهذا يعطيه طعام، ثم يقول: يأتي برزق حلال لأصحابه في الدار! رزق تسول؟ يا سبحان الله العظيم! أنت الآن تحرم المكاسب؛ تقول: هؤلاء مكاسبهم محرمة! هؤلاء الذين مكاسبهم محرمة هم الذين أعطوك بالتسول! ولهذا نسأل الله العافية بعضهم يعظم التسول، يقول: ينبغي أن يبقى حتى يهان ويدفع ويُطرد من طريق التسول، فنسأل الله العفو والعافية يا إخوة، نقول: السنّة نعمة عظيمة للعبد، لا نعمة أعظم من نعمة الدين على الإطلاق، حتى لو كان الإنسان مريضاً لا يتحرك منه ساكن، يبقى على ظهره خمسين سنة وهو على السنّة فهو في خير، إذا نظرت هذه الأقوال المضلة أقوال الرافضة، أقوال الجهمية، أقوال المعتزلة، تحاريف الصوفية، أقوال الليبرالية، أقوال الشيوعيين، تحمد الله على هذه السنّة التي أنت فيها وتسال الله الثبات، لهذا لما ذكر ابن



القيم رحمه الله تعالى جملةً من أقوال هؤلاء الضالين قال: "فاحمد إلهك أيها السنِّي إذ عافاك من تحريف ذي بهتان" (١)، احمد الله على هذه السنَّة، أنت إذا نظرت في هذه الأقوال تتعجب منها، بعضها قد يضحك الإنسان منها، لكن هذا الذي تضحك منه دينٌ عند غيرك! يتدين الله تعالى به - نسأل الله العافية والسلامة - ، فسئل الله تعالى الثبات، واحرص على البعد عن أي أمرٍ يزلزلك عن هذه السنَّة من الشبهات وأضرارها، فإنَّ أناسًا انفتحت عليهم هذه الشبهات وصار هذا الذي أنت بفطرتك وبسنتك التي نشأت عليها تتعجب منها وتستغرب منها؛ صاروا الآن واقعين فيها - نسأل الله العافية والسلامة - ، فعوذ بالله من زيغ القلوب، ونسأله الثبات على السنَّة والعفو والعافية، لهذا قال رحمه الله تعالى: "المكاسب من وجوهها حلال، فلقد أحلها الله عزَّ وجلَّ ورسوله صلَّى الله عليه وسلَّم والعلماء من الأمة، فالرجل ينبغي له " لاحظ بعبارة "ينبغي" بعض الناس يظنُّ أن عبارة "ينبغي" على سبيل الاستحباب وعند النهي على سبيل الكراهة اليسيرة! هذا غير صحيح، إذا قلت: ما ينبغي أن تفعل هذا معناه يحرم أن تفعل هذا، ألا تقرؤوا قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وِلْدَانًا﴾ (٢) فهذا من أنواع النهي، ولما ذكره الله تعالى في هذا المقام فهو من أنواع النفي العظيم، ولهذا قوله صلَّى الله عليه وسلَّم: «لا ينبغي أن تُعَمَلَ الْمُطِيُّ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَمَسْجِدِي هَذَا، وَالْمَسْجِدَ الْأَقْصَى» (٣) يعني لا يجوز أن يُشَدَّ الرَّحْلُ إِلَّا إِلَى هَذِهِ الْمَسَاجِدِ، يعني بعضهم قال: إن قول "لا ينبغي" يدل على التخيير، هذا غير صحيح، بل قوله "لا ينبغي" يدل على شدة المنع وعظم المنع والتحریم.

ثم قال: "ينبغي له أن يسعى على نفسه وعياله، ويبتغي من فضل ربه؛ فإن ترك ذلك على أنه لا يرى الكسب فهو مخالف" بهذا القيد، إن ترك البيع والشراء على أنه لا يرى ولا يستحل الكسب فهو مخالف، أما إن ترك ذلك لأنه مستغن لأنَّ عنده مثلاً مزارع وعنده مال يكتسب منه ومستغني منه ما في إشكال، لا يقال:

(١) الكافية الشافية (ص: ٢٥).

(٢) مريم: ٩٢.

(٣) صحيح. النسائي (١٤٣٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً. الإرواء (١٤١ / ٤)



لأبَدٍ أَنْ تَبِيعَ وَتَشْتَغَلَ! لَا يُمْكِنُ أَنْ يَبِيعَ كُلُّ النَّاسِ وَيَشْتَرِيَ كُلُّ النَّاسِ، لَكِنَّ الْمَقْصُودَ أَنَّ الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ مَا يَقِيتُ نَفْسَهُ وَعِيَالَهُ إِذَا تَرَكَ الْمَكَاسِبَ؛ فَإِنَّهُ عَلَى خِلَافِ الْحَقِّ.

ثُمَّ قَالَ: "وَكُلُّ أَحَدٍ أَحَقُّ بِالْمَالِ الَّذِي وَرَثَهُ" الْمَالِ الَّذِي يَأْتِيكَ أَنْتَ أَحَقُّ بِهِ، إِمَّا أَنْ تَرِثَهُ إِرْثًا شَرْعِيًّا، أَوْ أَنْ تَسْتَفِيدَهُ وَتَصِيبَهُ وَتَكْسِبَهُ بِالْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ "لَا كَمَا يَقُولُ الْمُتَكَلِّمُونَ الْمُخَالَفُونَ" هُنَاكَ طَائِفَةٌ خَبِيثَةٌ تَدْعِي الْيُوزْبَكِيَّةَ - أَصْحَابَ يُوزْبِك - يَرُونَ أَنَّ الْمَالَ مُشْتَرِكٌ، فَمَنْ قَدَرَ عَلَى الْمَالِ فَلْيَأْخُذْهُ بِأَيِّ وَجْهِ! بَلْ يَرَى الْمَنْوِيَّةَ - هُمْ كُلُّهُمْ مِنَ الْمَجُوسِ الْفَرَسِ - أَنَّ الْمَالَ وَالنِّسَاءَ أَمْرٌ مُشْتَرِكٌ! وَهَذَا الَّذِي عَلَيْهِ الشِّيْعِيُّونَ، الشِّيْعِيُّونَ قَائِمَةٌ فِي نَهَايَاتِهَا عَلَى أَنَّ الْمَالَ يَشِيعُ - نَسَأَ اللَّهُ الْعَافِيَةَ - وَتَشِيعُ النِّسَاءَ، فَلَا يَبِيقُ أَحَدٌ لَهُ زَوْجَةٌ وَلَا يَبِيقُ أَحَدٌ لَهُ مَالٌ! مَوْضُوعُ النِّسَاءِ مَوْضُوعُ بَشَعٍ وَشَدِيدٍ، يَرُونَ - نَسَأَ اللَّهُ الْعَافِيَةَ - شِيعَةَ النِّسَاءِ؛ وَأَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ شَخْصٌ لَهُ زَوْجَةٌ! وَإِنَّمَا جَمِيعُ النِّسَاءِ كُلُّهُنَّ حُلٌّ - نَسَأَ اللَّهُ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ - ثُمَّ يَقُولُونَ: وَهُمْ التَّقَدِيمِيُّونَ وَيَسْمُونَ غَيْرَهُمُ الرَّجَعِيِّينَ! أَحْسَبُ النَّاسَ عَقْلًا هَذَا الَّذِي يَفْكَرُ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ؛ أَنْ يُجْعَلَ النِّسَاءُ - نَسَأَ اللَّهُ الْعَافِيَةَ - عَلَى هَذَا الْحَدِّ وَيُوصَلَ الْبَشَرِيَّةَ إِلَى هَذَا، وَاللَّهُ الْفَضْلُ وَالْمَنْ مَا مَكَّثَتِ الشِّيْعِيُّونَ إِلَّا سَبْعِينَ سَنَةً ثُمَّ هَوَتْ فِي زَبَالَةِ التَّارِيخِ إِلَى غَيْرِ رَجْعَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ، لَكِنَّ أَسَاسَ الْفِكْرَةِ عِنْدَ الْيُوزْبَكِيَّةِ وَعِنْدَ الْمَانَوِيَّةِ مِنَ الْمَجُوسِ الْفَرَسِ؛ أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ مَشَاعَةٌ؛ وَأَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَيْهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا! فَلَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الْمَقُولَةَ خَبِيثَةٌ وَقَبِيحَةٌ، وَهِيَ مِنَ أَهْلِ الْكُفْرِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا.

وَالدِّينَ إِنَّمَا هُوَ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَثَارٌ وَسُنَنٌ وَرَوَايَاتٌ صَحَاحٌ عَنِ الثَّقَاتِ بِالْأَخْبَارِ الصَّحِيحَةِ الْقَوِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ الْمَشْهُورَةِ، يَرُويهَا الثَّقَةُ الْأَوَّلُ الْمَعْرُوفُ عَنِ الثَّانِي الثَّقَةُ الْمَعْرُوفُ؛ يُصَدِّقُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى يَنْتَهِيَ ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَوْ التَّابِعِينَ أَوْ تَابِعِي التَّابِعِينَ أَوْ مَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْأُمَّةِ الْمَعْرُوفِينَ الْمُقْتَدِي بِهِمُ الْمُتَمَسِّكِينَ بِالسُّنَّةِ وَالْمَتَعَلِّقِينَ بِالْأَثَارِ الَّذِينَ لَا يُعْرِفُونَ بَدْعَةً وَلَا يُطْعَنُ عَلَيْهِمْ بِكَذِبٍ وَلَا يُرْمَوْنَ بِخِلَافٍ؛ وَلَيْسُوا بِأَصْحَابِ قِيَاسٍ وَلَا رَأْيٍ! لِأَنَّ الْقِيَاسَ فِي الدِّينِ بَاطِلٌ وَالرَأْيَ كَذَلِكَ أَبْطَلُ مِنْهُ.



وأصحاب الرأي والقياس في الدين مبتدعةً جهلةٌ ضلال، إلا أن يكون في ذلك أثرٌ عمّن سلفٍ من الأئمة الثقات، فالأخذ بالأثر أولى، ومن زعم أنه لا يرى التقليد ولا يُقلدُ دينه أحدًا؛ فهو قول فاسق مبتدعٍ عدو لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولدينه ولكتابه ولسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، إنما يريد بذلك إبطال الأثر وتعطيل العلم وإخفاء السنة والتفرد بالرأي والكلام والبدعة والخلاف، فعلى قائل هذا القول لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، فهذا من أخصب قول المبتدعة وأقربها إلى الضلالة والردى، بل هو ضلالة، زعم أن لا يرى التقليد! وقد قلّد دينه أبا حنيفة وبشرًا المريسي وأصحابه، فأبي عدو لدين الله أعدى ممن يريد أن يُبطل السنن ويبطل الآثار والروايات ويزعم أنه لا يرى التقليد؛ وقد قلّد دينه من قد سميت لك وهم أئمة الضلال ورؤوس البدع وقادة المخالفين! فعلى قائل هذا القول غضبُ الله، فهذه الأقاويل التي وصفت مذاهب أهل السنة والجماعة والآثر وأصحاب الروايات وحملة العلم الذين أدركناهم وأخذنا عنهم الحديث وتعلمنا منهم السنن، وكانوا أئمة معروفين ثقات؛ أهل صدق وأمانة يُقتدى بهم ويُؤخذ عنهم، ولم يكونوا أهل بدعة ولا خلاف ولا تخليط! وهو قول أئمتهم وعلماهم الذين كانوا قبلهم، فتمسكوا بذلك رحمكم الله، وتعلموه وعلموه وبالله التوفيق.

.....

ذَكَرَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَصَادِرَ تَلْقَى الدِّينَ الَّتِي يُتَلَقَى الدِّينَ مِنْهَا، فَقَالَ: "وَالدِّينَ إِنَّمَا هُوَ كِتَابُ اللهِ وَآثَارُ وَسُنَنُ وَرَوَايَاتُ صَحَّاحٍ عَنِ الثَّقَاتِ بِالْأَخْبَارِ الصَّحِيحَةِ الْقَوِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ الْمَشْهُورَةِ، يَرْوِيهَا الثِّقَةُ الْمَعْرُوفَةُ عَنِ الثَّانِي الثِّقَةِ الْمَعْرُوفِ، يُصَدِّقُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى يَنْتَهِيَ ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ أَوْ التَّابِعِينَ أَوْ تَابِعِي التَّابِعِينَ أَوْ مَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْأَئِمَّةِ" الدِّينَ يُتَلَقَى مِنْ ثَلَاثَةِ مَصَادِرَ: كِتَابُ اللهِ وَسُنَّةُ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِجْمَاعُ السَّلَفِ الصَّالِحِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فِي الْوَأَسْطِيَّةِ: لِأَنَّهُ الْإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبُطُ، الْإِجْمَاعُ الَّذِي يُمْكِنُ ضَبْطُهُ هُوَ إِجْمَاعُ السَّلَفِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، أَمَا تَلْقَى الدِّينَ مِنْ كِتَابِ اللهِ هَذَا وَاضِحٌ، لِأَنَّ اللهُ تَعَالَى أَنْزَلَ هَذَا الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ لِيَتَلَقَى مِنْهُ الْحَقُّ وَمَا أَبْطَلَهُ فَهُوَ الْبَاطِلُ وَمَا أَحْلَاهُ فَهُوَ الْحَلَالُ وَمَا أَوْجَبَهُ فَهُوَ وَاجِبٌ وَهَكَذَا، وَهَكَذَا مَا يَتَعَلَّقُ بِسُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهَا كَذَلِكَ، إِذِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَطِيعٌ لِرَبِّهِ وَلَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾



(٣) **إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ** (١)، الله تعالى يقول: **﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾** (٢)، الثالث: ما كان عليه الصحابة والتابعون وأتباع التابعين رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، وهم سلف الأمة، الإجماع الذي ينضبط الذي يُجمع عليه هؤلاء، فإنَّ الدين يُتلقى منهم.

هؤلاء القوم هم المستمسكون بالسُّنَّة الذين لا يُعرفون ببدعة، لهذا قال ابن عباس رضي الله عنه لما جاء الخوارج وناقشهم قال: "ما فيكم من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أحد!" (٣) يقول: أنتم الآن ذهبتم إلى هذا الموضوع؛ ولو كنتم تعقلون وتفقهون لتأملتكم جماعتكم، ما فيكم صحابي واحد! الحق يكون معكم وأصحاب النبي عليه الصلاة والسلام لم يشارككم معهم أحد! وهكذا قال قتادة: "إنَّ الخوارج لما خرجوا كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من المهاجرين إلى الأنصار وأمّهات المؤمنين كانوا جميعاً متوافرين؛ والله إن خرج منهم خارجي قط" (٤) يقول: الخوارج ما كان فيهم صحابي! وهذا من دلائل قوله عليه الصلاة والسلام - كما سيأتي إن شاء الله - في الخوارج «سفهاء الأحلام، حدثاء الألسن» (٥)، من سفه حلمهم أنهم يرون شيوخ المسلمين أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم لم يشاركوهم بل ينكرون عليهم ويصرون على رأيهم! لأجل ذلك الذي يكون عليه هؤلاء الأختيار من الصحابة والتابعين هذا هو الحق الذي لا يمكن أن يعدوه، ولو قيل: إنَّ الحق فيمن أتى بعدهم وإنَّ ما كانوا عليه باطلاً! لكان معنى ذلك أن الأمة كانت ضالة حتى اكتشف الحق رافضي أو جهمي أو معتزلي أو غيره! هؤلاء السلف الكرام لا يُعرفون ببدعة ولا يُطعن عليهم بكذب فهم أبعد الناس عن الكذب ولا يُرمون بالخلاف الذي يكون على خلاف النصوص.

ثم قال: "وليسوا أصحاب قياس ولا رأي! لأنَّ القياس في الدين باطل والرأي كذلك، بل أبطل منه، ثم قال: "وأصحاب القياس والرأي في الدين مبتدعة جهلة ضلال" الرأي نوعان والقياس نوعان، القياس

(١) النجم: ٣، ٤.

(٢) النساء: ٨٠.

(٣) المستدرک (٢٦٥٦)، وقال الذهبي رحمه الله: على شرط مسلم.

(٤) عبد الرزاق في التفسير (١ / ١١٥).

(٥) صحيح البخاري (٣٦١١) من حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً.



منه قياسٌ سليمٌ يقيسه العالم المجتهد؛ فيقيس الفرعَ على أصلٍ لعلَّةِ جامعة، فيُعرف حكمَ الفرعِ من حكمِ الأصلِ الموصوفِ لوجودِ العلةِ الجامعة، فيقول: هذه المسألة التي جَدَّتْ هذا حكمها لأنَّ الله قال في أصلها كذا؛ فما هذه إلا فرعٌ لهذه، لكن ما يفعل هذا أيُّ أحد! وإنما يفعلُه العالم الذي يُحسن ويعرف ضبطَ العلة وإحسانَ إلحاقِ الفرعِ بالأصل، فهذا النوع الأول لا يتحدث عنه الإمام حرب رحمه الله، لأنَّ القياس على هذا النحو موجود في الصحابة وفي التابعين وفي السلف، ما فيها إشكال، إنما المقصود القياس المخالف للنص، لهذا قال بعض السلف: أول من قاس إبليس؛ لأنه قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾^(١)، هذه طريقة القياس عنده، يقول: ما دمتُ قد خلقتُ من النار وادمُ خلِقٌ من طين فلا يصح أن أؤمر بالسجود له! ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾^(٢) يقول: كيف تُكْرِمُ عليَّ هذا الذي أصله من طين وأنا من النار! والنار في زعمه أفضلُ من الطين، فلاجل ذلك أبي أن يسجد، عليه يُعلم أن كلام حرب على القياس الباطل الذي تُوجَّهُ به النصوص؛ الذي إذا قيل: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال القائل منهم: القياس يقتضي خلافَ هذا الحديث! قياسك هذا باطل قد علمنا أنه باطل لأنه خالف الحديث، ولو كان قياساً سليماً لما خالف الحديث، وهكذا الرأي، الرأي نوعان: الرأي الصادر عن علم وعن نظر في الأدلة فيما للرأي فيه مجال - مثل المسائل الفقهية - هذا ما يتحدث عنه حرب لأنه يعلم أن هذا رأي محمود، إنما الكلام عن الرأي الذي قُوبِلت به النصوص التي أصلاً لم تأت البدع ولم تنشأ الفرق الضالة إلا منه، فإنه لما كان الاعتقاد على هذا الحد قابلوه بآرائهم الباطلة فصاروا يخالفون الاعتقاد، مع صريح النصوص الدالة على خلاف رأيهم! فكلامه على هذا النوع من القياس وعلى هذا النوع من الرأي، ولهذا ماذا قال بعده؟ "ومن زعم أنه لا يرى التقليد ولا يقلد دينه أحداً؛ فهذا قول فاسق مبتدع" لماذا؟ لأنَّ الأمة تقلد من؟ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تتبعه، تقتضي - به، صلوات الله وسلامه عليه، والصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم أئمة للمتقين كما قال تعالى: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^(٣) فيؤتسى بهم وتُعرف أقوالهم ويُحذى

(١) ص: ٧٦.

(٢) الإسراء: ٦٢.

(٣) الفرقان: ٧٤.



حذوهم رضي الله تعالى عنهم، ولذا إذا جاء إنسان يقول: أنا لا أقلد أحداً نهائياً! الاتباع للنبي صلى الله عليه وسلم أساسه قائم على أن تحذو حذوه عليه الصلاة والسلام، فإذا أردت أن تزيل الأثر والأحاديث وأن تنفرد أنت برأيك؛ فمعنى ذلك أنك تقول: أنا لست ملزماً بحديث تأتي به عن النبي صلى الله عليه وسلم لأني لا أريد أقلد أحداً! بالتالي ماذا سيحدث؟ سترد أحاديث رسول الله إذا خالفت هواك، هذا وجه قوله رحمه الله "من زعم أنه لا يرى التقليد ولا يقلد دينه أحداً؛ فهذا قول فاسق مبتدع عدو لله ولرسوله ولدينه ولكتابه" لماذا؟ لأنه سترتب على قوله هذا أن يرد ما في الكتاب وما في السنة وما أجمع عليه الصحابة باسم أنه لا يقلد، يقول: أنا لا أقلد، النبي صلى الله عليه وسلم قال كذا؛ قال: وإن كان، أنا لا أقلد ديني أحداً، وأنا إنسان حر! لدي فهم ولدي دراية ولدي عقل! أنت الآن تخوض في الغيب، تخوض في غيبات، ليست أصلاً داخلية في نطاق المعقول الذي تعقله وتفهمه، وليست داخلية في الحدود التي يمكن أن تلحق فرعاً بأصل، كيف تخوض في مثل هذه المسألة؟ كيف ترد النصوص الصريحة؟ لهذا القياس الفاسد ما الذي ترتب عليه؟ أن أبيض الحرام وحرم الحلال! لأنه قياس فاسد، لا ينظر صاحبه إلا لهواه ولا يكثر بالأدلة!

يقول: "إنما يريد إبطال الأثر وتعطيل العلم واطفاء السنة والتفرد بالرأي" هذا مراده، فإذا قلنا: لم تفعل هذا؟ يقول: أنا إنسان غير مقلد! أنتم تريدون أن تقلدوا النصوص قلدها، أما أنا فإنسان عندي شخصية وعندي سعة أفق وأنا إنسان لست بالهين؛ أنا لا يمكن أن أجعل هذه النصوص تقودني! بل أنا أعرضها على رأيي فالذي يوافق رأيي أقبله والذي لا يوافق عقلي أنا أردته! لاشك أنه قول ابتداع وضلال لأنه يريد أن يسقط النصوص بهذه الطريقة، لهذا قال: "فعلى قائل هذا القول لعنة الله والملائكة والناس أجمعين" لأنه يؤدي إلى تعطيل النصوص.

ثم قال: "فهذا من أخطر قول المبتدعة وأقربها إلى الضلال والردى" بل هو ضلالة.

ثم قال - مبيناً تناقض هذا - : "زعم أنه لا يرى التقليد، قد قلد دينه أبا حنيفة وبشراً المريسي- وأصحابه!" كلامه رحمه الله هنا عن طائفة من المعتزلة، لأن كثيراً من المعتزلة وأبو حنيفة رحمه الله - سيأتي الكلام عليه - رحمة الله تعالى عليه ابتلي أبو حنيفة رحمه الله بأن كثيراً من المعتزلة دخلوا في مذهبه، فالمريسي- وأضرابه يقولون: نحن على قول أبي حنيفة! مع الفرق الكبير بين أبي حنيفة وغيره، يقول: أنتم الآن قلدم



أبا حنيفة وأنتم تقولون: لا نُقلد النصوص والآثار! فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَلِمَ إِذَا تَقَلَّدَ أَبُو حَنِيفَةَ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَتَرَكَ النَّصَّ الَّذِي قَالَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَكَرَ الْبَشْرَ الْمُرَيْسِيَّ - لِأَنَّ بَشْرَ الْمُرَيْسِيَّ - مِنْ نِفَاةِ الصِّفَاتِ وَمِنْ الْجَهْمِيَّةِ الْمَعْرُوفِينَ - يَقُولُ: تَقَلَّدُونَهُ وَتَقَلَّدُونَ أَبَا حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ وَتَقُولُ: إِنِّي أَنَا لَا أَقْلِدُ هَذِهِ النَّصُوصَ وَهَذِهِ الْآثَارَ!!

ثم قال: "فأبي عدو لله أعدى ممن يريد أن يطفئ السنن" هذا مراده بأن يبطل السنن الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم "ويبطل الآثار والروايات ويزعم أنه لا يرى التقليد! وقد قلد دينه ما قد سميت لك وهم أئمة الضلال ورؤوس البدع وقادة المخالفين، فعلى قائل هذا القول غضب الله" هنا تأتي الكلام عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى، اعلم أن أبا حنيفة رحمة الله تعالى عليه من علماء الأمة وفقهائها، لا يشك في هذا أحد، لكن أبا حنيفة رحمه الله عتب عليه كثير من أهل العلم قوله بقول المرجئة - مرجئة الفقهاء في الإيمان - لأنه تلميذ لحما بن أبي سليمان، وحماد من فقهاء الكوفة فتلقى عنه أبو حنيفة هذا المذهب، لكن اعلم أن ثمة رواية مهمة جداً يرويها حماد بن زيد تُبين لك دين أبي حنيفة وعقله وعلمه رحمه الله تعالى عليه، يقول حماد: كنت أناقش أبا حنيفة فيقول وأقول، ويقول وأقول - يعني في المناظرة والمحاورة - ثم قلت له: إن النبي صلى الله عليه وسلم سُئِلَ أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قال: «الإيمان»، قال: فأبي الإيمان أفضل؟ قال: «الهجرة والجهاد» ثم قال حماد لأبي حنيفة: ألا تراه جعل الهجرة والجهاد من الإيمان - يعني وهما عمل - لأن أبا حنيفة يرى أن العمل - وهذه طريقة المرجئة لا يكون في الإيمان كما شرحتنا - الهجرة والجهاد عمل، ألا تراه جعل الهجرة والجهاد من الإيمان؟ فسكت أبو حنيفة، فقال بعض أصحاب أبي حنيفة: يا أبا حنيفة ألا تجيبه؟ لأن السكوت في مقام المناظرة يُشعر بماذا؟ يُشعر بالضعف، قال: تريدني أن أجيبه وهو يحدثني بهذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١)؟؟ يقول: كيف أرد عليه وقد أتى إليّ بحديث فيه ما يدل على أن العمل من الإيمان؛ أنا إن رددت عليه وواصلت المناظرة فأنا لا أناظر رجلاً اسمه حماد بن زيد! أنا الآن دخلت في خطر كبير هو أني أرد على رسول الله، أنا لن أتكلم، لهذا أخذ بعضهم أن أبا حنيفة يُعدُّ هذا منه نوع رجوع عن قوله في الإيمان، ثم إن أبا حنيفة رحمه الله المعروف عنه أنه كان يقول: "إذا أتى الحديث عن رسول الله

(١) شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (ص: ٣٣٧).



صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعلى الرأس والعين، وإذا أتى عن الصحابي فعلى الرأس والعين - يقول: ما أخالف حتى الصحابي - وإذا أتى عن الصحابة فإننا نختار في أقوالهم ولا نتجاوزها، وإذا أتى عن التابعين فهم رجال ونحن رجال" (١) لأنَّ أبا حنيفة من أتباع التابعين - مشهور هذا -، يقول: لكن يأتيني خبر عن الصحابي أنا لا يمكن أن أخالف الصحابي، خبر عن رسول الله هذا، هو المعروف عنه رحمه الله تعالى فإنه من أهل العلم والورع، وقد كان في الكوفة رحمه الله وكانت الكوفة كما يُعبَّرون عنها معدن الضرب، ليس ضرب العُمَّل لكن معدن الضرب بالأحاديث المكذوبة، وكان يتحوط جداً حتى ذَكَرَ له جابر الجعفي قال: انظر أي رأي تريد وأنا أضع لك فيه حديثاً (٢)! فكان يتحوط بالأحاديث، ولم يكن من أهل الرحلة في الحديث والعلم في الحديث كطريقة الشافعي ومالك وأحمد؛ فصار يقول بأقوال على سبيل الاستنباط والاجتهاد ولا يدري أنه روي فيها حديث، ولو عَلِمَ أنَّ فيها حديثاً لما قال بها، فجاءت عنه أكثر من مسألة من هذه المسائل هي على خلاف النصوص التي لم تبلغه، الإشكال في الذين تعصبوا لقوله ووقفوا عن النصوص وأبوا إلا نصرة قوله - مع تصريحه رحمه الله أنه لا يجمل لأحد أن يقلد قوله ويترك حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -! فهو مبسوط العذر رحمه الله، لأنَّ العالم إذا لم يبلغه الحديث وأفتى وصارت فتواه بخلاف الحديث؛ فإنَّ لسان حاله وحال الشافعي وغيره من أهل العلم "إذا جاء الحديث عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخلاف قولي؛ فخذوا قولي واضربوا به عُرْضَ الحائط" (٣) يعني لا تأخذوا بقولي في هذه الحال، أنا اجتهدت ولم أدر أن ثمة حديثاً يرويه رجل من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يبلغني عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخلاف فتواي، ولهذا الشافعي رحمه الله تعالى في الأم في أحيان كثيرة حين يختار قولاً يقول: "إلا أن يكون في هذا حديث عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" فيسقط كل شيء خالف حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهكذا أبو حنيفة وهكذا مالك وهكذا أحمد وعموم أهل العلم، فأبو حنيفة رحمه الله تعالى عليه حين قال هذا الكلام حرب وغير حرب الحقيقة من أهل العلم إنما قالوه

(١) الانتقاء لابن عبد البر (ص: ١٤٤).

(٢) ينظر تاريخ الإسلام للذهبي (٣/ ٣٨٦).

(٣) إعلام الموقعين (٣/ ٢٢٣).



للمقام الأساس والأكثر في الحقيقة لمن تعصب لقوله وأصرَّ على مخالفة أبي حنيفة نفسه، الذي يصرح أنه إذا جاء القول عنه بخلاف حديث عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا يمكن لعاقل أن يُقدِّم حديثَ النعمان بن ثابت على محمد بن عبد الله، لا يمكن أن نقدم قول أبي حنيفة رحمه الله النعمان بن ثابت على رسول رب العالمين محمد بن عبد الله، لا يقول هذا أحد، لا أبو حنيفة ولا غيره، الإشكال في التعصب، ولهذا ما زاد الشَّرَّ إِلَّا عن طريق المتعصبين، ولهذا ابن أبي العزِّ الحنفي رحمه الله تعالى لما ذكر نقاشات المرجئة قال: والغالب أن هذه المناقشات من الأصحاب - يعني من أصحاب أبي حنيفة ليست منه - فإنَّ غالبها ساقط لا يرتضيه أبي حنيفة؛ إنما جاءت ممن تعصبوا له، وبه يُعلم أنَّ أبا حنيفة يتوسط في أمره رحمه الله، وأنَّ قوله في الإيمان لا شك أنه باطل حين قال: إنَّ الإيمان هو قول واعتقاد فقط! وهذه القصة تُشعر بأنه صار عنده رجوع أو توقف في أصل مقولته بالإرجاء، أما اعتقاده في الصحابة، في القدر، في التوحيد؛ فهو على طريقة علماء السُّنة بلا إشكال، معلوم عنه هذا رحمه الله، والفتاوى التي أفتى بها خالف بها الحديث قد أخبر أصحابه أنه إذا خالف حديثاً عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنَّ قوله يُردُّ لأنه لم يبلغه الحديث، فيقول: لا تجعلوا قولي أنا تُصادم به النصوص! اتركوا قولي وخذوا بقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل إذا جاءكم قول لصحابي فلا تقدموا قولي على الصحابي، هذا المعروف عن أبي حنيفة رحمة الله تعالى عليه، فالإشكال - كما قلنا - أنَّ كثيراً من المعتزلة انتسبوا إليه رحمه الله، هو لا ذنب له، إذا انتسب له المعتزلة في الفقه، المعتزلة ضلالاً، هو على خلاف المعتزلة وعلى خلاف عقيدة المعتزلة، فلا يضره هذا، لكن قوله في الإيمان لا شك أنه قول باطل إذا كان استمر عليه، أما إذا كان تراجع عنه وكما في خبر حماد بن زيد فهذا يعني أنَّ أبا حنيفة تراجع عن هذا القول الباطل، وأما الأقوال التي خالف بها الأحاديث النبوية فأخبرتك أنَّ العذر له في هذا؛ وأنه لم يكن من أهل الرحلة، لأنَّ الحديث أيها الإخوة ليس كما هو الآن تفتح صحيح البخاري وقد تحفظه حفظاً، الحديث كيف تحصل عليه قديماً؟ بالرحلة، فيرحلون إلى علماء المدينة، يرحلون إلى علماء مكة، يرحلون إلى علماء الشام، يرحلون إلى علماء مصر، فكان رحمه الله في العراق وكان فقيهاً مستنبطاً، ولا أحد يشك في فقهه رحمه الله، فكان يقول بأقوال تخالف الأحاديث التي لم تبلغه، أما إذا أتاه الحديث فإنه يترك أيَّ اجتهاد يخالف الحديث، هذا هو المعلوم عنه رحمة الله تعالى عليه.



ختم حرب رحمه الله بعد أن انتهى من هذا بقوله أن هذه الأقوال التي ذكرها هي التي عليه أهل السنة من لقيهم، وهو قول أئمة السنة وعلماهم وأوصى بالتمسك بهذا.
بقية الرسالة - إن شاء الله تعالى - ستكون في عرض الفرق الضالة، وهي محدودة، سنتكلم عنها إن شاء الله بعون الله تعالى غداً، ونهيتها بحول الله عز وجل، فالكلام فيها محدود من جهة أنه كلام عن الفرق، أما العقيدة فانتهى الكلام فيها.

- يقول: ما نصيحتكم للمقبلين على اختيار موضوع رسالة علمية في العقيدة؟

أي رسالة في العقيدة أو في غير العقيدة نوصي من يكتب أن يكون موضوعاً نافعاً، يبحث عن موضوع ينفعه وينفع الأمة، أما مجرد اختيار موضوع مع قلة نفعه أو كون هذا الموضوع مما قد بحث من قبل هذا لا شك أنه ليس بصواب.

- يقول: كيف الرد على من أخرج زوجات النبي صلى الله عليه وسلم من آية التطهير بحجة أنه خطاب

للتبشير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (١)؟

هذا من العجائب، هذا من طريقة الرافضة، ولم يقل بها (٢)، آل البيت في الآية من يدخل فيهم غير الزوجات؟ من رسول الله، لو قيل: "يريد الله ليذهب عنكن" يخرج الرسول صلى الله عليه وسلم؟ فلما قال: عنكم يا أهل البيت؛ من هم أهل البيت؟ رسول الله وزوجاته، فلو قال: يريد الله أن يذهب عنكن خرج الرسول الله صلى الله عليه وسلم، هل هناك أحد يقول: إن رسول الله يخرج عن التطهير؟ هذه من حجة الرافضة، وأحد الشافعية رحمه الله ألف كتاباً مناسباً - لعل الأخ يبحث عنه ويخرجه رسالة - سماه "الحجة الرابضة لحجة الرافضة" الرافضة كالرابضة كالأغنام، الرابضة التي لا تستطيع أن تقوم، فهذه من ضمنها، يعني إذا قيل: "إنما يريد الله ليذهب عنكن الرجز" مع قوله في الآية الأولى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ (٣)

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) جملة غير واضحة

(٣) الأحزاب: ٢٨.



الخطاب كان للنبي صلى الله عليه وسلم ثم ذكر زوجاته، وكان معنى ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أُخْرِجَ! حاشاه عليه الصلاة والسلام، وإنما المقصود أن يدخل الجميع فيه، ولهذا تناولت الآية زوجات النبي صلى الله عليه وسلم بالنص وتناولت غيرهن بالتبع، لأن الموضوع في زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وفي النبي صلى الله عليه وسلم قطعاً، لأنه كما قلنا: يقول الله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (١) فكيف صار لهن هذا المقام وصار لهن هذه الأمور؟ لأجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكونه يقال: يُخْرِجُ الرَسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ التَّطْهِيرِ وَيَكُونُ التَّطْهِيرُ لِلنِّسَاءِ! هذا كما قلنا حجة الرابضة.

- يقول صفات النبي صلى الله عليه وسلم.

يطول الكلام فيها، تستطيع أن ترجع إلى كتب الشرائع التي ذكرت وصف النبي الخلقى صلى الله عليه وسلم في حليته ووجهه وقامته صلوات الله وسلامه عليه وتعرفها.

- كيفية التوبة والرجوع إلى الله عز وجل؟

التوبة والله الحمد ما تحتاج إلى كيفية، أن تقلع عن الذنب الذي أنت فيه، وتندم على ما وقع منك، وتعزم على ألا تعود، فإذا صدقت في هذا فلو مت بعد لحظة واحدة كنت تائباً، أقلعت عن ذنب أنت واقع فيه وما بدر منك في السابق ندمت عليه، وعزمت عزيمة - يعلمها الله من قلبك أنك لن تعود إليه -، ولذلك فسرت التوبة النصوحة بالتي تحققت فيها الشروط الثلاثة.

- يقول صلى الله عليه وسلم: «سيخرج في أمتي كذابون ثلاثون» (٢) مقتصر على ثلاثين رجلاً أم من

اشتهر؟

الذين لهم شوكة، وهم قوة، هؤلاء هم الذين يقصدون، أما ما يقع في بعض الأحيان من هؤلاء المساكين يكون في عقله شيء وفي ذهنه شيء يأتي فيصيح في الحرم: أنا نبي! أو كذا! الحقيقة التعامل معهم خاطئ من قبل كثير من الناس يأتي ويصوره وينشره! ما يحل هذا! إنسان مسكين مجنون عنده إشكال، تصوره وتجعل

(١) الأحزاب: ٦.

(٢) صحيح. أبو داود (٤٢٥٢) من حديث ثوبان رضي الله عنه مرفوعاً. صحيح الجامع (٧٨٥).



الخبر ينتشر! تقول: هناك واحد مدعي النبوة! تأتي بعض المواقع التي تريد الإثارة تقول: رجل يدعي النبوة! هذا مسكين مجنون، هؤلاء كثر، كثر، تارة يدعي أنه نبي، تارة يدعي أنه المهدي، تارة يدعي أنه عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام، هؤلاء مساكين يُستر عليهم ولا يحلُّ تصويرهم، أما التعدي عليهم وضربهم! فله العجب! سبحان الله! تضرب رجل مثل هذا! والله إني أتعجب من هؤلاء، يعني هذا الآن غيرة لله؟ أنت ترى المنكرات كالجبال أمامك؛ وتمر من عندها قد أنزلت رأسك! لكن لما جاء هذا المسكين المجنون وادّعى النبوة ضربته! سبحان الله! أتعجب من هؤلاء، صارت شجاعتك وبطولتك على هذا الضعيف! هذا الإنسان يؤخذ على جانب، إما أن يُرقى بالقرآن أو يؤخذ ويسلم إلى أهله، حتى السجن شرعاً ما يسجن هذا، هذا مسكين يعاد إلى الجهة التي كان فيها، مثلاً قد يكون في مصحة أو غيره، أما تصويره وضربه والتعدي، لا شك أن هذا من التعدي والتجاوز لحدود الله.

- يقول: هل النبي صلى الله عليه وسلم كلم الله مباشرة عندما فرضت الصلاة؟

نعم، النبي صلى الله عليه وسلم كلمه الله كفاحاً، وهذا من عظمة الصلاة أن الله تعالى فرضها بنفسه ولم ينزل جبريل بها كبقية الفرائض! إنما كلمه الله مباشرة.

- يقول: هل تثبت العقيدة بالحديث الصحيح لغيره أو الحسن؟

نعم، إذا ثبت، العبرة أن يثبت.

- يقول: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾^(١) يعني في الجنة، البعض قصر ذلك في المأكل والمشرب والوطء، فهل

هذا صحيح؟

ودليله ما هو؟ ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾^(٢) من كل أمر يشتهونه، أي أمر يشتهيهم أهل الجنة يكون، أما أن

يقصر على هذا! هذا ليس بسليم.

- يقول: ما حكم طلب العلم؟

(١) ق: ٣٥.

(٢) ق: ٣٥.



طلب العلم على نوعين: طلب العلم الذي في المسائل التي لا بُدَّ أن تتعلمها بنفسك كالوضوء وكيفية الصلاة ونحو ذلك؛ يفترض أن تصح عقيدتك وتعرف الاعتقاد في الله، هذا واجب على كل أحد، أما الزيادة في هذا والتوسع في مسائل فقه والأحكام فهذا مندوب إليه، وهو من فروض الكفاية التي ليس للأمة أن تتركها، لكن لا يقال: إن طلب العلم واجب على كل أحد بالمعنى العام! وإنما هناك نوع من المسائل التي يحتاجها كل مسلم في حياته كاعتقاده وطهارته وصلاته لا بُدَّ أن يتعلمها.

- يقول: سمعت الشيخ العلامة ابن عثيمين في عدة شروح ينهى عن الخوض في ما لم يخض به السلف من مسائل الأسماء والصفات؟

نعم، هو رحمه الله وغيره من علماء الأمة كلهم ينوّهون عن الخوض الباطل الذي كان عليه الجهمية والمعتزلة، والرد عليهم ليس من الخوض معهم! وإنما لإبطال شبهتهم، والتفصيل يكون بالحق، يبين الحق ودلائل الأسماء والصفات ونحو ذلك.

- يسأل عن من يناظر الرافضة والإباضية ويستخدم أسلوب السخرية والاستهزاء؟

الذي ننصح به إخواننا أولاً أن لا يناظر أي أحد، الأمر الآخر إذا ناظرت؛ أليست مناظرتك عملاً صالحاً تبتغي به وجه الله؟ أخلص فيه يا أخي، واجعل عليك - إذا كنت مؤهلاً للمناظرة - اجعل عليك سمت أهل السنة، ما معنى أنك تسخر به وتستخف وتضحك الناس عليه؟ حتى هم كيف يهتدون بمثل هذه الطرق، لكن لو قلت: يا أيها الناس أنتم في حال من الضلال والزيغ، انظروا النصوص، انظروا ما فعل بكم ضلالكم، كيف فعلوا بكم! أنا والله لكم ناصح، لا يعث بكم هؤلاء المحتالون، هذا وضع يسمع لك الواحد منهم، أما أن تسخر فيشعر أنك تستهزئ به! هذا ليس منهجاً سليماً.

- يقول: هل يمكن أن الشيطان يتلاعب بالعبد بحيث يريه أنه يرى الله في المنام؟

هو يريه هالة مثلاً من نور أو نحو ذلك ويقول: إنه الله! حاشا لله أن يكون هذا رب العالمين سبحانه وتعالى، لكن يعث به، لكن يقول له: هذا النور الذي تراه الآن إني أنا الله، هل هذه الرؤيا يعني رأى الله فعلاً؟ لا والله ما رأى الله سبحانه وتعالى قطعاً، لكن أن يعث به يقول: هذا ربك، أو يقول: أنا جبريل! هذا يرد على الجاهل.



- يقول: متأخرو المعتزلة يريدون أن يدخلوا فعل المستحبات في حقيقة الإيمان، فكيف يجيبون عن عدم إخراجهم الإيمان بعدم فعلهم المستحبات؟

قلنا لك: هذه من المخانق التي يُخَنَّقُونَ بها، يعني إذا قيل مثل هذا الكلام معنى ذلك أن مَنْ ترك مستحباً خرج من الإيمان! فيسأل عنها أبو هاشم الجبائي وعبد الجبار، هم الذين اختاروا هذا.

- الإسماعيلية طائفة من غلاة الرافضة يجعلون الإمامة في إسماعيل، بينما الرافضة الاثني عشرية يجعلون الإمامة في جعفر، وعقائدهم عقائد الغلاة، نسأل الله العافية، ولا يرون صلاة ولا صوماً ولا زكاة، هذا هو الأصل، وإن كان يوجد منهم جهلة لا يعرفون حقيقة المذهب، وإلا أصول المذهب قائمة على هذا، لأن الباطنية لا ترى صلاة ولا زكاة، لكن عند العوام قد يخرجون لهم أنهم يصلون ولكن حقيقة المذهب بخلاف هذا.

- يقول: ما واجبي كطالب علم إذا سُبَّ الصحابةُ أو أمهات المؤمنين وأنا حاضر؟

الكاف هنا يا إخوة غير صحيحة! بهذه المناسبة، يقول بعض الناس: أنا كمسلم! هذا خطأ، لأن الكاف تشبيه، فيه مُشَبَّهٌ ومُشَبَّهٌ به، كأن تقول: أنا لست بمسلم لكني مثل المسلم! هذه انسوها يا إخوة، هي ترجمة للحرف الانكليزي " as " ودخلت على اللغة العربية، لذلك يسمونها كاف الاستعمار، يعني ما لها وجه، يعني أن تقول: أنت كالأسد، الآن تشبيه، عندي رجل وعندي أسد، مُشَبَّهٌ ومُشَبَّهٌ به، فإذا قلت: أنا كمسلم معناه أني لست بمسلم ولكني أشبه المسلمين! وهكذا قال: أنا كرجل، أنا كطالب علم، ما يصلح هذا الأسلوب، انسوه تماماً، إذن تقول: ما هو واجبي بصفتي طالب علم.

ما واجبي إذا سُبَّ الصحابةُ أو أمهات المؤمنين وأنا حاضر؟

دافع عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولا تسكت، وإذا كان هؤلاء في بيتك فأخرج أعداء الله عز وجل، وإذا كنت في مجلس أنت حاضره فردد عليهم وأسكتهم؛ فإن سكتوا وإلا اخرج واركع ما هم فيه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه



المجلس السادس

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

اللهم اغفر لنا ولشيخنا وللحاضرين والسامعين وجميع المسلمين

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

ولأصحاب البدع وألقاب وأسما لا تشبه أسماء الصالحين ولا الأئمة ولا العلماء من أمة محمد صلى الله
عليه وسلم، فمن أسمائهم:

المرجئة: وهم الذين يزعمون أن الإيمان قول بلا عمل، وأن الأيمان قول؛ والأعمال شرائع، وأن الإيمان
مجرد، وأن الناس لا يتفاضلون في الإيمان، وأن إيمانهم وإيمان الملائكة والأنبياء واحد، وأن الإيمان لا يزيد
ولا ينقص، وأن الإيمان ليس فيه استثناء، وأن من آمن بلسانه ولم يعمل؛ فهو مؤمن حقاً، وأنهم مؤمنون عند
الله بلا استثناء، هذا كله قول المرجئة، وهو أخبث الأقاويل وأضله وأبعده من الهدى.

.....

الحمد لله وصلى الله وسلم على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد

يقول رحمه الله تعالى: "ولأصحاب البدع نبد وألقاب" سنتكلم بإذن الله عز وجل بشيء من التفصيل
عن الفرق ونشأتها وأسباب ظهورها وموقف الصحابة رضي الله تعالى عنهم والسلف منهم حين خرجوا،
نظراً للأهمية البالغة لهذا الأمر وليربط المتأخرون بالمتقدمين؛ فالمتأخرون من أهل الضلال والبدع اليوم هو
كما تقول العرب: "لكل قوم وارث" هم امتداد لأناس ممن قبلهم، يأتي بحول الله عز وجل التفصيل لهذه
الفرق، فأول ما نبدأ به حديث الافتراق، جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه أنه قال: «ستفترق
هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة»^(١) وفي بعض الألفاظ: «على ثلاث وسبعين ملة، كلها في النار إلا

(١) صحيح. ابن ماجه (٣٩٩٣) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً. الصحيحة (٢٠٤).



واحدة»^(١) فدلَّ على أن الذي وقع فيمن قبلنا من الأمم سيقع فينا لأنه صلى الله عليه وسلم قال: «افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافتترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة»^(٢)، سُئِلَ عليه الصلاة والسلام عن هذه الواحدة فقال: «هي الجماعة»^(٣) وفي بعض الألفاظ أنه قال: «مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»^(٤)، من فقه الصحابة رضي الله عنهم وعلمهم ودقة فهمهم أنهم ما سألوا عن الثنتين وسبعين، وإنما سألوا عن الناجية، أما الهلكى كثر ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رُسُوهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾^(٥)، ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾^(٦)، ﴿وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(٧)، فلا تنظر أنت إلى مجرد الكثرة، انظر إلى الحق والصواب، الحق والصواب لا يمكن أن يعدو النبي صلى الله عليه وسلم ومن كان على هديه، فمن كان على طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو الذي على الحق وإن كانت أعداد المخالفين كثيرة كاثرة، والعبرة بالحق الأول ولهذا قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إنكم ستحدثون ويُحدث لكم؛ فعليكم بالأمر العتيق»^(٨) يعني القديم، إذا جاءت هذه البدع والإحداثيات فعليكم بالقديم الأول السابق الذي كنتم عليه والذي عرفتم عليه سلفكم الصالح، أما ما يحدث وهو كثير جدًا، العالم الآن يموج بأنواع من الضلالات، يعجب العاقل - سبحان الله العظيم - يعجب غاية العجب كيف يوجد أنصار لأصحاب هذه الفكرة، فكرة لا تجري إلا على أشباه المجانين، وتجد لها من الأنصار ما يصل إلى الملايين! فالعبرة لما قلنا: إن الصحابة رضي الله عنهم من فقههم أنهم لم يسألوا عن الهلكى، الهلكى كثير، وإنما سألوا عن الفرقة التي تنجو حتى تعلم وتتحدد، فمن كان على خلاف هذه

(١) حسن. الترمذي (٢٦٤١). صحيح الجامع (٥٣٤٣).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) صحيح. ابن ماجه (٣٩٩٣). صحيح الجامع (٢٠٤٢).

(٤) المستدرک (٤٤٤).

(٥) المؤمنون: ٤٤.

(٦) الروم: ٤٢.

(٧) يوسف: ١٠٣.

(٨) سنن الدارمي (١٨١) بنحوه.



الفرقة فهو من الهالكين، فلما قيل: مَنْ هي يا رسول الله؟ مَنْ الناجية؟ قال: «الجماعة» والجماعة هي الجماعة الأولى جماعة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، طبعاً هي الناجية، عند الجميع لا أحد يستطيع أن يقول: إن الجماعة التي كانت زمن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هالكة، فيقال: كل مَنْ مضى على منوال تلك الجماعة فهو قطعاً ناجٍ، ومَنْ خالف تلك الجماعة وأتى بالإحداث والبدع فهو من ضَمِينِ الْفِرَقِ الضَّالَّةِ.

هذا في أول ما ينبغي التفطن له حديث الافتراق له أهمية، لأنه أخبر أن الضلال سيفشو وينتشر - ويكثر أتباعه حتى يكونوا بهذه الأعداد الغفيرة في الأمة، أما مَنْ ينجو فهو الذي يلزم طريقة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رضي الله تعالى عنهم ويسلك عليه حتى يلقي الله تعالى ثابِتاً ولا يكثرث ولا ينظر، ولهذا قال السلف: "عليك باتباع مَنْ سلف ولا تستوحش من قلة السالكين" لا يستوحش الإنسان أن العدد قليل، ما ذكرناه من الآيات والنصوص الدالة على أن الكثرة هالكة - نسأل الله العافية -، وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾^(١) وقال: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) فعلى طالب العلم وعلى مَنْ أراد النجاة لنفسه بعد أن عَلِمَ أن النجاة فيمن كان على مثل ما عليه النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يحرص على التعلُّم والتزوُّد حتى يكون على بصيرة، لأنَّ جميعَ الْفِرَقِ الضَّالَّةِ - كل هذه الْفِرَقِ الضَّالَّةِ - تدَّعي كل فرقة أنَّها هي الناجية وأنَّ مَنْ سواهم هم الهالكون، وهذا أمر سهل أن يدَّعى، لكنَّ العبرة بأن يكون هذا الأمر عن علم وبصيرة، أمَّا الدعوة فقط؟ طبعاً هو لم يجمع أحداً حوله ويدَّعي أنَّه على صواب وعلى هدى إلا وهو يزعم أنه الناجي وأنَّ مَنْ سواه هالك، هذا فيما يتعلق بالمقدمة الأولى.

المقدمة الثانية: ما أول الْفِرَقِ ظهوراً؟ أول ما نشأ في الأمة من البدع فرقتان متقابلتان، نشأت فرقة الخوارج الأوائل وهم المسمون بـ "المُحَكَّمَةِ الأولى" وكان خروجهم على علي رضي الله عنه وأرضاه وقتالهم له واضح، لكنَّ الحقيقة أن الخوارج قتلوا عثمان رضي الله عنه وأرضاه؛ فكانت البذرة الثانية لهم في زمن عثمان حين دهموا المدينة وحاصروا بيت عثمان رضي الله عنه وأرضاه، وعرضوا مطالب معينة، منها أن

(١) سبأ: ١٣.

(٢) سبأ: ٢٠.



يتنازل عن الخلافة، وأخبره عليه الصلاة والسلام أن هذا حاصل له ونهاه عن أن يتنازل عن الخلافة وقال: «إِنَّ اللَّهَ قَمِّصُكَ قَمِيصًا فَأَرَادَكَ الْمَنَافِقُونَ عَلَى خَلْعِهِ فَلَا تَخْلَعْهُ»^(١) وهذا هو السبب في إصرار عثمان على أن لا يتنازل عن الخلافة، بخلاف ما يقوله الجهلة الذين بلغ بهم الأمر أن يقولوا: إن عثمان ما كان ينبغي أن يُصْرَّ- على منصب الخلافة! ولما وصلت الأمور إلى ما وصلت إليه كان ينبغي أن يتنحى! يظنون المسألة ألعوبة! المسألة فيها نص نبوي، فيها نهي نبوي لعثمان رضي الله عنه أن لا يتنازل، وفيه حكمة كبيرة جدًا، إذا كانت المسألة ستكون عند الرعاع وأهل الفوضى والهمج كلما غضبوا على ولي الأمر دهموا بيته وقالوا: له تنازل، فإذا تنازل ماذا يحدث؟ لا يكون في الأمة حاكم، من يمكن أن يحكم، هذا المعبر عنه في عرف السياسيين بالفراغ السياسي، يحصل هناك فراغ، ماذا يمكن أن يحدث؟ يمكن أن يحدث كل شيء، يمكن أن يتفرق البلد إلى عدة بلدان، يمكن أن تدب فوضى عارمة وهائلة لا يدرى متى تنتهي، قد تكون لسنين متطاولة، ويهلك الناس بعضهم بعضًا، ويأكل قويمهم الضعيف كما كان في الجاهلية، فأصرَّ عثمان رضي الله تعالى عنه وأرضاه على هذا لنهي النبي صلى الله عليه وسلم له عن أن يتنازل، وسمى النبي صلى الله عليه وسلم هذا المنصب سماه بالقميص الذي قمصه الله تعالى عثمان، وهو منصب في ولاية الأمر لا يصلح أن يكون ألعوبة يتلاعب به الرعاع والهمج! كلما أراد أحد أن يسقط حاكمًا دهم بيته وحاصره وقال: تنازل وإلا قتلناك! ولهذا قال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: "أتريدون أن تكونوا مثل فارس والروم؟ كلما غضبوا على ملك قتلوه!"^(٢) يعني هذه سنة الكفار، إذا غضبوا على ملوكهم وعلى ولاية أمرهم قتلوهم وحاصروهم وداهموهم، أما أهل الاسلام فتقدم بالتفصيل ما الواجب في حال وجود شيء من مظالم ولاية الأمور، هذا أمر يتعلق بهذه الفرق، وبه يعلم أن السبب في موقف عثمان رضي الله عنه في إيذائه حتى قتل رضي الله عنه وأرضاه أنه كان قد زاد عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وكان ذلك على حساب فوات نفسه وقتله شهيدًا رضي الله تعالى عنه وأرضاه، فلما خرج الخوارج - في أول ما خرجوا - بداياتهم هو دهمهم المدينة وقتلهم لعثمان رضي الله عنه، ثم إنهم من شرهم وفسادهم العظيم انضموا وأظهروا الانضمام إلى جيش علي رضي الله عنه وأرضاه، ثم

(١) صحيح. الترمذي (٣٧٠٥) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا. صحيح الجامع (٣٠٤١).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٣٧٦٩٢).



تَمَنَعُوا عَلَى عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَفَرُوا بِهِ كَمَا كَفَرُوا وَعَثَمَانَ قَبْلَهُ، وَانْحَازُوا إِلَى بَلَدٍ يُسَمَّى حَرُورَاءَ - كَمَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي الْكَلَامِ عَنِ الْخَوَارِجِ - إِلَى أَنْ قَاتَلَهُمْ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي آخِرِ الْأَمْرِ وَأَبَادَ خَضِرَاءَهُمْ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَأَرْضَاهُ، ثُمَّ إِنَّهُمْ - وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ فِي الْخَوَارِجِ يَظُنُّونَ أَنَّ الْحُلَّ لِأَوْضَاعِ الْأُمَّةِ هِيَ فِي الْإِغْتِيَالَاتِ - اتَّفَقَ ثَلَاثَةٌ مِنْهُمْ عَلَى أَنْ يَغْتَالُوا ثَلَاثَةَ رُؤُوسٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَعَاوِيَةَ وَعَلِيًّا وَعَمْرُو بْنَ الْعَاصِ، فَالَّذِي أَرَادَ إِغْتِيَالَ مَعَاوِيَةَ ضَرَبَهُ ضَرْبَةً غَيْرَ مَاضِيَةٍ - وَكُلُّهُمْ اتَّفَقُوا أَنْ يَقْتُلُوهُمْ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ - لِأَنَّ صَلَاةَ الْفَجْرِ فِيهَا كَمَا تَعْلَمُ اخْتِلَاطُ الظُّلْمَةِ، فَأَرَادُوا أَنْ يَكُونَ قَتْلُ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ، وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَكُونَ قَتْلُهُمْ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، لِأَنَّهُمْ يَرُونَ أَنَّ قَتْلَ الْحُكَّامِ وَقَتْلَ وِلَاةِ الْأُمُورِ هُوَ الَّذِي يَزِيحُ مَشَاكِلَ الْأُمَّةِ، وَإِلَى الْآنِ وَهَذَا هُوَ فِكْرُ الْخَوَارِجِ، لَاحِظْ أَنَّهُمْ حِينَ يُعَبَّرُونَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: الْحُكَّامُ هُمُ السَّبَبُ فِي الْإِشْكَالِ؛ فَلَوْ أزيلَ الْحُكَّامُ زَالَتِ مَشَاكِلُ الْأُمَّةِ! وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ الْأَمْرَ كَمَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَنَّ الْأَمْرَ فِي تَوَلِيَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لِلْحُكَّامِ هُوَ بِحَسَبِ مَا فِي الرَّعِيَّةِ، فَحَسَبِ النِّقْصِ الَّذِي فِي الرَّعِيَّةِ يَكُونُ حَالُ حُكَّامِهَا؛ وَأَنَّ النِّقْصَ نَاشِئٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ وَالْحُكَّامِ عَلَى حَدِّ سِوَاءٍ وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَسْلُطُ الْحُكَّامَ إِذَا سَلَّطَهُمْ لِنِقْصِ فِي الرَّعِيَّةِ أَنْفُسِهِمْ، حَتَّى قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ وَاسْتَدَلَّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ (١) ذَكَرَ هَذِهِ الْآيَةَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، قَالَ: إِنَّ تَسْلِيطَ الْحُكَّامِ هُوَ لِفَسَادٍ فِي الرَّعِيَّةِ، وَهَذَا أَمْرٌ لَا يَجِبُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَقَالَ، وَهَذِهِ هِيَ الْحَقِيقَةُ وَالسُّنَّةُ الْإِلَهِيَّةُ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِنَّمَا يَسْلُطُ هَؤُلَاءِ لِفَسَادٍ فِي الرَّعِيَّةِ، وَإِذَا صَارَ فِي الْحُكَّامِ نِقْصٌ فَلِنِقْصِ فِي الرَّعِيَّةِ، وَإِذَا صَلَّحَ حَالُ الرَّعِيَّةِ أَصْلَحَ اللَّهُ تَعَالَى حَالَ الْحُكَّامِ، لِأَنَّ الْحُكَّامَ وَالْمُحْكُومِينَ هُمُ قَطْبَا الْجَمَاعَةِ كَمَا قُلْنَا، فَتَأْتِرُ أَيُّ طَرَفٍ سَلْبًا أَوْ إِجْبَابًا يَنْعَكِسُ عَلَى الْجَمَاعَةِ عَمُومًا، لِأَنَّ الْجَمَاعَةَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقَالَ: نَحْنُ الْجَمَاعَةُ وَالْحُكَّامُ لَا شَأْنَ لَنَا! مُسْتَحِيلٌ هَذَا الْكَلَامُ، لِذَا قَالَ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: "إِنَّهُ لَا جَمَاعَةَ إِلَّا بِإِمَارَةٍ" لَا يُمْكِنُ أَنْ تَوْجِدَ جَمَاعَةً إِلَّا إِذَا كَانَ هُنَاكَ وِلَايَةٌ "وَلَا إِمَارَةً إِلَّا بِطَاعَةٍ" (٢) لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ إِمَارَةٌ وَتَسْتَقِرَّ الْوِلَايَةُ إِلَّا إِذَا كَانَ هُنَاكَ طَاعَةٌ مِنْ قَبْلِ الرَّعِيَّةِ، ثُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْخَوَارِجَ كَمَنُوا هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أَمَّا الَّذِي كَمَنَ لِعَلِيِّ فَهُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مَلْجَمٍ، وَجَاءَ فِيهِ الْحَدِيثُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ

(١) الْأَنْعَامُ: ١٢٩.

(٢) رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ (٢٥٧)، وَأَعْلَاهُ الشَّيْخُ حُسَيْنُ أَسَدٌ حَفِظَهُ اللَّهُ فِي تَحْقِيقِهِ.



عنه: «أشقاها يا عليّ الذي يضربك على هذا - يشير النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى رأسه - فيسيل الدم على هذه - يعني لحيته»^(١) وكذلك كان، فإنه ضربه - قاتله الله - ضربه على رأسه فسال الدم على لحيته؛ فلم يمكث إلا ثلاثة أيام ثم لقي الله شهيداً رضي الله تعالى عنه وأرضاه، الذي أراد اغتيال معاوية في نفس اليوم ضربه ضربةً لكنّها غير ماضية، ضربه على أسفل ظهره فانقطع منه النسل لكن لم يمت منها، الذي أراد معاوية في الشام وعلياً في العراق وعمرو بن العاص في مصر؛ الذي أراد قتل عمرو في نفس اليوم اتجه إلى الإمام الذي يصلي وقتله، وكتب الله أن عمرو غاب عن صلاة الفجر ذلك اليوم وصلى خارجه، فقال الخارجي: "أردتُ عمراً وأراد الله خارجه" فصارت مثلاً في العرب، يعني يقول: أنا أردتُ أن أقتل عمرو بن العاص؛ وقدّر الله أن عمرو لا يصلي بهم الفجر في ذلك اليوم، تظنّ الخوارج أن هذه الاغتيالات هي السبيل والطريق السليم لإنهاء مشاكل الأمة، وهي التي تُفاقم في الواقع، تفاقم الأمور على عكس ما يظنون، لكن من قال النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيهم: «سفهاء الأحلام وحدثاء الأسنان»^(٢) لا يُستغرب منهم هذا، الخوارج لما بالغت في شأن عليّ رضي الله عنه بالدم والقدرح قابلتهم الرفضة، وكانت بداياتهم بدايات من يريد تعظيم عليّ رضي الله عنه وذبّ عن مقامه؛ وأنّ عليّاً رضي الله عنه ليس كما تقول الخوارج في تكفيره والإساءة إليه ونحو ذلك، لكن زاد الأمر عند الشيعة حتى وصلوا إلى حدود تأليهه من دون الله - كما سيأتي بإذن الله تعالى شرحه -، خرج بعد ذلك القدرية، القدرية هم نفاة القدر والمقصود بهم نفاة القدر الأوائل - معبد الجهني وغيلان كما ذكرنا - وهؤلاء أبادهم بنو أمية، بعد ذلك خرجت بدعة إنكار الصفات، وأول من أنكر الصفات الجعد بن درهم، وكان له أتباع يسمون الجعدية، ومنهم الجهم الذي تعلّى على شيخه وصار أشهر منه، وصار زعيم الجهمية، هؤلاء يقوم مذهبهم على إنكار الصفات، ولهذا قتل الجعد بن درهم يوم عيد الأضحى، تعمّدوا أن يقتلوه يوم عيد الأضحى، وقال القسري: "ضحّوا تقبّل الله ضحاياكم؛ فإني مضحّ بالجعد بن درهم، إنّه زعم أن الله لم يكلم موسى تكليماً؛ ولم يتخذ إبراهيم خليلاً!!!"^(٣) تعالى الله عما

(١) صحيح. رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٦٠٦٩) من حديث عليّ رضي الله عنه مرفوعاً. الصحيحة (١٠٨٨).

(٢) صحيح البخاري (٣٦١١) من حديث عليّ رضي الله عنه مرفوعاً.

(٣) السنّة لأبي بكر بن الخلال (٥ / ٨٨).



يقول الجعد علواً كبيراً، لأنه كان ينفي صفة الخلة - يعني المحبة - وينفي صفة تكليم الله تعالى لموسى، وهكذا كان يقول بالمقولة الخبيثة التي قالت بها الجهمية لاحقاً والمعتزلة في القرآن، فقتل ولم يمهل، كان قتلُه بفتوى أهل العلم، لأن مقولته مقولة يستحق عليها القتل وكذلك كان، ثم تلونت البدع وتداخلت، وهذه مسألة ينتبه لها طالب العلم، تداخلت كثير من الفرق في بعضها - كما سيأتي الكلام إن شاء الله على الفرق لاحقاً -، تداخلت الكثير من الفرق في بعضها، وذلك أن الفرق ليس لها منهج علمي ثابت، فليست قائمة على أساس علمي من القرآن السنة وعلى فهم سليم فهمه السلف! وإنما هذه الفرق تنشأ ويؤثر فيها تيار أو شخص معين ثم يأتي تيار أو شخص أشهر من السابق فيؤثر فيها؛ فيأخذ آراءً من هنا وهذا يأخذ آراءً من هنا، ولهذا تجد الفرقة الواحدة لا تثبت على قول، تجد أن الأقوال تتلون - كما سيأتي إن شاء الله التمثيل عليه في بعضها -، معظم هذه الفرق تنسب إلى شخص، فالجهمية منسوبة إلى الجهم بن صفوان، الجعدية منسوبة إلى الجعد بن درهم، والأزارقة منسوبة إلى نافع بن أزرق، النجدات منسوبة إلى نجدة الحروري، الإباضية منسوبة إلى عبد الله بن إباض، وهكذا، فإما أن ينسبوا إلى أشخاص - وهم الذين أتوا بالبدعة -؛ وإما أن ينسبوا إلى بدعتهم نفسها، كأن ينسب الخوارج - هذه النسبة - لأنهم يرون الخروج على ولاة الأمور بالسيف، وكأن يسمى المعتزلة بالمعتزلة لاعتزالهم - كما سيأتي إن شاء الله تعالى - حلقة الحسن وبدايات الضلال من طريق واصل وعمرو بن عبيد فيما بعد وهكذا، فإما أن ينسبوا إلى شخص وإما أن ينسبوا إلى نفس المقالة التي يقولون بها، وذلك أن أئمة الضلال - كما قال شيخ الإسلام كلمة عظيمة جداً - يقول: أئمة السنة ليسوا كأئمة البدعة، فأئمة السنة تنسب إليهم السنة لأنهم مظاهر ظهرت فيهم السنة، وأئمة البدعة تنسب إليهم البدعة لأنهم مصادر صدرت عنهم البدعة، فرق كبير، يعني أحمد بن حنبل يُقال: إمام أهل السنة، لم؟ هل لأنه اخترع السنة؟ لا، لكن لأنه ظهرت فيه السنة وصار إماماً كما قال الله تعالى: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (١)، وصار إماماً في زمنه لأهل السنة، الشافعي إمام لأهل السنة، مالك إمام لأهل السنة، البخاري إمام لأهل السنة وهكذا، لأنهم يستمسكون بالسنة فيكونون أئمة فيها، فهم مظاهر ظهرت فيهم السنة، في كل أمورهم، سواء في عباداتهم أو في اعتقادهم أو في معاملاتهم، هم على السنة، يقول: أمّا



أهل البدع فمصادر صدرت عنهم البدعة، هم الذين اخترعوا البدعة، فبدعة الاعتزال صدرت عن واصل، بدعة التجهم صدرت عن الجهم وهكذا، فهم أئمة فيها لأنهم صدرت هذه المقالات عنهم وبئست الإمامة. هل لهذه الفرق وجود الآن أو هذا تاريخ قديم لا حاجة إلى أن يذكر ولا سيما هو تاريخ سيء - تاريخ الفرق الضالة تاريخ سيء - لماذا يُذكر؟ هذا ما يثيره بعضهم، وهو دالٌّ على عدم الإمام وعدم الفهم - لا لواقع الأمة من جهة؛ ولا لواقع المقالات -، لأنَّ الناس في بعض الأحيان يستمع الواحد منهم كلمة فلا تحرك فيه ساكنًا ولا يدري أنَّ هذه الكلمة أصلها من الخوارج، يستمع كلمة فلا تحرك فيه ساكنًا ولا يدري أنَّها من مقالات المرجئة، نعطيك مثالًا، كثير من الناس إذا قيل له: اتَّقِ الله، اترك عنك المعاملات المحرَّمة، حافظ على الصلوات، اترك عنك الغفلة وهذه الإضاعة، يقول: الله غفورٌ رحيم، لا تشدد، اتركونا من هذا التشديد وهذه المبالغة، أهمُّ شيء الإيمان، انظر العبارة، إذا وَجَدَ الإيمان فالله غفورٌ رحيم، تدري أنَّ هذه مقالة المرجئة؟ لكن لا يدري هذا العامي، لأنَّ المرجئة تقول: الإيمان لا يضُرُّ - معه معصية! فهذه المقالة تسربت إلى الناس وهم لا يشعرون، فتجد واحدًا من عوام أهل السُّنَّة لكنه يقول مقالات لا يشعر بها، عبارات أخرى تجد أصلها من الخوارج، في المبالغة في النظر إلى العاصي والقول بأنَّ بعض المعاصي لا يفعلها إلا كافر! كأن نسمع مثلًا أنَّ رجلاً قتل أباه - نسأل الله العفو - وهذا منكر عظيم، يقول: هذا ليس بمسلم! هذا لا يمكن أن يكون مسلمًا أبدًا! هذا كافر! ماذا فعل هذا؟ كفر بالذنب كما أنَّ الأول قال بمقولة المرجئة، بعض الناس إذا ذُكر عمرو بن العاص أو معاوية رضي الله عنهما نال منهما دون أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، هذه مقالة شيعة رافضية، وهكذا فيتسرب إلى الناس إما من خلال التقاء الناس بهذه الفرق الضالة أو من خلال القراءة من قبل من لا يحسن ولا يفهم في كتب ومواقع أو النظر إلى هذه المناظرات التي يقوم بها أهل الضلال، وبعض الناس عنده فضول يجب أن يطَّلع يقول: أريد أن أطلع ما الذي عند الرافضة؟ ما الذي عند الملاحدة؟ ما الذي عند النصارى؟ فيؤدي هذا به إلى أن تتسرب إليه جملة من الشُّبه يعجز عن حلِّها؛ وتبقى هذه الرواسب عنده مؤثرة في اعتقاده - سواء صرَّح بها أو لم يُصرِّح -، الحاصل أنَّ هذه الفرق موجودة، وبعضها لا يزال باسمه موجودًا، وبعض الفرق إن اندثر الاسم - ولا سيما المعتزلة - فإنَّ مقالاتها كما سيأتي إن شاء الله تعالى قد أخذتها جملة من الطوائف، ولهذا الجهم بن صفوان هل هناك شخص الآن



ينتمي إلى الجهم بن صفوان؟ لا يوجد شخص الآن يقول: أنا أنتمي إلى الجهم بن صفوان، الجهم بن صفوان مقالاته انتشرت في الفرق، ولم يسلم من مقالات الجهم بن صفوان - وهو من العجائب - لم تسلم من مقالاته أي فرقة ضالة، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى في مقالات الجهم بن صفوان بعد أن ذكرها واستفحها وانتشارها فقال: "ولذا تقاسمت الطوائف قوله ... وتوارثوه إرث ذي السهمان، لم ينج من أقواله طراً سوى ... أهل الحديث وشيعة القرآن" (١) يعني ما نجا منه إلا أهل السنة، أما البقية فإنك تجد مقالات الجهم بن صفوان عند المعتزلة مع أن المعتزلة عادوا الجهم بن صفوان، تجد مقالات الجهم بن صفوان عند الماتريدية وعند الأشاعرة، تجدها عند بلدان الخوارج من الإباضية في عمان وغيرها، تجدها لا تزال موجودة عند طائفة كبيرة من الصوفية في أصل مقالة الجهم بن صفوان في رب العالمين سبحانه وتعالى وهكذا، فتوارثوها إرث ذي سهمان، فلا يدري بعضهم أن هذه المقالة أصلاً من الجهم بن صفوان، لكن مقالاته انتشرت، العبرة يا إخوة ليست بالاسم! العبرة بالاعتقاد الفاسد، وهو موجود في هذه الفرق الضالة - نسأل الله العفو والعافية -، ولهذا التنبيه على خطر الفرق وتوضيح مقالاتها والرد عليها في غاية الأهمية، وما يظنه بعضهم من أن هذه الفرق الآن تاريخ قديم وليس له وجود! هذا من قلة بصيرتك ومن قلة درايتك، ما سيأتي إن شاء الله عند ربط هذه الفرق ببعضها.

هذه مقدمة نحب أن نذكرها بين يدي الكلام على الفرق الضالة لأن هذه الفرق صارت لها ألقاب ونبذ تُبذ به، تُعرف بهذا اللقب الذي تلقب به وبهذه التسمية التي تسمى بها.

"لا تشبه أسماء الصالحين" أسماء الصالحين التي ذكرها الله تعالى أسماء الإيمان وأسماء الإسلام وأسماء السنة ونحوها لا تجد هذه الأسماء فيهم، لا تشبه أسماء الصالحين ولا الأئمة ولا العلماء من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وهنا ننبه كل من يتقي رب العالمين من أهل السنة ولا سيما في أوقاتنا هذه ليتق الله عز وجل أن يسمي شيئاً بغير السنة، أنت الآن تسمع الكلام الخطير في موضوع الفرق، انتبهوا يا إخوة لهذه التصنيفات الفاسدة التي أضل بها الشيطان كثيراً من الناس، الآن هذا التنازع الموجود بين الكثير من شباب السنة لا يدرون بخطورته، لأن النبذ لا يكون للسني، السني لا ينبذ لأن السنة سني، فإن أخطأ يقال: هو

(١) هنا ذكر الشيخ - حفظه الله - هذه الآيات بلفظ قريب، وقد أثبت اللفظ من مصدره. الكافية الشافية (ص: ١٥).



أخطأ في كذا، يحدد، لكن إذا نبذته باسم كأن تقول: إنه جهمي، إنه مرجي، إنه خارجي، أنت الآن أخرجه من السنة، ذكرنا في بعض الدروس القريبة الآن، الخارجي شرعاً إذا ثبت عند القاضي أنه خارجي ما حكمه؟ واضح في الشرع، الخارجي يقتل؟ والنبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتلهم بقوله: «اقتلوهم أينما لقيتموهم»^(١)، «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»^(٢) فأنت إذا قلت لشخص أنه خارجي فأنت تشيط بدمه، تقول: يستحق القتل! كما أنه الخارجي إذا قال: إن هذا ارتد وكفر يشيط بدمه! يعني أنه مرتد يستحق القتل، فلا تتساهلوا في الإطلاق، وهذه التسميات الجديدة الآن التي صار يتقاذف بها الشباب فيما بينهم، وللأسف الشديد، الشباب ما تقاذفوا إلا بعد ما تقاذف الدعوة، يعني هذا التقاذف الذي صار بين الشباب ما أتى من أنفسهم، وإنما صار لما الدعوة يتقاذفون بها، والعجيب أن بعضهم يطلق ألفاظاً خطيرة جداً فيقرن بين لفظ من ألفاظ المذاهب الحديثة مثل العلماني والليبرالي ويدخله في هذه الألفاظ الجديدة، صار يتهم هذا بأنه ليبرالي وأنه علماني وهو يعرف أن العلمانية والليبرالية من هذه المذاهب الفظيعة الخطيرة التي أتت من مذاهب أهل الإلحاد، فصار يستسهل كثير من الناس مثل هذه الإطلاقات فلا يدرون، يقول الإمام مالك رحمه الله تعالى لما سئل من أهل السنة؟ قال: "الذين ليس لهم لقب يعرفون به، هؤلاء هم أهل السنة"^(٣) قيل له: ما السنة؟ قال: "ما ليس له اسم إلا السنة"^(٤)، السنة ما لها اسم إلا السنة، طيب من هم أهل السنة؟ قال: السنة لا نحتاج أن نعرفهم! لأن أهل السنة الذين ليس لهم لقب يعرفون به لا رافضي ولا جهمي ولا غيره، فإذا صار أهل السنة فيما بينهم يلقب بعضهم بعضاً بفرق الضلال هذه؛ معنى ذلك أن الإحداث دخل بين نفس أهل السنة، فإن قلت: هو يقول مقالة خاطئة! نقول: لا تسكت على المقالة الخاطئة، لكن يوجد فرق كبير جداً بين أن تقول هو أخطأ في كذا وبين أن تخرجه من السنة، أو أن تلقبه بلقب تشعر بأنه ليس من أهل السنة، لأن معلوم أن أهل السنة لا يُسمون بهذه الأسماء الجديدة، إذا نبذ بعضهم بعضاً بهذه الإطلاقات يشعر كل أحد أنه ليس من أهل السنة، لأنه لو كان من أهل السنة لما سمي باسم جديد من هذه الأسماء، فانتبهوا وتفطنوا

(١) صحيح البخاري (٣٦١١) من حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) صحيح البخاري (٣٣٤٤) من حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً.

(٣) الانتقاء لابن عبد البر (ص: ٣٥).

(٤) الاعتصام للشاطبي (١/ ٧٧).



لأن الله تعالى سائلُ العباد عما قالوا، والقدر في العقيدة والدين أخطر من قدحك مثلاً في أمانته وكونه أميناً على المال أو نحوه، أنت تقدر في اعتقاده الآن! فتنظروا ولا تغتروا، وأقولها بكل وضوح وصراحة ليهتم الإنسان بمقامه بين يدي الله ولا يغتر بالداعية فلان أو غيره ممن دخلوا في هذه الأمة، أناس نعم شابت لحاهم؛ عجز عنهم أهل العلم، انطلقوا في هذه المقالات وزينها الشيطان لهم حتى إنهم غفلوا عن الدعوة إلى الله! وغفلوا عن تعلم العلم! أنت لا تكترث بمثل هذا، إذا كان عنده علم تعلم منه، وخُذ منه العلم الذي عنده، لكن لا تكن إمعة، ثم إن الله عز وجل خلقك لتكون تابعاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأن تكون تابعاً لفلان أو لفلان حتى لو كان صالح العمل، حتى لو كان ذا جهد في الدعوة إلى الله، ما أحدثه هؤلاء - للأسف - الذين كبرت أسنانهم وأبوا إلا الاستمرار في هذه الفتنة التي فرقت بين شباب السنة؛ نقول: تعلم العلم، خذ أصول الفقه، خذ الحديث، خذ التفسير، خذ النحو، وتبقى لك شخصيتك، لا تدب في أحد، عندك علماء كبار فطاحلة تأمل هل هم يقولون هذه المقالات؟ هناك من العلماء يتجنبون مثل هذه التسميات، لأنه يا إخوة دائماً من أراد أن يتسمى باسم وينتسب إليه إذا تسمى به وقال: أنا من جماعة معينة وسمى نفسه باسم هذا سمي نفسه الآن، انتهى وضعه الآن، هو رضي لنفسه بالتسمية، لكن من لا يتسمى باسم ويراد أن يقحم في اسم وينبذ بنبذ ثم إذا نبذ هو ومن معه اتجهوا إلى من نبذوهم فنبذوهم بنبذ وصارت المسألة هذه الحاصلة الآن كأنها عراك وخصمة أطفال، أنت تعلم العلم واحرص عليه ودع عنك ما يسمى بالزغل، الزغل هذه الأمور السيئة التي تكمن وتقع بين من ينتسب بعضهم إلى العلم للأسف الشديد، أنت تعلم منهم واستفد منهم واحفظ أعمالك، احفظ أعمالك، من أعظم الأعمال التي تتقرب بها إلى الله عز وجل العلم، الآن تجلس تبذر هذه الصالحات فتصلي في الليل وتصوم في النهار وتعلم العلم وتدعو إلى الله وتأمّر بالمعروف وتنهى عن المنكر ثم تلتفت إلى رجل من أهل السنة طالب علم من أمثالك وتدخل معه في خصمة وتسميه ويسميك وتظهرون على الساحة يتفرج عليكم الرافضي- والعلماني واستخبارات الأرض كلها ويستفيدون من مثل هذه الأمور ويبثونها بين أهل السنة، يعني تكون بهذا المستوى من العقل! تعلم العلم واستفد ممن لديه علم ولكن احرص على أعمالك، أهل السنة أهل سنة كما قال مالك، أهل السنة الذين ليس لهم لقب، لا يلقب أهل السنة بعضهم بعضاً، وإذا وجد الخلل والخطأ من سني يقال: هذا الموضع أخطأ فيه،



لكن هو سني؟ سني لا يمكن أن تخرجه من السنة إلا إذا قال بمثل هذه المقالات، قال بقول المرجئة، قال بقول الخوارج، هذا انتقل من السنة، لكن أن يكون من أهل السنة ثم يقع هذا! حتى للأسف الشديد المساجد التي قال عليه الصلاة والسلام: «أحب البلاد إلى الله مساجدها»^(١) انظر من صغر العقول وقلة الفهوم صارت المساجد تُبذَر، مساجد أهل السنة، هذا مسجد كذا! وهذا يسمى مسجد كذا! إلى متى هذا التصرف؟ مساجد بُنيت على السنة وتقام فيها الصلاة على السنة، هل يا مَنْ سَمِيتَ أحاك بهذه التسمية؛ هل تقول: إنه لا يُصلى خلفه؟ لا تستطيع أن تقول: لا يصلى خلفه، لأنك إذا أردت أن تقول لا يُصلى خلفه تقدح في دينه أو في أمانته! أحد أمرين، إما أن يكون في دينه قدح أو في أمانته وخُلِقَ، في دينه كأن يكون عنده هذه البدع والضلالات، أو أن يكون في أمانته كأن يكون لصاً أو أن يكون محتالاً آكلاً لأموال اليتامى وأمثال ذلك، لا تستطيع، إذا كان بهذه الطريقة لماذا تدخلون المساجد بالخصمة وتسمون المساجد بهذا النبذ، هذا مسجد كذا وهذا مسجد كذا، إذا وقفت عند أي موضع من المواضع وفيها مسجد أما تصلي خلف هذا وهذا؟ بلى تصلي خلفهم لأنهم من أهل السنة، فإن لم تصل خلفه لأجل هذه التسميات فهذا ابتداء منك أنت، ولهذا قيل لعلي بن الحسين رحمه الله تعالى - وهو المعروف بزین العابدين - قيل: إن أناساً يقولون: لا نصلي إلا خلف من يقول بقولنا؛ ولا نزوج إلا من يقول بقولنا! ماذا قال رحمه الله؟ قال: نصلي خلفهم بالسنة؛ ونزوجهم بالسنة، يعني إن لم يصلوا خلفنا نحن نصلي خلفهم، لأن السنة تقتضي - أن تصلي خلفه، فإذا هو لم يصل خلفك وقال: إنني لا أصلي خلف هذا الإمام؛ أنت تصلي خلفه، بالسنة وهو الذي خالف السنة، وهكذا أمور التزويج لا تقدح في أحد، لأنه لا يستحق التزويج إلا الأمر واضح جليل، حتى لو اختصمت معه.

الحاصل أن هذا الأمر يحتاج إلى شيء من الديانة والعقل، ديانة للوقوف بين يدي الله عز وجل الذي سيسأل العبد عن هذه الإطلاقات وعمّا سببت من فرقة بين أهل السنة، ومن أعظم الكوارث الحقيقة التي حصلت وسببت إرباكاً حتى لعامة المسلمين الذين صاروا ينظرون إلى بعض هؤلاء المتدينين نظرة المتعجب كيف هؤلاء الذين يظهر عليهم السمات والخير والدين؛ صاروا الآن بهذه المثابة من صغر العقل! وصار

(١) صحيح مسلم (٦٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.



عندهم هذه الأمور التي لم تكن نتصور! سبب هذا إشكالاً، إذن يُلاحظ مثل هذا الأمر ويحتاج إلى شيء من العقل، جربناها الحقيقة مع أناس يُعظمون من الحمل على فلان الذي أنت تعرفه معرفة تامة - وفي السابق نبهت على هذا -، فلان هذا ما الذي يملك على أن تحذر منه؟ يبدأ يذكر مما يراه قوادح وأنت طالب علم تعلم أنه ليس في كلامه قادح واحد! وإنما في التضخيم وزيادات، العجيب المقابل له من خصمه عنده نفس الموقف من خصمه ذاك وأنت تعرف هذا وتعرف هذا، يُعظم ويفخّم ويبالغ وأنت تعرف الطرفين أن كليهما ليسا بمصيبين فيما قالا، وإنما الأمر كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في العلماء: "إن بين العلماء كما بين التيوس في الزرب" (١) يعني بعض أهل العلم - وليس كلهم - يكون عندهم تنافس بعض الأحيان، كما أن التيوس تتنافس على المعز يقول: يوجد هذا التنافس بين بعض المنسويين للعلم، ولا سيما من يغفل، لأن الإنسان إذا تأمل أمر العلم وأمر السنة يعلم أن أخاه الذي يدعو إلى الله وينشر العلم بمثابة من يبني معه بيتاً، فهو فرح أنه يبني في تلك الجهة وهذا يبني في تلك الجهة حتى يقوم البنيان، أما إذا دخل الشيطان بينها صاراً ينظران إلى بعضهما هذه النظرات إذا كانا من أهل السنة، فلاجل ذلك نحن ننبه على هذا لأن النبد بفرقة من الفرق والقذح في اعتقاد أحد لا بد أن يكون محددًا ببدعة معينة، ومن أكثر ما للأسف الشديد حقيقة سبب هذه الألقاب الفاسدة الخلاف حول مسألة ولاية الأمر، وقلنا عدة مرات: إن مسألة ولاية الأمر أيسر - المسائل وأوضحها؛ لكن سبحان الله هذا الخصام حولها جعلها كأنها من المسائل العسرة، وهذا أيضاً من صغر العقول؛ أن المسائل اليسيرة تُضخم حتى تكون كأنها عسيرة، ولاية الأمر الكلام أصلاً فيها محدود جداً، وسبق نبهنا في شرحنا لكتاب الإمارة من صحيح مسلم أن النصوص فيها على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: نصوص أمر ببطاعة الحكام والتصبر على ما يقع منهم من تعد أو أذى وسؤال الله عز وجل لهم الهدى والبطانة الصالحة، هذا القسم الأول.

القسم الثاني: أن العلماء يجب عليهم الجهر وإيضاح الحق وتبيينه، وتبيين الحق نوع من النصح للحاكم أصلاً وليس نوعاً من التعصب، فالنظر إلى تبيين العالم على أنه نوع من المعاملة للحاكم فيه إساءة ظن

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٠٩١).



بالحاكم نفسه؛ كأن الحاكم لا يريد الحق! فكون العالم يظهر الحق ويبين الحق هذا ليس فيه تعص على الحاكم، لكن بالأسلوب المناسب.

القسم الثالث من النصوص: النصوص التي بينت كيف ينهى الحاكم وكيف يؤمر بالمعروف وكيف يُحتسب عليه، والنصوص جلية في أن الإنكار على الحاكم يكون سرا ولا يكون جهرا. هذه ثلاثة أنواع فصلناها في شرح كتاب الإمارة من صحيح مسلم.

السمع والطاعة للحكام بالمعروف ولا يسمع لهم ويطاع في المعصية، فإذا سمعت الخصمة الآن الموجودة بين كثير من المتخاصمين حول مسألة ولاية الأمر كأن طرفا يقول: اسمعوا وأطيعوا في المعصية وإن أمروكم بالكبائر افعلوها! ولا أحد يقول بهذا مطلقا!! إنما يقول بهذا - كما قلنا - : النواصب الذين يقولون: إنهم يطاعون في المعصية، والنواصب أصلا اندثروا إلا راع يسير حثالات لا تساوي شيئا وليس لهم تأثير أصلا في الأمة، وأناس يتهمون آخرين خصومهم بأنهم قوم عندهم مقاصد ويريدون إسقاط الحكم ويريدون التسلق على الحكم وهم مجموعة من الخوارج لكنهم يظنون هذه الأمة، يقال: إذا ثبت شرعا هذا وجب شرعا أن يقصم هؤلاء بالقضاء الشرعي وأن ينزل بهم أعظم العقوبات، لأن هؤلاء يدمرون الأمة والجماعة، لكن هل هذا مؤكد؟ هل هذا مقطوع به؟ أو ظنون وتخمينات؟ كثير من هذه الأمور ظنون، والمقابلون هؤلاء يقولون: أنتم تأمرون بالمعصية، أعطونا واحدا من الناس الآن على وجه الأرض يقول: اسمعوا وأطيعوا بالمعصية؟ لا يوجد والله الحمد، فيقول: هؤلاء يبالغون في طاعة الحكام، وصار للأسف في هذه الألفاظ السوقية "جماعة السمع والطاعة"! نعم أهل السنة جماعة السمع والطاعة، فليكونوا، أهل السنة جماعة السمع والطاعة - إذا سميت مسألة جماعات! -، كما قلت: هذه التسميات ما لها أصل، لكن السمع والطاعة موجودة عند أهل السنة، يسمعون ويطيعون لكن في المعروف، من قال أنهم يسمعون ويطيعون في غير المعروف؟؟ فهذه الإطلاقات كأن السمع والطاعة كأنه أمر يعني يعاب به الشخص مع أنه في صريح النصوص هذا من قلة فقه الإنسان وقلة معرفته، يصلح أنك تسخر من أحد لأنه يصلي أو يصوم؟ السمع والطاعة دلت عليه النصوص لكن في المعروف، وهكذا إذا أسيء النظر إلى أناس وقيل: إنهم مجموعة من الخلايا السرية التي تهدف إلى كذا وكذا، هات الدليل والبرهان، أنت في شرع لا يحل



بتأناً أن يتعامل مع الناس إلا بالظاهر، هو يقول: البيعة لازمة؛ والحكم حق؛ والسمع والطاعة واجب؛ ولا تحل أنواع الإحداثيات التي تُربك الجماعة؛ ثم تقول: إنه عنده أشياء سرية! لسنا مكلفين بالأشياء السرية، وما الذي يضمنني أن تكون أنت عندك أو هام! إذا أتضح أن عنده مثل هذا الأمر وجب شرعاً أن يُجال بينهم، لكن هذه الإساءات للظن من قبلك بهم ومن قبلهم هم بك هذا الذي أحدث الفوضى، فكثير من الأمور هذه أو هام أو مبالغت، وتجد أناساً مثلاً يزل الواحد منهم ويقول كلمة أو يقف موقفاً خاطئاً ثم يطير خصومه بهذا الموقف فرحاً! ويبالغون فيه! وهو خطأ ولم يصب؛ لكن لا يستحق هذه الحملة - شتم أم أبيتيم -! والدليل على عدم إنصافكم أن من تهوونه يخطئ خطأ أكبر منه ولا يحملون هذه الحملة! فلو كنتم منصفين وصادقين لحملمت حملة أكبر على من أخطأ هذا الخطأ الذي هو أفدح وأشد، والأخطاء تُرد بالسنة وتبين ويوضح مقدار الخطأ، أما أن ينفخ في هذه الأخطاء نفخاً شديداً جداً وتكون هناك أخطاء أكبر منها؛ في بعض الأحيان يعتذر عن أهلها! فاعرف أن الإنصاف عزيز جداً، يقول أهل العلم: الإنصاف عزيز، قليل جداً من تجده ينصف، "وتحلى بالإنصاف أفخر حلة... زينت بها الأعطاف والكتفان"، الإنصاف قليل جداً في الناس، الذي ينصف، يا أخي لن تنصف إلا إذا اتقيت الله ولم تصنف نفسك على جهة إلا السنة، أما أنك لا تشعر مع فريق ضد فريق فأنت متحزب وأنت لا تشعر، إلا الفريق الذي على السنة، أما أن تأت إلى داخل أهل السنة وتفرقهم هذا التفريق وتشعر أنك مع هؤلاء ضد هؤلاء! لا، كن حكماً منصفاً واتق الله عز وجل في أمرك، أو استرح من هذا الأمر وأجله لأهل العلم الذين هم أكبر منك من مشايخنا الكرام ولا تدخل في هذه المهاترت.

حاصل الأمر أن هذه المقدمة بين يدي هذه الفرق أردنا أن نعلم بها أن هذه التسميات ليست سهلة؛ وأن النبذ - كما وضح الإمام حرب رحمه الله - يقول: "ولأصحاب البدع نبذ وألقاب" النبذ واللقب لأصحاب البدع لا لأهل السنة، كما قال مالك: "أهل السنة الذين ليس لهم لقب، والسنة ما لا اسم له إلا السنة" (١)، ولهذا لماذا نقول: لا تصلح الجماعات؟ لماذا نقول: لا يصح أن توجد جماعة اسمها جماعة الإخوان؟ وجماعة التبليغ؟ لماذا؟؟ لسبب واحد، أن أهل السنة جماعة واحدة، فإذا صار عندي جماعة هنا وجماعة هنا وجماعة

(١) سبق تخريجه.



هنا وهذا حزب وهذا حزب أفسدنا الجماعة الحقيقة التي هي جماعة أهل السنَّة، عندك طاقة وعندك دأب في الدعوة إلى الله كن داخل محيط الجماعة، ولا تجلس مفترقاً، ولهذا الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله يقول: "واجب على هذه الجماعات أن تفعل ماذا؟ أن تكون جماعة واحدة؛ وأن ترجع لأهل العلم؛ وأن تعود القوة هذه" لأن هذه الجماعات الحقيقة بددت طاقات الأمة، تجد جماعة تبلغ في بعض الأحيان ملايين ولهم دأب ولهم جهود لكن للدعوة للجماعة! هذه مشكلة من المشاكل الكبيرة، يقول الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ (١) يقول: فيه التنبيه إلى الإخلاص بالدعوة إلى الله؛ لأن بعض الناس يدعو إلى نفسه!! كونك تدعو إلى نفسك أو تدعو إلى جماعتك! ما استفدت، إنما تدعو إلى الله عز وجل، وإذا كنت تدعو إلى الله؛ وهذا يدعو إلى الله؛ وهذا يدعو إلى الله؛ ما الذي يجعلك تحتاج أنت وهم إلى أن تجعلوا جماعات؟ كونوا جميعاً جماعة واحدة داخل جماعة المسلمين، واركبوا عنكم الهمس والسر والاختفاء، أنتم لستم - والله الحمد - تتعاملون تعامل أهل المخدرات والفجور حتى تختبئوا! كونوا واضحين داخل الجماعة؛ في نطاق أهل العلم؛ وفي ولاية شرعية ظاهرة واضحة، فليس عندك شيء تخفيه، ما الذي يجعلك تخفي؟ الذي يُخفي هو الذي عنده إشكال لا يريد أن يعرفه الناس، ما دمت في جماعة المسلمين اظهر وبين دعوتك ولا تدع إلى حزب كذا أو جماعة كذا، ادع إلى الله عز وجل لتكون الأمة أمة واحدة، هكذا كانت الأوضاع زمن النبي صلى الله عليه وسلم وزمن السلف، ولو كان الأمر على هذا - ولو فرضنا - وحاشا الصحابة رضي الله عنهم أن يفعلوا هذا: يكون حزب مع عمر وحزب مع أبي بكر وحزب مع علي! لكن هؤلاء أكبر عقلاً وأعظم ديانة وأمتن علماً من أن يفعلوا هذا، وإلا الأصل أن لا يوجد جماعة إلا جماعة واحدة هي جماعة المسلمين، وهذه الطاقات وهذه الجهود تكون واحدة، وتكون تحت نظر أهل العلم، وليس عندنا ما نخفيه، وليس عندنا ما نستحي منه، حتى الإنكار للمنكرات تنكّر لا تترك ولكن بالأسلوب الشرعي في ضوء الجماعة، كل هذا مما ينبغي أن يُعرف، ولا يحتاج الإنسان أن يختبئ ويدس رأسه كما تفعل الفرق الضالّة، لأن الفرق الضالّة جزء كبير من بداياتها كانت مختفية وما كانوا يجهرون حتى استفحل أمرهم في بعض المواضع فصار لهم ظهور، ولهذا ذكر الهروي رحمه الله تعالى أن مجموعة من الزنادقة

(١) يوسف: ١٠٨.



- وهذا الأثر من أحسن الآثار - مجموعة من الزنادقة سهروا الليل يتكلمون في زندقتههم وإلحادهم مخنفين في سرداب، فبينما هم كذا أذن المؤذن لصلاة الفجر فقال الزنادقة: تريدون دينكم هذا أن يفشو وأنتم مخبثون وهذا الحلاج - لأني ما أدري أن هذا حلاجًا - وهذا الحلاج يصدق بدينه علناً! هذا الشخص الآن يؤذن ويظهر دين الإسلام علناً، يقول: نحن مخبثون نتناقش في الزندقة في سرداب قد اختفينا! لأن هذه طريقة أهل الضلال، أما السنني ما الذي عنده يخفيه؟ ليس عنده شيء يخفيه، وليس عنده شيء يخجل منه، وليس عنده شيء يخطط له يريد به إظهار الجماعة أو الحكم أو غيره، ما عنده إلا الوضوح، فلهذا ينبغي أن يعلم هذا، وأن يحرص على تأليف القلوب، وأن تطفأ نار الفتنة، الآن أقارب بل بعضهم إخوة صار بينهم ما بينهم من نزاعات وهم من أهل السنة لأجل هذه التسميات الجديدة.

فعلى كل حال إذا لم يتق فلان الله عز وجل فعليك بنفسك أن تتق الله عز وجل في ألفاظك وفي تصرفاتك، واهتم جداً بأعمالك هذه ألا تضعي وألا تتبذري، ولا تكثرث إذا نظرت إلى بعض من هم داخل في هذه المسائل - سبحان الله - كأنهم يسبحون ويهللون، كأنه تسييح وتهليل، ما عندهم إلا هذا الموضوع! مثل أناس الآن أشقاهم الله عز وجل لما أراد أن يضلهم أشقاهم بالكلام في الشيخ محمد بن عبد الوهاب، واحد منهم عنده في حسابه حوالي ستين ألف أو سبعين ألف من هذه المسميات والتغريدات؛ كلها عن ابن عبد الوهاب!! افترض فرضاً أن ابن عبد الوهاب على ما تتصور؛ ما في الدنيا إلحاد؟ زندقة وشرك وروافض وضلال؟ شقوا بهذا، لأنه كما يقول أهل العلم: من ابتلي بترك الحق ابتلاه الله بالانشغال بالباطل، اشتغل بالباطل - نسأل الله العافية والسلامة -.

فالخاص أنه على طالب العلم أن يتقي الله تعالى وأن يعلم الأمر جلياً وواضحاً، وأنا أحرص يا إخوة على الوضوح وعلى الصراحة في بعض المسائل في المواضيع التي يحتاج بها إلى الصراحة من مثل هذه المسائل لا بد من الوضوح، أما التلميحات ما نفعت، ما استفاد الناس، بعض الناس - كنا في السابق - نلمح ما فهم الناس المقصود! لا بد من التصريح، لا بد من التوضيح، حتى ولو قلت إنه من الدعاة من فعل هذا عسى الله أن يوفقه ويجعله يهدى ويسدد، لكن أنت مسئول عن نفسك، أنت عندك علماء كبار، عندنا علماء كبار لو كانوا خارج البلد لتمنياتهم، الزمهم يا أخي واسألهم، أما أن تقول: فلان يقول كذا؟ حتى لو كان أستاذاً في



الجامعة لا تكثرث بهذا وحده مجرداً؛ مادام هناك مَنْ هم أعلم منه مِنْ مشايخه وعلمائه فارجع واحرص على أهل العلم.

أما كلامه رحمه الله تعالى في المرجئة فلن نتكلم فيه الآن أبداً لأننا شرحناه في البدايات، هو رحمه الله كرر كلامه هنا عن المرجئة بعد أن ذكره فصلناه في أول موضع؛ فلسنا بحاجة إلى التفصيل فيه الآن.

والقَدَرِيَّة: وهم الذين يزعمون أن إليهم الاستطاعة والمشية والقدرة، وأنهم يملكون لأنفسهم الخير والشَّر، والضر والنفع، والطاعة والمعصية، والهدى والضلال، وأن العباد يعملون بدءاً من أنفسهم من غير أن يكون سبق لهم ذلك من الله عز وجل أو في علمه، وقولهم يضارع قول المجوسية والنصرانية وهو أصل الزندقة.

والمعتزلة: وهم يقولون بقول القَدَرِيَّة، ويدينون بدينهم، ويكذبون بعذاب القبر والشفاعة والحوض، ولا يرون الصلاة خلف أحد من أهل القبلة ولا الجمعة إلا وراء مَنْ كان على رأيهم وهوهم، ويزعمون أن أعمال العباد ليست في اللوح المحفوظ.

والبكرية^(١): وهم قَدَرِيَّة، وهم أصحاب الحبة والقيراط والدائق، الذين يزعمون أن مَنْ أخذ حبة أو قيراطاً أو دائقاً حراماً فهو كافر، وقولهم يضاهي قول الخوارج.

.....

ذكر رحمه الله تعالى ما يتعلق بالقَدَرِيَّة، والقَدَرِيَّة سُموا بالقَدَرِيَّة لأنهم ينفون القَدْر، ويجعلون القَدْر لأنفسهم، يعني أنهم هم الذين يُقَدِّرون الأمور، وجاء فيهم «القَدَرِيَّة مجوس هذه الأمة، إن ماتوا فلا تشهدوهم، وإن مرضوا فلا تعودوهم»^(٢) وهم على درجتين:

(١) هنا يقول الشيخ حفظه الله: الصواب "البكرية" عوضاً عن "النصيرية"، وقال: النصيرية من زنادقة الرافضة، في نسخ أخرى وهي أقرب "البكرية" وهم قدرية، أما النصيرية روافض غلاة، يظهرن الرفض الغالي وحققتهم الإلحاد، ولا يرون صلاة ولا صياماً ولا يؤمنون باليوم الآخر، والظاهر أنها "البكرية".

(٢) صحيح. أبو داود (٤٦٩١) من حديث ابن عمر رضي الله عنه مرفوعاً. صحيح الجامع (٤٤٤٢).



الدرجة الأولى: درجة القَدْرِية الغلاة، وهم الذين يُنكرون مراتب القَدَر الأربع - كما ذكرناه عند شرح موضوع القَدَر - فينكرون أن يكون الله عَليمَ الأشياء أصلاً فضلاً عن أن يكتبها أو يشاءها أو يُقدِّرها، وهؤلاء هم الغلاة، وأدركهم الصحابة رضي الله عنهم كما قلنا وانطفأ هذا المذهب تماماً وانحسر واندثر، لأنَّ الحملة كانت من الصحابة رضي الله تعالى عنهم الحملة عليهم شديدة جداً، وكانوا قد أخرجوا بدعتهم في وقت قوة للسنَّة؛ فانحسر هذا المذهب وقتل رموزه غيلان وقبله مَعْبَد، وقلنا: إنَّه مأخوذ من سوسن النصراني وسيسويه المجوسي، لهذا يقول: "إنَّهم يزعمون أن إليهم الاستطاعة والمشية والقدرة؛ وأنهم هم الذين يقدرون الأمور؛ وأنَّ استطاعتهم مستقلة" هذا المعنى، لأنَّهم عندهم استطاعة ومشية وقدرة مستقلة عن قدرة الله؛ وأنَّ الله لا قدرة له على أفعالهم، نسأل الله العافية والسلامة، لهذا قال: "وأنتهم يملكون لأنفسهم الخير والشر، والضر والنفع، والطاعة والمعصية، والهدى والضلال" يعني مستقلين عن الله، لأنَّ هذا هو أصل قولهم، ولهذا قال: "وأنَّ العباد يعملون بدءاً من أنفسهم" كل هذا يعني فيه أنَّهم يزعمون أنَّهم مستقلون عن الله من غير أن يكون سبق لهم ذلك في علم الله - نسأل الله العافية -، وهذا قول يضارع قول المجوس، قلنا: إنَّه مأخوذ من سيسويه المجوسي ومن سوسن النصراني وهو أصل الزندقة.

الدرجة الثانية: درجة المعتزلة، المعتزلة لما رأت فظاعة هذا القول واستيحاش الأمة من هذا القول الهائل الذي يجعل الأمور تقع والله لا يعلمها!! نسأل الله العافية والسلامة، أرادوا أن يتوسطوا في زعمهم فأثبتوا الله العلم والكتابة، ونفوا أن تتعلق قدرته تعالى بأفعال العباد؛ وأن يكون الرب شاء هذه الأمور! بل العباد مستقلون - كما تقدم الكلام عنهم في موضعه -.

المعتزلة اشتهروا بخمسة من الأصول سُميت بأصول المعتزلة الخمسة، وأطلقوا عليها إطلاقات شرعية ليُغرَّروا بالناس، فسموا نفي الصفات بالتوحيد، وسموا نفي القَدَر بالعدل، وسموا الخروج بالسيف على ولاية الأمر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أصولهم المعروفة، إضافة إلى مسألة المنزلة بين المنزلتين.

المعتزلة لم سُميت بهذا الاسم؟ سُميت المعتزلة بهذا الاسم لأنَّ مُقَدِّم المعتزلة ومبدأهم هو واصل بن عطاء، كان في حلقة الحسن البصري فجاء رجل ليسأل الحسن البصري لا ليسأله هو - يعني ما هو بمعروف واصل؛ وإنما كان في حلقة الحسن - فقال السائل للحسن: خرج قِبَلْنَا قوم يُعظِّمون من شأن الكبيرة



ويقولون: صاحب الكبيرة في النار! وهؤلاء هم الخوارج، وقابلهم قوم يقولون: لا تضره معصيته! فأراد أن يسأل عن مقولة المرجئة والخوارج في صاحب الكبيرة، قبل أن يجيب الحسن - وهذا من قلة أدب واصل - السؤال للحسن البصري رحمه الله تعالى لا لهذا الغرِّ الأحمق، بادر وأجاب هو وقال: أنا أقول: إنه في منزلة بين منزلتين، ما هي المنزلة بين المنزلتين؟ قال: لا هو بمسلم ولا هو بكافر، لأنَّ المرجئة تقول: هو مؤمن كامل الإيمان؛ والخوارج يقولون: إنه كافر خارج من الملة، فابتدع بدعة قال: لا أقول بقول الخوارج ولا المرجئة، لكن أقول: هو بمنزلة بين المنزلتين، ما هو بمسلم ولا هو بكافر، ماذا يكون؟ يقول: في منزلة هكذا لا هو بمسلم ولا هو بكافر وفي الآخرة يقول تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾^(١) المؤمنون في الجنة والكفار في السعير، هذا الذي سماه منزلة بين منزلتين، أين سيذهب؟ لا بد أن توجد له مقامًا في الآخرة غير الجنة وغير النار؟ قال: أقول: في النار يخلد مع الكفار، على أي أساس؟ هو في منزلة بين منزلتين، لا هو في منزلة توصله للجنة - على كلامك - ولا هو في منزلة توصله للنار! على أي أساس تدخله النار؟ لو قيل لك: يدخل الجنة؛ ما الفارق بين هذا القول وهذا القول؟ لا بد أن تقول بأن له مقامًا غير الجنة والنار في الآخرة لأنك ابتدعت واخترت، وهو أول من ابتدع واخترع بدعة المنزلة بين المنزلتين، ثم اعتزل حلقة الحسن، وهذه خطورة البعد عن العلماء، اتكأ على سارية وجعل نفسه شيخًا وانضم إليه عمرو بن عبيد، واجتمع عليه جملة من الحمقى فقال الحسن البصري: "اعتزلنا واصل"^(٢) فسموا بالمعتزلة، ورأوا أنهم من أهل العلم مع أنهم يرون علماء السلف كالحسن - هم انفردوا عن حلقة الحسن - ورأوا أن الحسن وأهل العلم هؤلاء لا يناسب قولهم، ولهذا - وهذه سنة خبيثة فيهم ورثها من يريثها من الحمقى دائمًا - صاروا يذمون العلماء ويسبونهم سبًا مقذعًا قبيحًا جدًّا، ويصفونهم بأوصاف شديدة لا يجرؤ المرء على أن يقولها، عمرو بن عبيد وأمثاله صاروا يقولون في علماء السلف هذا، يدلك على أن الانفراد عن العلماء والبعد عن العلماء داءٌ وشرٌّ يحدث منه مثل هذه البدع والضلالات، ثم تفاقم أمر المعتزلة وصاروا يقولون بالمقالات التي ذكر هذه من كونهم - وإلا أصل المعتزلة هو عليهم بالمسألة المنزلة بين المنزلتين - فصاروا ينفون جملة

(١) الشورى: ٧.

(٢) الملل والنحل (١/ ٤٨).



كبيرة من النصوص، فكذبوا بعذاب القبر وكذبوا بالشفاعة والحوض، وصاروا يرون أن الصلاة لا تصح خلف أحد لا يقول بقولهم! وصاروا يرون الخروج بالسيف، وهذه المسألة لأبد من توضيحها، لأن حقيقة قول المعتزلة هو قول الخوارج؛ وأن ما سموه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معناه الخروج بالسيف على الحكام، ولهذا أبو الحسن الأشعري في المقالات لما ذكر قول الناس في السيف قال: قالت الخوارج والمعتزلة لأنه قول واحد، والمعتزلة تقول إنه إذا كان عندهم قدرة على خصومهم فإنهم يقومون بقتل السلطان وإلزام الناس بمقالاتهم هذه في الأصول الخمسة؛ فإن أجاب الناس وإلا قتلوا الناس، مما يؤكد لك أن المعتزلة خوارج، فالمعتزلة تأثروا بالخوارج في باين: باب الخروج بالسيف وباب تخليد صاحب الكبيرة في النار، لأن المعتزلة تقول: إن صاحب الكبيرة في منزلة بين منزلتين لكنه في الآخرة مخلد في النار مع الكفار، وهذه نفس مقولة الخوارج في صاحب الكبيرة في الآخرة، واستمروا في آرائهم الباطلة فزعموا أن أعمال العباد ليست في اللوح المحفوظ وغير ذلك، لكنهم ينفون - كما قلنا - ينفون ما يتعلق بأفعال العباد أن الله تعالى تتعلق - سبحانه - مشيئته بأي فعل من أفعال العباد، أين المعتزلة الآن؟ المعتزلة الآن آرائهم - كما قلنا - انتقلت إلى جملة من الفرق، فانتقلت جملة من آراء المعتزلة إلى الرافضة الاثني عشرية، وانتقلت جملة من آرائهم إلى الإباضية، وانتقلت جملة من آرائهم إلى الزيدية، وتأثر بهم جداً أيضاً الأشاعرة والماتريدية في جملة من مسائل الاعتقاد، المعتزلة لما ردَّ شيخ الإسلام على ابن المطهر الرافضي في بعض كلامه في مسائل تتعلق بالقدر وغيره قال: هذه نقلتها من المعتزلة نقل المسطرة، هذا ليس قول الرافضة أصلاً! لأن الرافضة في البدايات كانوا من القائلين بالتشبيه، ثم انعكسوا وصاروا يقولون: بالتعطيل، يقول: هذا القول أنت قد نقلته من المعتزلة، هو نفسه من المعتزلة، نقلته نقل المسطرة، فكثير من آراء المعتزلة انتقلت إلى الفرق، ولهذا نقول: إن دراسة هذه الفرق والتنبيه على خطرها ليس تاريخاً ماضياً وانتهى! وإنما توجد المقالات الآن، الزيدية موجودون، الرافضة موجودون، الإباضية موجودون، وعندهم نفس اعتقاد المعتزلة.

ثم قال: "والبكرية: وهم طائفة من القدرية، من نفس القدرية، عندهم نفس المبالغات التي عند الخوارج، يقولون: لو أن أحداً أخذ حبة من حرام أو قيراطاً كبيراً أو دانقاً صغيراً فإنه يكفر! مقتضى هذا ما هو؟ أنه لا فرق عندهم بين الصغيرة والكبيرة، لأن أخذ شيء تقطع به اليد يعد سرقة - والسرقة كما هو



معلوم من الكبائر - لكن إذا قال: إنه لو أخذ حبة - حبة بر - فإنه يكفر بأخذه الحبة! يعني إذا أخذها من طريق محرم، هذا شرعاً لا تقطع يده أصلاً لأن ما أخذه لم يبلغ حد ربع الدينار الذي تقطع فيه اليد، لكن هؤلاء قولهم يضاهي قول الخوارج، وهم قَدْرِيَّة، هذا ما ذكرناه لك أنه تداخلت المقالات، فيكون الشخص قَدْرِيًّا ويكون في نفس الوقت - نسأل الله العافية - يكون خارجياً؛ فيجمع الشر كله.

والجهمية - أعداء الله -: وهم الذين يزعمون أن القرآن مخلوق، وأن الله عز وجل لم يكلم موسى، وأن الله ليس بمتكلم ولا يتكلم ولا ينطق ولا يرى، ولا يعرف الله مكان، وليس لله عرش ولا كرسي؛ وكلاماً كثيراً أكره حكايته وهم كفار زنادقة أعداء الله.

والواقفة: وهم الذين يزعمون أننا نقول: إن القرآن كلام الله؛ ولا نقول غير مخلوق! وهم شر الأصناف وأخبثها.

واللفظية: وهم يزعمون أن القرآن كلام الله؛ ولكن ألفاظنا بالقرآن وقراءتنا له مخلوقة، وهم جهمية فساق.

.....

الجهمية منسوبون إلى الجهم بن صفوان تقدم الكلام عنه، والجهم بن صفوان كان زمن بني أمية وتلقى فساد قوله هذه من أستاذه الجعد بن درهم، وفي الجهم بن صفوان عبرة أيها الإخوة مهمة جداً في وقتنا هذا، يقول أهل العلم: لم يكن الجهم بن صفوان من أهل العلم ولا ذا مجالسة لأهل العلم ولكنه كان صاحب لسان، ليس من العلماء قطعاً، ولم يكن صاحب ولا مجالس، يعني بعض الناس يأتي يريد الخير يعني الفضل من الحلقة ولعله يستفيد بعض الشيء ويجلس مجالسة مع أهل العلم، فلم يكن من أهل العلم، ولم يكن ذا مجالسة كيف ينتشر شره مثل ما انتشر شر أناس كثيرين الآن بواسطة الإعلام؟ كيف شر أناس كثيرين بواسطة الإعلام؟ كيف ذلك؟ أصحاب قدرة على جلب السامع والمشاهد، وعندهم قدرة على الفصاحة، لكن لا يوجد علم، لكن من حيث التأثير بالسامع يؤثر بأعداد غفيرة، وهذا الحقيقة أنه موجود الآن وبكثرة، حتى إن بعض المشاهير الآن لم يدرسوا العلم الشرعي نهائياً ويخوضون في مسائل العلم الشرعي،



ولم يتخصصوا فيه - لا في الدراسة النظامية ولم يتلقوا عن العلماء ولم يجثوا بالركب في حلق العلم نهائياً - ثم تجد الواحد منهم يخوض في مسائل كبرى من مسائل الاعتقاد ومسائل الشرع! على أي أساس؟ على أساس الفوضى، وإلا هذا لو كان يعي عظم شأن العلم الشرعي وخطورة القول على الله بغير علم لما تكلم، لكن يرى أن مثل هذه المسائل من المسائل التي هي من حقه أن يُبدي فيها رأياً؛ وأن المسألة ليس مقصورة على العلماء ويسمون قَصْرَ العلم على مَنْ تعلم - يُعبر بعضهم الآن وسمعه منهم يقول: هذه كهنوتية!! - يعني أنكم جعلتموها مثل الأديان البوذية وغيرها التي الأمور عند الكاهن! نقول: حتى تعلم أنها ليست كهنوتية نعطيك مسألة واحدة من مسائل الفرائض اقسماً، اقسماً مسألة من مسائل الفرائض، نعطيك مسألة من مسائل الحج، نعطيك معنى "لا إله إلا الله" ما هو وما الدليل عليه؟ لا تجد عندهم جواباً! عرفت أن المسألة ليست كما تُعبر كهنوتية! ولكنها مسألة فوضوية، أن تدخلوا في أمور الشرع بهذه الطريقة وأن تظنوها مجرد وجهات نظر! فأضللتكم الناس وصار لكم هذا التأثير في الناس مع أنكم بلا علم لكن عندكم قدرة على لفت نظر السامع ومن يشاهد مقابلاتكم، أما أن عندكم علم؛ فبعضهم كما قلت لا يحسن قراءة السورة يفتح المصحف وترد عليه ثلاث أو أربع مرات في الصفحة الواحدة؛ ثم يقول: لا؛ الدين ليس لكم!! الدين ليس كهنوتية!! إذا جاءت المسائل الحقيقية لجوابك فلا تجيب، إذا قيل هؤلاء الآن الملاحدة رد عليهم، رد على مقالة الرافضة في الصحابة رضي الله عنهم، رد على مقالة من يرى جواز الشرك، هذا الكلام الذي يقوله الآن هذا المجوز للشرك؛ هذا يستدل بحديث، الحديث هذا مكذوب؟ أو صحيح؟ أو هو منسوب لعالم؟ أو هو من الإسرائيليات؟ ما هو؟ ولهذا من طريف ما وقع أن عبد الله بن تيمية رحمه الله - أخا شيخ الإسلام - كان يناظر رجلاً من أهل العلم فجاء شخص ليس من أهل العلم - وكان من أهل البدع مع ذلك - فلما أراد أن يدخل في المناقشة قال: أنت لا تدخل في المناقشة، أنا أناظر رجلاً من أهل العلم، أما أنت فسأجمع لك أحاديثاً موضوعة وأخبار عنتر وكذا وكذا والله لا تفرق بين هذه وهذه! أنت لا تعرف أنت، كيف تدخل في هذه المسائل؟ أنا أناقش رجلاً من أهل العلم، أما أن تدخل أنت! كيف تدخل أنت في هذه المسائل وأنت لا تستطيع أن تفرق بين الحديث الموضوع من أخبار عنتر من أمور الجاهلية! ما تدري، لماذا تدخل أنت؟ وهذا هو الذي في الحقيقية يصدق عليه الحال، هذا الوضع كان للجهم بن صفوان، كان على هذا الحد



وهذا الحال من قلة العلم وقلة مجالسة أهل العلم، فلهذا تجد آرائه بعيدة جدًا، ولهذا لما ناظر طائفة سخيفة من طوائف الهند تسمى السُّمْنِيَّة - طائفة من طوائف الهند - بفساد أقوالهم وسخف اعتقادهم أثاروا فيه، يقول الامام البخاري رحمه الله تعالى فترك الصلاة أربعين يومًا شاكًا - نسأل الله السلامة والعافية -، ثم أتى ليتصدَّر بالردِّ عليهم، وجاء بالمقولة هذه التي هي نفي الصفات في زعمه أنها هي الجواب على مقولة هذه الطائفة.

كان الجهم بن صفوان أيضًا قد خرج على بني أمية وتبعوه، لكن أدرك الجهم بن صفوان جزءًا غير قليل من زمن بني أمية في آخره وقد ضَعُفَت الدولة في أخرياتها، لما لقيه سلم بن أحوز - وهو من أمراء بني أمية - وقبض عليه في أواخر الدولة صار الجهم بن صفوان يستعطف سلم بن أحوز حتى لا يقتله؛ فأراد أن يخبره أنه لا يقتله لأنه خرج على بني أمية لكن قال: اسمع، لقد سمعت منك قولًا عاهدت الله منذ أن سمعته على أن أقتلك، والله لو كنت في بطني لشققت بطني حتى أقتلك، يقول: أنا لا أقتلك لأجل ما صنعت! أنا أقتلك لمقاتلتك واعتقادك هذا في الله عز وجل، فأنا أقتلك لله عز وجل ديانة، تظن أنني سأعفو عنك؟ أنا سأقتلك حتى لو أدى قتلُك إلى أن أموت معك، لو شق بطنه سيموت، يقول: لو كنت في بطني لشققت بطني حتى أقتلك، فقتله في أخريات الدولة الأموية، لكن مثلما قلنا: انتقلت مقالاته وتوارثتها هذه الطوائف الضالة، والطوائف الضالة - قلنا ونقول ونؤكد - ليس عندهم منهج علمي، ليس عندهم تفريق بين النصوص الصحيحة من غير الصحيحة، لهذا تجد عندهم عجائب، تدخل عندهم الأحاديث الموضوعة، يدخل عندهم أخبار إسرائيلية ويقولون: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، تجد مقولة من مقالات العرب السائرة، يقولون: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما عندهم تفريق، فما عندهم منهج علمي قائم على تمحيص الصحيح من الضعيف وقائم على معرفة معاني بالنصوص وفهمها على طريقة السلف الصالح، أبدًا إنها هي مقالات وأقوال ضالة زائغة في عمومها الأغلب، لهذا قال: "الجهمية - أعداء الله - يزعمون أن القرآن مخلوق" وتكلم عن هذه المقالة الخطيرة، وينفون أن يكون الله كلم موسى، وينفون أن الله تعالى يتكلم أو يرى في الآخرة سبحانه، وقالوا: إن الله لا يعرف له مكان مع صريح قوله تعالى: ﴿أَأَمْنْتُمْ مَنْ فِي



السَّمَاءِ ﴿١﴾ كما ذكرنا، وبينفون العرش والكرسي، ثم قال: "وكلام كثير أكره حكايته" يعني أن بعض شُبُههم تقشعرونها الأبدان وتسبب شيء من الإرباك يقول: "أكره أن أحكيه في الكتاب، وهم كفار زنادقة" وهذا الصحيح في الجهمية، الجهمية القول الصواب الذي عليه أكثر السلف أنهم كفار أنهم مرتدون. أما الواقعة فتقدم الكلام عنهم أيضًا، الواقعة لما نصر الله السنة بالمتوكل رحمة الله تعالى عليه وأطفأ قول الجهمية الذين يقولون: القرآن مخلوق، وقرر قول أهل السنة أن القرآن كلام الله منزل وغير مخلوق، لأن صفات الله - كما فصلنا - لا يقال فيها أنها مخلوقة - نسأل الله العافية والسلامة -، فقالت الواقعة - وهم من الجهمية - نقول: إن القرآن كلام الله ونقف، يعني موضع الخلاف بينهم وبين أهل السنة قالوا: نقف لا نقول: إنه مخلوق ولا غير مخلوق؛ فسُموا بالواقفة، فتفظن لهم الإمام أحمد وغيره من علماء السنة قالوا: الخلاف معكم أصلاً في هذه المسألة، وأنتم تريدون أن تتركوا الكلام فيها لأنكم ستطرقون إلى مقولتكم كأنكم واقفون لا تريدون الخوض فيها بل يقال: كلام الله منزل غير مخلوق، ثم قال: "وهم شر الأصناف وأخبثها" لماذا؟ لأن مقولتهم تؤثر في الناس أكثر من مقولة الجهمية، الجهمية مقولتهم صريحة، وصار عليها الخصمة الكبيرة بين أهل السنة وبينهم فانجلى واتضح وضع الجهمية، أما إذا جاء شخص وقال: نحن لا نقول في مثل هذه المسائل ونتورع عن الخوض فيها، يظهر أنه ورع! ولهذا جرى قولهم على بعض الناس وبعض من أحسن الظن بهذه المقالة، ونبه الدارمي والإمام أحمد إلى أن هذه المقالة المراد بها التوصل إلى نفس مقولة الجهمية؛ لكن يريد أن يقف على موضع الخلاف الذي بين أهل السنة وبينهم.

اللفظية أيضًا تقدم الكلام عليهم يقولون: القرآن كلام الله، وهذا حق، ولكن ليتوصلوا إلى مقولتهم السابقة يقولون: ألفاظنا بالقرآن وتلاوتنا مخلوقة، قلنا: إن كلمة اللفظ مصدر، تارة يُطلق على المتلفظ به على نفس الكلام الذي تكلم به الرب عز وجل فيقال: هذه ألفاظ القرآن، وتارة يكون صوت المتحدث نفسه، فهي محل تفصيل، فأرادوا أن يقولوا: اللفظ مخلوق حتى يتوصلوا إلى أنه ما المقصود باللفظ هل هو الملفوظ أو نفس صوت القارئ حتى تكون المسألة مُلبسة مشكلة، وأدخلوها؛ فلماذا قالوا: إن هذا نوع من العبث يراد به الرجوع مرة أخرى إلى قول الجهمية، لماذا صارت الجهمية تحاول هذه المحاولات؟ لأن المتوكل رحمه



الله تعالى لما أتى مَنْعَ قَوْلِ الْجَهْمِيَّةِ فِي الْأُمَّةِ، فَلَمَّا مَنَعَهُ وَحَارَبَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ وَنَصَرَ قَوْلَ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ مَنْزَلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ صَارُوا يَحَاوِلُونَ أَنْ يَلْتَفِتُوا عَلَى مَقُولَتِهِمْ لَكِنْ بِأَسْلُوبٍ مِثْلِ هَذَا الْأَسْلُوبِ بِالْوُقُوفِ أَوْ بِالْقَوْلِ بِأَنَّ الْأَلْفَاظَ مَخْلُوقَةٌ وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَلَأَجَلَ ذَلِكَ نَبَّهَ أَهْلَ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ هَذَا نَوْعٌ مِنَ التَّجَهُّمِ.

والرافضة: وهم الذين يتبرؤون من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ويسبونهم وينتقصونهم، ويكفرون الأئمة إلا أربعة: علياً وعماراً والمقداد وسلمان، وليست الرافضة من الإسلام في شيء.
والمنصورية: وهم رافضة أخصب الروافض^(١)، وهم الذين يقولون: من قتل أربعين نفساً ممن خالف هواهم دخل الجنة، وهم الذين يُخيفون الناس ويستحلون أموالهم، وهم الذين يقولون: أخطأ جبريل عليه السلام بالرسالة! وهذا هو الكفر الواضح الذي لا يشوبه إيهان؛ فنعوذ بالله منهم.
والسبئية: وهم رافضة كذابون، وهم قريب ممن ذكرت، مخالفون للأئمة كذابون، والرافضة أسوأ أثراً في الإسلام من أهل الكفر من أهل الحرب.

وصنف منهم يقولون: عليٌّ في السحاب، وعليٌّ يُبعث قبل يوم القيامة، وهذا كله كذب وزور وبهتان.
والزيدية: وهم رافضة، وهم الذين يتبرؤون من عثمان وطلحة والزبير وعائشة، ويرون القتال مع كل من خرج من ولد عليٍّ برّاً كان أو فاجراً حتى يغلب أو يغلب.
والخشبية: وهم يقولون بقول الزيدية.

والشيعة: وهم فيما يزعمون ينتحلون حبَّ آل محمد صلى الله عليه وسلم دون الناس، وكذبوا، بل هم المبغضون لآل محمد صلى الله عليه وسلم دون الناس، إنما الشيعة لآل محمد المتقون، أهل السنة والأثر من كانوا وحيث كانوا، الذين يجبون آل محمد صلى الله عليه وسلم وجميع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم،

(١) هنا يقول الشيخ حفظه الله للقارئ: عندك: "رافضة من الروافض"؟ النسخة الثانية "رافضة أخصب الروافض" لأن عبارة "رافضة من الروافض" فيها نوع من الزيادة التي ما لها معنى! لكن "رافضة أخصب الروافض" نعم. نشير إلى النسخة.



ولا يذكرون أحدًا منهم بسوء ولا عيب ولا منقصة، فَمَنْ ذَكَرَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِسُوءٍ أَوْ طَعَنَ عَلَيْهِمْ أَوْ تَبَرَّأَ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ، أَوْ سَبَّهُمْ، أَوْ عَرَضَ بَعْضَهُمْ فَهُوَ رَافِضِي خَبِيثٌ نَجِسٌ.

.....

ذَكَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَا يَتَعَلَّقُ بِأَصْنَافِ الرَّافِضَةِ، وَالشَّيْعَةِ وَهُمْ أَصْنَافٌ كَثِيرَةٌ وَفِرَقٌ كَثِيرَةٌ جَدًّا، سُمِّوا بِالرَّافِضَةِ، أَصْلُ التَّشْيِيعِ هُوَ فِي أَصْلِهِ كَانَ تَشْيِيعًا لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ مَعَ عَدَمِ التَّعَرُّضِ لِلصَّحَابَةِ، يَعْنِي أَنَّهُ مِيلٌ وَمَحَبَةٌ لِعَلِيِّ مَعَ عَدَمِ التَّعَرُّضِ بِنَاتًا لِلصَّحَابَةِ بِالسُّوءِ، مَعَ إِقْرَارِهِمْ بِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعَمْرٌ أَفْضَلُ مِنْ عَلِيٍّ، لِأَنَّ هَذَا كَانَ مِمَّا يَخْطُبُ بِهِ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْكَوْفَةِ، وَتَوَاتَرَ هَذَا عَنْهُ كَمَا ذَكَرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ، فَمَا كَانَ الشَّيْعَةُ الْأَوَائِلَ عِنْدَهُمْ أَيَّ كَلِمَةٍ فِي الصَّحَابَةِ بِنَاتًا، إِنَّهَا كَانُوا يَقُولُونَ: أَفْضَلُ الْأُمَّةِ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عَمْرٌ ثُمَّ عَلِيُّ ثُمَّ عَثْمَانُ، فَعَثْمَانُ عِنْدَهُمْ فَاضِلٌ مَا عِنْدَهُمْ فِيهِ أَيُّ إِشْكَالٍ، لَكِنْ يَقُولُونَ: هُوَ فِي الْمَرْتَبَةِ الرَّابِعَةِ، وَقَلْنَا: إِنَّ هَذَا الْقَوْلَ بَاطِلٌ غَيْرٌ صَحِيحٌ، بَلِ الصَّوَابُ تَرْتِيبُهُمْ كَتَرْتِيبِهِمْ فِي الْخِلَافَةِ، أَفْضَلُهُمْ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عَمْرٌ ثُمَّ عَثْمَانُ ثُمَّ عَلِيُّ، فَمَا كَانَتِ الشَّيْعَةُ تَتَعَرَّضُ لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسُّوءِ، أَمَا مِنْ حَيْثُ الْأَفْضَلِيَّةُ فَكَانُوا يَرُونَ أَبَا بَكْرٍ وَعَمْرٌ أَفْضَلَ مِنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ لِأَنَّ هَذَا الَّذِي كَانَ يَخْطُبُ بِهِ وَيُؤَكِّدُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ، وَفِي الْبُخَارِيِّ "أَنَّ مُحَمَّدَ ابْنِهِ قَالَ: يَا أَبَتِ مَنْ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: يَا بَنِيَّ أَمَا تَعْلَمُ؟ أَفْضَلُ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: عَمْرٌ، قَالَ: فَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ: ثُمَّ عَثْمَانُ - وَلَدِي يَجِبُ أَبَاهُ - ، فَقُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ، قَالَ: يَا بَنِيَّ إِنَّهَا أَبُوكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَوْ نَحْوَهَا"^(١)، وَفِي بَعْضِ الْمَقَالَاتِ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَفْسَهُ أَنَّهُ قَالَ: ثُمَّ عَثْمَانُ "فَمَا كَانَ هُنَاكَ سَبٌّ لِلصَّحَابَةِ بِنَاتًا، لَكِنْهُمْ كَانُوا - مِثْلَمَا قَلْنَا - لَمَّا خَرَجْتَ الْخَوَارِجَ وَكَفَرُوا عَلِيًّا بِدَأْ أُنَاسٍ مِنْهُمْ يَقُولُونَ: بِفَضْلِ عَلِيٍّ، وَهُوَ كَذَلِكَ لَا شَكَّ فِي فَضْلِهِ وَمَقَامِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَكِنْ فَضْلُهُ الْمَعْرُوفُ الَّذِي يَكُونُ بِهِ رَابِعُ الصَّحَابَةِ فِي الْفَضْلِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، أَمَا إِذَا قِيلَ: رَافِضِيٌّ فَالرَّافِضِيٌّ بِالْغِ وَزَادَ، وَصَارَ يَتَوَلَّى الصَّحَابَةَ بِالسَّبِّ، وَلَوْ لَمْ يَكْفُرْهُمْ يَسْمَى رَافِضِيًّا، هُمْ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ بِهِمْ، بِدَايَةِ الْأُمُورِ أَنْ سَبُّوا - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - بَعْضُ الصَّحَابَةِ فَصَارُوا يُسَمُّونَ رَافِضَةً، أَمَا التَّكْفِيرُ فَأَمْرٌ كَبِيرٌ الْخَطُورَةُ مِثْلَمَا ذَكَرْنَا فِي التَّفَاصِيلِ فِي الْحُكْمِ فِيهِمْ.

(١) صحيح البخاري (٣٦٧١).



فالرافضة يتبرؤون من الصحابة ويسبونهم ويتتقصونهم ويكفرون أمة إلا نفرًا يسيرًا، وهذا الآن كما ترى هو الذي استقر عليه مذهب الاثني عشرية، وهذا يدل على أنهم رافضة وليس مجرد شيعة يتشيعون لعلي - كما سيأتي بيانه إن شاء الله - ولهذا قال: "ولست الرافضة من الإسلام في شيء" لما ذكرنا من تكفير الصحابة بالعموم ضرب من ضروب الردة.

المنصورية أيضًا من الروافض، قائدهم أبو منصور العجلي وهو من الغلاة في الرفض، وعنده مبالغة في علي رضي الله عنه، فقتله الأمير الأموي يوسف بن عمر الثقفي وصلبه، أصحابه يسمون المنصورية، عنده غلو في علي رضي الله عنه كعادة فرق الروافض، لكن هؤلاء عندهم إجرام وإفساد في الأرض، عندهم أن من قتل أربعين من المخالفين يدخل الجنة! بمعنى أنه إذا وجد منهم عشرة فإتهم يسولون لهم إن أردتم الجنة فاقتلوا أربعمئة من المسلمين، وهؤلاء أيضًا مارسوا الإجرام؛ فكانوا يستحلون أموال الناس ويخيفون السبل ويخنقون الناس، وعندهم مقالة - نسأل الله العافية - خبيثة جدًا يقولون: أصل الرسالة لعلي وليست للنبي صلى الله عليه وسلم ولكن أخطأ جبريل! فذهب بها إلى محمد بدل أن يذهب بها إلى علي! يقول: هذا هو الكفر الواضح، معنى ذلك أن الرسالة لا يستحقها محمد صلى الله عليه وسلم إنما هي في أصلها لعلي، ولهذا - قبّحهم الله - يقولون: خان جبريل، مع تسمية الله له بالأمين! فهذا لا شك في أن قائله كافرًا بواحا؟ وهكذا طائفة الغرابية أيضًا من الرافضة يقولون بهذه المقولة.

السبئية نسبة لعبد الله بن سبأ، والذي ذكرنا أنه كان في زمن عثمان رضي الله تعالى عنه وأرضاه يظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان يتنقل بين البلدان، وقلنا: إنه يهودي من أهل اليمن ما دخل الإسلام لحظة، هذا الرجل كان يظهر حبَّ علي رضي الله تعالى عنه وأرضاه وكان ينكر على ولادة عثمان وعلى عثمان وتَسبَّبَ في جمع مجموعة من المفسدين في الأرض من البصرة والكوفة ومصر فدهموا المدينة وحاصروا عثمان وقتل عثمان رضي الله تعالى عنه وأرضاه على إثر تلك الفعلة الشنعاء، والسبئية هؤلاء تطور حالهم حتى قالوا: إن عليًا هو الله - نسأل الله العافية والسلامة - وصرّحوا بهذا في وجه علي نفسه رضي الله عنه، خرج ليصلي الظهر - عليه الرضوان - فقالوا: له أنت ربنا، فقال: ويحكم أنا رجل أمرض كما يمرض الناس؛ وأموت إذا أتاني أجلي؛ إن أطعت ربي رجوت أن يدخلني الجنة؛ وإن عصيته خفت أن يعذبني، فظن



أَنْ وَعَظَهُ وَزَجَرَهُ لَهُمْ كَفَى، فَلَمَّا جَاءَ مِنَ الْغَدِ قَالُوا لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّهُمْ عِنْدَ الْبَابِ، قَالَ: مَا يَقُولُونَ؟
قَالُوا: يَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا! فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ: لَيْتَنِي لَمْ تَرْجِعُوا عَنِ مَقَالَتِكُمْ هَذِهِ لِأَقْتُلَنَّكُمْ قَتْلَةَ
مَا قَتَلْتُمُ أَحَدًا، فَأَمَرَ بِأَنْ يُشَقَّ فِي الْأَرْضِ أَحَادِيدٌ وَأُضْرَمَ فِيهَا النَّارُ قَالَ: إِمَّا أَنْ تَرْجِعُوا عَنِ مَقُولَتِكُمْ هَذِهِ أَوْ
أَلْقَيْتُمْ فِي النَّارِ! فَفَفَزُوا - نَسَأَلَ اللَّهُ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ - فِي النَّارِ هُمْ! يَعْتَقِدُونَ أَنَّ عَلِيًّا رَجِيمًا وَقَالُوا: أَمَرْنَا أَنْ
نَدْخُلَ النَّارَ نَدْخُلَ النَّارَ! نَسَأَلَ اللَّهُ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ، وَقَالَ بَيْتُ الشَّعْرِ الْمَعْرُوفِ: "لَمَّا رَأَيْتُ الْأَمْرَ أَمْرًا مُنْكَرًا
... أَجِجْتُ نَارِي وَأَمَرْتُ قَنْبَرًا" قَنْبَرًا هَذَا أَحَدُ غُلَمَانِهِ، فِي الْبُخَارِيِّ أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَتَى بِقَوْمٍ مِنَ
الزَّنَادِقَةِ فَأَحْرَقَهُمْ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لَوْ كُنْتُ أَنَا لَمَّا أَحْرَقْتَهُمْ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
«نَهَى أَنْ يُعَذَّبَ أَحَدٌ بِالنَّارِ» النَّارُ لَا يُعَذَّبُ بِهَا إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، «نَهَى أَنْ يُعَذَّبَ أَحَدٌ بِالنَّارِ» وَلَقَتْلُهُمْ لِأَنَّ
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»^(١)، هَذَا فِي الْبُخَارِيِّ، أَظُنُّ فِي الْبَيْهَقِيِّ بَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: "وَيْحَ ابْنِ أُمِّ الْفَضْلِ؛ سَقَّاطٌ عَلَى الْهَنَاتِ"^(٢) يَقُولُ: أَصَابَ يَعْنِي، قَوْلُهُ صَحِيحٌ؛ أَنَّهُ مَا
كَانَ يَجَلُّ أَنْ أَحْرَقَهُمْ وَإِنَّمَا كَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يُقْتَلُوا، وَهَذَا الصَّحِيحُ؛ أَنَّهُ لَا يَجِلُّ حَرْقُ أَحَدٍ بِالنَّارِ وَإِنْ كَانَ
زَنْدِيقًا، وَثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ أَرْسَلَ سَرِيَّةً وَقَالَ: «إِنْ وَجَدْتُمْ فَلَانًا وَفَلَانًا فَأَحْرَقُوهُمَا
بِالنَّارِ» ثُمَّ بَعَثَ إِلَى السَّرِيَّةِ وَقَالَ: «إِنْ وَجَدْتُمُوهُمَا فَاقْتُلُوهُمَا؛ فَإِنَّهُ لَا يُعَذَّبُ بِالنَّارِ إِلَّا اللَّهُ»^(٣)، هَذَا التَّعْلِيلُ فِيهِ
بَيَانُ تَعْلِيلِ الْحُكْمِ، لِمَاذَا؟ لَا يَحْرَقُ أَحَدٌ بِالنَّارِ؛ لِأَنَّ التَّعْذِيبَ بِالنَّارِ خَاصٌّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَلَا يَصِحُّ أَنْ يُعَذَّبَ
أَحَدٌ بِهِ، هَذَا الصَّحِيحُ فِي أَمْرِ التَّحْرِيقِ بِالنَّارِ، وَلِهَذَا عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَفْسَهُ كَأَنَّهُ قَالَ: إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ أَصَابَ،
لِهَذَا قَالَ: "سَقَّاطٌ عَلَى الْهَنَاتِ" الْهَنَاتُ يَعْنِي: الْأَخْطَاءَ وَنَحْوَهَا، فَقَالَ: إِنَّ الْمَفْتَرِضَ أَنْ لَا يُحْرَقُوا؛ لَكِنْ عَلِيًّا
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخَذَهُ الْغَضَبُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ فِظَاعَةٍ أَنْ يُقَالَ هَذَا الْكَلَامُ، وَأَرَادَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَكُونَ هَذَا
الْفِعْلُ قَاطِعًا لِهَذِهِ الْمَقُولَةِ، أَنْتَ تَقُولُ: إِنِّي رَبُّكُمْ! أَنَا أَقُولُ: لَسْتُ رَبُّكُمْ، وَتَقُولُ: إِنَّ هَذَا هُوَ الْحَقُّ! أَنَا أَقُولُ:
هَذَا هُوَ الْبَاطِلُ وَأَقْتُلُكُمْ عَلَيْهِ، فَرَأَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ قَتَلَهُمْ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ سَيَمْحُو هَذِهِ الْمَقَالَةَ، لَكِنْ اسْتَمَرَّ

(١) صحيح البخاري (٣٠١٧).

(٢) السنن الكبرى للبيهقي (٨ / ٣٥١) ولفظه: "ويح ابن أم الفضل؛ إنه لغواص على الهنات".

(٣) صحيح البخاري (٢٩٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.



الغلوّ في عليّ رضي الله تعالى عنه وأرضاه إلى يومك هذا من قبل الرافضة، ولهذا قال: "والرافضة أسوء أئراً في الإسلام من أهل الكفر من أهل الحرب" لأنّ تدمير الرافضة للأمة من الداخل، وهو أشد فتكاً من العدو المحارب، العدو المحارب أنت تنظر حدودك وتتأهب، لكنّ الإشكال صار الإفساد من الداخل، من قبل أناس عندهم هذه العقيدة الفظيعة التي تعتقد أنّ عليّاً هو الرب! وأفصحوا عن هذا في أكثر من موطن، وهذا كان يقوله علماء السنّة يقول: هذا أصل اعتقادكم وهو في كتبكم؛ فكانوا ينفون ويكذبون إلى سنوات قريبة، الآن لهم مجموعة من المقاطع يُصرّحون بأنّ عليّاً هو الرب - نسأل الله العافية والسلامة -، التشيع اليوم ليس التشيع الذي بالأمس، التشيع الآن تشيع غلاة، يعني ليس التشيع السابق، التشيع أخذ منحاً قلنا: إنّهُ في بداياته كان تفضيلاً لعليّ على عثمان فقط مع اعتقاد أنّ أبا بكر وعمر أفضل من عليّ، ثم صار رفضاً بسبب الصحابة مع عدم تكفيرهم، ثم انضمّ إليه تكفير الصحابة، ثم تكفير الصحابة - كما قلنا: هذا كفر بإجماع أهل العلم - تجاوز الأمر - نسأل الله العافية والسلامة - إلى أنّ طعنوا في القرآن، تجاوز الأمر إلى أنّ قالوا: إنّهُ عند هؤلاء الأئمة من علي وأبنائه من عظام الأمور التي يقدرون عليها كعلم الغيب وإجابة الضرّ وسماع دعاء الداعي فصاروا يدعونهم من دون الله، ويسجدون لهم، ويذبحون لهم، ويعبدونهم عبادة صريحة، هذا ليس التشيع السابق الذي يقول: إنّ عليّاً أفضل من عثمان! لأنّ الذين يقولون هذا الكلام من الموحدّين ما عندهم شرك ولا يرون إلا أنّ عليّاً بشر من البشر مثله مثل غيره لهذا قُتل رضي الله تعالى عنه وأرضاه ولم يدفع عن نفسه، وهكذا الحسين الآن، الحسين رضي الله تعالى عنه قُتل ظلماً وعدواناً لا شك، والله تعالى محاسب قتلته، لكنّ العجيب من أمرهم أنّهم يصيحون وأنّ الأمة تركته وأنّه كذا وأنّه عطش وأنّه اجتمع عليه وقطّعه وضربه عدّة ضربات في النهاية يدعون الحسين نفسه! الحسين لم يدفع عن نفسه رضي الله عنه وقُتل ظلماً وعدواناً فكيف تدعو من لم يستطع أن يدفع عن نفسه! وهكذا عليّاً رضي الله عنه كمن له خارجيٌّ وقتله؛ وأنت تقول: إنّهُ يدعنا من دون الله وهو لم يدفع عن نفسه؟؟ فالخاصل أنّ هذه المقالات صارت مقالات الغلاة، وقد اعترف المامقاني - من الشيعة - بأنّ المذهب الشيعي هو مذهب الغلاة، وقال: إنّ كثيراً من ضرورات المذهب - يعني المذهب الشيعي - كان عند المتقدمين - يعني من الشيعة - كان غلوّاً؛ وهو الآن من الضرورات، هكذا نصّ عليه المامقاني في كتابه في الرجال، يقول: مجموعة من الأشياء



التي كان قدماء الشيعة يقولون: إن هذا غلو؛ يقول: هو الآن عندنا من الضرورات، الضرورات في المذهب عندهم، الضرورات التي لا يكون الرجل شيعياً إلا بها، يقول: قدماؤنا يقولون: إنه غلو، نحن الآن نقول: من الضرورات، مما يدل على الفرق الكبير بين متقدمي الشيعة ومتأخريهم، فصارت المسألة يعني إلى جانب كبير وإلى حد كبير مسألة عبثية، وصار فيها شيء من التلاعب السياسي وجعل الناس مثل القطيع يؤمرون كأنهم ليسوا من البشر وليسوا من ذوي العقول؛ فيأتمرون بما أمروا به ويُعبث بهم من قبل هؤلاء المُسَمِّين بالمراجع والمعممين ونحوهم يعبثون عبثاً كما قال تعالى: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (١) فهم لا يأكلون حتى يصدوا، فيصدون ليأكلوا، فدفاعهم إنما هو دفاع عن هذه الأحماس وهذه الألاعيب التي يتلاعبون بها، وقد نصَّ شيخ الإسلام على أن كثيراً من شيوخ الرافضة ليسوا رافضة، يقول: كثير منهم زنادقة، وإنما يتخذون المذهب الرافضي كأنهم يعني يكون عند ذكر الحسين وقتله، لكن واقع الأمر هؤلاء ليسوا رافضة أصلاً وإنما يعبثون هؤلاء البشر الذين يُوجهون بسهولة، يسهل أن يُوجهوا، هذه الأفواج تضرب نفسها ويُقطعون أنفسهم ويدفعون أموالهم ويتلاعب بهذه المتعة على النحو المخزي المزري الحاصل الآن، فالأمر وما فيه صار أمر الألعيب، والأمر كما قال شيخ الإسلام كثير من الطوائف الضالة رؤوسها تسخر في الحقيقة تسخر هؤلاء وعليه زعيم الآغاخانية الذي لما قُوبل في المقابلة وإذا به رجل علماني دارس في المدارس الأجنبية وفي الجامعات الأجنبية وعنده شهادات أجنبية وعند هؤلاء يُعظمونه لأنه سليل من سلالة هذه الطائفة التي تُقدَّس في الهند فيقول الذي يقابله: أنا أتعجب منك ومن ثقافتك ومن دراساتك وأنت رجل الآن عندك دراسات حديثة لست من أهل هذه الأمور المتعلقة بالتخريف؛ كيف ترضى هؤلاء أن يعبدوك؟ يعني أن يعبدونك عبادة؟؟ يقول: فضحك وضحك حتى صارت الدموع تتهاجر من عينيه من شدة الضحك، ثم قال: أليسوا يعبدون البقر في الهند؟ أنا أفضل من البقرة!! يعبدونني ولا يعبدون البقرة! بهذه البساطة! لكن لا يكثرث بأن هؤلاء الأمم يُعبث بدينهم، وإذا مات الميت يدفع رسماً حتى يُقبر في مقابرهم! إذا وُلِدَ له مولود يدفع رسماً! يقول: أنا أفضل، يعطوني مثل هذه الأمور ويقدمونني، أما بالنسبة له فهو غير مقتنع بتاتا، ويرى أن هذه الأمور سخيفة، لكن

(١) التوبة: ٣٤.



يقول: مادام الأمر عندهم يعبدون البقر فيعبدونني أنا أفضل من البقر، لكن ما عنده قناعة، وهكذا كثير من زعماء الفرق الضالة هذا وضعهم، غير مقتنعين أن هذه الضلالات صواب، لكن واقع الأمر أنه لن يأكل حتى يصد عن سبيل الله: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيُصَدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (١) فهو لو لم يصد وقال: ما يصلح هذا؛ ما تأتيه الأموال! لأن الأموال هذه ما أتته إلا بالطريق الفاسد، رأيت عالماً سنياً يقول: أعطوني مالاً، نعطيك المال على ماذا؟ على السنة؟؟ السنة تحفزك على أن تتورع عن أخذ المال أصلاً، السنة تحفزك على أن تدفع بدلاً من أن تأخذ، لأنك تقول: الأجر عند الله، فصاحب السنة لا يأخذ، صاحب السنة يعطي، وأصحاب البدع - وانظر المخرفين عند القبور والروافض - تجد أنهم يستفيدون من هذه البدع، ولهذا يستमितون استماتة في الدفاع عن الباطل لعلمهم بأن هؤلاء إن أفاقوا وعرفوا الوضع الصحيح لن يدفعوا لهم هذه الأموال، ولهذا يقول ابن القيم رحمه الله عن زعماء هذه الطوائف الضالة: "يبغون منهم دعوة" واحد منهم يرجو أن شيخ الطائفة الضالة هذا يدعو له "يبغون منهم دعوة، ويقبلون أياديهم منهم رجا الغفران، ولو أنهم عرفوا حقيقة قولهم رجموهم لا شك بالصوان" (٢) لو أفاقت العامة لرموهم بالأحجار، لكن عظم هؤلاء وصاروا يسمون يقول: الشيخ دعالي - شيخ الضلالة هذا -، يريد أن يقبل يده ويعظمه "يبغون منهم دعوة ويقبلون أياديهم منهم رجا الغفران، ولو أنهم علموا حقيقة قولهم رجموهم لا شك بالصوان".

ثم قال: "وصنف من الرافضة يقولون: علي في السحاب" يعني أنه لم يمت لكنه في السحاب، ولهذا إذا رأوا البرق وسمعوا الرعد أجابوه على أساس أنه علي، هذا الذي في السحاب منه هذا الصوت صوت الرعد، صوت البرق صوته! نسأل الله العافية والسلامة، نسأل الله أن يثبتنا وإياكم على السنة وأن لا يزيغنا في الزائغين، هذه المواضع أيها الإخوة - كما قلنا أكثر من مرة - تحفز المسلم السنّي على سؤال الله تعالى الثبات على هذه السنة، السنة عز لك في الدنيا والآخرة، السنة رافة ورحمة بالخلق، فالإنسان الذي يرى الفرق الكبير بين عوام أهل السنة وعوام أهل البدع يجد الفرق الجليل الهائل الكبير في دين أولئك وفي

(١) التوبة: ٣٤.

(٢) الكافية الشافية (ص: ٥٤).



دنياهم وفي عقولهم، ولهذا أيضًا يقولون: عليٌّ يبعث قبل يوم القيامة، وهي المسماة عند الرافضة بالرجعة، ولا يزالون يقولونه، يقولون: إنه سيبعث قبل القيامة، لماذا؟ ليعاقب خصومهم ويقتلهم ويفعل ويفعل! أتريدون حكمًا أعظم من حكم الآخرة؟ حكم الآخرة يحكم أحكم الحاكمين سبحانه وتعالى في هذه الخلائق، قالوا: لا، يجي خصومه من قبورهم ويقتل هؤلاء الخصوم، ويصل به الحد إلى أن من سموه - الذي يزعمون أنه في سرداب سامراء الذي يسمونه المهدي وليس بمهدي وليس له حقيقة أصلاً - يقول: إنه سيحيي من كانوا خصومًا لعليٍّ ويقتلهم ألف قتلة! ثم يقتل ثم يحيي، الأعيب أطفال! النار - نعوذ بالله من عذاب الله - أبلغ وأشد، يقتله ثم يحيي ثم يقتله حتى يبلغ ألف قتلة ثم يذهب به إلى النار، ألف قتلة هذه بنظرك الآن كانت تظهر ما في قلبك من غلٍّ، النار أشد وأنكى لو كنتم تفقهون، لكن هذه طريقتهم في العبث بهؤلاء الرعاع والقطيع من هؤلاء العوام والجهلة، ولهذا من أعظم ما يجب على أهل السنة أن يستنقذوا العوام من هؤلاء، ولهذا قلنا: إن دعوتهم لا تكون بالسخرية والاستهزاء بهم، وإنما ينبغي أن يشعروا أن الذي يكلمهم ناصح يريد أن يخرجهم مما هم فيه من ضلالة؛ وأن يصدّقهم، وقد رجع - والله الحمد - أعداء غفيرة جدًا منهم ومن غيرهم أيضًا من الضالين، لكن لا بأسلوب السخرية والاستهزاء به! لأن السخرية والاستهزاء ليست الطريق التي يدعى بها هؤلاء، وإنما يبين لهم الحق من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم؛ وأن ما أنتم عليه باطل؛ وأنكم إن لقيتم الله تعالى على هذا الحال فهو حال الضلال والزيف والهلاك؛ وأن المرء إنما هو ناصح لكم، أما السخرية والعبث بهم والمقاطع التي تنتشر - من الضحك بهم؛ هذه لا تزيدهم إلا إصرارًا على باطلهم وليست بصواب وليست من منحي ومسلك أهل العلم.

ثم قال: "والزيدية" نسبة إلى زيد بن علي، وزيد بن علي كان يقاتل بني أمية؛ ففي أثناء قتاله لبني أمية قال له الرافضة: ما تقول في أبي بكر وعمر؟ في نفس الحرب^(١) قال: أثنى عليهما جدي - يعني عليًّا رضي الله عنه -، قالوا: علام نقاتل معك؟ فتركوه وانصرفوا من الحرب فقتله الجيش، فلما خرجوا من عنده قال: رفضتموني رفضتموني فسموا بالرافضة، لكن أتباع زيد بن علي بالغوا؛ لأن زيدًا لما سأله عن أبي بكر وعمر قال: أثنى عليهما جدي - يعني عليًّا بن أبي طالب - فأنا لا أقول فيهم إلا بقول جدي، الزيدية صاروا أصلًا

(١) كلمة غير واضحة.



عدة طوائف، ومنهم الطائفة التي انشقت لاحقاً وصارت تسمى بالحوثيين لأن أصولهم زيدية، والمذهب الزيدي لا شك أنه أسهل بكثير من المذهب الاثني عشري، لكن الإشكال أن التيار واحد - تيار التشيع - فلهذا يسهل أن يؤثر الشيعي في الزيدي، وهذا الذي صار لما وجدت هذه الطائفة هذه الخبيثة طائفة الحوثيين - حوث بلد من البلدان - وهم من الزيود كانوا؛ فأثرت الاثنا عشرية في هذا الحوثي ثم تبنى مقالات حتى انقلب الحوثيون الآن إلى رافضة اثني عشرية، ولهذا رد عليهم حتى الزيود، نفس الزيود في اليمن ردوا على الحوثيين، لكن الإشكال أن الزيود عندهم بيئة يمكن أن يدخل منها التشيع مثل كونهم يتبرؤون من عثمان وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم، وهذا قول لبعض الزيود، وبعض من الزيود لا يتحدث بتاتاً عن أبي بكر وعمر إلا بخير؛ ويزعمون أن علياً أفضل منهما لكن يقولون: تصح بيعتهما لأنه تصح بيعة المفضول مع وجود الفاضل بزعمهم؛ مع أن هذا خلاف كما قلنا، لكن هذا أيسر من الذي يقول: إنهم كفر وإثم وإثم؛ لكن كونهم يسبون عثمان وطلحة والزبير وعائشة لا شك أن هذا من الباطل، وهو من سب الصحابة الذي يدخل صاحبه في حكم من سب الصحابة، وهو الذي يهين البيئة لو كانوا يفقهون، هو الذي يهين البيئة ليتأثر الزيدي فيكون شيعياً، ويرون القتال، عندهم اعتقاد أن من خرج من ولد علي فإنه يُعاون ويُعظمون جداً نسل عليه رضي الله عنه قالوا: هذا لا بد أن يُقاتل معه حتى لو كان فاجراً، ونستمر نقاتل معه إلى أن يُغلب أو يُغلب، ولهذا هم عندهم استماتة في من يرون أنه من نسل علي ويكون عندهم شيء من التعظيم والاستماتة في القتال، كل هذا من آثار الغلو الذي ما أنزل الله به من سلطان.

ثم قال رحمه الله: "والخشبية" الخشبية سُموا بالخشبية، هم رافضة لأئمتهم قالوا: لا نقاتل بالسيف إلا مع المعصوم فقاتلوا بالخشب فسُموا بالخشبية، وفيهم قول الشعبي رحمه الله: "ما رأيت أحق من الخشبية، لو كانوا في الدواب لكانوا حمراً، ولو كانوا في الطيور لكانوا رخماً"^(١) من أردئ الناس هؤلاء القوم ولذلك سُموا بالخشبية؛ وإن كان قد يُطلق أيضاً خشبية لأن بعضهم أيضاً أطلق الخشبية على طائفة من الزيدية، لما قتل زيد بن علي صلب فصار بعضهم يأتي ويصلي عند خشبته فسُموا بالخشبية، فقد تطلق على أكثر من طائفة.

(١) السنة لعبد الله بن أحمد (٢/ ٥٤٩).



ثم قال: "والشيعة يزعمون أنهم يتحلون حبَّ آل محمد صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم دون الناس وكذبوا، بل هم خاصة المبغضون لآل محمد صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم دون الناس" وهذا كلام دقيق جدًّا، البغضاء الحقيقية وقعت لآل محمد صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم من قبل الشيعة كما فصلنا من كونهم يتكلموا بالسوء في زوجات النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم وهنَّ من آلِه؛ وكونهم يتكلمون بالسوء حتى في ابن عباس والعباس وغيرهم من آل بيت النبي عليه الصلاة والسلام، فلم يسلم منهم حتى آل بيت النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم، الذين عرفوا قدر آل البيت هم أهل السنة الذين تولوا آل البيت وتولوا الصحابة جميعًا رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، ولهذا قال: "إنها شيعة آل محمد المتقون أهل السنة والأثر ممن كانوا وحيث كانوا" ولا يعني هذا أن أهل السنة كما يقول بعض الناس يقول: نحن الشيعة! لا، هذه إطلاقات يا أخي، لكن كوننا نتولى آل البيت والصحابة هذا لا إشكال فيه، لكن أن يُغير اسم أهل السنة إلى اسم آخر هذا غير صحيح، لأن اسم التشيع على اسم طائفة ضالة، وأهل الحق يُسمون أهل السنة فلا حاجة، لكن من حيث أن أهل السنة هم الذين يوالون آل البيت والصحابة لكن أن يُغير الاسم هذا غير صواب وغير صحيح، ثم بعد ذلك أكد على أن من ذكر أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم بسوء فإنه يكون رافضيًّا وكرَّر الكلام الذي سبق الكلام عليه.

وأما الخوارج: فمرقوا من الدين، وفارقوا الملة، وشردوا عن الإسلام، وشذَّوا عن الجماعة، فضلُّوا عن السبيل والهدى، وخرجوا على السلطان والأئمة، وسلَّوا السيف على الأمة، واستحلوا دماءهم وأموالهم وعادوا من خالفهم، إلا من قال بقولهم، وكان على مثل قولهم ورأيهم، وثبت معهم في بيت ضلالتهم وهم يشتمون أصحاب محمد صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم وأصهاره وأختانه، ويتبرؤون منهم، ويرمونهم بالكفر والعظائم، ويرون خلافهم في شرائع الدين وسُنن الإسلام، ولا يؤمنون بعذاب القبر، ولا الحوض، ولا الشفاعة، ولا بخروج أحد من النار، ويقولون: من كذب كذبة أو أتى صغيرة أو كبيرة من الذنوب فمات من غير توبة فهو كافر، فهو في النار خالدًا مخلدًا أبدًا، وهم يقولون بقول البكرية في الحبة والقيراط، وهم قدرية جهمية مرجئة رافضة، لا يرون الجماعة إلا خلف إمامهم، وهم يرون تأخير الصلاة عن وقتها، ويرون الصوم قبل رؤية الهلال والفطر قبل رؤيته، وهم يرون النكاح بغير ولي ولا سلطان، ويرون المتعة في دينهم،



ويرون الدرهم بالدرهمين يدًا بيد حلالًا، ولا يرون الصلاة في الخفاف ولا المسح عليها، ولا يرون للسلطان عليهم طاعة ولا لقريش عليهم خلافة، وأشياء كثيرة يخالفون فيها الإسلام وأهله، وكفى بقوم ضلالة أن يكون هذا رأيهم ومذهبهم ودينهم فليسوا من الإسلام في شيء، وهم المارقة.

ومن أسماء الخوارج:

الحرورية: وهم أصحاب حروراء.

والأزارقة: وهم أصحاب نافع بن الأزرق، وقولهم أحبُّ الأقاليل وأبعده من الإسلام والسُّنة.

والنجدية: وهم أصحاب نجدة بن عامر الحروري.

والإباضية: وهم أصحاب عبد الله بن إباض.

والصفيرية: وهم أصحاب داود بن النعمان حين قيل: له إنك صفر من العلم.

والمهلبية والحارثية والحازمية، كل هؤلاء خوارج فساق مخالفون للسُّنة، خارجون من الملة، أهل بدعة

وضلالة، وهم لصوص قُطّاع قد عرفناهم بذلك.

.....

تكلم رحمه الله عن الخوارج، والكلام في الخوارج الحاجة إليه بالغة الأهمية، لأن في النصوص ما يدل على أن الخوارج باقون ومستمرون حتى يلحق آخرهم بالذَّجال^(١) - نسأل الله العافية - وهذه عاقبة الغلو، الغلو لا حظ أن الخارجي عنده غلو في عبادة الله كما قال صلى الله عليه وسلم: «تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم

(١) روى أحمد في المسند (٦٨٧١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه مرفوعًا بلفظ «كلما خرج منهم قرن قطع، حتى يخرج الذجال في بقيتهم»،

ولكن قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: «إسناده ضعيف؛ لضعف شهر بن حوشب، ثم إنه معلول كما سيأتي». انظر مسند أحمد ط الرسالة (١١ / ٤٥٦).

وقريب منه حديث أحمد في المسند (١٩٧٨٣) من حديث أبي برزة رضي الله عنه مرفوعًا؛ قال فيه الشيخ شعيب الأرنؤوط: «صحيح لغيره دون قوله: "حتى

يخرج آخرهم" وهي هنا مختصرة، توضحها الرواية الآتية برقم (١٩٨٠٨): "حتى يخرج آخرهم مع الذجال"، وإسناد هذا الحديث ضعيف لجهالة شريك بن

شهاب). انظر مسند أحمد ط الرسالة (٣٣ / ٢٧)، وانظر صحيح وضعيف سنن النسائي (٤١٠٣).

لكن عند ابن ماجه (١٧٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنه مرفوعًا بلفظ: «كلما خرج قرن قطع، أكثر من عشرين مرة، حتى يخرج في كل ما خرج قرن قطع،

أكثر من عشرين مرة، حتى يخرج في أعراضهم الذجال» والحديث حسن، و (أعراضهم): «جمع عَرْض - بفتح وسكون -، بمعنى الجيش العظيم وهو

مستعار من العرض بمعنى ناحية الجبل، أو بمعنى السحاب الذي يسد الأفق. قاله السندي". انظر الصحيحة (٥ / ٥٨٣).



وصيامكم إلى صيامهم»^(١) في النهاية يصلون إلى أن يكونوا أتباعًا للدجال الذي يدعي الربوبية - نسأل الله العافية والسلامة -، الخوارج الحقيقة الكلام عليهم يطول، وهناك محاضرة مفصلة ذكرت فيها الخوارج من حيث معالمهم وحقيقة مقولتهم، من أراد التوسع فيه يرجع إلى هذه المحاضرة، لكن في موضوع الخوارج لا بد من إيابة عدة أمور:

أولاً: الخوارج لم يسموا بالخوارج؟ بعض الناس يقول: الخوارج سموا بالخوارج لأنهم يكفرون صاحب الكبيرة! فإذا لم يكفروا صاحب الكبيرة؛ لا يكونون خوارج!! ينبغي أن يعرف السبب في إطلاق هذا اللفظ عليهم، الخوارج سموا بالخوارج لأنهم يرون الخروج بالسيف على ولاة الأمور؛ فذلك سموا خوارج، ودل على هذا حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «تخرج خارجة من أمتي ليس صلاتكم إلى صلاتهم بشيء»^(٢) وقوله صلى الله عليه وسلم: «تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين تقتلها أولى الطائفتين بالحق»^(٣)، فالخارجي هو الذي يخرج على الحكماء، والخروج قلنا: إنه نوعان، تارة يكون بالسيف، وهناك خوارج يسمون خوارج قعدة، قاعدون باقون لا يخرجون بالسيف؛ لكنهم يزينون لغيرهم أن يخرجوا، وكل هؤلاء خوارج، لأنه لا يمكن أن يكون هنالك خروج بالسيف حتى يكون هناك من يرض عليه من القعدة القاعدين، وتجد في تراجم الخوارج أن هذا من فساق الخوارج لأنه كان يقاتل، وتجد في تراجم آخرين منهم أن هذا من القعدة، يعني كان يقول بقول الخوارج لكنه كان قاعداً لا يشاركهم في القتال، هذا ضابط للخوارج.

الخوارج يكفرون من خالفهم، وبدأوا بعلي رضي الله عنه وكان أساس تكفيرهم أنهم قالوا: إنه حكم غير الشرع بتحكيمة للحكمين؛ وبناءً عليه كفروه، وقالوا: إن علياً - أجل الله مقامه ورضي الله عنه - قالوا: كفر بدلالة قوله تعالى: «وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ» قالوا: فلما حكم الرجلين - أبا موسى وعمرو - حكم الرجلين؛ معنى ذلك أنه كفر، وكانوا قد أمروا علياً رضي الله عنه في أثناء القتال أن يوقف القتال بينه وبين أهل الشام قالوا: إن لم تستجب أخذناك ورميناك لأهل الشام، هم معه في الجيش،

(١) صحيح البخاري (٣٦١٠) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) صحيح. رواه أحمد في المسند (٧٠٦) بنحوه من حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً، وصححه الشيخ أحمد شاكر رحمه الله.

(٣) صحيح مسلم (١٠٦٤) وسنن النسائي الكبرى (٨٥٠٥) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً بنحوه.



فأوقف القتال رضي الله تعالى عنه وأرضاه ثم رجعوا إليه فيما بعد وقالوا: إن إيقافك القتال كفر منك! وكان قد أشهد عليهم لما أمر بإيقاف القتال أو نبههم قال: أنتم الذين أمرتم بإيقاف القتال! كأنه يعرف سخافة عقولهم رضي الله عنه، فقالوا: نحن كفرنا وتبنا من كفرنا، وطاعتك لنا طاعة لنا في الكفر فكفرت بها فتب من كفرنا كما تبنا! هم كما قال صلى الله عليه وسلم: «سفهاء الأحلام»^(١)، عقول سفيهة، هذا كلام عاقل أن يتحدث بهذا الأسلوب! فالحاصل أن الخوارج هذا أصل مقاتلهم، فيهم عدد كبير من النصوص الدالة على أنهم أهل مبالغة، ومن أهم النصوص الواردة فيهم وهو معلّم كبير من معالم الخوارج أنهم «يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم»^(٢)! هذا النص في غاية الأهمية «يقرأون القرآن» يستدلون بالقرآن، يحسبون أن القرآن يدل على مقالاتهم الباطلة والقرآن دليل عليهم، ولهذا قال ابن عمر رضي الله عنهما: «إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المسلمين»^(٣)!! ألا تلاحظ أمرًا في الخوارج أنهم دائمًا يكفرون خصومهم - من الحكام أو من غير الحكام - ثم يقولون: من فعل كذا فهو كافر، قال الله تعالى ويستدلون بالآية، هذا معلّم في الخوارج قديم، الدليل الذي يستدلون به إذا رجعت إليه في كلام المفسرين من كلام السلف الصالح ومن بعدهم من أهل العلم لا يدل على ما استدلووا به، هذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم «يقرءون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم»^(٤) قال عليه الصلاة والسلام: «يتيه قوم قبل المشرق»^(٥) يعني هم ضائعون يتيهون، وقال صلى الله عليه وسلم فيهم: «حتى يعجبوكم» يعني من عبادتهم «وتعجبهم أنفسهم»^(٦) فالخارجي معجب بنفسه، الدليل على إعجابه بنفسه أنه يرى أنه هو وطائفته هم أهل الحق وأن كل من حوله ضالون، ولهذا روى اللالكائي رحمه الله تعالى أن خارجيًا كان يطوف مع آخر بالكعبة يقول: فقال - وقد جعل يده في يده - فقال: ترى كل هؤلاء الخلق الذين يطوفون بالكعبة؛ ليس فيهم من يدخل

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح مسلم (١٠٦٦) من حديث علي رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) صحيح البخاري (١٦ / ٩) معلقًا، وقال الحافظ في الفتح (١٢ / ٢٨٦): (وصله الطبري في مسند علي من تهذيب الآثار) وصحح إسناده.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) صحيح مسلم (١٠٦٨) من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه مرفوعًا.

(٦) صحيح السنّة (٩٤٥) لابن أبي عاصم من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في الظلال.



الجنة إلا أنا وأنت، فقال صاحبه - وكأنه أفاق - : كل هؤلاء محرومون من الجنة إلا أنا وأنت؟؟ قال: نعم، قال: فلفظ يده وقال: هي لك، مادام الجنة ليست إلا لي ولك بهذا العهد والعقيلة أنا أقول: اذهب أنت وحدك إلى الجنة، الأمة كلها في النار إلا أنا وأنت! فالخارجي معجب بنفسه، ولهذا تجد الخارجي لا يكثر بعالم، ولا يهتم أن يتلفظ بألفاظ سوء، ولا يرى إلا أنه على الصواب، وعنده قطع وجزم بأنه على الصواب مع قول النبي عليه الصلاة والسلام: «يقراءون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم»^(١).

فالحاصل أن الخوارج وضبط موضوع الخوارج وفتنة الخوارج لماذا؟ حتى لا يقع الإنسان في نوع من أنواع الخروج وهو لا يشعر! وفي الوقت نفسه حتى يتفطن إلى أن أعداء الأمة وأعداء السنة يصفون أهل السنة بأنهم خوارج، كما تسمع الآن الحملة الشديدة على الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في وصفه بالخارجي، حتى وصفه بالخوارج ليبراليون، سبحان الله العلي العظيم، وما دخل الليبرالي في تصنيف الناس بالخوارج؟ يكفيك عوارك وعيبك أنت، الليبرالي يتحدث عن الخارجي من السنني! يكفي الشر- والسوء الذي جلبته لأمة الإسلام، يتحدث عن الخوارج؛ وأن ابن عبد الوهاب خارجي! وأن الخوارج هم المتسببون في خروج هذه الفرق الضالة! وأن مناهج التوحيد في البلد هنا هي التي أوجدت! مع أن الخوارج المعاصرين لم يرد عليهم أحد رد علمي يوقف شبهتهم إلا أهل السنة، انظر أنت إلى الصوفية، الصوفية لا يردون على الخوارج لأن الصوفي ليس عنده علم، الليبرالي، كيف يرد على الخارجي الليبرالي إذا رد على الخارجي أصلاً أعطاه دعاية، لأن الأمة تكره الليبرالي وتكره العلماني؛ فيأتي ليرد على الخارجي فيفرح الخارجي ويقول: انظر من يردون علي! فالأمر بالعكس، لن يرد على الخوارج الرد الذي أنهى شبههم - في الأزمنة الآخرة هذه سواء الردود الصوتية أو الردود العلمية المؤصلة - إلا أهل السنة* الذين يتهمهم من لم يبذل أي جهد في الرد على الخوارج يتهمونهم بأنهم خوارج! فإذا اتهمتم أهل السنة بأنهم خوارج ردوا على الخوارج إن كنتم صادقين، ردوا الآن على الخوارج، لهم شبه عبث بشباب الأمة، كما قال ابن القيم رحمه الله: "ردوا عليهم إن قدرتم؛ أو تنحوا عن طريق عساكر الإيمان، لا تحطمنكم جنودهم كحطم السيل ما لاقى

(١) سبق تخريجه.



من الديدان" (١) ردوا عليهم إن كنتم صادقين، لا يستطيعون الردّ لأنه لا يوجد تأصيل علمي عندهم، ولهذا تجد الخوارج الآن إذا ردّ عليهم يكثر صراخهم وصياحهم، لأنك تأتي إلى الدليل الذي استدلووا به فتجعله دليلاً عليهم، وتبين لشباب الأمة أنّ هذا قول باطل، هم يشعرون بالخطر من أهل العلم أكثر من غيرهم، لأنّ الردّ العلمي هو الذي ينهي بدعة الخوارج، ولهذا كان عدد من الخوارج أرادوا زمن الصحابة رضي الله عنهم أن يخرجوا على الناس قالوا: نحج ثم نخرج على الناس، انظر الفرق بين ردّ العالم وغيره، فأتوا وإذا بجابر بن عبد الله رضي الله عنها يحدث الناس؛ فأتوا واستمعوا لحديث يرويه في الشفاعة، فتعجبوا لأنّ أحاديث الشفاعة ماذا تعني؟ أنّ العاصي من أهل التوحيد لا يخلد في النار، فأدوا ما عندهم وردّ عليهم نقاش يسير جداً ما يأت إلا أسطر، يقول: فرجعنا كلنا عن الخروج على الناس إلا واحد لم يقتنع بقول جابر، أمّا البقية فرجعوا (٢)، لا يمكن أن يُخرس الخوارج إلا الردّ العلمي، ولا يمكن أن ينهي شبه الخوارج إلا الردّ العلمي، أما أن يردّ عليهم ليبرالي أو صوفي مخرف أو رافضي! حتى الرافضة يتحدثون عن ابن عبد الوهاب خارجي! يا لله العجب! أنتم خرجتم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم كلها، يعني الشيعي - وإن كان عدواً للخارجي - لكن يرى أن الأمة دُمها حلال؛ وأنّ التكفير يبدأ بالصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم، فهم أشدّ الناس، جمعوا تشييعاً وخروجاً، فالردّ العلمي الحقيقي هو على الخوارج هو من قبل أهل العلم من أهل السنّة المنضبطين على السنّة، أما من سواهم فإنهم لا يزيدون الطين إلا بلّة ولا خير فيهم، ومع ذلك يلتفتون على أهل العلم من أهل السنّة يقولون: إنكم أنتم الخوارج!!

الحاصل أن موضوع الخوارج يحتاج إلى ضبط حتى لا تختلط فيه الأمور وتلتبس الأحوال بشأنه وينسب لأهل السنّة أنّهم أهل خروج! أو تكون هذه الشبهة التي يقولها الخوارج سبباً في زعزعة - كما حصل زعزعة كثير من الشباب - حتى رأوا عدم صحة الولاية وعدم صحة البيعة، سبحان الله العظيم إن كنت ترى أنّ المنكرات التي تقع الآن في البلد دالة على عدم صحة البيعة؛ فلو كنت زمن بني أمية وكنت تسمع سبّ عليّاً على المنابر ماذا ستفعل؟ كان يُسبّ عليٌّ رضي الله عنه على منبر الجمعة، هل معنى ذلك أنّ بني أمية كفروا؟

(١) الكافية الشافية (ص: ١١٨).

(٢) صحيح مسلم (١٩١).



فَرَّقَ كَبِيرٌ بَيْنَ الْمُنْكَرَاتِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ، وَكَوْنَ الْإِنْسَانِ يَنْقَلُ الْمُنْكَرَ إِلَى كُفْرٍ مَعْنَاهُ أَنَّهُ صَارَ خَارِجِيًّا لِأَنَّهُ صَارَ يُكْفِّرُ بِالْكَبِيرَةِ، ثُمَّ الْمُنْكَرَاتُ يُحْتَسَبُ عَلَيْهَا بِالْأَسْلُوبِ الشَّرْعِيِّ، أَمَا أَنْكَ تَأْتِي مَبَاشَرَةً لِتَسْقُطَ الْحُكْمُ وَتَقُولُ: إِنَّهُ حُكْمٌ لَا سَمْعَ فِيهِ وَلَا طَاعَةَ وَالْبَيْعَةَ فِيهِ غَيْرَ صَحِيحَةٍ! هَذَا هُوَ مِنْهَجُ الْخَوَارِجِ، ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ هِيَ الَّتِي تَزِيدُ الْمُنْكَرَاتِ وَتَجْعَلُهَا تَتَّفَاقِمُ، الْمُنْكَرَاتُ تُنْكَرُ بِالْأَسْلُوبِ الشَّرْعِيِّ، أَمَا إِذَا أَنْكَرْتَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَسَالِيبِ فَإِنَّهَا تَزِيدُهَا تَرَسُّخًا - نَعُوذُ بِاللَّهِ -.

ثُمَّ قَالَ: "مَرْقُوا مِنَ الدِّينِ" لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»^(١) "وَفَارَقُوا الْمِلَّةَ وَشَرَدُوا" مَفَارَقَتُهُمْ لِلْمِلَّةِ اخْتَلَفَ فِيهِمْ كَمَا قُلْنَا، بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ يَرُونَ أَنَّ الْخَوَارِجَ كَفَّارٌ كَمَا فَصَّلْنَا الْأَدْلَةَ فِي ذَلِكَ، وَالصَّحِيحُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِكُفَّارٍ، حَتَّى وَإِنْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ أَنَّهُمْ «كِلَابُ النَّارِ»^(٢) كَوْنُهُمْ يَدْخُلُونَ النَّارَ وَيَكُونُونَ مِنْ أَهْلِهَا لَا يَعْنِي أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَفَّارًا، الصَّحِيحُ الَّذِي عَلَيْهِ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ - كَمَا يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ - أَنَّ الْخَوَارِجَ لَيْسُوا بِكُفَّارٍ لَكِنَّهُمْ مِنْ هَذِهِ الْفِرَقِ الضَّالَّةِ الَّتِي لَا تَبْلُغُ حَدَّ الْكُفْرِ.

"وَشَذُّوا عَنِ الْجَمَاعَةِ" قَطْعًا لِأَنَّهُمْ صَارَ لَهُمْ جَمَاعَةٌ، هُمْ وَضَعُوا دَارًا سَمَّوْهَا دَارَ الْإِسْلَامِ فِي حَرُورَاءَ، حَرُورَاءَ هَذِهِ مَنطِقَةٌ قَرِيبَةٌ مِنَ الْكُوفَةِ، الْآنَ دَاخِلَ الْكُوفَةِ، وَجَعَلُوا دَارَ عَلِيِّ دَارَ كُفْرٍ وَدَارَ مَعَاوِيَةَ دَارَ كُفْرٍ، أَيْنَ دَارَ الْإِسْلَامِ؟ قَالُوا: دَارِنَا، وَهَذِهِ طَرِيقَتُهُمْ، يَأْتُونَ فِي مَوْضِعٍ وَيَقُولُونَ: هَذَا دَارَ الْإِسْلَامِ، وَيُسَمُّونَ مِثْلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهَبِ الرَّاسِبِيِّ سَمَّوَهُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَبَايَعُوهُ بَيْعَةَ إِمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَجَعَلُوهُ هُوَ الْخَلِيفَةَ، وَجَعَلُوا الدَّارَ دَارَ الْإِسْلَامِ، وَمَا سِوَى هَذِهِ الدَّارِ دَارَ كُفْرٍ، وَإِمْرَةُ الْمُؤْمِنِينَ لَيْسَتْ إِلَّا فِيهِمْ، لِأَجْلِ ذَلِكَ تَجِدُ هَذَا الْمَعْلَمَ وَهَذَا الْمَسْلَكَ فِيهِمْ شَائِعٌ، يَرُونَ أَنَّ مَنْ سِوَاهُمْ كُفَّارٌ، وَأَنَّ الدَّارَ الْحَقِيقِيَّةَ الَّتِي هِيَ دَارَ الْإِسْلَامِ دَارُهُمْ؛ وَمَا سِوَاهَا لَيْتَهُمْ يَقُولُونَ: دَارَ فَسَقٍ! يَقُولُونَ: دَارَ كُفْرٍ - نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ - يَعْنِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ يُكْفَرُونَ الدَّارَ وَأَهْلِهَا.

(١) صحيح البخاري (٣٦١٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) صحيح ابن ماجه (١٧٣) من حديث ابن أبي أوفى رضي الله عنه مرفوعًا. صحيح الجامع (٣٣٤٧).



ثم قال: "وخرجوا على السلطان والأئمة وسلّوا السيف على الأمة، واستحلوا دمائهم وأموالهم، وأكفروا من خالفهم" ثم ذكر فيهم أيضًا أن فيهم شتمًا للصحابة، الخوارج يتولّون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، ثم يسبون عثمان وعليًا وبقية الصحابة، أما أبا بكر وعمر ومن كانوا قبل زمن عثمان فإنهم لا يسبونهم، ففيهم نوع من سب الصحابة وشتمهم - قاتلهم الله -، وهكذا يسبون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأختانه ويتبرؤون منهم ويرمونهم بالعظائم والكفر.

ثم قال: "ولا يؤمنون بعذاب القبر ولا الحوض ولا الشفاعة، وهم قَدَرِيَّةٌ جهمية مرجئة رافضة" اعلم أن هذا في الخوارج المتأخرين، وليس في أوائل الخوارج، أوائل الخوارج نفي الصفات ومسائل القدر ما كانت عندهم، قال شيخ الإسلام: هذه مسائل سبقوها، ما نشأت أصلًا إلا لاحقًا، فنفي الصفات كان زمن الجعد بن درهم، والجعد بعدهم بمدة طويلة، وهم كانوا زمن عثمان وعلي، فما كانت بقية عقائدهم على خلاف عقيدة أهل السنة، وهذه مسألة مهمة جدًا، يعني بعض الناس يقول: نحن لا نسب الصحابة ولا شرك عندنا ونقر باليوم الآخر وما عندنا أي بدع وضلالات؛ إنما أمرنا في موضوع الحكم، يقول: أتدري أن عبد الله بن وهب الراسبي عقيدته في القدر عقيدة أهل السنة أو لا تدري؟ أتدري أن عقيدته في التوحيد عقيدة أهل السنة؟ ما كان مشرکًا، ما كان ينفي الصفات، لأن هذه المسائل ما أتت إلا بعد، لكن لما رأوا الخروج وكفروا مخالفينهم سمووا بالخوارج على زمن الصحابة رضي الله عنهم، وهم الذين فيهم النصوص "تخرج خارجة" "تمرق مارقة" وهم ليسوا بمشركين، فالذي يظن أن الخوارج جملة من الأخطاء العقديّة في القدر وفي الصفات وفي مسائل اليوم الآخر والنبوة ما عرف حقيقة خوارج، الخوارج الأوائل البدع هذه في القدر وفي غيرها أتت بعدهم، فكانت عقيدتهم في القدر وعقيدتهم في الصفات وفي التوحيد هي نفس عقيدة أهل السنة التي كان عليها الصحابة رضي الله عنهم، إنما كان الإشكال عندهم في مسائل الولاية ومسائل السمع والطاعة وأضرابها؛ ورؤيتهم أن المخالف في مثل هذه المسائل يكفر، أما أنهم مشركون! ما كان هناك شرك أصلًا في ذلك الوقت، وأما أنهم يؤلّون الصفات! ما كان هناك نفي صفات، فهذه مسألة مهمة ينبغي أن تُعلم وتُضبط.



ثم ذكر جملة من الأقوال الضالة والشاذة في الفقه من مثل قوله: "أنهم يؤخرون الصلاة عن وقتها، يصومون قبل رؤية الهلال" الذين يصومون قبل رؤية الهلال يكون معتمداً ماذا؟ الحساب الفلكي، أول من أدخل على الأمة اعتماد الحساب الفلكي - كما قال شيخ الإسلام - الرافضة، أخذوه عن النصارى، والنبي صلى الله عليه وسلم أمر بأن لا يصام حتى يرى الهلال؛ وأن لا يفطر حتى تری الهلال، هذا هو المعروف، فأصل مقولة عدم الاكتراث برؤية الهلال مقولة من الشيعة وهي أيضاً من مقولات الخوارج كما ترى هنا، "يرون النكاح بغير ولي ولا سلطان، يرون المتعة في دينهم" يعني يرون جواز أن يتزوج الرجل المرأة مدة محددة ينتهي بعدها كأن يتزوج يوماً أو أسبوعاً على طريقة الرافضة، يرون مسألة النساء بالربا أنها ليست بربا وهي أن يكون الدرهم بدرهمين لكن بشرط أن يكون يداً بيداً! وهذا لا يجوز لأن هذا ربا الفضل، فهم لا يرون ربا الفضل، "لا يرون الصلاة في الخفاف" مثل الرافضة يرون أن الخفين لا يصلّى فيها ولا يمسح أيضاً، "لا يرون طاعة للسلطان" قطعاً لأنهم يرون أن السلطان منهم "ولا يرون أن الخلافة تكون في قریش"، يقول: أشياء كثيرة يخالفون فيها أهل الإسلام.

ثم ذكر من أسمائهم "الحرورية" وهم أهل حروراء وتكلمنا عنهم، و"الأزارقة" وهم أتباع نافع بن أزرق، ونافع بن أزرق ونبجة الحروري وعبد الله بن إياض كانوا جميعاً ثم نشأت بينهم مسألة فاختلفوا فكفّر كل - على طريقة الخوارج - كفّر كل واحد منهم الآخر، ثم انحاز نبجة واجتمع حوله أناس وسموا بالنجدات، وانحاز ابن إياض وسمي من انحاز إليه بالإباضية، وهم ما يزالون إلى الآن في عمان، وانحاز إلى نافع مجموعة من أصحابه وسموا بالأزارقة، وكفّر بعضهم بعضاً، هذه طريقة الخوارج، الخوارج يبدوون مجتمعين ثم يختصمون ويكفّر بعضهم بعضاً، كما قال وهب بن منبه رحمه الله: "لقد أدركت صدر الإسلام، والله ما كان للخوارج جماعة إلا فرقها الله على شر حالهم، ولو أمكن الله الخوارج لعاد أمر الإسلام أمر جاهلية، ولفر الناس إلى الجبال، ولقام - اسمع العبارة - ولقام عشرون منهم كلهم يسمى نفسه أمير المؤمنين؛ يجتمع عليه عشرة آلاف يقاتل بعضهم بعضاً" (١) هذه طريقة الخوارج، سنة ماضية فيهم، لا يمكن تقوم لهم جماعة، لأنهم إذا قام لهم كيان انشق بعضهم عن بعض ثم قاتل بعضهم بعضاً، ولهذا لا تقوم لهم

(١) سير أعلام النبلاء (٤ / ٥٥٤).



جماعة، يقول رحمه الله: "أدرت صدر الإسلام، والله ما كان لهم جماعة إلا فرقتها الله"، لأن من شأنهم هم كثرة الخلافات وسهولة قتل من يخالفهم، ولهذا يقاتل بعضهم بعضاً، ويهريق بعضهم دم بعضاً - نسأل الله العافية ونعوذ بالله من الزيغ -.

ثم ذكر "الصفيرية" أصحاب داود بن نعمان، قيل له: إنك صفر من العلم، صفر من العلم هذا شأن الخوارج، لأنهم ليسوا من أهل العلم، لما نوقش صفر من العلم، ليس عنده شيء، خال من العلم، وهذا هو منهج الخوارج وسمت الخوارج أنهم بعيدون عن العلم، ولهذا هذه المقالات التي ذكرت مثلاً من عدم الصلاة بالخفاف وعدم المسح عليها ونحو ذلك ما يقولها إلا جاهل، لأن الأدلة فيها جلية، قد يوجد خوارج يقول: أنا أمسح على الخفين، نقول: ليس الضابط أن تمسح على الخفين حتى تكون خارجياً أو لست خارجياً! الضابط الخروج على الحاكم، قد يقول: أنا لا أكفر بالكبيرة، نقول: الضابط ليس التكفير بالكبيرة، الأوائل كانوا يكفرون بالكبيرة والذين من بعدهم ليس بالضرورة أن يكفروا بالكبيرة، الضابط الخروج على الحاكم، فإذا خرجت على الحاكم حتى لو أنك لا تكفر بالكبيرة! حتى لو مسحت على الخفين! ليس أمر الخروج مقصوراً في تكفير بالكبيرة أو مسح على الخفين!

ثم ذكر طوائف منهم ممن عددها "المهلبية" هم أتباع المهلب، "الحارثية" للحارث، "الخازمية" وهكذا يسمون عادة بأسماء أصحابهم الذين يتصدرون، ومنهم أيضاً "البيهسية والميمونية والخازمية"، يقول: "كل هؤلاء خوارج فساق مخالفون للسنّة خارجون من الملة، أهل بدعة وضلالة وهم لصوص قطع قد عرفناهم بذلك" لماذا صاروا لصوصاً؟ لأنهم يعتقدون أن أموال الناس حلال! وأن الناس كفار؛ فلذلك يقطعون عليهم الطريق ويأخذون أموالهم، لأنهم يرون أنها أموال كفار! ويقتلونهم يرون أنهم كفار! وهكذا، ولهذا سبحانه الله أثر الخوارج الأكبر والأشد هو داخل الأمة، ولهذا جاء فيهم قوله صلى الله عليه وسلم «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان»^(١)، لو تنظر في تاريخ الخوارج تجد أنهم في العموم الأغلب أضروا أمة محمد صلى الله عليه وسلم أكثر بكثير مما أضروا بغيرها، وعندهم عجائب، عبد الله بن خباب رحمه الله لما أمسك به الخوارج قالوا له: حدثنا بحديث عن أبيك عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ فلما كانوا خوارج قال:

(١) صحيح البخاري (٣٣٤٤) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً.



حدثني أبي أن النبي صلى الله عليه وسلم "ذَكَرَ فِتْنَةَ؛ الْقَاعِدِ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمِ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي" (١) يعني حتى يزرهم ويتفكروا في الفتنة التي هم فيها، يقول - كما في المصنف (٢) - فمروا ووجد أحدكم تمرة فأدخلها في فمه - وكان البستان بستان أحد أهل الذمة - فالتفت عليه خارجي آخر قال: تمرة لرجل من أهل الذمة؟؟؟ بِمَ استبحت ذلك؟ كيف تأكل تمرًا من تمر أهل الذمة؟؟ فأخرجها ورمهاها، مَرَّ خنزير فنححه أحدهم بسيفه - ضربه - قال: خنزير من خنازير أهل الذمة؟؟ فقال عبد الله بن خباب: ألا أخبركم بما هو أعظم حَقًّا من الخنزير؟ قالوا: بلى، قال: أنا، أنا مسلم، أنت عندك ورع؟ الآن أنت متورع، لا تريد أن تأكل تمرة رجل من أهل الذمة وتغضب لأنه ضرب خنزير أحد أهل الذمة؟ أنا أعظم من الخنزير، قال: فقدموه وذبحوه ذبحًا، وبقروا بطن أم ولد، هكذا عقلية الخوارج، ولهذا مذهب الخوارج خطير جدًا لأنه يجعل هذه الطاقات العظيمة في الأمة الشجعان الذين يريدون الجهاد الذين يريدون الشهادة بدل أن يتجهوا الاتجاه الصحيح فيقاتلوا في سبيل الله؛ يتجهوا ليكون الجهاد للأمة بدل أن يكون جهاد للكفار! فأمر الخوارج خطير ودلالة النصوص على أنهم لما قال أحدهم لعلي رضي الله عنه بعد أن أريدوا في النهروان قال: الحمد لله الذي قطعهم قال علي: "لا - والذي نفسي بيده - إن في أصلاب الرجال أناس قادمون" (٣) يعني سيبقى الخوارج مستمرين، وفيهم الحديث كما قلنا الذي «يتبع آخرهم الدجال» (٤) نعوذ بالله من الزيغ، فعندنا طائفة المرجئة تهون من العمل، وطائفة الخوارج تبالغ، وكلا الطرفين على باطل وعلى ضلال، والحق في التوسط - التوسط الوسطي العلمي - لا التوسط الذي يتحدث عنه الليبرالي الذي يرى الاختلاط والفوضى! يقول: هذا وسطية! نقول: لا هذه فوضى، الوسطية التي كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بلزوم سنته في جميع أبواب الدين، وإخضاع الدنيا للدين، بحيث تُحكم بالدين، أما الطريقة الفوضوية كل من أراد أن يُسهل أمرًا يقول: هذه وسطية! وسطية في ماذا؟ في الفوضى؟

(١) صحيح البخاري (٣٦٠١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٣٧٨٩٣).

(٣) الطبراني في الأوسط (٧/٣٣٩).

(٤) سبق تخريجه.



كل أحد يدعي الوسطية، لكن الوسطية هي التي عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي لزمها فهو الوسطي، من زاد عليها فهو الغالي، ومن نقص عنها فهو الجافي.

والشعوبية: وهم أصحاب بدعة وضلالة، وهم يقولون: إنَّ العرب والموالي عندنا واحد، لا يرون للعرب حقاً، ولا يعرفون لهم فضلاً، ولا يحبونهم بل يبغضون العرب، ويضمرون لهم الغل والحسد والبغضة في قلوبهم، وهذا قول قبيح ابتدعه رجل من أهل العراق فتابعه عليه نقر يسير فقتل عليه.

تكلم عن هذا موضوع الشعوبية في السابق ولا حاجة لتعيد الكلام فيه.

وأصحاب الرأي: وهم مبتدعة ضلال، أعداء للسنة والأثر، يرون الدين رأياً وقياساً واستحساناً، وهم يخالفون الآثار، ويبطلون الحديث، ويردون على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتخذون أبا حنيفة ومن قال بقوله إماماً ويدينون بدينهم ويقولون بقولهم.
وأبي ضلالة أبين من قال بهذا أو كان على مثل هذا، يترك قول الرسول وأصحابه ويتبع قول أبي حنيفة وأصحابه، فكفى بهذا غياً مردياً وطغياناً ورداً.

هذا كله تكلمنا عنه، موضوع الرأي والكلام على أبي حنيفة وتفصيل الكلام فيه، كل هذا مما تقدم فلا حاجة للإعادة.

والولاية بدعة والبراءة بدعة! وهم الذين يقولون: نتولى فلاناً ونتبرأ من فلان، وهذا القول بدعة فاحذروه.



الولاء والبراء ليس هوى! بل هو دين، الواجب أن يتولى المؤمنُ أهل الإيمان ويتبرأ من أهل الكفر، قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (١) قال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (٢) وقال في البراءة من أعدائه تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (٣) الآية، وكونه يقول: نتولى فلانًا ونتبرأ من فلان بالهوى! ما يصلح، لأن الولاء والبراء دين؛ فتجعل الولاء لأهله والبراء من أعداء الله عز وجل أو ممن نابذ السنة من أهل البدع والضلال.

فَمَنْ قَالَ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ أَوْ رَأَاهَا أَوْ صَوَّبَهَا أَوْ رَضِيَهَا أَوْ أَحْبَبَهَا؛ فَقَدْ خَالَفَ السُّنَّةَ، وَخَرَجَ مِنَ الْجَمَاعَةِ، وَتَرَكَ الْأَثَرَ، وَقَالَ بِالْخِلَافِ، وَدَخَلَ فِي الْبِدْعَةِ، وَزَالَ عَنِ الطَّرِيقِ.
وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا، وَبِهِ اسْتَعْنَا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

نَبَّهَ إِلَى أَنَّ الْمَخَالَفَةَ فِي أَبْوَابِ الْإِعْتِقَادِ؛ فِي الْقَدْرِ وَالصِّفَاتِ؛ فِي الصَّحَابَةِ أَنَّ هَذَا ضَلَالٌ لِأَنَّهُ خَرَجَ عَنِ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَنِ كَلَامِ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ.

وقد أحدث أهل الأهواء والبدع والخلاف أسماءً شنيعة قبيحة فسموا بها أهل السنة؛ يريدون بذلك عيبهم والطعن عليهم والوقية فيهم والإضرار بهم عند السفهاء والجهال.
فأما المرجئة فإنهم يسمون أهل السنة (شكًا) وكذبت المرجئة بل هم بالشك أولى بالشك وبالتكذيب أشبه.

(١) المائدة: ٥٦.

(٢) التوبة: ٧١.

(٣) الممتحنة: ٤.



وأما القَدْرِيَّةُ فإنهم يُسمون أهل السُّنَّةِ والإِثباتِ (مَجْبِرَةٌ) وكذبتِ القَدْرِيَّةُ بل هم أولى بالكذب والخلاف، ألغوا قَدَرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عن خَلْقِهِ وقالوا ليس له بأهل تبارك وتعالى.

وأما الجَهْمِيَّةُ فإنهم يُسمون أهل السُّنَّةِ (المشبهة) وكذبتِ الجَهْمِيَّةُ - أعداءُ اللَّهِ - بل هم أولى بالتشبيه والتكذيب، افتروا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الكذب وقالوا على اللَّهِ الإفك والزور وكفروا بقولهم.

وأما الرافضة فإنهم يُسمون أهل السُّنَّةِ (الناصبية) وكذبتِ الرافضة بل هم أولى بهذا لانتصابهم لأصحاب رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالسَّبِّ والشتم وقالوا فيهم بغير حق، ونسبوههم إلى غير العدل كُفْرًا وظلمًا وجرأة على اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ واستخفافًا بحق الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم أولى بالتعكير والانتقام منهم.

وأما الخوارج فإنهم يُسمون أهل السُّنَّةِ والجماعة (مرجئة) وكذبتِ الخوارج في قولهم، بل هم المرجئة، يزعمون أنهم على إيمان وحق دون الناس ومَن خالفهم كافر.

وأما أصحاب الرأي والقياس فإنهم يُسمون أصحاب السُّنَّةِ (نابذة وحشوية) وكذب أصحاب الرأي - أعداءُ اللَّهِ -، بل هم النابذة والحشوية، تركوا آثارَ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحديثه وقالوا بالرأي وقاسوا الدين بالاستحسان، وحكموا بخلاف الكتاب والسُّنَّةِ، وهم أصحابُ بدعةٍ جهلةٌ ضلال، وطلاب دنيا بالكذب والبهتان، فرحم اللَّهُ عبدًا قال بالحق واتبع الأثر، وتمسك بالسُّنَّةِ، واقتدى بالصالحين، وجانب أهل البدع وترك مجالستهم ومحدثهم احتسابًا وطلبًا للقربة من اللَّهِ وإعزاز دينه. وبالله التوفيق.

اللهم ادحض باطل المرجئة، وأوهن كيدَ القَدْرِيَّةِ، وأذلَّ دولة الرافضة، واحمق شُبُه أصحاب الرأي، وقنا مؤنة الخارجية، وعجل الانتقام من الجهمية.

تمت بحمد الله

.....

رحمة الله على الإمام حرب وأسكنه فسيح الجنات، هذا يا إخوة من فضل العلم، له الآن أكثر من ألف سنة، يُدعى له ويُنشر علمه، نسأل الله أن يجعل قبره روضة من رياض الجنة وأن يجزل له الثواب، ختم بأن - وهذا الذي قلناه قبل قليل لما أطلت الكلام - أهل البدع هم الذين يُعيرون أهل السُّنَّةِ، يعيرونهم بضدّهم،



مثلاً الرافضة يُسمون أهل السُّنَّة ناصبة، يقولون: أنتم ناصبة تنصبون العداة لآل البيت، كيف نصب العداة لآل البيت ونحن نترضى عنهم؟ يقولون: لا تكونون موالين لهم حتى تشتموا الصحابة! نقول: أنتم الناصبة، نصبتم العداة لآل البيت والصحابة رضي الله عنهم، المرجئة يُسمون أهل السُّنَّة شُكَّاءَ لأنهم يقولون: نحن مؤمنون إن شاء الله، قلنا: إن الاستثناء هنا ليس على أصل الإيذان وإنما على المآخذ التي ذكرناها من عدم تزكية النفس ونحو ذلك، القَدَرِيَّةُ لما رأوا أهل السُّنَّة يقولون: الأمور راجعة لله قالوا: أنتم مجبرة، نفس الشيء الجهمية لما رأوا أهل السُّنَّة يشبِّهون للرب سبحانه وتعالى الصفات على الوجه اللائق به - مع نفي المشابهة - قالوا: أنتم مشبهة، ولا تكونون سالمين من التشبيه حتى تنفوا عن الله ما أثبت، وهكذا كل طائفة فيها بلاء تتهم أهل السُّنَّة بخلافها، ولهذا أيضاً الخوارج، الخوارج يُسمون أهل السُّنَّة مرجئة! ولهذا قلتُ أيها الإخوة الأمر الصائر الآن من بعض طلبة العلم هذا يقول: أنت خارجي! وهذا يقول: أنت مرجئي! الأمر ليس فوضي! الخارجي هو الذي يُسمينا نحن مرجئة - أهل السُّنَّة! -، والمرجئة يطلقون علينا أن منهنجنا منهنج شُكَّاءَ ومنهنج خوارج! فكيف يطلق أهل السُّنَّة على بعضهم هذه الألفاظ التي أصلاً لا يطلقها إلا المبتدعة عليهم! فإذا صارت في أوساط أهل السُّنَّة يقولها بعضهم على بعض تجد هذا الإرباك الكبير، وصارت هذه التسميات سهلة عند الناس، لأنه إذا قيل: خارجي؛ قيل: وإذا خارجي؟؟ فلان خارجي وفلان خارجي وفلان خارجي! فإذا جاء الخارجي الحقيقي ضاع، وهكذا المرجئة، ولهذا هذه قاعدة عند أهل البدع أنهم يُسمون من خالفهم في بدعتهم بصد البدعة التي هم فيها، فلأجل ذلك الخوارج يُسمون أهل السُّنَّة بالمرجئة لأنهم يرون أن الصواب أن يُخرج على الحُكَّام بالسيف، فإذا قيل: لا، قال: أرأيتم المرجئة الذين يزينون للحُكَّام الباطل - كما شرحنا -، المرجئة يقول رغبة بن مصقلة: "إن المرجئة على دين الملوك" (١) ينظر ما الذي يُرضي الحُكَّام فيكون معهم، هؤلاء المرجئة وليسوا أهل السُّنَّة! ولهذا قال النواصب وأضرابهم من المرجئة قالوا: إن الحُكَّام يُطاعون في المعصية! هل قال أهل السُّنَّة هذا؟ أهل السُّنَّة قالوا: لا يطاعون في المعصية وإنما يطاعون في المعروف، فقالت الخوارج: لا تطيعوهم وإن أطعتموهم حتى في المعروف فأنتم مرجئة، نقول: لأنكم خوارج، المرجئة تقول عنا - إذا قلنا بالقول الصواب في مسائل الولاية

(١) الإبانة الصغرى لابن بطة (ص: ٩٣).



- قالوا: أنتم خوارج! وهكذا، وإلى يومك وهذا الأسلوب يستخدم، ومنه كلمات تطلق الآن على أهل السنة أنهم هم الذين زرعو الإرهاب! وهم الذين سببوا التطرف! ونحو ذلك من العبارات، وعبارات الشيوعيين القدماى أن أهل الإسلام هم الرجعيون وأن الشيوعية هم التقدميون! لا تعتر بمثل هذه التسميات، العبرة بأن تلزم كما قال تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ (١) أما أنواع التعبير هذه لن تنتهي، لو سلم أحد لسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلّم الرسل عليهم الصلاة والسلام، ثم المؤمن هو يتعبد الله بدينه لا ينظر إذا غير ترك مبدأه! لو غيرك بألف لقب ونبذ أنت لا تكثر بهذا؛ وإنما تستمسك بالحق، وهذه سنة ماضية خبيثة فيهم، ولهذا الحملة على الشيخ محمد بن عبد الوهاب نفس الوضع، فتجد من يسمون الشيخ بالوهابية، حتى في الغرب متطرفو اليهود يسمون "المد الوهابي" ولا بد من إسكات الوهابية، الصوفية تقول هذا، الرافضة تقول هذا، الليبرالية يقولون هذا، العلمانية يقولون هذا، سبحان الله العظيم تفرق جمعهم إلا علينا، لأنه من طبع صاحب الحق أنه يغيظ عدداً من أصناف أهل الباطل، فتجدهم جميعاً يذمونه، صاحب الحق متدين لله بحق، لا يكثر ولا يهتم لكون هؤلاء يعيرونه، لأنه يتدين لله تعالى بهذه العقيدة، كما أنه يتدين لله بالصلاة وبالصوم فهو يعتقد هذه العقيدة وإن غير وإن قيل فيه ما قيل.

- يسأل الأخ: لماذا الكلام عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب؟

لأنه كما ذكرت قبل قليل صاحب الحق تأتيه السهام من كل الجهات.

- يسأل عن بعض الطوائف القديمة الكلاية.

أصحاب عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان، وهو غير موجود، لكن فكره صار في الماتريديّة -

أصحاب أبي المنصور الماتريدي - والأشعرية.

- يقول هل هناك معنى خاص للزنديق يفرق بينه وبين غيره من أهل النفاق والضلال؟

(١) الزخرف: ٤٣، ٤٤.



الضلال قد يُطلق الضلال على مسلم، لكن إذا قيل: زنديق! الزنديق ما يكون مسلمًا، الزنديق في حقيقته يُظهر الإسلام وليس بمسلم، وغالبهم كان من الأعاجم والكلمة قلنا: إنها فارسية.

- يقول: كيف نجيب على من يقول في الفرق بأن عددهم قليل؟

انظر في الدنيا تعرف أن عددهم ليس بقليل، ليس بقليل، الفرق كثيرة - نسأل الله أن يصلح حال الأمة -، وهل وصل حال الأمة إلى ما وصل إليه إلا لكثرة الضلال والفرق الضالة؟ كيف يكون عددهم قليل والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين»^(١).

- الأصول الخمسة والمعتزلة لو تعيدها.

والله يا أخي ليست علمًا حتى أعيدها، لأنها للمختص، من أراد أن يعرفها فليست من العلم، لكن نبيين لماذا سمو المعتزلة، لكن إذا تخصصت بالعقيدة والفرق يمكن أن تعرفها.

- يتكلم عن من يحذرون من بعض الدعاة.

الحقيقة ما تستطيع أن تجيب على هذا بجواب واحد، لأن التحذير بعض الأحيان يكون في محله، وفي بعض الأحيان يكون في غير محله، فالقول بأنه لا يصح التحذير من كذا!! كيف لا يصح! عدنان إبراهيم وأضرابه ما نُحذَر منهم؟؟ هؤلاء جمعوا عجائب، جامع تصوف وجامع ليبرالية وجامع خرافات وخزعبلات الصوفية وجامع سب للصحابة، تقول: هذه دعاة!! هذا داعي إلى الشر وإلى الباطل، فيختلف الحال، لأن بعض الإخوة يقول: إذا سمعنا التحذير مثلًا يظن أن المقصود أن كل من أظهر أنه عليه سمت علم أو دعوة أنه لا يُحذَر منه! وإن كان عنده ما عنده من إشكالات ومن الضلالات ومن الزيغ، يختلف، أما التحذير من صاحب السنة والمبالغة في هذا والخط عليه! هذا هو الذي لا يستطيع أن تقول: لا تُحذروا أو تقول: حذروا، إنها كل واقعة بحسبها، وإذا أعياك الأمر سل أهل العلم الكبار، رُد هذه المسائل لأهل العلم وهم يبينون لك.

- يقول: كيف أن أفضل القرون الثلاثة؛ ومع ذلك وقع فيها البدع؟

(١) سبق تخريجه.



أصحاب القرون الثلاثة الصحابة والتابعون وأتباعهم، وليس معناه أنه كل مَنْ وَجَدَ حَتَّى لَوْ كَانَ قَدَرِيًّا أَوْ غَيْرَهُ! فالذين في زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَمْ يَوْجَدُوا مَنَافِقُونَ؟ أَلَمْ يَوْجَدُوا كُفْرًا زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ وَمَعَ ذَلِكَ يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي»^(١) يَعْنِي الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَلَزِمُوا هَدْيِي، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ كَانَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ.

- يسأل: هل صرَّح أئمة السُّنَّة بزيادة الإسلام ونقصانه؟

القول المشهور الذي عليه الجماهير أنه يقال بزيادة الإيمان ونقصانه، أما هل يزيد الإسلام فالمعروف أنه يقال: الإسلام شيء هو الشهاداتتان والأعمال الظاهرة هذه، إذا قيل إنه الكلمة "لا إله إلا الله؛ محمد رسول الله" فإنه لا يزيد، لكن الإمام أحمد رحمه الله له رواية أخرى أن الإسلام يأتي بمعنى الإيمان؛ فيصح في مثل هذه الحالة بهذا المعنى أنه الأعمال الكاملة يصح الاستثناء فيه كما يصح الاستثناء في الإيمان، لكن الإسلام الذي هو الكلمة نفسها "لا إله إلا الله، محمد رسول الله" هذه ما فيها استثناء كما تعلم.

- يسأل عن الأشاعرة.

عندهم جملة من الإشكالات في الإيمان، يقولون بقول المرجئة، وفي القدر عندهم مقولة الجبرية، وفي الصفات عندهم جملة من الصفات سلكوا فيها؛ فهم من فروع الجهمية، أما أبو الحسن الأشعري فعنده جملة من الملحوظات لكنه خير من أتباعه المتأخرين، فرَّق كبير بين أبي الحسن وبين المنسويين له.

- يقول: يُشكَلُ عَلَيَّ مَوْقِفُ الْحُسَيْنِ؛ إِنْ كَانَ وَلايَةً يَزِيدٍ مَنَعْقِدَةً وَصَحِيحَةً؛ فَكَيْفَ نُرَدُّ عَلَى مَنْ يَقُولُ:

إِنَّ الْحُسَيْنَ خَرَجَ عَلَى الْحَاكِمِ وَصَوَّبَ قَتْلَهُ؟

أنا أقول: يا إخوة إذا قال أحد من أهل العلم بقول ثم رجع عنه؛ يؤخذ بالقول الأول أو الأخير؟ الحسين رضي الله عنه بنفسه رجع وخير الجيش بين ثلاثة أمور: أن يُترك حتى يأتي يزيد فيضع يده في يده - يعني يبايعه -، أو يُترك حتى يرجع إلى المدينة، وهو خرج من المدينة وطلب منه أهل المدينة أن يبايع حتى يجيء ويبايع في المدينة، أو يُترك حتى يخرج ويقاوم الكفار عند الثغور، وإذا قاتل فهو يقاتل تحت ماذا؟ تحت

(١) صحيح البخاري (٢٦٥١) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعاً.



ولاية، فهو رجوع منه عن ما فعل، اجتهد رضي الله عنه ثم تراجع عنه، فلماذا يُستدل بقوله الأول ولا يُستدل بموقفه الثاني؟؟

- يقول: هل الحزبيون من أهل السنة؟

الإطلاق يا أخي! تحزبوا على ماذا؟ يعني بعض الأحيان يكون هناك نوع من المبالغة في تقدير أحد المشايخ، يقال: هذا خطأ، ما نقول: إنه ليس من أهل السنة! أما إذا كانوا متحزبين على بدعة أو عندهم - والعياذ بالله - بيعة سرية كبعض الحزبيات؛ هؤلاء بلا شك أنهم خرجوا عن السنة، لكن بعض الناس يكون حزبيًا ولا يدري، كيف ذلك؟ يجب أحد المشايخ محبة شديدة؛ فلا يقبل إلا منه! هذا نوع تحزب، ولو سأل هذا العالم لقال: ما أمرتك! وأنت مخطئ بهذا! فبعض الناس كما قال شيخ الإسلام لا يقبل الحق إلا من جماعته، حتى لو كان ليس بحزبي، هذا نوع تحزب، فإطلاق العبارة بأنهم أهل السنة أو ليسوا بأهل سنة فيه تفصيل.

- الذي قُتِلَ لما أرادوا قتل عمرو بن العاص.
خارجة.

- يقول: هل تستطيع تذكر لنا قصة الحسين رضي الله عنه؟

طويلة جدًا، لكن فيها محاضرة إن شئت، فيها محاضرة بعنوان "مقتل الحسين والحقائق الغائبة" إن شئت ارجع لها.

- يقول: أليست الرافضة ثاني فرقة خرجت بعد الخوارج وهم قبل القدرية؟

بلى هم قبل القدرية، لكن كان خروجهم قريبًا من وقت الخوارج، لأنهم كانوا كانت ردة فعل للخوارج، فهم متعاصرون، والذي يظهر أنهم كانوا بداية للخوارج لكن فرقان متقارنتان.

- الرافضة قبل أن تدخلهم عقيدة المعتزلة في الأسماء والصفات والقدر؛ ماذا كانوا؟

مشبهة، ثم صار آخرهم معطلة، هذا في الرافضة عجيب، تجد أوائلهم على قول - أقصد الرافضة ولا أقصد أئمتهم يعني مثل علي والحسين حاشا لله، هؤلاء أئمة أهل السنة وليسوا أئمة الرافضة -، لكن الضلال في الرافضة كان عن طريق السبئية وهشام بن الحكم وأضرابه ممن كانوا يقولون المقالات العظيمة،



ولهذا لما عبدوا علياً وقالت السَّبَيْئِيَّةُ: إنك أنت ربنا! لأنهم أهل تشبيهه، ثم صار متأخرهم إلى قول المعتزلة، يعني انعكس بهم الأمر، لأن هذه الفِرَقَ - كما قلت - تتخلخل، تارة بقول ثم تقول بقول بضده.

- ما رأيكم في جماعة الإخوان؛ ومن يدافع عنها؟

جماعة الإخوان ما نشأت نشأة علمية حتى نعطيك فيها رأياً، جماعة الإخوان كما تلاحظ نشأت نشأة أيضاً في وقت كان كثيراً من أجزاء الأمة أكثر من مئة سنة كثير من أجزاء الأمة فيها الاحتلال من قبل الأعداء وما كانت الصورة عند متقدميهم واضحة، ونصح لهم في الحقيقة علماء السنة لا سيما الشيخ عبد العزيز بن باز وغيره، نصحوا لهم، ونبهوهم إلى جملة من الأخطاء داخل الجماعة التي يجب أن تصحح، وعلى رأسها موضوع أن فيها بيعة وفيه كذا! هذا لا شك أنه باطل، فعدم الاكتراث بالعقيدة، وقولهم مسائل العقيدة تُنحَى! وذكرها يؤدي إلى شيء من التصدع والخلاف! فترك الناس، المشرك لا تنكر عليه، حتى الراضية بسببه للصحابي لا تنكر عليه! فمיעوا الجانب الاعتقادي، لو أنهم أصلحوا وضعهم وأخذوا بنصائح الناصحين من علماء السنة لكانت هذه الطاقات الكبيرة - في الحقيقة طاقة على مستوى الأمة طاقة كبرى وتتبعهم الملايين - لكانت في سبيل سليم، لكن في الحقيقة من نحو أربعين سنة كانوا مكتسحين اكتساحاً شديداً جداً، فلا يكاد يُسمع لك أصلاً لكثرة ما يشعر بالقوة من حوله، فكان المفترض - وأقول أولاً لم ينشئوا نشأة علمية -، إذا نظرت إلى مجموعة من زعماء الجماعة ليسوا من أهل العلم الشرعي، ومن الخطأ أن يقال: فلان منهم عالم! الذين قد يكون عندهم فقه أو غيره ليسوا هم مؤثرين، الرؤوس لم يكونوا علماء، وجد عندهم حماسة للدين وحرص على أن ينهضوا بالأمة لكن بغير الطريق العلمي، وهكذا مثل جماعة التبليغ، نفس الوضع، وجدت في الهند في فترة كان وضع الأمة على حال السوء والضعف، لكن لم تنشأ نشأة علمية، انظر الفرق الكبير بين منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومنهج هذه الجماعة، الشيخ أسس على العقيدة لعلمه أن الأمور تبنى على العقيدة، أما جماعة الإخوان نحت العقيدة، قالت: لا حاجة لذكر هذه الأمور! تجمع الناس على ماذا؟ يكون عندك مجموعة من الملايين فيهم مشرك وفيهم مخرف وفيهم! كيف تترك هؤلاء؟ هؤلاء في ذمتك، فما سمعوا في الحقيقة توجيه وكلام أهل العلم الناصحين، ثم كوني أسمي نفسي إخوان المسلمين! على أي أساس؟ الأمة كلها إخوة وكلها مسلمة، وهذا الذي قلناه قبل



قليل، المفترض أن الأمة تكون كلها جماعة إخوان المسلمين؛ ولكن ليسوا بجماعة! كلهم إخوة وكلهم مسلمون داخل جماعة واحدة، أما أن يأتي شخص ويسمي بالإخوة وآخر يسمي نفسه بالتبليغ وآخر يسمي نفسه حزب التحرير؛ هؤلاء يأخذون طاقات من الأمة، وهؤلاء يأخذون طاقات، هذا إهدار، حتى لو قلنا: إن بعضهم يوجد عنده نية صالحة أو غيره؛ لا تكفي النية الصالحة! فالأمة الآن أشد ما تكون بحاجة إلى أن تتحد تحت منهج علمي، حتى هذه النوازل الكبار في الأمة تحتاج علماً وما تحتاج حماساً! لكن الحق يقال: هذه الجماعة لا شك - مثلما قلت - انطلاقتها خاطئة، لكن حين يأتي الليبرالي ليرد على الإخوان المسلمين - كما قلنا قبل قليل في الخوارج - الليبرالي هو الذي يرد على الإخوان؟ سبحان الله، الليبرالي منهجه أفسد من منهج الإخوان! بلا أدنى تردد وبدون ريب، ثم إن كثيراً ممن كانوا منتسبين لهذه الجماعة استناروا واهتدوا وتركوا هذا التحزب لأنهم سمعوا الحق فقبلوه، أما الفكر الليبرالي الذي ينحى الشرع فالفاصل كبير بينه وبين الحق، لكن من حيث إنشاء جماعات مثل ما قلنا: الأمة كلها جماعة، وكلها إخوان، وكلها مسلمة، لا يأتي شخص ويسمي بهذه التسمية التي هي لأمة محمد صلى الله عليه وسلم كلها، على الأمة كلها أن تكون جماعة واحدة، وأن يكونوا إخوة جميعاً، وأن يكون الإسلام هو الذي يسود الجميع، وأن يكون الأمر أمراً علمياً لا أمراً عاطفياً! ومن عنده طاقة ودأب وجهد بالدعوة نقول: قواك الله، ولكن تحت مظلة العلم، وهناك ولاية، أنت لا تستشعر أنك الآن أنت الحاكم وأن هذه الولاية لا تلزمك! فإذا كان على منهج علمي واستفيد من هذه الطاقات العظيمة بالملايين الموجودة من هؤلاء الذين يتبعون هذه الجماعات، تصور في بعض البلدان في أندونيسيا وغيرها تجد الجماعة الواحدة يتبعها أكثر من خمسة عشر مليون إنسان! الآن زعماء هذه الجماعات لو هداهم الله ووجهوا هؤلاء التوجيه السليم ونشروا فيهم العقيدة؛ ماذا يحدث للأمة من زوال البدع والمنكرات والشركيات والعودة الصحيحة إلى الله عز وجل؟ لكن على هذه الطريقة هذا يضع جماعة! وهذا يضع له حزب! الأصل أن الأمة حزب واحد: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١)، الأصل أن الأمة جماعة واحدة، هذا هو الأصل، أما تقطيع الأمة بهذه الطريقة لا شك أنه خطأ، فالحاجة كبيرة إلى أن



يُوجِّهوا وإلى أن يتقوا الله عزَّ وجلَّ، وأن يتركوا إهدار هذه الطاقات، هذا هو القول الصواب فيه وهو قول مشايخنا رحمة الله عليهم.

نسأل الله أن يرحم الإمام الجليل حرباً الكرمانى؛ وأن يجزل له المثوبة ولعلماء السنة.
والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد وآله وصحبه